دار الكتاب الصوفى

تقـــــدم

الاختيـار الصـعـب

إلى

روث مارى كونولى

عسى أن يهدينا

الله إلى الصراط المستقيم

الخليفة الثالث

السيد محمد علاء الدين ماضى أبو العزائم عليه السلام

الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم.

مسجده وضريحه ومكتبته العلمية بالقاهرة

ومشيخة الطريقة العزمية

السيدة زينب : تقاطع شارع مجلس الشعب مع تقاطع شارع بورسعيد

تليفون المكتبة/

002 022 3901030

جميع حقوق الطبع والنشر والترجمة

والتصوير والاقتباس والنقل

محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

رجب ١٤٢٦هـ – أغسطس ٢٠٠٥م

رقم الإيداع

١٣٩٦٦/ ٢٠٠٥م

الترقيم الدولى

٩٧٧-٥٢٧٣-٦٥-x

الافتتاحية

الحمد الذى الذى جعل لكل مأموم إماماً يقتدى به، ويستضىء بنور علمه، ويروض نفسه بالتقوى لتأتى آمنة يوم الخوف الأكبر.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين الذين جاءوا لتنويع الأفكار، وتطهير الأخلاق من النجاسات والنقائص، ليستعد الإنسان بالتخلى للتجمل بالجمال الحقيقى الذين يكون به فى أمن وهداية وعزة وسعادة.

أما بعد:

لكل جماعة بشرية أيا كانت درجتها الفكرية، وأوضاعها الحضارية، عقيدة تنتهجها، أو مبدأ تسلكه، أو دين تلتزم به وتخلص له. والدين كما عرفه الباحثون: هو الانقياد والطاعة والالتزام بمبدأ أو عقيدة يدين لها ويخلص لها. والتدين: فطرة داخل الإنسان وغريزة فى ذاته، وهو جزء من كيانه ووجوده كبقية الغرائز التى تكون النفس البشرية.. وهذه الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية من أشدها همجية وأدناها حضارة حتى أرقاها فكراً وتطوراً، هى موجودة فيها منذ فطرتها الأولى، عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ وآله قال: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيه جدعاء؟).

تعدد الديانات

وبسبب غريزة التدين تعددت المعتقدات بتعدد الأمم والشعوب، فكان لكل أمة دين أو أكثر من ذلك، فقد ابتدأت بالأسطورة والتخيلات، واختتمت برسالة الإسلام. والديانات يصعب حصرها من حيث العدد، ولكن يمكن تصنيفها فى مجموعات– بحسب معتقدات أهلها – هى:

أولا: الديانات البدائية، كالطوطمية والفتشية، تلك التى تقدس قوى الطبيعة ومظاهرها، وتتخذ من الحيوانات أو النباتات أو الجمادات آلهة لها من دون الله. وهى التى تقدس الكواكب والنجوم وتعتمد فى حياها على رواية الأساطير الخيالية والحكايات الخرافية منذ بداية الخليقة.

ثانيا: الديانات التوحيدية، وهى التى تنظر إلى الإله على أنه مجرد عن الكائنات الحية والجمادات كلها، وظواهر الطبيعة، كالديانات الأخناتونية والزرادشتية والبوذية والكونفوشيسية.

ثالثا: الديانات السماوية المنزلة، وهى الأكثر تطوراً وكمالاً، لأها منزلة من عند الله، كاليهودية التى أنزلت على سيدنا موسى عليه السلام وكتاها التوراة. والنصرانية التى أنزلت على سيدنا عيسى عليه السلام وكتاها الإنجيل. والإسلامية التى أنزلت على سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ وكتاها القرآن.

ولكن الخلاف بين أصحاب الديانات السماوية كبير، بل ووصل إلى حد الشطط فى الحكم ومخالفة العقل والمنطق، فليس من المعقول أن نصدق قول اليهود بأن النصارى والمسلمين فى النار، وقول النصارى بأن اليهود والمسلمين فى النار، وقول المسلمين بأن النصارى واليهود فى النار، فإذا صدق الجميع ودخلوا كلهم النار.. فمن هم أهل الجنة؟.

إذاً لابد أن هناك خطأ فى هذه الأقوال، وهناك احتمال لصحة بعضها، لذلك لابد من دراسة هذه الأديان بحياد تام، خاصة تلك التى اتصفت بأنها أديان سماوية، وانتقاء الأمثل منها حتى نحشر مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فى جنة عرضها السماوات والأرض.

منهج البحث

وبناء على هذا، فإن فرضية أساسية أو مسلمة أساسية مثلا بأن: الديانة الإسلامية هى ديانة صحيحة، لن يزيد قبولنا لها عن معنى "القبول المعلق"، بمعنى أن قبولنا النهائى لهذه المسلمة سوف يتوقف على مدى اختبارنا لصحة ما تؤدى إليه هذه المسلمة من نتائج، فإن صحت النتائج التى تؤدى إليها هذه المسلمة نفسها، أى أن "الديانة الإسلامية هى ديانة صحيحة" فعلا، وإن بطلت النتائج التى تؤدى إليها هذه المسلمة بطلت المسلمة نفسها، أى أن "الديانة الإسلامية هى ديانة باطلة" فعلا، ليس فى هذا أى تجاوز منطقى أو تجاوز علمى أو تجاوز فكرى.

وبديهى سوف نطبق نفس هذه المبادئ على الديانات الأخرى، ثم نجرى عليها نفس الاختبارات السابقة، فإن صح ما تؤدى إليه المسلمة من نتائج صحت المسلمة نفسها، وإن بطلت ما تؤدى إليه المسلمة نفسها من نتائج بطلت المسلمة نفسها، فنحن نؤكد على أنه: ليست القيمة فيما يفرض من مسلمات، ولكن القيمة فيما تنتهى به هذه المسلمات من نتائج يمكن وضعها تحت الاختبار والمشاهدة والقياس والتحقيق، لتصبح هذه النتائج دليل الصدق أو دليل الخطأ على ما تم فرضه من مسلمات.

ركائز البحث

وسوف تكون الركيزة الأساسية فى بحثنا أن هذه الديانات السماوية التى أقرها وأنزلها خالق الأرض والسماوات، بعيدة عن كل التهيؤات والأباطيل والتخيلات والأساطير، فمصدر تتزيلها واحد، ومصدر تشريعها واحد، وقول الحق فيها واحد، ورسالته إلى جميع الأنبياء والرسل واحدة.. وهى الدعوة إلى عبادة الله وحده واجتناب كل الطواغيت، والاستسلام لله، وعدم الإشراك به، والدخول فى عبادته وطاعته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.. وإن اختلفت الأحكام التشريعية فيما بين هذه الديانات فى بعض النواحى، فتلك مشيئة الله اقتضاها، وحكمته لعباده ارتضاها، فشرع لكل أمة ما يناسبها حسب زمالها ومكالها.. وعموم وخصوص رسالتها.

والركيزة الثانية أن هذه الديانات دخل إلى بعضها التحريف والتأويل والتشويه والتبديل، فقد حَوَّرت كتبها وزَوَّرت وغَيَّرت عقائدها، وبَدَّلت شرائعها.. لهذا فقد تجزأت وتفرعت إلى فرق كثيرة عن الأصل الواحد، وتفرقت بها السبل، وحل بها العداء، وأصبحت حرباً على بعضها، وتمزقت، لخلاف فى التفسير، أو لاجتهاد فى التأويل، أو لضعف فى الروحانيات والمعتقدات، إلى أن تحولت الخلافات إلى مذابح وفتن، وحروب أهلية، وليس أشد هولاً من خلافات العقائد والأديان، التى إن عصفت بأمة أهلكتها.

وتصارعت كل شعوب الأرض بسبب أفكارها ومعتقداها، وأخطر هذه الصراعات الخلافات المذهبية، فقد افترقت المجوسية إلى سبعين فرقة، واليهودية إلى إحدى وسبعين فرقة، والنصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة، والمسلمون إلى ثلاث وسبعين فرقة.. قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (ستفترق أمتى إلى ثلاث وسبعين فرقة، والناجية منها واحدة، والباقون هلكى. قيل: ومن الناجية؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابى).

يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم

أخاطب الإنسان الظلوم لنفسه الجهول لحكمة إيجاده وسر إمداده، الــذى يســتهويه الغموض– بوعى منه أو بدون وعى– والذى تأخذه العزة بالجهل إذا ما عثر على جوهرة.. فيعتقد أنه قد أدرك شيئاً!!.. أو يعتقد أنه هو الذى صنع هذه الجوهرة.. ذلــك الإنســان الذى لا يريد أن يدرك أن رحلة حياته عبارة عن طريق واضح المعالم يملؤه النــور، بدايتــه نور، وأوسطه نوره، ونهايته نور، وطريقه لا يحوى حتى الظلام، ولا لبس ولا غموض، ولا يوجد أدنى تضحيات عقلية فيه، ومع ذلك فهو يصر على أن يغمض عينيه دون كل هــذا النور!!، ثم يصرخ مدعيا أنه لا يرى هذا النور!.. ذلك الإنسان الذى لم ولن يــدرك أنــه الخاسر الوحيد فى هذا الوجود، إذا لم يدرك حقيقة وجوده وحقيقة وجود هذا الوجود، لأن الحقيقة المطلقة فى انتظاره عند أول منعطف من طريق حياته هذا (الموت)، وهو ملاقيه، شاء أم أبى، وسيدرك فى ذلك الحين– إن لم يع هذه الحقائق– أنه لم يحقق الغايات من خلقه، وأن عليه أن يدفع الثمن عن كل هذا.. خالداً فى نار جهنم!.

إن الأخوة الإنسانية تقتضى، ويحتم علينا ذلك أيضا الله، أن نمد يد العــون إلى بعضــنا البعض فى جانب العقيدة، كما مددناها إلى بعضنا البعض فى جوانب العلـــوم والمعــارف الأخرى، كما يجب أن نقف من بعضنا البعض موقف صدق، تكون فيها التبصرة غايتنــا، والمصارحة فيها منهاجنا، وتوعية بعضنا البعض هدفنا، وذلك قبل فوات الأوان بــالموت، وضياع الفرصة الحقيقية للمعرفة، حتى يكون الخاسر الوحيد هو ذلك الإنسان، الذى جاء إلى الوجود ولم يحقق الغايات من هذا المجىء!.

الاختيار الصعب

كل واحد منا يدين بدين آبائه، فاليهودى أولاده يهود، والنصـــرانى أولاده نصـــارى، والمسلم أولاده مسلمون، ومع الزمن يرتبط الإنسان بالديانة التى ورثها عن آبائه، ولا ينظر بحياد إلى الأديان الأخرى، ويتمنى أن يكون هو الصحيح وغيره هو الخطأ.

وإذا كان الإنسان يؤمن بالله وبالآخرة والجنة والنار، فلابد أن يختار لنفسه الدين الأمثل الذى يرتضيه الله، ويضمن له السعادتين فى الدنيا والآخرة.

أنا أعلم أن الاختيار لا شك سيكون صعباً، وخصوصاً على الشيوخ والمسنين بعكـــس الصبى والشاب.

وسوف نتكلم فى تبسيط وتوضيح منهج الاختيار الصحيح بحياد تام، ونناقش كل ما فى التوراة والإنجيل والقرآن، ولن نعير أعمال الرسل اهتماماً كبيراً لأنها ليست مـــن أقـــوال السيد المسيح.

ونحن على استعداد للمناظرة والمناقشة بهدوء حتى نقنعكم أو تقنعونا.. والحق أحـــق أن يتبع.. قال تعالى: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين﴾ (سبأ: ٢٤).

أسأل الله تعالى أن يوفقنى لما يحب ويرضى، وأن يلحظ عملى بعين القبول.

الخليفة الثالث

السيد محمد علاء الدين ماضى أبوالعزائم عليه السلام

الباب الأول

التعريف باليهودية

لقد صاغ اليهود كتابة تاريخهم بأيديهم، من خلال توراقم وتلمودهم فى إطار من المقدسات والغيبيات. فقد جعلوه كله وحياً من السماء نافذاً بإرادة الله.. فوق كل الشبهات، فلا جدال فيه ولا نقاش، وقد صدقوا كل شئ فيه، حتى أهم صدقوا أنفسهم من خلال تاريخهم هذا بأهم شعب مختار من بين كل شعوب البشر. وأهم ينتسبون إلى أصل طيب ومنبت كريم، وأهم ينتظرون اليوم الموعود الذى سيصبحون فيه سادة العالم، ومن هنا بدأت روائح التمييز العنصرى والتفوق العرقى تفوح فى نفوسهم، وقد ظهر التناقض الواضح فى كتابة تاريخهم، من خلال تلمودهم وتوراقم وبروتوكولاتهم وفق ما يشتهون وكيفما يريدون، واتخذوا لهم أسماء مختلفة وأصولاً متناقضة.

وإذا عدنا إلى التوراة أو كتب التاريخ، وبحثنا عن أصول هذه المجموعة البشرية الغريبة المنشأ، لوجدنا أها سميت عبر التاريخ بأسماء مختلفة منها:

١- العبرانيون: يحاول الحاخامات ربط تاريخهم بأقدم العصور، واعتبار عصر اليهود متصلا بأقدم العصور عند استعمالهم مصطلح (عبرى-عبرانى) للدلالة على اليهود بوجه عام وهو ادعاء باطل.. فقد وردت هذه التسمية فى كتاب التوراة. وفى قاموس الكتاب المقدس جاء ذكرهم بأهم أحد فروع الدوحة السامية، وينسب اسمهم إلى (عابر) أحد أجداد سيدنا إبراهيم الذى أتى إلى فلسطين، وقد منحهم الكنعانيون هذا اللقب إذ سموا إبراهيم (أبرام العبرانى) بعد أن عبر نهر الفرات إلى فلسطين، وهو كلام غير مؤكد وغير صحيح.

وقد أشارت بعض الوثائق الهيروغليفية فى رسائل العمارنة فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، إلى أنه كان فى مصر نزلاء غرباء، وجنود وعبيد عملوا بالفلاحة وأعمال الصناعة، يقال لهم:

(الحابيرو) أو (الهابيرو) أو (العبيرو) أو (العبرى) وكان يقصد بهم عرب البادية أو البدو الرحل الذين كانوا ينتقلون بخيامهم وإبلهم من مكان إلى آخر، وصار المصريون يسمون الإسرائيليين بالعبرانيين، باعتبارهم من تلك الجماعات البدوية المتنقلة، كما اعتقد بعض المؤرخين صواباً أو خطأ أنهم العبرانيون، وانتشر هذا الاسم بين الأمم.

٢- بنو إسرائيل: أما تسميتهم ببنى إسرائيل فتعود إلى يعقوب حفيد إبراهيم، وتروى التوراة قصة متناقضة فى هذا الأمر. تقول التوراة: إنه كان فى طريقه إلى أرض كنعان، وحتى إذا انتهى من عبور النهر، وقد أرخى الليل سدوله وجد رجلاً فى انتظاره ليس كالبشر، قيل: إنه ملك من السماء، وقيل: إنه الله (وهو الصحيح فى عقيدتهم)، فصارعه حتى مطلع الفجر، فلما أراد الانطلاق طلب منه يعقوب أن يباركه، فقال له: ما اسمك؟ قال: يعقوب. قال: لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد، بل إسرائيل، لأنك كما علوت عند الله، فعلى الناس أيضاً تعلو. وفى موضع آخر تروى التوراة حديثاً آخر جاء فيه: (وظهر الله ليعقوب بعد ما رجع من فدان آرام فباركه. وقال له الله: اسمك يعقوب، لا يكون من بعد اسمك يعقوب، بل إسرائيل يكون اسمك. وقال له الله: أنا الله القدير أثمر وأكثر ستكون منك أمة وجماعة أمم، وملوك من صلبك يخرجون) **[التكوين: ٣٥]**.

٣- اليهود: أما تسميتهم باليهود فقد ظهرت بعد وجود مملكة يهوذا الذى اشتق منها كلمة يهود وتعود إلى عهد داود وسليمان عليهما السلام وأبنائهما، وهم ينتمون إلى قبيلة يهوذا رابع أبناء يعقوب تمييزاً لهم عن الأسباط الإسرائيلية، وبعد السبى صارت تشمل جميع اليهود ممن رجعوا من الأسر، ثم صارت تطلق على جميع اليهود المشتتين فى العالم.

ويقال بأهم سموا باليهود اشتقاقا من كلمة هادوا، أى: تابوا: فيقال: هاد الرجل، أى: تاب ورجع إلى الحق، وقد لزمهم هذا الاسم لقول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿إنا هدنا إليك﴾ (الأعراف: ١٥٦). أى: رجعنا وتبنا إليك.

٤- أسماء أخرى: القرآن الكريم لم يستخدم كلمة العبرانيين للدلالة على اليهود مطلقاً، بل استخدم صيغة بنى إسرائيل، وقوم موسى، ويهود، وخاطبهم أيضاً باسم أهل الكتاب فى مواضع متعددة.. ثم أطلقت عليهم أسماء أخرى هى الأكثر انسجاماً مع طبيعتهم العنصرية والعرقية فى عصرنا، وهى: الصهيونية، وشعب الله المختار، وغير ذلك من أسماء ما أنزل الله بها من سلطان.

فكيانهم الموجود اليوم فى فلسطين قام على الإرهاب والاغتصاب والاعتداء على شعب آمن، له ثقافته وحضارته، وجد على أرض فلسطين منذ أكثر من خمسة آلاف سنة، مبررين كل همجيتهم ووحشيتهم بأنها رسالة من عند الله (يهوه) إله اليهود، وهم ينفذون أوامره ليس إلا.

الفصل الأول

المعتقدات والتعاليم اليهودية

الدين اليهودى أقدم دين سماوى مترل يوجد على الأرض اليوم، وهو يقوم فى الأصل على عبادة الله الواحد، خالق كل شئ، العالم بكل شئ، القادر على كل شئ، الحاضر الذى لا يغيب، وهو دين يجرد الإله من الوثنية ومن مظاهر الطبيعة، وينهى عن عباده الأوثان، ويعاقب من يعبد الأصنام، وفيه تشريعات اجتماعية وأدبية وإدارية، أنزله الله تعالى على سيدنا موسى منذ ما يقرب من أربعين قرناً من الزمن وبه بدأت، وكان قد سبقه فى الدعوة إلى وحدانية الله كل الأنبياء الذين بعثوا قبله.

وقد ورد تفصيل فى ذكر الشرائع اليهودية فى سفر الخروج الإصحاح ٢١،٢٣، على شكل قوانين دنيوية، ونصائح وعظات، وهى أقرب ما تكون إلى شريعة حمورابى البابلى (١٧٩٢- ١٧٥٠ ق.م)، وذكرت هذه الأحكام أيضاً فى سفر اللاويين الإصحاح ٢٤، فقد جاء فيها تعليمات وأوامر، نور بعضاً منها:

- [من ضرب إنساناً فمات يقتل قتلاً] الخروج: ٢١/١٢.
- [من سرق إنساناً أو باعه أو وجد فى يده يقتل قتلاً] الخروج: ٢١/١٦.
- [لا تضطهد الغريب، ولا تضايقه لأنكم كنتم غرباء فى أرض مصر] الخروج: ٢٣/٩.
- [لا تأخذ رشوة، لأن الرشوة تعمى المبصرين، وتعوج كلام الأبرار] الخروج: ٢٣/٨.

والمعتقدات الدينية اليهودية إجمالا هى عقائد قومية وطنية قبل كل شئ، وكل من يدين بها فهو وطنى أو قومى، لأنها تربطه بالأمة اليهودية- على حد زعمهم- بروابط لا انفصام

لها.

وهم بهذا لا يملكون من مقومات القومية كالعرق أو الدم أو اللغة أو التاريخ إلا وحدة الدين، وعلى هذا المبدأ وضعوا كل تشريعاتهم وتنظيماتهم، لذلك قل مقتنعوها على مر الزمن.

وهناك سبب آخر لعدم زيادة نسبة اليهود فى العالم بالرغم من أنها أقدم الديانات السماوية- ١٤,٥ مليون يهودى- وهو أنهم يعتبرون كل بنى آدم ليسوا إلا خدماً لليهود شعب الله المختار، وبالتالى فهم لا يستحقون شرف الانتساب إلى دين اليهودية.

لقد أغفل اليهود التوراة المنزلة وعملوا بالتوراة المكتوبة على هواهم، ولذلك ضلوا السبيل، وأرسل الله لهم النبى بعد الآخر ليرشدهم، ويهديهم وينقذهم من شرور أعمالهم إلا أنهم كذبوا بعضهم وقتلوا آخرين.. وجعلوا تعاليم دينهم وصايا خاصة بهم لا تطبق على غيرهم.. وهذا ما يظهر بجلاء تام فى الوصايا العشر وخصوصاً الوصية التاسعة والعاشرة، وهى من أهم أساسيات تعاليم الدين اليهودى، وقد وردت فى أكثر من موقع بالتوراة.. وهى تنص على ما يلى:

١- لا يكن لك آلهة أخرى أمامى.
٢- لا تصنع لك تمثالا منحوتاً، ولا صورة ما، ولا تسجد لهن، ولا تعبدهن.
٣- لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً.
٤- احفظ يوم السبت لتقدسه، كما أوصاك الرب إلهك.
٥- أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض.
٦- لا تقتل.
٧- لا تزن.
٨- لا تسرق.

٩- لا تشهد على قريبك شهادة زور.

١٠- لا تشته امرأة قريبك، ولا تشته بيت قريبك، ولا حقله، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثـــوره، ولا حماره، ولا كل مال لقريبك [سفر التثنية: ٥، وسفر الخروج: ٢٠].

فأين بنى إسرائيل اليوم من كل هذه الأحكام والفرائض والوصايا؟

لقد تركوا الهدى، فحرفـــوا كلام الله فغضب الله عليهم، ولأنهم يعدون مـــا جـــاء فى توراقم بأنه خاص ببنى إسرائيل ولا ينطبق على الأمميين- غير اليهـــود- تـــاهوا فى الأرض، وأصبحوا فيها مفسدين، لا يؤمنون بالحياة الآخرة، فهم بذلك كافرون باليوم الآخر.

الحياة الآخرة عند اليهود

إن التـــوراة اليهودية المكتوبة والتلمود المنطوق، لا يوجد فيهما ذكر للحياة الآخـــرة ويوم البعث أو يوم الحساب، ولا يذكران عن الروح شيئاً، بخلاف التوراة المنزلة.

فالدين اليهودى اليوم بعيد عن الروحانيات، لأن حياقم تقـــوم على المـــادة وحـــب التملك، والشهوة إلى جمع المال بشتى الوسائل والأحوال، فرأس المال هو إلـــه إســـرائيل الحقيقى كما يقول اليهودى كارل ماركس.

وقد ورد فى التلمود: (إن اليهود الذين يرتدون عن دينهم بقتلـــهم يهوديـــاً آخـــر لا يدخلون الجنة، وإنما تدخل أرواحهم فى الحيوانات والنباتات، ثم تـــذهب إلى الجحـــيم، ثم تعذب عذاباً أليماً مدة اثنى عشر شهراً، ثم تعود ثانية لتدخل فى الجمادات ثم فى الحيوانات، ثم فى الوثنيين، ثم ترجع إلى جسد يهودى بعد تطهيرها) [راجع كتاب الكـــتر المرصـــود فى قواعد التلمود، أوجست روهلنج].

فهم يعتقدون بمبدأ تناسخ الأرواح والتقمص، كما يعتقد الهندوس فى الهند، ووجه الشبه

بينهما قريب !! فذكر الجنة والنار فى التلمود أقرب إلى الخرافة والأساطير.

ويقـــول (ول ديورانت) فى كتابه قصة الحضارة: (إن اليهود قلما يشـــيرون إلى حيـــاة أخرى بعد الموت، ولم يرد فى دينهم شئ من الخلود، وكأن ثواهم وعقاهم مقصورين علـــى الحياة الدنيا).

لذلك فهم يعتقدون أن الإنسان يجزى فى هذه الدنيا عما يفعل، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.. وقد يكون بين الناس من يفعل الخير ولكنه يجزى بالشر، وتفســيره عنـــدهم، أنـــه مسئول عن أعمال غيره، فيجزى بالشر الذى فعلته قبيلته، على مبدأ الذنب الوراثى.

لذلك فهم حريصون على الحياة ويتمسكون بها، مهما كانت ذليلة أو دنيئة، وهم غـــير صادقين، لأهم انقسموا على أنفسهم لاختلاف عقيدهم وإيماهم بيوم الحساب والآخرة إلى قسمين:

١ – الفريسيون: وهم الذين يعتقدون بالحياة بعد الموت للصالحين فقط مـــن البشـــر، ليشتركوا مع المسيح القادم، فى إنقاذ الناس من أنفسهم، فيكونوا خدماً لأسيادهم اليهود.

٢ – الصديقيون: وهـــم الذين ينكرون يوم القيامة والحســـاب ويؤمنـــون بالحســـاب الدنيوى.

لماذا يقدسون السبت؟!

تقديس يوم السبت من المعتقدات الجوهرية عند اليهود، فقد ورد فى سفر التكوين مـــا يلى: [اذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتصنع عملك، أما اليوم الســـابع، ففيـــه سبت للرب إلهك. لا تصنع عملاً ما، أنت وابنك، وابنتك وعبـــدك وأمتـــك وبهيمتـــك، ونزيلك الذى داخل أبوابك، لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح فى اليوم السابع، لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه].

سبحان الله وتعالى عما يصفون!!.. فالراحة يوم السبت ممارسة للشعائر الدينية ولا يمكن اجتنابها، وليس عند اليهودى خطيئة أكبر من التعدى على حرمة يوم السبت إلا عبادة الأوثان، فاليهود لم يكونوا موحدين، إنما كانوا يعبدون (يهوه) فى المرتبة الأولى، ويشركون به آلهة أخرى، أو يعترفون بوجودها، وهذه العبادة تسمى العبادة التفضيلية، وهى من أنواع الشرك لا التوحيد.. فهم استراحوا يوم السبت ليشركوا بالله ولم يوحدوه.

وفهم اليهودى فى خلق الكون فى ستة أيام فهم توراتى خاطئ، لأن الرب قادر على خلق كل شئ دون أن يمسه تعب، ولو تعب الإله ما استحق أن يكون إلهاً يعبد.

ولا تقتصر الراحة على البشر فحسب، فهم يعتقدون أن تربة الأرض يجب أن تستريح سنة كل سبع سنوات، تسمى عندهم سنة السبت، فلا يبذر أو يحصد فيها شئ، وبعد سبع دورات أى (٧X٧) تأتى سنة اليوبيل وهى السنة الخمسون، فقد ورد فى التوراة: (وكلم الرب موسى فى جبل سيناء، قائلا: كلم بنى إسرائيل وقل لهم: متى أتيتم إلى الأرض التى أنا أعطيكم، تسبت الأرض سبتاً للرب، ست سنين تزرع حقلك، وست سنين تقضب كرمك، وتجمع غلتها، وأما السنة السابعة ففيها يكون للأرض سبت عطلة، سبتاً للرب..] سفر اللاويين:٢٥. وهذا النص ما رأيناهم فعلوه أبداً، لأنهم عباد للمادة، وعدم الزراعة سنة كل سبع سنوات سيسبب لهم خسارة مادية!!.

الصيام يوم الكفارة

الصيام عند اليهود، يوم واحد فى السنة هو صيام التكفير، فهم يحتفلون بيوم التكفير الذى يصادف اليوم العاشر من الشهر السابع العبرى (أكتوبر)، وهو أهم يوم فى السنة العبرية، حسب قول التوراة، والغرض من طقوس يوم التكفير تطهير الشعب والهيكل تطهيراً شاملاً، ويسمونه يوم الغفران.

الأعياد اليهودية

جاء فى سفر الخروج ما يلى: (ثلاث مرات تعيد لى فى السنة، تحفظ عيد الفطير، تأكل فطيراً سبعة أيام، كما أمرتك فى وقت شهر أبيب لأنه فيه خرجت من مصر، وعيد الحصاد، أبكار غلاتك التى تزرع فى الحقل، وعيد الجمع فى نهاية السنة عندما تجمع غلاتك من الحقل) سفر الخروج: ٢٣. وأهمها على الإطلاق هو:

عيد الفصح (العبور) ويعرف بعيد الفطير، أنشئ فى مصر، تذكاراً للحادث الذى بلغ فيه خلاص بنى إسرائيل ذروته، حين ضرب الرب ليلاً كل بكر فى مصر، وعبر عن بيوت بنى إسرائيل المرشومة بالدم، والمقيمون فيها واقفون، وعصيهم فى أيديهم فى انتظار الخلاص الموعود، فكان المفروض أن تحفظ تلك الليلة للرب. كان العيد يبدأ مساء الرابع عشر من شهر أبيب (نيسان)– أبريل أى فى بداية الخامس عشر منه، فهو مطلع سنتهم الدينية. كان يذبح خروف أو جدى بين العشاءين نحو غروب الشمس، ويشوى صحيحاً، ثم يؤكل مع فطير وأعشاب مُرَّة، فالدم المسفوك يشير إلى التكفير، والأعشاب المرة ترمز إلى مرارة العبودية فى مصر، والفطير إلى الطهارة، وهذا إشارة إلى أن المشتركين فى الفصح ينبذون كل خبث وشر، ويكونون فى شركة مقدسة مع الرب

ويشترك جميع أفراد البيت فى أكل الفصح، وإذا كانت الأسرة صغيرة، اشتركت معها أسر أخرى حتى تأكل الخروف بكامله، ويتلو عليهم رأس الأسرة أو المتقدم فيهم تاريخ الفداء.

تقول التقاليد: إن المشتركين فى أكل الفصح كانوا فى أول عهده يقفون، ثم صاروا يتكئون، وقد أضافوا إلى فريضة الفصح الأمور التالية: أربعة كؤوس خمر يديرها رأس العائلة بالتتابع ممزوجة بالماء، وترنيم المزمورين (١١٣– ١١٨)، وتقديم وعاء من الأثمار

ممزوجة بالخل، لتذكيرهم بالطين الذى استعمله أبناؤهم فى أثناء العبودية فى مصر. وكان عشاء الفصح أول شعائر العيد وأهمها وكان ينتهى فى الحادى والعشرين من الشهر. ولم يبلغ الناس فى بادئ الأمر بأن العيد سبعة أيام حتى اليوم الذى هربوا فيه.. وكان اليومان الأول والسابع من أيام العيد مقدسين كالسبت، وفى اليوم الثانى من العيد كان يؤتى بحزمة أول حصيد من الشعير، فيرددها الكاهن أمام الرب مدشناً أول الحصاد. وبالإضافة إلى الذبائح العادية، فى بيت العبادة فى كل يوم من أيام الفصح كان يقدم ثوران وكبش وسبعة خراف محرقة وتيس ذبيحة للتكفير، ويمكن أن تكون الذبيحة من البشر، جاء فى سفر أشعياء الإصحاح: ٥٧ مخاطباً بنى إسرائيل: [أقبلوا يا بنى الساحرة، ألستم أنتم الذين يذبحون الأطفال فى الوديان وتحت شقوق الصخور].

وطيلة الأيام السبعة كان الخبز يؤكل فطيراً، إشارة إلى الإخلاص والحق وتذكاراً للسرعة التى هربوا بها من مصر. وكان الفصح وعيد الفطير فى بادىء الأمر عيدين مستقلين، اقترنا فيما بعد لتقاربهما فى الزمن.

وعيد الفطير عيد زراعى فى مستوى عيدى العنصرة والمظال.. وقد احتفل بعيد الفصح فى سيناء، وعند الدخول إلى أرض كنعان، وفى أثناء حكم حزقياً، وفى حكم يوشيا، وفى أيام عزرا وما بعد ذلك.

وعيد إستير أو البوريم يقع فى شهر شباط أو آذار (فبراير أو مارس من كل عام، ويحتفل اليهود فيه بذكرى نجاهم من مذبحة كانت تنتظرهم وقد نجوا منها بفضل إستير الكاهنة زوجة أحد ملوك الفرس.. كما تقام مراسم معقدة بمناسبة ختان الأطفال اليهود، والختان من أهل شعائر دين اليهود.

الردة اليهودية

تسلسل تاريخ بنى إسرائيل يؤكد أهم لم يتبعوا إبراهيم ولا دين إبراهيم رغم ادعــائهم بالتقرب إليه، بل كانوا يتنقلون من دين لآخر، حسبما تقتضيه مصالحهم وأهدافهم. حــتى أن النبي موسى عليه السلام كما يــزعم الباحثون من أمثال اليهودى فرويد، وويل ديورانــت، وتوينبى– كان توحيديا يعبد الإله الواحد الذى بشر به أخناتون فرعون مصــر فى حينــه. وبعد أن خرج الإسرائيليون من مصر ووصلوا إلى سيناء، ارتد أتباع موسى بمجرد غيابــه عنهم مدة أربعين يوماً فقط ، وبناء على أوامر ربه، وعندما عاد إليهم وجــدهم يعبــدون العجل الذهبى ويرقصون حوله فرحين بإلههم الجديد، متأثرين بديانة المصريين وهى عبــادة العجل (أبيس)، وقد اتهموا هارون عليه السلام بأنه قد يسر لهم عبادة الأصنام والحيوان فصنع لهم عجلاً ذهبياً.

فالإسرائيليون يحنون دائماً إلى الردة والإشراك بالله، والعودة إلى الوثنيــة المتأصــلة فى نفوسهم، فدين التوحيد لم يتمكن من قلوبهم، حتى أنه ورد فى التوراة الاتهام صراحة للــنبى سليمان بدخول الوثنية إلى مملكته، وبأنه كان من عبدة الآلهة الســورية، تقــول التــوراة: [وكان فى زمن شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء عشتاروت إلهة الصيدونيين، وملكوم رجس العمونيين، وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماماً كــداود أبيــه] (الملوك الأول: ١١).

وهذا كلام غير صحيح، وليس لنبى أن ينحرف أو يرتد، والله يعصمهم من الخطأ، قال تعالى: ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا﴾ (البقرة: ١٠٢).

ويقول اليهود: إنه قد اتبعه كل من جاء بعده أيضا، فعبدوا بعلا وسجدوا لــه، تقــول التوراة: [فصرخوا إلى الرب وقالوا: أخطأنا لأننا تركنا الرب وعبدنا البعليم والعشتاروت]

(صموئيل: ١٢).

وفى عهد القضاة تركوا عبادة الله كذلك، وعبدوا الإله بعل والإله عشتار، وفى زمن عجلون ملك موآب عبدوا الأوثان، ثم عبدوا آلهة آرام، وآلهة صيدون وموآب وآلهة الفلسطينيين، وكانوا يدينون بعبادة (إيل) وهو أكبر الآلهة عند الكنعانيين، الذى يؤكد كتابهم بأن [إيل إله إسرائيل] (التكوين:١٢). فقد تأثروا بالكنعانيين فى فلسطين بعد استيلائهم عليها، واتخذوا من آلهتهم أرباباً لهم، وتحولوا إلى عبادة الإله الدموى (يهوه) بعد خروجهم من مصر.

يقول ويل ديورانت: (يبدو أن اليهود الفاتحين قد عمدوا إلى أحد آلهة الكنعانيين فصاغوه فى الصورة التى كانوا هم عليها وجعلوا منه إلهاً ذا نزعة حربية).

ولعل أوضح الأدلة على أثر الكنعانيين فى يهوه، هو أن اليهود استعملوا الاسم (أدوناى) فى الكتاب المقدس بدلا من الإله يهوه. فقد ورد فى قانون الإيمان اليهودى: (اسمعى يا إسرائيل إن إلهنا أدوناى هو الإله الأوحد) [عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، فوزى محمد حميد، ص٣٧٠].

وهذا الإله أدوناى -كما يظهر من ألواح أوغاريت الأثرية- كان إله برق ورعد وصواعق، وهو أشهر الآلهة عند الكنعانيين، فقد تأثروا بآلهة الكنعانيين ولغتهم ولم يؤثروا فيها. وهم أهل كتاب وأصحاب شريعة سماوية منزلة.

وتقول التوراة أن يربعام الأول (٩٣١- ٩٠١ ق.م) أول ملك للغزاة بعد الانقسام أقام عجلين ذهبيين، ووضع واحداً فى بيت إيل قرب القدس، ووضع الآخر فى دان شمال فلسطين وراح يذبح للعجلين، وكانت السامرة وهى قرية قرب نابلس مركزاً لعبادة الأصنام.

وفى عهد آخاب بن عمرى سابع ملوك الغزاة من بنى إسرائيل أقيم معبد للإلــه بعــل وعبدوه. فالإسرائيليون عبدوا كلاً من الإله إيل وبعل، وهما إلهان كنعانيان. وقــد اتصــل اليهود بالبابليين والآشوريين والفرس منذ الألف الأول قبل الميلاد، وأخذوا عنــهم أكثــر معتقداتهم عن السحر والحيوانات الخرافية السحرية التى تبدو فى رؤى دانيال، ومراثى أرميا وحزقيال.

ومما يؤكد ارتدادهم قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكــون* اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبــدوا إلهــاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ (التوبة: ٣٠-٣١).

سوء الأدب مع الأنبياء والإله

اليهود أساءوا الظن بالأنبياء، فعذبوا فريقاً منهم، وفريقاً كانوا يقتلون، واتهموا أنبياءهم بالكذب والخداع، وارتكاب المعاصى والكبائر، وذلك بنصوص توراتية مكتوبة، فنسبوا إلى يعقوب الخداع، وزعموا أن لوطاً زنى بابنتيه، وقالوا عن هارون أنه دعا بنى إســرائيل إلى عبادة العجل، وقالوا عن داود أنه زنى بزوجة القائد أوريا الحثى.. وقالوا عن سليمان أنــه ارتد إلى الوثنية وعبد الأصنام إرضاء لزوجاته.. هذا ما نسبوه إلى أنبياء الله الذين أرسلهم لهداية البشر، ورفع منزلتهم جميعا، ووصفهم بالترفع عن كل المعاصى والخطايا دون تمييز.. ومع ذلك لم يسلموا من قذف اليهود لهم بأية وسيلة [راجع كتابنا يهود أم حنابلة؟].

ومن دلائل كفرهم قولهم: إن لله تعالى أولاداً ذكوراً، فتنوا بجمــال بنــات الآدمــيين واتخذوهم خليلات، وولد لهم منهن نسل امتاز ببسطة كبيرة فى الجسم وهم الجبابرة الذين

سكنوا الأرض قبل الطوفان [التكوين:٦]. وتطاولوا على الـذات العليـة فوصـفوه فى تلمودهم بالنقص والتردد والانفعال، وتكلم التلمود بكل صراحة عن جسم الإله وضخامة أعضائه، وعن أعماله ونشاطاته ليلاً ونهاراً، وعن حالته بعد هدم الهيكـل وتشـريد بـنى إسرائيل، وما أصابه من ندم ومن تردد فى أوامره تجاههم، وعما يخصصه الرب من أيـام فى كل عام لعبادة إله آخر صغير، وعن حرص الإله على أن تقدم له أضحية من الآدميين، وما إلى ذلك من خرافات أسطورية باطلة [راجـع كتابنا يهود أم حنابلة؟].

فرق اليهودية

انقسم اليهود فى مختلف مراحل تاريخهم إلى فرق دينية عديدة، ادعت كل منها أنها هى الأمثل، وأنها الأكثر تمسكاً بأصول الدين اليهودى وروحه من غيرها، ولكنها متفقة فيمـا بينها فيما يتعلق بالنواحى القومية والعنصرية، وقد انقرضت معظم هذه الفرق، ومن أهـم الفرق المنقرضة أو الباقية:

١- الفريسيون (الربانيون).

وهى أهم الفرق اليهودية وأكثرها عدداً، وهى تعترف بجميع أسـفار العهـد القـديم وأحاديث موسى، وأسفار التلمود، ويعتقدون أن الربانيين منهم هم الذين ألّفـوا أسـفار التلمود.

تتميز بأنها تؤمن بالبعث وباليوم الآخر، وهى تعتقد أن الصالحين من الأموات يبعثـون ليشتركوا فى ملك المسيح المنتظر الذى يزعمون أنه سيأتى يوما لينقذ الناس ويدخلـهم فى ديانة موسى ﷺ، وكانوا ألد أعداء المسيح عيسى ابن مريم وأشد المتآمرين عليه. ويقـال بأنها تشكلت فى عهد (يوناثان) صديق داود ﷺ، وتسمى بالمعتزلة أو المعتـزلين. وينظـر أتباعها إلى الأمم من غير الإسرائيليين كأعداء.

٢- الصديقيون:

وتأتى بعد فرقة الفريسيين من حيث الأهمية وهى على نقيض منها، تتميز بأنها لا تعترف إلا بالعهد القديم، وترفض ما عدا ذلك. وهى لا تؤمن بالبعث ولا باليوم الآخـــر، يـــؤمن أتباعها بأن الحساب يتم فى الحياة، وقد انفردوا باعتقادهم أن العزير ابن الله.

٣ - السامريون:

هم جماعة من غير بنى إسرائيل واعتنقت اليهودية وامتزجت بهم، وهـــم ينظـــرون إلى أتباعها على أنهم أحط منهم قدراً أو منزلة، وهم قوم يسكنون جبال بيت المقدس، وقرايـــا من أعمال مصر، يقرون بنبوة موسى وهارون ويوشع بن نون، وينكرون نبوة مـــن جـــاء بعدهم، ولم يؤمنوا بالبعث ولا باليوم الآخر، وآمنوا بأسفار التوراة الخمسة وسفرى يوشع والقضاة فقط، وهم يعتقدون أن القدس هى نابلس، وهم لا يعرفون حرمة لبيت المقدس أو تعظيماً له. وقد انقسمت إلى:

(أ) الدوستانية: وهم الألفانية، نسبة إلى رجل يقال له (الألفان). ادعى النبوة، وتعـــنى الفرقة الكاذبة، وتزعم أن الثواب والعقاب فى الحياة الدنيا فقط.

(ب) الكوستانية: وتعنى الجماعة الصادقة، وهم يقرون بالآخرة والثواب والعقاب فيها.

وقبلة السامرة جبل (غريزيم) بين القدس ونابلس، وقالوا: إن الله أمر داود ﵇ أن يـــبنى بيت المقدس بجبل الطور الذى كلم الله عليه موسى ﵇، فتحول داود إلى (إيليـــا) وبـــنى البيت هناك، وخالف الأمر فظلم.. ويتوجه السامريون إلى تلك القبلة دون سائر اليهـــود، ولغتهم غير لغة اليهود، ويزعمون أن التوراة كانت بلسانهم، وهى قريبة من العبرانية فنقلت إلى السريانية.

٤ – الحسديون (المشفقون):

ظهرت حوالى القرن الثانى قبل الميلاد، وانقرضت فى القرن الأول الميلادى، وهى تختلف اختلافا تاما عن سائر فرق اليهود فى عقائدها، وعبادها، وفى نظمها، وتقاليدها.. فقد حرمت القرابين والأضاحى، وتميزت بكثرة مناسبات الغسل والطهارة فى شعائرها. فقد أنكرت التفرقة العنصرية، وقررت مبدأ المساواة بين جميع الناس، وعملت على إلغاء الحروب والعيش بسلام دائم وعدم إيذاء أحد من الناس على اختلافهم.. وحرمت طرق الكسب غير المشروع، كما حرمت الرق والعبودية، وحرمت الملكية الفردية، وحتمت وجوب الملكية الجماعية المشاعية، وحرمت أيضا التجارة والعمل بها، وصناعة الأسلحة، وحرمت استخدام الذهب والفضة والعمل بها، وحرمت الزواج وأوجبت البعد عن النساء، ودعت إلى الزهد والتقشف، والبعد عن جميع متع الجسم التى تعدها شرورا، كما حرمت شرب الخمر وأكل اللحوم وأوجبت الاقتصار على الأغذية النباتية.. فهى بهذا لا يربطها بباقى فرق اليهود إلا رابطة الجنس، لأن أفرادها كانوا من بنى إسرائيل.

٥– العنانيون أو القراؤون:

نسبوا إلى عنان بن داوود أحد علماء اليهود فى بغداد فى عهد الخليفة المنصور (٧٥٤–٧٧٥م) وهم يخالفون سائر اليهود فى السبت والأعياد، وينهون عن أكل لحم الطير والظباء والسمك والجراد، ويذبحون الحيوان على القفا، وهم يصدقون عيسى فى مواعظه ويعدونه من بنى إسرائيل ويتمسكون بتعاليم العهد القديم وحده، ولا يعترفون بما جاء فى التلمود وتعاليم الربانيين والحاخامات.

٦– فرق أخرى:

كما توجد فرق أخرى كالعيسوية نسبة إلى أبى عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهانى.

وفرقة اليوذعانية نسبة إلى يوذعان بن همذان. وفرق المقاربة، وغير ذلك. وهذا تأكيد لقول موسى عليه السلام: **(إنكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم، ويصـــيبكم الشر فى آخر الأيام) (التثنية: ٢٩).**

الفصل الثانى

الكتب اليهودية

تضم الكتب اليهودية المقدسة، عقيدة اليهود وتاريخهم ورسالة أنبيائهم، وتعد المرجع الأساسى للبحث عن الديانة وتاريخها، وقد جمعت الكتب المقدسة عند اليهود مع الأناجيل النصرانية فكونت الكتاب المقدس، الذى يضم العهدين القديم والجديد.

١ – العهد القديم:

يسميه اليهود (ت.ن.خ) اختصارا لعناوين أقسامه الكبرى، وهى التوراة والأنبياء والمكتوبات، جمع فى أوقات متأخرة عن عهدهم، وهو يحتوى تاريخ بنى إسرائيل المضطرب، الذى تشغله مظاهر الحياة القبلية البدائية حتى أن النصوص الدينية والآيات تفيض بالعنصرية والحقد والكراهية والانعزال عن العالم، والانغلاق على الذات. والاحتقار لكل البشر، والشراهة لحب المال، وامتلاك الأرض وهو أقرب ما يكون إلى وثيقة سياسية ظاهرها دينى، وقد استخدمت الرب والأنبياء كوسيلة لتنفيذ مخططها المرسوم، ومنهجها الموضوع. وهو الوثيقة التى تستند إليها الصهيونية فى ما تدعيه من حق مزعوم لها فى أرض فلسطين، تلك الأرض التى وعدهم الرب بها لهم ولذراريهم فى العهد القديم المبرم بين (يهوه) و (أبرام)– أى: إبراهيم –قبل آلاف السنين– على حد زعمهم– ويحتوى العهد القديم على ثلاثة كتب هى: التوراة (بنتاتيك)، وأسفار الأنبياء (بنييم)، والكتابات (كتوبيم).

أ- التوراة

كلمة عبرية مشتقة من الآرامية تعنى الهداية والإرشاد، وهى أول كتاب سماوى منزل عدا صحف آدم (٢١ صحيفة)، وصحف شيث (٢٩ صحيفة)، وصحف نوح (٣٠ صحيفة)، وصحف إبراهيم (١٠ صحف)، وهى الكتاب المقدس عند اليهود.

تعد التوراة كتاب تاريخ وإنشاد، تشمل على التعاليم والأحكام الدينية، وعلى قواعد السلوك بين الناس، وعلى مجموعة من القوانين والعادات والتقاليد وأنماط الحياة عند اليهود. وقد كتبت التوراة بالعبرية المشتقة من الآرامية بعد مرور أكثر من ستمائة عام على غزو اليهود أرض فلسطين، والتوراة بالآرامية (تورة)، مشتقة من (تارا) بمعنى وصايا أو أوامر أو شريعة. وأصبحت فى القرن السادس تشير إلى شريعة موسى، وتدل اليوم على أسفار موسى الخمسة التى كتبت باليد.. وتحفظ فى تابوت العهد فى المعبد اليهودى، والتى عرفت باسم (لفائف الشريعة) ثم أصبحت تعنى العهد القديم، ويقال بوجود توراتين أو شريعتين:

الأولى: مكتوبة تلقاها موسى عند جبل سيناء وهى التوراة، وقد عثر فى عام ١٩٤٧م على مخطوطات قيمة كتبت باللغة السامية واليونانية القديمة عرفت باسم (مخطوطات قمران) على اسم المغارة التى عثر عليها فيها.. وتسمى مخطوطات البحر الميت، وهى عبارة عن لفائف كتابية مغلقة بإحكام ومحفوظة فى قدور من الفخار.. وتشمل على أسفار أصلية من العهد القديم التى تختلف كثيراً عن التوراة المزيفة المتداولة، ويقدر عمرها بين (٣٠٠ ق.م- و٧٠ م) وقد وردت بلغتها الأصلية الآرامية.. وللأسف الشديد قام الملك حسين ملك الأردن الراحل بتسليمها لليهود!!

والثانية: شفهية تناقلها الحاخامات عن موسى، ولها نفس قدسية التوراة وهى التلمود.
تذكر المصادر أن أقدم قراءة للتوراة العبرية حوالى: (٤٤٤ ق.م) عندما دعا النبى عزرا

اليهود إلى سماع بعض منها. والتوراة خمسة أسفار، تتضمن تاريخ اليهود وشريعتهم، وهى:

١- سفر التكوين: وفيه تاريخ بدء الخليقة وتاريخ العالم حتى عهد النبى يوسف.

٢- سفر الخروج: وفيه تاريخ اليهود منذ خروجهم من مصر، وفيه مختصر الشريعة التى لقنهم فيها موسى شريعته من جبل سيناء، ومن ضمنها الوصايا العشر.

٣- سفر اللاويين (التوابين): ويحتوى على طقوس الكهنة أبناء لاوى وفيه العبادات والأخلاق والنكاح وغير ذلك من شرائع اليهود.

٤- سفر الأعداد: وفيه إيضاح لتجوال إسرائيل فى الصحراء، وغزوهم أرض كنعان (العرب) وتقسيم الأراضى بينهم وتعدادهم. ولقد ألف فى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد.

٥- سفر التثنية (الاستشراع): وفيه عرض تاريخى سريع ونصائح أخلاقية وتشريعات خاصة، وتبريك موسى لقومه، ثم وفاته والأرض المقدسة على مرأى عينيه، وقد ألف أواخر القرن السابع قبل الميلاد.

وتعد هذه الأسفار الخمسة القاعدة الأساسية للعهد القديم وللدين اليهودى كله. وهى تتعرض إلى نقد واسع من حيث تاريخ تأليفها وتحديد مصادرها وقيمتها التاريخية.. فالتوراة اليهودية تقول: إن موسى هو مؤلف هذه الأسفار الخمسة، ولكن بعض الباحثين من أمثال العالم الألمانى (يوليوس فلهاوزن) يقول: إن تأليف هذه الأسفار تم بعد موسى بعدة قرون.

وحتى الذين قالوا: إن الأسفار تنسب إلى موسى اقتنعوا بأنها كانت من مصادر مختلفة هى:

١- المصدر اليهودى: (نسبة إلى يهوه) وهو اسم الله. وقد ألف عام ٨٥٠ قبل الميلاد فى مملكة يهوذا فى جنوب فلسطين.

٢- المصدر الألوهيمى: (نسبة إلى ألوهيم) وهو اسم الخالق العظيم، وقد ألف عام ٧٧٠ قبل الميلاد فى مملكة إسرائيل شمال فلسطين، وقد أدمج المصدران فى مجموعة واحدة عام (٦٥٠ ق.م).

٣- مصدر التثنية: الذى أعلن العثور عليه زمن (يوشيا) ملك يهوذا عام (٦٢٠ ق.م)

ويعود إلى القرن السابع أو الثامن قبل الميلاد.

٤- المصدر الكهنوتى: الذى صدر عن كهنة معبد القدس ويرجع إلى زمن عزرا النبى المتوفى عام (٤٤٤ ق.م) وهو أكبر معلم يهودى بعد موسى، تحت إشراف النبى حزقيال.

فتحديد نصوص الأسفار الخمسة امتد على ثلاثة قرون بأقل تقدير (موريس بوكاى.. دراسة الأديان السماوية).

ويوافق العلماء الكاثوليك على أن الأسفار الخمسة قد جمعت من مصادر مختلفة وربما اشتملت على تغييرات وإضافات متأخرة، ولكنهم يصرون على أنها صادرة أساساً عن موسى.. وقد ورد فى هذه الأسفار ما يفيد أن موسى هو الذى كتب وأملى فعلا توراة فيها شرائع الله ووصاياه وسلمها للكهان من بعده.. فقد ورد فى سفر الخروج ما يلى: [وقال الرب لموسى: أكتب لنفسك هذه الكلمات لأننى بحسب هذه الكلمات قطعت عهداً معك ومع إسرائيل، فكتب على اللوحين كلمات العهد- الكلمات العشر] (الخروج:٣٤).

وجاء كذلك: [وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بنى لاوى، حاملى تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ إسرائيل] (التثنية: ٣١).

يقول العالم اليهودى سلفر: (إن التوراة الحالية لا تمثل توراة موسى الأصلية فى أى ناحية، وحتى الوصايا العشر التى يكاد يجمع العلماء على أنها الشىء الوحيد المتبقى من التوراة الأصلية، لم تكن فى شكلها ومضمونها الحاليين كتلك التى أتى بها موسى) [عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، فوزى محمد حميد].

ومن هذه الأقوال يمكن أن نقول قولاً وسطاً: إن كاتب بعض هذه الأسفار هو سيدنا موسى على لسان ربه، وأن بعضاً منها كتب بعد سيدنا موسى بقرون.. ولكن المنطق السليم يفترض علينا سؤالاً هو:

أين التوراة السماوية؟!!.

وإجابة هذا السؤال تظهر بوضوح فى كتاب الله تعالى حيث يقول: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ (البقرة: ٧٨).

ويقول: ﴿وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ (آل عمران: ١٨).

ومما يؤكد حكم القرآن أن التوراة المتداولة باسم العهد القديم لا يمكن أن تكون من كلام الله عز وجل، أنها لا تتعدى كتابات حاخامات يهود أو ربانيين منهم، تصوروا واقعا فأرادوه لهم ونفذوه وفق مشيئتهم وأهوائهم بما يخدم مصلحتهم ومنفعتهم، متجردين من القيم الروحية والخلقية وحتى الإنسانية.. لقد كتبت التوراة بأسلوب الحكاية أو القصة، وبأقلام مختلفة لما فيها من تناقضات ومفارقات ومبالغات كثيرة سوف نكشفها فى موضوعات لاحقة، ولهذا يتحداهم القرآن أن يظهروا التوراة المترلة على سيدنا موسى فيقول تعالى: ﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ (آل عمران: ٩٣).. إنها التوراة التى مدحها القرآن بقوله: ﴿فيها هدى ونور يحكم به النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾ (المائدة: ٤٤).

أنواع التوراة

توجد عدة كتب من التوراة، منها:

١- التوراة الهيروغليفية: نزلت على موسى باللغة الهيروغليفية المصرية بعد خروجه من مصر، لأنها اللغة التى كان يعرفها فى مصر، ولم يكن لبنى إسرائيل لغة خاصة بهم حين

كانوا فى مصر، وقد انتقل سيدنا موسى قبل أن تظهر اللغة العبرية كلغة فعلية.. وإن ما ورد فى التوراة كان وثيق الصلة بالعقيدة الأخناتونية المصرية.

٢- التوراة اليونانية (السبعينية): وقد كتبها اثنان وسبعون كاهناً يهودياً (٢٨٢-٢٨٣ ق.م) وترجمت إلى اليونانية فى الإسكندرية عام (٢٥٠ ق.م). تلبية لرغبة بطليموس فلاد لفوس (٢٨٠- ٢٤٧ ق.م)، ثم ترجمت إلى اللاتينية فى القرن الأول الميلادى، ثم ترجمت إلى الحبشية عام (٣٢٠م) وحدد عددهم على أساس ستة فقهاء عن كل سبط منهم.

٣- التوراة السامرية: نسبة إلى السامرة قرب نابلس، وقد كتبت التوراة بعد انقسام حكومة الغزو اليهودى بعد سليمان، وعرفت فيما بعد بالتوراة الآرامية، وقد كتبت أثناء السبى البابلى (٥٨٦ ق.م) ومضمونها غير مضمون التوراة الموسوية، وقد سموها توراة الكهنة، وهى التوراة الحالية المتداولة عند اليهود.

ب- أسفار الأنبياء

وهى أقل قدسية من التوراة عند اليهود، تتضمن أسفار أنبيائهم وهى قسمان: أسفار الأنبياء المتقدمين، وأسفار الأنبياء المتأخرين.

١- أسفار الأنبياء المتقدمين: وتتناول تاريخ اليهود من دخول يشوع فلسطين حتى هدم الهيكل، وهى:

١- سفر يشوع: وهو سفر المذابح والإبادة. ٢- سفر القضاة. ٣- سفر صموئيل الأول. ٤- سفر صموئيل الثانى. ٥- سفر الملوك الأول. ٦- سفر الملوك الثانى.

٢- أسفار الأنبياء المتأخرين، وهم:

١- سفر أشعيا. ٢- سفر أرميا. ٣- سفر حزقيال. ٤- سفر هوشع. ٥- سفر يوئيل. ٦- سفرعاموس. ٧- سفر عوبديا. ٨- سفر يونس (يونان). ٩- سفر ميخا. ١٠- سفر ناحوم. ١١- سفر حبقوق. ١٢- سفر صفينيا. ١٣- سفر حجى. ١٤- سفر زكريا. ١٥- سفر ملاخى.

جـ- الكتابات والأشعار

وهى نصوص مختلفة فى الشكل والاتجاه، منها:

١- المزامير. ٢- الأمثال. ٣- أيوب. ٤- نشيد الإنشاد. ٥- راعوث.
٦- مراثى أرميا. ٧- الجامعة. ٨- أستير. ٩- دانيال. ١٠- عزرا.
١١- نحميا. ١٢- أخبار الأيام الأولى. ١٣- أخبار الأيام الثانية..

ويرجح أن هذه الأسفار رتبت بالنسبة إلى زمن كتابتها.

٢ - التلمود

كلمة عبرية معناها: التعاليم أو الشرح والتفسير، وهو كتاب السنة فى الشريعة اليهودية، ويعد أهم المراجع الدينية الشفهية لليهود.. ويشمل ثلاثا وستين كتابا تعالج قضايا الدين والشريعة والتأملات الميتافيزيقية والتاريخ والأدب والعلوم الطبيعية، كما تتضمن فصولاً فى الزراعة والصناعة والتجارة والربا والضرائب وقوانين الملكية والدين والرق والميراث وأسرار الأعداد والفلك والتنجيم والقصص الشعبى، فهى تغطى كل جوانب الحياة الدنيا لليهودى، ولكنها لا تذكر كلمة واحدة عن الحياة الآخرة ويوم الحساب.

وقد استغرق تدوين التلمود ما لا يقل عن ألف عام من الزمن، ويذكر المؤرخون أنه ساهم فى كتابته عدة آلاف من كهنة اليهود، ولم يرد ذكر التلمود لا فى الإنجيل ولا فى الحواريين المسيحيين والفرق اليهودية، ولم يرد له ذكراً أيضا لا فى القرآن الكريم ولا فى الأحاديث النبوية.. وقد أنكرت فئة من اليهود التلمود بعد كتابته.. وهم القراؤون. بينما آمن معظم اليهود بما جاء فيه وادعوا أن ما كتب فيه كان يوحى به.. وهم الربانيون.

أقسام التلمود:

يتألف من كتابين هما:

أ- المشناه: وهي مجموعة قوانين اليهود ويسمى القانون الثانى. ويعرف موسى بن ميمون المشناه بقوله: (منذ أيام معلمنا موسى حتى حاخامنا المقدس يهوذا هاناسى (١٢٥-٢١٧م). لم يتفق أحد من علماء اليهود على أية عقيدة من العقائد التى كانت تدرس علانية باسم القانون الشفهى، بل كان رئيس محكمة كل جيل أو نبيه، يضع مذكرة عما سمعه عن سلفه وموجهيه، لينقلها شفهياً إلى شعبه، وهكذا ألف كل فرد من العلماء كتاباً مماثلاً ليستفاد منه حسب درجة كفاءته).

ويزعم اليهود أن المشناه أنزل على موسى فى طور سيناء، وتناقله عنه أربعون (مستقبلون) جيلا عن جيل حتى جاء الحاخام يهوذا هاناسى المقدس.

أبحاث المشناه: يتألف المشناه من ستة مباحث: الأول، يتعلق بالحياة الزراعية والبذور. والثانى، بالأعياد والمواسم والصيام. والثالث، بالنساء وفيه قوانين الخطبة والزواج والطلاق. والرابع، يتحدث عن التعويضات ويعرض الفقه المدنى والجزائى المتعلق بها والقواعد الأخلاقية التى يضمها فصل الآباء. والخامس، يتحدث عن المقدسات والذبائح والقرابين والأضاحى وقوانين الصلاة. والسادس، وهو قسم الطهارة. وفى كل قسم أبواب وفصول فرعية.

ب- الجمارة: ومعناها التغير. وهو كتاب مخصص لشرح القوانين ومناقشتها، وسرد القصص والأمثلة للتدليل على معانيها، وكتب معظمه بالآرامية، وهو من وضع يهوذا هاناسى وولديه جامائيل وسيمون، ثم تابع العمل الحاخام آشى (٣٦٥- ٤٢٧م)، وأكمله الحاخام أبينو أو رابينا، ووضعه فى صورته الختامية الحاخام جوسى سنة (٤٩٨ م)، وهو آخر من سمى عند اليهود بالآمر أو الملقن، ومن تبعهم من العلماء أطلق عليهم لقب أصحاب الرأى.

أنواع التلمود:

(أ) تلمــود فلسطين أو الأورشليمى: وهو سجل للمناقشات التى أجراها حاخامــات طبرية فى فلسطين لشرح أصول المشناه، ويرجع تاريخ جمعه إلى (٤٠٠م)، ويشتمل علــى ٧٥٠ ألف كلمة، ويقول محرر دائرة المعارف اليهودية العامة: (إن النص الحــالى لتلمــود فلسطين فى حالة فاسدة جداً).

ب- تلمود بابل: وهو سجل للمناقشات حول تعاليم المشناه، دونها علماء بابل اليهود وانتهوا من جمعه (٥٠٠ م)، ويشتمل على ٢,٥ مليون كلمة، وهو الأهم عند اليهود.

وهناك سفر مماثل للتلمود يسمى (مدراش) يجمع الحكم والأقاصيــص والأحكام الــتى جمعها أو اختلقها الحاخامات بعد إتمام التلمود، فدونها فيه خوفاً من ضياعها.

من أقوال التلمود:

جاء فى التلمود أفكار يهودية صرفة حيث يزعم التلمود أن الله لا عمل له فى الليل إلا قراءة التلمود مع الملائكة والإعلان عن ندمه ولومه ذاته عندما تغاضى عن هدم هيكل بيت المقدس.. وهذا غاية الكفر والإلحاد.

وتفوح روائح التمييز العنصرى والتفوق العرقى فى نفوسهم بما ينطق به التلمود: (كما يسمو الإنسان على الحيوان، كذلك يسمو اليهودى على بــاقى أهــل الأرض مــن ذوى الطبيعة البهيمية)، ويقول: (إن الله أمرنا باستعمال الربا ضد الغوييم (غير اليهود) وحــرم علينا إقراضهم المال بدون تقاضى فوائد عليه)، ويقول: (إن أملاك غير اليهود تعد كالمــال المتروك، الذى يحق لليهودى أن يمتلكه)، وقال الكثير الذى يدل على مدى حقد اليهــود على البشر، وحبهم لذاقم، وانعزالهم. يقول القس لومان فى كتابه (نــابليون واليهــود): [كان على المسيحيين أن يزيلوا عن الوجود منهاج أبالسة الجحــيم المســمى بــالتلمود،

والشبيه بالصخرة الملساء التى تخفى تحتها وكر الثعابين القاتلة، قبل أن ترسخ تعاليمه السامة فى عقول اليهود، وتحولهم إلى أفعى تتربص للانقضاض على العالم كلما وجدت إلى ذلـــك سبيلا].

وقد سرد فى نصوصه كثيراً من الخرافات والأساطير التى لا يقبلها العقل ولا المنطـــق، ولذلك تعرض التلمود إلى الإحراق والتلف مرات عديدة- أكثر من مائة مـــرة لخطورتـــه على البشرية- من بعض الحكومات الغربية والمسيحية والكنيسة.. نظراً لمـــا يحويـــه مـــن كلمات نابية وعبارات لا أخلاقية، وقد تنبه أحبار اليهود الذين اجتمعوا فى بولونيـــا عـــام (١٦٣١م) لخطورة هذا الموقف، وقاموا بحذف الكلمات النابية، والعبارات التى تنال مـــن السيد المسيح والمسيحية، وتركوا مكانها فراغاً، واتفقوا على تلقينها مشافهة تلاميذ المدارس الدينية فقط (من كتاب الكتر المرصود فى قواعد التلمود، أوجست روهلنج).

جاء فى التلمود: (إن يسوع الناصرى، موجود فى لجات الجحيم، بين النار والزفت، وإن أمه مريم أتت به مـــن العسكرى (باندارا) بمباشرة الزنا، وأن الكنـــائس النصـــرانية هـــى بمستوى قاذورات، وأن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة، وأن قتل المسيحى من الأمور المأمور بها، وأن العهد مع المسيحى لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهودى القيام بـــه، وأن من الواجب دينياً أن يلعن ثلاث مرات رءوساء المذهب النصرانى وجميـــع الملـــوك الـــذين يتظاهرون بالعداوة ضد بنى إسرائيل) (المرجع السابق).

فهل يستحق التلمود الإحراق على هذه الكتابة؟ وهل يستحق كل من اعتقد بصـــحته أن يكون صديقا للنصارى، ويبرأ من دم السيد المسيح؟ نترك الإجابة إلى كل النصارى، فى جميع أرجاء الأرض!!

٣ - المزامير (الزبور)

ورد ذكرها فى القرآن الكريم باسم الزبور. قال تعالى: ﴿وآتينا داود زبورا﴾ (النساء: ١٦٣). ويعد الزبور أو المزامير كما وردت فى التوراة، أعظم الأسفار الشعرية فى العهد القديم، وهو يشتمل على (١٥٠) أغنية مختلفة تاريخياً، فبعضها شخصى الطابع، وبعضها جماعى، وهى ليست كلها لداود، بل ينسب بعضها إلى قورح إمام المغنيين، وبعضها للمغنيين على السوسن، وبعضها غير منسوب لأحد، والكثير منها منسوب إلى داود، وبعضها بعد داود بمئات السنين.. وتحتوى المزامير على عبارات فيها تسبيح لله ودعاء له أن يعين المرء فى الملمات المختلفة، التى ألمت به، وكثير منها له طابع الطقوس من أجل الترتيل فى الصلاة، وليس فيها أحكام أوامر أو نواه.

٤ - الألواح

أنزلت على موسى فى جبل الطور، وهى على شبه مختصر ما فى التوراة، تشتمل على الأقسام العلمية والعملية. قال تعالى: ﴿وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ﴾ (الأعراف: ١٤٥). ولقد أوصى موسى بأسرار التوراة والألواح إلى يوشع بن نون، وصيه وفتاه، والقائم بالأمر من بعده، ليفضى بها إلى شبير وشبر أولاد هارون أخيه، وشريكه فى الدعوة، الذى توفى فى حياة موسى فى التيه، وقد كان اليهود يميلون إليه أكثر من موسى عليه السلام.(الملل والنحل، للشهرستانى).

وقد ورد فى أسفار التوراة ما يلى: [ثم أعطى الرب موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سيناء لوحى الشهادة، لوحى حجر مكتوبين بأصبع الله]. (سفر الخروج: ٣٢).. وقد كتبهما الله بيده مرة ثانية بعد أن كسرهما موسى بسبب غضبه من قومه، عندما وجدهم يعبدون العجل الذهبى، ويرقصون حوله بعد أن عاد إليهم من عند حضرة الله.

جاء فى التوراة: [وكتب على اللوحين كلمات العهد، الكلمات العشر] (الخروج: ٣). ويذكر الباحثون أن الشريعة التى كتبت على لوحى الحجر اختفت ولم يبق لها أثــر. وقــد كتبت باللغة الهيروغليفية التى كان يتقنها موسى بعد خروجه من مصر.

٥ - القبالة

مجموعة باطنية من الحكم التى لها علاقة بأسرار الكون وبالإله والكائنــات الأخــرى، ظهرت على يد عدد من أحبار اليهود الذين تأثروا بالآراء الشــرقية، وديــن زرادشــت ونشأت عنهم حركة سميت (الحكمة المستورة)، وصارت تعرف عند اليهود بالقبالة، وهــى كلمة آرامية تعنى القبول.

وهذا الكتاب وضعه الكاتب (موسى ليون) وهو من كتب التوعية عند اليهود، وقــد كتبه باللغة الكلدانية القديمة، لكنه أنكر تأليفه، وزعم أنه عثر عليــه فى إحــدى خــزائن الكنيس القديم، وادعى أنه من أقدم الكتب الدينية التى يعود عهدها لزمن ظهور موســى عليه السلام، لذلك أدخله اليهود ضمن مجموعة كتبهم المقدسة السرية.

ويجمع الباحثون على أنه كتاب شيطانى يبحث فى أمور مختلفــة وعلــى الأحــض فى الخرافات والسحر والتنجيم، وأمور قذرة أخرى، بينما يدعى مؤلفه أنه التفسير الحقيقــى للتوراة.

يذكر المؤرخ جواد اتيلهان فى كتابه (الإسلام وبنى إسرائيل) بأن القبالة يتــألف مــن جزئين:

١- سفر زوراح، ويبحث عن الشياطين والجن والتنجيم والسحر والشعوذة.

٢- سفر باتريراح، ويبحث فى الطقوس الدينية وشؤوها، مثل الخبز المعجون بدم أعداء

اليهود، وأساليب القتل والتعذيب، وعبادة العجل الذهبى وغير ذلك.

٦ - زوهر

هو كتاب وضعه موسى الليونى (١٢٥٠-١٣٠٥) وهو كلمة آرامية تعنى النـــور أو الضياء، والتسمية مأخوذة من التوراة.. يحتوى هذا الكتاب على مجموعة أدبيـــة، وحكـــم ترجع إلى زمن الحاخام (سمعان بن يوشاى) فى القرن الثانى للميلاد، وهو الذى قيل عنه إنه بقى مختفياً فى إحدى مغارات فلسطين مدة ثلاثة عشر عاماً، كشفت لـــه خلالهـــا أســـرار السماء والأرض، وتتصل أسرار الزوهر بالتوراة.

وكل كلمة أو حرف من حروفها يحمل باعتقاد القباليين معنى باطنياً، والحياة فى عـــرف الزوهر صراع بين الخير والشر.

الفصل الثالث

علاقة اليهود ب- إبراهيم الخليل عليه السلام

اليهود يعدونه جدهم وحدهم، وإليه يعيدون نسبهم وأصلهم، وعلى هذا الأساس كتبوا تاريخهم فى أسفارهم، على أنهم شعب طيب من منبت طيب وأصل كريم، وهــم وحــدهم الشعب الذى اختاره الله من بين جميع شعوب الأرض، ودفق عليهم الخير والبركات، بينما كان نصيب الشعوب الأخرى العبودية والذل وتدفق الويل واللعنات، هكذا يتصــورون، وهكذا يعتقدون، وهكذا يكتبون.

إنهم يحاجون فى إبراهيم ويرجعون أصولهم إليه، وقد أنزلت كتبــهم ورســالتهم بعــد إبراهيم بزمن بعيد، فقد كتبت التوراة بعد إبراهيم بألف وثلاثمائة سنة، وكتبت بعد موسى بأكثر من سبعة قرون.. قال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لما تحاجون فى إبراهيم ومــا أنزلــت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون﴾ (آل عمران: ٦٥).

فهل كان إبراهيم يهودياً، واليهودية لم تعرف بعد كدين؟ وبين إبراهيم وموسى أكثر من ٥٧٥ سنة (المسعودى فى مروج الذهب).

وهل كان إبراهيم نصرانياً، والنصرانية لم تعرف بعد كدين. قال تعــالى: ﴿مــا كــان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾ (آل عمران: ٦٧).

لقد كان لإبراهيم أكثر من زوجة وله أكثر من ولد، وكــان إبــراهيم لكــل أولاده،

فكانت زوجته هاجر وابنها إسماعيل (جد العرب) وهو جد النبى محمد ﴿ﷺ وآله﴾.

وكانت زوجته سارة وابنها إسحاق الذى رزق يعقوب (إسرائيل) وإليه ينتسب الأسباط، وظهر منهم أنبياء كثيرون، كان آخرهم عيسى بن مريم الذى قال لأتباعه: (أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومى فرأى وفرح) (يوحنا: ٨-٥٦).

وجاء فى التوراة أن إبراهيم اتخذ زوجة أخرى اسمها (قطورة) فولدت له: زمران، ويقشان، وقدان، ومديان، ويشباق، وشوحا. ثم تزوج بعدها (حجون بنت أمين) فولدت له خمسة: كيسان، وسورج، وأميم، ولوطان، ونافس، (كما ذكره أبو القاسم السهيلى فى كتابه التعريف والأعلام).

وهؤلاء جميعا من نسل إبراهيم وهو جدهم كلهم، لكن اليهود يعتقدون أن إبراهيم أعطى إسحاق كل ما كان له، وأما بنو السرارى التى كانت لإبراهيم فاعطاهم عطايا، وصرفهم عن إسحاق ابنه إلى أرض المشرق، وهو بعد حى (التكوين: ٢٥).

وقد جاء فى القرآن ما يؤكد أبوة إبراهيم للأنبياء الذى خلفوه، فقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ* وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى العَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ٨٤-٨٦). وقال تعالى مخاطبا المؤمنين: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ (الحج: ٧٨).

فالإسلام موجود قبل إبراهيم ، فهو من عهد آدم عليه السلام، فالنبى إبراهيم لم يكن لليهود وحدهم فهو جد اليهود والنصارى والمسلمين، وجميع الأنبياء يلتقون فى نسب واحد ويرجعون إلى أصل واحد، ولكن أولى الناس بإبراهيم من آمن به وسار على دينه واتبع

دعوته.. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ (آل عمران: ٦٨).

يَهْوَهْ إله التوراة

يهوه فى العبرية اسم علم للإله الحقيقى، ويرد فى العهد القديم باسم يهوه، والله، وإله، وجميعها لها مدلول واحد يدل على الإله يهوه، إله القبيلة الإسرائيلية، الذى أعلن توراته بلسان موسى فى صحراء سيناء، حسبما ورد فىالتوراة.. فيهوه إله شعب بدوى قبلى، وهو إله حرب إقليمى، اتخذه موسى إلها يضع أوامره وأحكامه على لسانه ليكتسب صفة القدسية، وفرض عبادته على قومه بنى إسرائيل بالإرهاب، الذى ما يزالون يتبعونه كأسلوب فى تثبيت دعائم كيانهم ووجودهم.

وهو إله محجوب عن عيون البشر، ولا يصور بأية صورة، ليس له مسكن ثابت، يوجد فى كل مكان، لا أسرة له، وهو ليس بذكر أو أنثى، عقد عهداً خاصا مع إسرائيل وجعل منهم شعبه المختار الخاص به، وعلمهم العداء للشعوب، وأثار فيهم روح التعصب والتفوق والتميز العنصرى، فهو يقول: (أتخذكم لى شعباً، وأكون لكم إلها، أنا يهوه الذى ميزكم من الشعوب) (الخروج: ٦/٣).

كلم موسى قائلاً: (أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله، فقال الرب: إنى قد رأيت مذلة شعبى، فنزلت لأنقذهم من أيدى المصريين وأصعدهم إلى أرض جديدة وواسعة، إلى أرض تفيض لبنا وعسلا، إلى مكان الكنعانيين والحيثيين والآموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين.. فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبى بنى إسرائيل من مصر) (الخروج: ٣/٦).

هذا هو الرب يهوه لا يعرف الاعتدال فى انفعالاته، يكابد من الآلام أشدها، بسبب

افتقاره لهذا الاعتدال، ويعترف بأن الغضب والغيرة يأكلانه أكلا.. ومعرفته لهذه الحقيقة تؤلمه إيلاما شديدا، فهو لا يطيق آلهة أخرى أمامه (لاحظ الإشراك فى تفكيرهم)، لأنه يترفع عن كل الآلهة.. جاء فى التوراة: (الرب إلهك هو نار آكله، إله غيور) (التثنية: ٤/٢٤).

يهوه: إله من نوع خاص، تتوفر فيه صفات مميزة هى: الغضب، والحقد، والشر، والاغتباط بسفك الدماء، وإشعال نار الحروب، إنه ينصر شعبا على آخر، وهو يسحق كل الشعوب المعارضة لحكمه، ويكون بينه وبين أتباعه نوعا من المنفعة المتبادلة، فهو يعبدونه، ويقدمون له القرابين، وهو ينصرهم فى الحروب، ويملكهم أرض الأمم الأخرى، ويجمع شتاهم على حساب شعوب الأرض ولو أدى ذلك إلى إفنائهم تماما.. ورد فى سفر الخروج وصفا دقيقا للإله يهوه، يبين فيه حقيقة تكوينه، ونزعته الدموية اللا إنسانية: (الرب رجل الحرب.. بيمينك يا رب تحطم العدو.. وبكثرة عظمتك تهدم مقاوميك.. ترسل سخطك فيأكلهم كالقش.. وبريح أنفك تراكمت المياه.. من مثلك بين الألهة يا رب؟ من مثلك معتزا فى القداسة، صانعا عجائب، تمد يمينك فتبتلعهم الأرض، ترشد برأفتك الشعب الذى فديته، تهديه بقوتك إلى مسكن قدسك، يسمع الشعوب فيرتعدون، تأخذ الرعد سكان فلسطين، حينئذ يندهش أمراء أدوم، أقوياء موآب تأخذهم الرجفة، يذوب جميع سكان كنعان، تقع عليهم الهيبة والرعب، بعظمة ذراعك يصمتون كالحجر.. حتى يعبر شعبك يا رب) (الخروج: ١٥).

فالإله يهوه ليس هو الله، ولا يؤمن اليهودى بوحدانية الله، فهو معجب جدا بربه من بين الآلهة المتعددة.. من مثلك بين الآلهة يا رب؟.. وهذا غاية الإلحاد.

هذه هى المبادئ الدينية التى يعتقدون بها ويهتدون بهديها، فهم يفسدون فى الأرض حيث حلوا، ويبيدون البشرية أينما وجدوا دون تمييز بين صغير أو كبير، فهم يعملون بوصايا الرب يهوه، وتنفيذ أحكامه التى تنحصر فى إبادة شعوب الأرض، وتدمير مظاهر الحياة الحضارية، غايتهم الملك والتملك، يقول الرب: (حين تقرب من مدينة لكى تحاربها،

استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير، ويستعبد لك، وإن لم تسالمك، بل عملت معها حربا، فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم، وكل ما فى المدينة فتغتنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك، هكذا فعل بجميع المدن البعيدة منك جدا، التى ليست من مدن هؤلاء الأمم، وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك يهوه إلهك نصيبا، فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرمها تحريما) (التثنية: ٢٠/ ١٠-١٧).

لا يشغل الرب شئ إلا تمليك بنى إسرائيل الأرض، وتحديد هذه الملكية، وكيفية الاستيلاء على أرض كنعان وتمليكها لهم، فهو يعقد ميثاقا واتفاقا مع بنى إسرائيل بإعطائهم أرضا مأهولة بأصحابها، عامرة بحضارتهم وآثارهم، تفيض أرضهم بالعسل واللبن.. فهو يعطى شعبا بلا أرض، أرضا يتصور أنها بلا شعب.. يا له من إله حاقد متزمت، عنصرى، متعصب، اختار بنى إسرائيل من بين شعوب العالم، وفوض لهم السلطة والتسلط على أموال وأعراض وأملاك بنى البشر.

فها هو يقول لموسى: (خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس، فيرتد حمو غضب الرب عن إسرائيل) (العدد: ٢٥).. إنه لا يرضى عن إسرائيل، ولا يرتد حمو غضبه عنهم إلا إذا علق جميع رؤوس الشعب أمام الشمس.. إنه إله سفاح حقا، لا يعرف العدل، ولا يرحم العباد، فهو يفعل تماما كما يفعل مصاصو الدماء، وأكلة لحوم البشر، المتنقلون بين البرارى والقفار عند الشعوب البدائية، يتلذذون بأكل فريستهم، ويغتبطون بمشاهد الذبح، وينتشون برائحة الدم والمحرقات، وهكذا يحدد طريقة التعامل مع شعوب سيناء وفلسطين وكل البشر.

تقول التوراة فى وصفها لحياة هذه القبيلة الغازية البدائية الهمجية بأنها:
(تلحس كل ما حولهم كما يلحس الثور خضرة الحقل) (العدد: ٢٢). وأنها: (لا تنام

حتى تأكل فريسة وتشرب دم قتلى) (العدد: ٢٣-٢٤). هذه هى إسرائيل اليوم ورثت العدوانية والإرهاب كابرا عن كابر، وهم يؤدون رسالة آبائهم وأجدادهم والذبح والتشريد، عن طريق عصاباتهم المحترفة للإجرام، أمثال: الهاجاناه والأرجون وشتيرن.. ويعزون كل أفعالهم البذيئة إلى الله (يهوه)، ويعدون كل ممارساتهم الإجرامية تعاليم دينية موروثة من كتبهم الدينية، المكتوبة وفق أهوائهم وأمزجتهم وينسبونها إلى إلههم (يهوه).. ألا ساء ما يفعلون..

الله هو الله، واحد لا شريك له، أنزل التوراة والإنجيل والقرآن على أنبياء ورسل شرفاء عظماء رحماء بوحى من عنده، وهو الخالق البارئ اللطيف بالعباد، غافر الذنوب كلها، القائل جل شانه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣). هذا هو الله رب العالمين وأما يهوه إله التوراة فهو من نسج الخيال.

وما سيرة التوراة إلا سيرة هذا الإله الغاضب، الحقود، الذى سفك الدماء ولا يرتوى، ويقيم الحروب، وينصر فئة على أخرى، ويتخذ له شعبا دون آخر، ويسر لرائحة المحرقات، ويقيم الأخ على أخيه، ويكره الشعوب، ويسحق كل من يعارضه، اقترن اسمه بإبليس، واليهود عبدوا إبليس من خلال إلههم (يهوه) إله الشر والغضب.. وهو إله باطل، قضى على المبادئ التى كانت تنادى بالإله الحق كالكنعانيين أتباع الخليل إبراهيم، وقد قاوم اليهود إله الكعنانيين واعتبروه كاذبا وهو الإله الحق، وثبتوا إلههم لنشر ديانتهم الكاذبة والمراوغة، ومن هنا جاء توحيدهم الذى لا يشير إلى معرفة الله الحق، الواحد الأحد، بل يعنى الانفراد والتخصص بالإله يهوه الذى لا يتركون للأمم مجالا لعبادته، فهو إلههم وحدهم، ومن هنا كان التوحيد اليهودى شركا.

الوعد التوراتى المزعوم

تعددت الآيات التوراتية التى ذكرت الميثاق الذى عقده الرب مع إبراهيم، وجدده مع

إسحاق ثم جدده مع يعقوب، الوعد بالذرية الكثيرة والأرض الواسعة.. وتذكر التوراة أن هذا الوعد كان فى بدايته وعداً لقبيلة بدوية متنقلة، لا تملك أرضاً، ولا تعرف اسـتقراراً، فوعدهم الرب أن يقيموا فى أرض كنعان- حصرا- إلى جانب أهلها وجيرتهم وكـنفهم، تقول التوراة: (وقد قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلا: لنسلك أعطى هذه الأرض من نهـر مصر إلى النهر الكبير) (التكوين: ١٥).

أى من النيل إلى الفرات، هذه بدعة ابتدعوها، وأسطورة اختلقوها، وكذبـة افتروهـا وصدقوها، وأعلنوها بأن حدودهم ستكون من الفرات إلى النيل، فعندما أعطى هذا الوعد لإبراهيم- حسب زعمهم- لم يكن له ذرية ولا نسل، ولا ولد، وكانت امرأته عاقراً وهـو شيخ كبير. فلمن الأرض إذاً؟.

وفى موضع آخر تعود التوراة وتؤكد وعد الرب لأبـرام: (أنا الرب الذى أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها) (التكوين:١٥). إن الله أخرج إبراهيم من أور لأن فيها قوماً فاسدين ظلموا إبراهيم وحرقوه.. وعندما خرج لم يكن معه إلا زوجته سارة، وابن أخيه لوط، وبعض عبيده فقط، ولم يكن يهودياً، بل كان حنيفاً مسلماً، و كان عمره حينذاك ٧٥ سنة، ثم وصل إلى أرض كنعان بناء على أمر ربه. كما تدعى التوراة.

تقول التوراة: (وكان الكنعانيون حينذاك فى الأرض) (التكـوين: ١٢). إذن لم تكـن الأرض بلا شعب كما يزعمون دائما، ولم يكن هناك شعب موجود باسم إسرائيل أو اليهود فى عهد إبراهيم. وبين إبراهيم وموسى أكثر من ٥٧٥ سنة.. فقد كانـت أرض كنعـان عامرة بالحياة يسودها النظام والحضارة، وكانت تفيض لبناً وعسلاً قبل الغزو الإسـرائيلى الأول لها بزمن بعيد.

عاش إبراهيم عيشة بدوية متنقلة فى جيرة أهلها وكنفهم نحو مائة سنـة، ولم يكن لـه فيها حسب ونسب ولا أصل له فيها ولا جذور، فهو آرامى منبتاً وثقافة وعقيدة. تقـول التوراة: (وتغرب إبراهيم فى أرض الفلسطينيين أياماً كثيرة) (التكوين:٢١). فإبراهيم كان

غريباً فى أرض فلسطين ولم يكن من أهل البلاد أصلاً.

وقد رزقه الله فى شيخوخته أولاداً وحفداء من أكثر من زوجة، عاشوا جميعاً حياة بدوية راحلة، فى جيرة أهل فلسطين وكنفهم، ولم يكن لهم أى ملك أو كيان أو قرار.. ثم تطور الوعد التوراتى بالإقامة المؤقتة إلى وعد ذى أبعاد قومية لتبرير غزواهم المتكررة على أرض الجوار، وأخذهم الغرور والصلف بأهم شعب الله المختار، الشعب السيد فى كل المناطق المحصورة بين (نهر مصر والنهر الكبير- نهر الفرات).

وتوسع الوعد على لسان الرب ليشمل جميع قبائل الأرض: (وقال الرب لأبرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك، ومن بيت أبيك، إلى الأرض التى أريك، فأجعلك أمة عظيمة وأباركك، وأعظم اسمك، وتكون بركة، وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض) (التكوين: ١٢). على أرض فلسطين فقط كان يتجدد الوعد، ويتأكد العهد، تقول التوراة: (ظهر الرب لأبرام، وقال: لنسلك أعطى هذه الأرض، فبنى هناك مذبحاً للرب الذى ظهر له) (التكوين: ١٢).

فمن هم نسله؟ ولماذا لا يكون نسله كل أولاده؟ ولماذا تكون الأرض لنسله من إسحاق ولا تكون لنسله من إسماعيل الابن الأكبر الأول فى كل أولاد إبراهيم. قال تعالى: ﴿ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون﴾ (الأنبياء: ١٠٥). فالله المتعالى على كل الماديات لم يذكر فى كتبه أنه خص شعباً دون آخر، وملكه أرضاً على حساب غيره، وحسب الرواية التوراتية لم يثبت إبراهيم على أرض كنعان، فهى تقول: (ثم ارتحل أبرام ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب)(التكوين: ١٢).

لقد غادر فلسطين بمجرد الجوع الذى حل بها، بسبب القحط الذى أصاب أرض كنعان ولم يثبت بها فتوجه إلى مصر وقابل فرعونها الذى كرمه وأجزل له العطاء.

(وعاد إبراهيم من مصر محملاً بالهدايا مع لوط ابن أخيه ثم افترقاً لخلاف حصل بينهما، قال أبرام اعتزل عنى فإن ذهبت شمالاً فأنا يميناً، وإن ذهبت يميناً فأنا شمـــالاً) (التكـــوين: ١٣).

لقد افترقا ليس لخلاف على مبدأ أو عقيدة وإنما لكثرة مواشيهما وقلة المراعى فى سدوم جنوبى البحر الميت.

الفصل الرابع

من هو اليهودى؟!

لم يتفق اليهود حتى أيامنا هذه على وضع تعريف عملى لليهودى فى دستورهم غير الموجود، والذى يقوم على أساسه بناء الدولة الصهيونية اليهودية، وعليه وضع قانون العودة الذى يدفع أفواج اليهود إلى أرض فلسطين (أرض الميعاد) والذى ينص على أنه: (يحق لكل يهودى أن يهاجر إلى إسرائيل). لكن من هو اليهودى الذى ينطبق عليه هذا القانون؟.

ورد فى تعليمات إسرائيلية صدرت على شكل قانون فى عام ١٩٦٠م، يسجل يهودياً فى حقلى الديانة والجنسية فى سجلات الحالة المدنية من تتوفر فيه الشروط التالية:

١- من ولد من أم يهودية ولا يعتنق ديناً آخر.

٢- من اعتنق اليهودية وفقاً لشروط مفروضة.

فالدين والجنسية عند اليهودى شئ واحد، وهذا أمر غير معروف لشعب من شعوب الأرض، أن يكون دينه هو جنسيته وقوميته، فالصهيونية قائمة فى اليهودية وهما وجهان لعملة إسرائيلية واحدة، وقد أقر مؤتمر الكتاب اليهودى أن (كل يهودى صهيونى)، والمعيار العرقى عندهم قائم على العنصرية المتميزة بانتقال الدم من الأم وليس من الأب، وقائم كذلك على أساس الدين واعتناق اليهودية حتماً. ولا يحق لأى شخص دخول اليهودية إلا بموافقة حاخام من الأصوليين اليهود.

فمن منهم اليهودى؟.

إذا كان العرق والدم الوراثى عند اليهود ينسب إلى الأم، وإذا كانت الأم غير يهودية

فالابن ليس يهودياً بالطبع، وكذلك الآباء والأحفاد.

ومن خلال استعراض ما كتب فى التوراة عن زوجات أنبياء بنى إسرائيل، اللواتى هن أمهات أبنائهم.. نجد أن معظم أمهاتهم لسن من بنى إسرائيل ولسن من اليهود أصلاً. إنما يرجعن إلى أصول غير يهودية،فمن منهم اليهودى ابن اليهودية إذن؟.

فإبراهيم عليه السلام الذى يدعون باطلا الانتساب إليه لم يكن يهودياً فى يوم من الأيام، بل هو من أصل كلدانى من مدينة أور هو وزوجته سارة أم إسحاق، وتزوج إسحاق من رفعة بنت بتوئيل الآرامى أخت لابان الآرامى من فدان أرم فى بلاد الرافدين (التكوين: ٢٢)، وهى ليست يهودية الأصل.. وولدت له عيسو ويعقوب. وتزوج عيسو من يهوديت ابنة بيرى الحثى وهى حثية الأصل، ومن بسمة ابنة إيلون وهى حثية الأصل أيضا. كما تزوج محلة ابنة عمه إسماعيل. وتزوج يعقوب من ليئة وراحيل ابنتى لابان الآرامى وهو ليس يهودياً، وتزوج من زلفة جارية ليئة ومن بلهة جارية راحيل، فولدن له الأسباط الإثنى عشر.

وقد تزوج يهوذا ابنة رجل كنعانى اسمه (شوع) وولدت له ثلاثة أبناء.

وتزوج موسى من (صفورة) من بلاد مدين، ورزق منها بأولاده.

وتذكر التوراة كيف أحب داوود زوجة أوريا الحثى وكانت كنعانية وتزوجها وأنجبت له سليمان. وتزوج سليمان العديد من النساء من غير الإسرائيليات تقول التوراة: (وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون، مؤابيات، وعمونيات، وآدميات، وصيدونيات، وحثيات من الأمم الذين قالوا عنهم الرب لبنى إسرائيل: لا تدخلوا إليهم، وهم لا يدخلون إليكم، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة، وكانت له سبعمائة من النساء والسيدات، وثلاثمائة من السرارى، فأمالت نساؤه قلبه) (الملوك الأول:١١). فمن منهم اليهودى الأصل حسب دستور اليهود؟.

الصهيونية العنصرية

الصهيونية، حركة عنصرية عرقية تقوم على مبدأ التمييز العنصرى والتفوق العرقى.. وهى حركة دينية سياسية تقوم على أساس التوسع والعدوان والاغتصاب. كما أنها دعوة قومية تستند فى دعواها إلى وعد الرب لآباء اليهود، بتمليكهم أرض كنعان وما حولها، وإخضاع شعوب العالم كلها لهم.. وهم يعتقدون دائما وأبداً (أن كل يهودى صهيونى) وقد أخذوا اسمهم من صهيون، وهى قطعة من مدينة القدس حددت فى العهد القديم على أنها مدينة داود. وجبل صهيون يعنى هو جبل الرب الذى توجد فيه محافل الملائكة، وعليهم عبادة إلهم عليه، وهو مقدس فى نظر اليهود.. فلا صهيونية بدون يهودية، ولا يهودية بدون صهيونية. وهم يفسرون توراتهم وفق أهوائهم، وعلى نحو تعسفى باطل، فهم يزيفون إرادة الله، ويسوغون سياسة الإرهاب والتوسع الدائم بنصوص توراتية، كتبوها وفق ما تقتضيه مصلحتهم.. يستمدون منها الأعذار لكل وسائل القتل والإرهاب، والتشريد والدمار التى تمارسها عصاباتهم فى القديم وفى الحديث.. إن كل ما ورد فى توراتهم من وعود بمنحهم أرض كنعان، وبأنهم شعب الله المختار، وأنهم صفوة الشعوب بأسرها.. وما شابه ذلك من أساطير.. إن هى إلا من نسج الخيال ومن ترتيب كهنة اليهود وكتبة التوراة وتصوراتهم.. فهم يذكرون أن(يهوه) إله التوراة أراد تأسيس مملكته فى فلسطين، وأراد أن يعمر بيته على جبل صهيون.. كما أراد أن تأتى إليه كل أمم الأرض لتقديم الطاعة والخضوع، وفى اعتقادهم بأنه لن يمر وقت طويل حتى تتحقق نبوءتهم القائلة: (سيخضع اليهودى شعوب الأرض جميعها ويصبح سيدها المطاع.

وتؤكد نصوص التوراة على المواقف التالية:

أ– إن رب إسرائيل قد منح بنى إسرائيل جميع الأراضى الأخرى الممتدة من الفرات إلى النيل.

ب– وإن الإسرائيليين شعب الله المختار والمقدس دون شعوب العالم.

جـ– وإن الرب قد جعل شعوب العالم عبيداً لهم فهى تقول: (وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك، ليؤتى إليك بغنى الأمم، وتقاد ملوكهم، لأن الأمة والمملكة

التى لا تخدمك تبيد، وخراباً تخرب الأمم). (أشعياء: ٦٠).

وتـؤكد على أن من حقهم إبادة جميع طوائف فلسطين، ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً، وهم بهذا المنطق، والتمييز العرقى يتصرفون داخل أرض فلسطين اليوم، بممارستهم القتل والإرهاب والموت وكل أصناف العذاب.

وجاء فى التلمود ما يؤكد زعمهم وادعاءهم الوارد فى أسفار التوراة، فقد جاء فيه ما يلى:

١- يجب على بنى إسرائيل قتل من أمكنهم من غير اليهود (الجوييم)، واغتصاب أموالهم وسرقتها.

٢- إن الله منح السلطة لليهود على مقتنيات الشعوب.

٣- إن أملاك غير اليهود تعتبر كالمال المتروك الذى يحق لليهودى امتلاكه.

٤- إن اليهود أحب إلى الله من الملائكة، وهم من عنصر الله، كالولد من عنصر أبيه.

٥- من صفع يهودياً يكون كمن صفع الإله، والموت جزاء (الجوييم) إذا ضرب يهودياً.

٦- لولا اليهود لارتفعت البركة من الأرض، واحتجبت الشمس، وانقطع المطر.

٧- الجوييم كالكلاب والخنازير نجاسة، وكحظائر البهائم بيوتهم، ويحرم على اليهودى أن يعطف عليهم، وكل شر يفعله اليهودى معهم هو قربى إلى الله.. والكثير الكثير.

هذا مصدر رئيسى فى ديانتهم، فهل هذه أوامر الله سبحانه وتعالى؟.

إنه منزه عن كل ما يقولون أو يفعلون، وسبحانه عما يصفون، فهؤلاء ليسوا يهوداً، ولا يمتون إلى شريعة موسى المنزلة بصلة، إنهم صهاينة عنصريون وليسوا أصحاب دين سماوى. إن هذا التلمود اليهودى هو عنوان العنصرية، ورمز لخرافة التفوق العرقى الذى تقره الصهيونية وتنهج نهجه، إنه مجتمع متوحش لا يعرف الأخلاق ولا الإنسانية.

ومن تعاليم التلمود التى تدعو اليهود إلى الحقد والفساد، وإلى الوحشية والأنانية المقيتة:

- اقتل الصالح من غير الإسرائيليين.
- إن الله لا يغفر ذنباً ليهودى، يرد لأجنبى ماله المفقود.
- محرم على اليهودى أن ينقذ أحداً من باقى الأمم، من هلاك أو يخرجه من حفرة وقع فيها.

فالشر متأصل فى نفوسهم، والحقد يتطاير من عيونهم، كرهاً وبغضاً لكل بنى البشر. والصهاينة مسؤولون عن هلاك الكثير من الناس، الذين لا يعدونهم سوى (رماد) ليس أكثر، ولا يستحقون حتى الأسف عليهم- حسب رأى أحد منظريهم.

إن الصهيونية رمز العنصرية والتمييز العنصرى، باعتراف العالم كله، فقد أصدرت الجمعية العمومية للأمم المتحدة قراراً برقم ٣٣٧٩ لعام ١٩٧٥ اعتبرت فيه الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصرى.

الصهيونية مجتمع طبقى

حتى أنها جعلت الصهاينة أنفسهم فوق بعضهم درجات- أشبه بطبقات المجتمع الهندوسى فى الهند، وهم طبقة البراهمة رجال الدين، وطبقة الجند وهم الكشترية، وطبقة الزراع والتجار وهم الويشيون، وطبقة الخدم والأسرى وهم الشودرا- حيث ينقسم سكان إسرائيل إلى طبقات متميزة بفروق واضحة هى:

١- الأشكيناز: وهم اليهود من أصل أوربى غربى وهم السادة، ومنهم الحكام والقادة.

٢- الصابرا (اليهود الشرقيون): وهم اليهود من أصل فلسطينى أو عربى يقيمون فى البلاد العربية، ومن إيران وأفغانستان وكردستان.

٣- السفارديين: وهم اليهود من أصل آسيوى إفريقى، والذين يسمونهم بإسرائيل احتقاراً لهم (اليهود السود) للتدليل على قربهم من العرب السمر، من حيث لون البشرة، وهم يتعرضون إلى تمييز عنصرى فاضح فى كافة مجالات الحياة، لقد عاش أسلافهم فى أسبانيا حتى طردوا منها عام ١٤٩٢م.

٤- ثم يأتى العرب وكل الغرباء من الجوييم، فهم فى أسفل السلم الاجتماعى وليس لهم فى القيادة نصيب.

هذه هى المنطلقات التى يتعمدونها فى إرساء قواعد الحركة الصهيونية وركائزها. فهم يعدون أن اليهود أمة، وأنهم متفوقون كعرق سامى، وأنهم شعب الله المختار. ويتذللون للعالم بأن اليهود مضطهدون، وأنهم مظلومون، يستحقون عطف العالم وتأييده، وأنهم بحاجة إلى جمع شتاتهم فى وطن قومى هو (أرض الميعاد).

ورد فى مقدمة كتاب الكوزارى، الصادر بتوجيه شعبة التربية، التابعة (لكنيست إسرائيل)، والحائز على مصادقة وزارة الثقافة والمعارف، وهى بقلم الدكتور: أ. تسفرونى: (إن الفلسفة والعلوم تقرب الإنسان من الحقيقة، ولكن ديانة إسرائيل وتوراة موسى هما الحقيقة بعينها، ومن لم يتلق علوم الفقه الدينى عن آبائه لن تفيده الفلسفة شيئاً، واليهود لا تلزمهم الفلسفة، لأن توراتهم هى الفلسفة الكلية والحقة، وقد منحت التوراة لشعب إسرائيل من دون العالمين جميعاً.. لأنه صفوة الشعوب بأسرها، ولأن بلاده خير بلدان العالم قاطبة، ولأن لغتهم أشرف لغة ينطق بها البشر).

ورد فى سفر أشعيا ما يلى: (ويقف الأجانب، ويرعون غنمكم، ويكون بنو الغريب حراثيكم، وكراميكم أما أنتم فتدعون كهنة الرب، تأكلون ثروة الأمم، وعلى مجدهم تتآمرون) يا له من غرور ما بعده غرور . إن الصهيونية المتجسدة فى (دولة إسرائيل المزعومة)، ليست وليدة وعد بلفور الذى ظهر فى القرن العشرين (١٩١٧م)، وإنما يعدونها وليدة الوعد الإبراهيمى الأول فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد.. يقول هرتزل (أبو الصهيونية) مبيناً الطريق إلى إنشاء دولة يهودية بحتة على أرض فلسطين: (لنفرض على سبيل المثال، إننا بحاجة إلى تطهير البلاد من الحيوانات المتوحشة، ولن تحل هذه المسألة على الطريقة التى تصرف بها الأوروبيون فى القرن الخامس عشر، إننا لن نطلق الرماح والسهام فى تعقب الدببة، بل سننظم عملية صيد واسعة، ونطرد الحيوانات المتوحشة، ونلقى عليها القنابل الشديدة الانفجار).

كلام هو منتهى الإرهاب والتطرف، ومنطق دموى، ينم عن أصل صهيونى عريق، لقد ابتدع الصهاينة أسطورة (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض) لتسويغ غـــزوهم واحـــتلالهم لأرض فلسطين العامرة، كما ابتدعوا أسطورة الأرض الصحراوية التى حولوها إلى جنـــات عدن لطمس حقيقة فلسطين وواقعها التى كانت – ولا تزال – رمزا حضارياً أبدياً.

هكذا تحرضهم التوراة على التوسع فى احتلال أرض الآخرين، وتخبرهم بأن (كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم، من البرية ولبنان، من النهر–نهر الفرات – إلى البحـــر الغربى يكون تخمكم) (التثنية:١١). إنهم يطمحون إلى إنشاء إسرائيل الكبرى، الـــتى تمتـــد حدودها إلى منابع النفط فى الكويت، والمراكز الدينية فى الجزيرة العربية، أى: مكة والمدينة، وإلى النيل غرباً والبحر المتوسط حتى نهر الفرات شمالاً، فهل من يعتبر؟!!.

ألم يقم الصهاينة فى أرض فلسطين المحتلة بتنظيم عملية صيد واسعة، وإبادة جماعية، من أجل طرد كل الناس واقتلاع جذورهم من أرضهم على طريق نبيهم هرتزل بإلقاء القنابـــل شديدة الانفجار؟. إن أرض وشعب فلسطين خير من يجيب..

يؤكد علماء البيولوجيا ومنهم علماء يهود مثل جور فينيش أستاذ علـــم الإنســـان فى الجامعة العبرية: (أن اليهود ليسوا شعباً واحداً، بل هم طائفة دينية تضم جماعات مختلفة من الناس، اعتنقوا ديناً واحداً).

ويؤكد ذلك (يوجين بيتار) فيقول: (إن اليهود طائفة دينية دخلتها عناصر من أجنـــاس مختلفة). وجاء فى كتاب (اليهودية دين لا قومية) الصادر عن المجلس الأمريكى لليهود:

(إن الشعب اليهودى بالمعنى السياسى والطائفى ليس له وجود أبداً.. وإنما كان يرمـــز بعبارة الشعب اليهودى إلى الناحية الروحية فقط).

إن الصهيونية الحاضرة تستغل الأساطير الدينية وخرافات التوراة والتلمود مـــن أجـــل إثارة عواطف وحماسة جماهير اليهود وخاصة فى أوروبا لتثبت وجود قومية يهودية صهيونية أو أمة يهودية بربطهم الحاضر بالماضى القديم. يقول دعاة الصهيونية: إن الصهيونية دعـــوة

وحركة سياسية حديثة، وهى من صميم اليهودية حتى من العهود المتقدمة. يقول سوكولوف: (لقد كانت الصهيونية طيلة آلاف السنين وما زالت مثالاً، ناضل وعمل وتعذب ومات من أجله خيرة عمال شعبنا).

عوامل ظهور الصهيونية

إن بذور الفكرة الصهيونية ظهرت إلى الوجود من خلال عوامل سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو روحية حديثة.. من أهمها:

١- ظهور (المسألة اليهودية) وتعنى الصراع الدينى بين اليهودية والمسيحية الأوروبية واضطهاد المسيحية لليهودية، مثل ما حدث فى أسبانيا عام (١٤٩٢م) حيث قامت محاكم التفتيش لتجبر اليهود على اعتناق الكاثوليكية، أو الهجرة من أسبانيا، أو الموت الزؤام..

٢- كما ساهم فى ظهور الصهيونية قضية (الانغلاق اليهودى) فى أحياء (الجيتو) الخاصة بهم والمفروضة عليهم من قبل المسيحيين الأوربيين، وما فرض عليهم من قيود قاهرة من الحكومات القيصرية بعد أن قام اليهود بتدبير اغتيال قيصر روسيا فى عام (١٨٨١م) فوقعت المذابح الشهيرة ضدهم مما أدى إلى هجرة واسعة خارج حدود روسيا وبولونيا القيصرية، وإلى المزيد من انغلاق اليهود على أنفسهم فى مدهُم وقراهم..

٣- وفى عام (١٨٨٠م) تجدد نشاط الحركة المعادية لليهود (اللاسامية) فى أوروبا الغربية وبخاصة فى ألمانيا، نتيجة الظروف الاجتماعية والاقتصادية التى رافقت نمو الرأسمالية بعد الثورة الصناعية.

أين القومية اليهودية؟

كل ذلك أدى بهم إلى التفكير فى إظهار قوميتهم حتى لا يبقون مضطهدين أو منبوذين، يقول (موسى هيس) (١٨١٢- ١٨٧٥م) أحد مفكرى اليهود الألمان: (إذا ما استمر اليهودى فى إنكار قوميته، وإذا ما استمر فى إنكار انتمائه إلى شعب مضطهد ومنبوذ، فإن

موقفه سيصبح غير محتمل، لقد اعتبرت الشعوب الأوروبية بأن وجود اليهود بينها شذوذ، وسوف نبقى غرباء بين الأمم إذا ظل اليهودى ينكر قوميته وانتماءه، وسوف لا يكتسب احترام الأمم التى يعيش بينها).

فأين هذه القومية التى يتحدث عنها؟ إن كل يهودى فى أوروبا يحمل قومية البلد الذى ينتمى إليه ولا يحمل من عناصر القومية إلا الدين، أى: المظهر الروحى فقط.

ولذلك يرى بعضهم أن مفهوم الشعب الواحد، مرتبط بالجانب الروحى والفكرى، ليس إلا.. يقول ب. سمولنسكين (١٨٤٢- ١٨٨٥م): (نحن شعب لأننا نعد أنفسنا بالروح، وبالفكر مرتبطين مع بعضنا بروابط الأخوة).. فأى ارتباط؟ وأى أخوة تجمع بين يهود الحبشة ويهود ألمانيا ويهود بولونيا، ويهود أميركا ويهود الهند، ويهود الاتحاد السوفياتى، ويهود الصين؟ إنهم إخوة فى الاضطهاد، وفى الفساد، فقد اضطهدهم كل شعوب الدنيا، وألحقت بهم المصائب، لفجورهم، وجشعهم، وسوء أخلاقهم.. فلا وجود لشعب يهودى بالمعنى الصحيح ولا وجود لأمة أو قومية يهودية بالمعنى الصحيح، يقول مونتاجو – وزير يهودى بريطانى – (لا توجد أمة يهودية، ولا يصح القول أن اليهودى الإنكليزى واليهودى المغربى ينتميان إلى أمة واحدة). أما ماكس نورداو (١٨٤٩- ١٩٢٣م) وهو أحد دعاة الصهيونية البارزين فيوضح الفرق بين اليهودى الصهيونى واليهودى غير الصهيونى، فيقول: (النقطة الوحيدة التى تسبب عدم التفاهم بين الصهيونيين وغير الصهيونيين، هى مسألة القومية اليهودية، فمن لا يؤمن بأن اليهود أمة ليس بصهيونى حتماً، ومن يؤمن بهذا يجب أن يتحول إلى صهيونى).

ويجيبه ليوبنسكر وهو داعية صهيونى بارز أيضا بقوله : (اليهود ليسوا أمة لأنهم يفتقرون إلى صفات قومية موجودة عند الأمم الأخرى، تلك الصفات الناجمة عن السكن معاً فى بلد واحد، وتحت ظل حكم واحد، ولكن يجب عليهم إذا أرادوا التخلص من حالتهم المخزية أن يصبحوا أمة).

إذن هى (عنزة ولو طارت) كما يقول المثل، ويجب أن يصبحوا أمة ولو بلا مقومات، ويجب أن يدخلوا التاريخ ولو رفضهم التاريخ خلال عمرهم، ويجب أن يكونوا دولة ديمقراطية تحب السلم والسلام، ولو أبادوا كل الأمم، ويجب أن يكونوا دولة حضارية ولو هدموا صرح الحضارة فى كثير من بلاد العالم.

نسأل رواد الصهيونية ومفكريها، ونسأل أحبار اليهودية وربانيها أن يثبتوا على قرار، هل اليهود أمة ؟ أم أنهم لا يملكون مقومات الأمة ؟. إن الحقيقة التاريخية تقول إنهم لا يملكون من مقومات الأمة أو القومية الواحدة إلا عنصر الدين والفكر المتزمت، ويختلفون فى باقى المقومات، كاللغة الواحدة والأرض الواحدة والتاريخ الواحد، والعادات والتقاليد وغير ذلك..

أين الحضارة اليهودية؟

ونسألهم: أين الحضارة اليهودية عبر التاريخ؟ فإن لم يستطيعوا الإجابة فالتاريخ يجيب وهو الحافظ الأمين: بأنه ليس لليهود حضارة خاصة بهم، ولم يتركوا بصماتهم على جدار التاريخ. وهى وإن وجدت فهى حضارة شعوب أخرى سرقها (الشعب المختار) وشوه معالمها، ولم تكن يوماً من الأيام حضارة تحمل اسمهم، فلا يوجد فن يهودى؟ أو هندسة عمرانية يهودية ؟ أو فلكلور خاص بهم ؟ أو عادات أو تقاليد خاصة بهم؟ اللهم إلا ما سرقوه من الآخرين.. وهم تمازج حضارى ساهمت بوجوده حضارات عالمية رفيعة، وكان دورهم : السرقة أو النقل أو التقليد، وليس لهم المقدرة على الخلق والإبداع، وبما كان أفضل مظهر حضارى فى تاريخهم هو بناء المعبد فى عهد داوود وسليمان عليهما السلام، الذى أقيم على الطراز الآشورى، فقد قام على أكتاف الأمم من غير اليهود، من تخطيط وتنفيذ لأن همهم التخريب وليس العمران.. يقول هتلر: (إن ذكاء اليهود متجه دوماً نحو الهدم والتخريب، فهو وإن فعل خيراً أحياناً فعن غير قصد، لأنه يعتقد فيه الشر فيفعله، إن العالم لم يعرف شيئاً يدعى (حضارة يهودية) (هتلر: كتاب كفاحى). فمن أين تأتيهم الحضارة وهم بدو رحل؟ بل هم أقل من ذلك إذ يخالفنا هتلر بقوله: (إن اليهود ليسوا

رحلا، لأن الرحل يتميزون بالمثالية، وهم لم يكونوا رحلا قط، بل كانوا ، وما يزالون طفيليات تنافس الشعوب على مقومات وجودها، ولئن تركوا المناطق التى سكنوها، فإنما تركوها مرغمين ملعونين من الشعوب التى طردهم بعد أن ضاقت بهم وبخروجهم عن آداب الضيافة).

وفى مقدمة كتاب (اليهود فى تاريخ الحضارة الأولى) للدكتور جوستاف لوبون، يقول مترجمه الكاتب عادل زعيتر: (انتهى لوبون إلى أنه لم يكن للقوم (اليهود) فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أى شيء تقوم به حضارة، وهم لم يأتوا بأية مساعدة مهما صغرت فى شيد الحضارة البشرية، وإنهم لم يجاوزوا قط مرحلة الأمم شبه المتوحشة، التى ليس لها تاريخ).

حقاً.. إنهم أشبه ما يكون بالشعوب المتوحشة التى لا تقيم وزنا للإنسانية ومفاهيمها، ولا للحضارة ودعائمها، لأن تفكيرهم المادى يطغى على تفكيرهم الروحى، وهم بذلك يفقدون كل شروط لقيام الحضارة، وكل أسس لتكوين شعب أو أمة، حتى أنهم لم يتمكنوا من الاندماج مع الشعوب الأخرى، بل عاشوا ضمن أحياء خاصة داخل مدن معينة هى أحياء الجيتو كما ذكرنا، والحقد يملأ نفوسهم على أهل البلاد التى تحتويهم، وعلى الشعوب التى تأويهم. فهم غرباء أينما حلوا، ووجودهم شاذ أينما وجدوا، ولهذا قال هرتزل: (إن اليهود شعب فريد، لا يمكنه الاندماج مع غيره).

إن معظم الذين يدعون اليهودية اليوم كدين لهم، جاؤوا من منطقة بحر الخزر، ويسمون أنفسهم بالأشكنازيين، ولغتهم (اليديتش) وهى مزيج من الألمانية واللهجات المحلية، ولا علاقة لها باللغة العبرية الكنعانية الأصل، ولا صلة بينهم وبين القبائل العبرية الغازية التى عاشت على أرض فلسطين فترة وجيزة من عمر التاريخ، ولا رابطة بين يهود الغرب ويهود الشرق إلا أنهم يهود، تجمعهم رابطة الدين والعنصرية، فكل يهودى صهيونى – حسب قولهم– وهم فى الحقيقة صهاينة وليسوا يهوداً.. يقول هتلر المعروف بعنصريته: (ليس لليهودى حضارة خاصة، ولا أخلاق، فالشرط الذى يجعل من الشعب شعباً ذا حضارة

ليس موجوداً فى (الشعب المختار)، فليس لليهود مثالية، ذلك أن روح التضحية عند اليهود لا تتعدى نطاق (الأنا)، أما التضامن الذى تجده بينهم والذى يبدو قوياً، ليس أكثر من تجمع زمنى، أشبه بتجميع قطيع من الغنم، يواجه خطراً مشتركاً، أو أشبه بتجميع قطيع من الذئاب لمهاجمة الفريسة، فما أن تنتهى الوليمة حتى يتفرق المدعوون، واليهودى لا يعرف التضامن إلا فى حالة الخطر، والتضامن هذا يصبح واجباً فى حالتين: تجاه العدو المشترك، أو تجاه فريسة مشتركة، فإذا زالت مسببات التضامن يرجع اليهود إلى أنانيتهم، ويصبح همهم الوحيد الكيد والمؤامرات، ونهش بعضهم بعضاً).

وجاء كذلك: (إذا تمكن الشعب المختار يوماً أن ينشىء دولته اليهودية فستكون دون حدود، لأن تحديد الدولة يفترض وجود مثالية لدى العرق الذى ينشئها، كما يفترض أن يكون مفهومه للعدل مبنياً على تقديرات صحيحة، وإذا فُقد هذان الشرطان تخفق المحاولات لإيجاد دولة ذات حدود). فاليهود بحكم طبيعتهم ليسوا شعباً مثالياً، ولا هم يقدرون العدل بوضع سليم، لأنهم عنصريون). وها هى (دولتهم) كبيت العنكبوت.

جاء فى الحديث الشريف: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتل المسلمون اليهود فيختبىء اليهودى وراء الشجر أو الحجر، فيقول يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودى خلفى تعال فاقتله، إلا شجر الغرقد) (أخرجه مسلم).

وفى حديث موسى عليه السلام يقول: (أنا أعرف تمردكم ، وقلوبكم الصلبة، إنكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم، ويصيبكم الشر فى آخر الأيام) (التثنية:٢٩). (راجع كتاب عالم الأديان، أ. فوزى محمد حميد).

عقدة الشعب المختار

إن العنصرية التى تنبعث من نفوس الصهاينة جعلتهم ينظرون إلى باقى الشعوب على

أنهم (جوييم)، وأنهم لا شيء فى الوجود، وهم وحدهم الجيل الأفضل والعنصر الأمجد، وهم الشعب الذى اختاره الله وفضله على العالمين، لذلك فهم يرتبون تسلسل العرق والنسب، ويختارون من النسل ما يريدون، وفق ما يبتغون، منذ آدم عليه السلام حتى أبناء يعقوب، فهم يعتقدون أن آدم الأول، الذى خلقه الرب بنفسه كان كاملاً فى غاية الكمال.. وقد ولد لآدم أبناء كثيرون كان أحسنهم (شيث)، وقد وقع عليه الخيار كى يستمر عنصر آدم الأول ويتكون منه شعب إسرائيل – حسب قولهم – وكان لـ(شيث) أبناء كثيرون كان أحسنهم (أنوش) الذى اختاره الرب لاستمرار نقاء العنصر.. وهكذا حتى نوح، وكان لنوح ثلاثة أبناء كان أحسنهم (سام)، وكان أحسن أبناء سام (أرفخشاد) وأحسن أبنائه(شيلح) وهكذا حتى إبراهيم، فكان لإبراهيم ابنان: هما إسماعيل وإسحق، فوقع الخيار على إسحق، وكان أبناؤه عيسو ويعقوب، وكان يعقوب هو الأفضل، وهو الذى اختير لمواصلة نقاء العنصر، وكان أبناء يعقوب وهم الأسباط وكلهم أخيار، ولا داعى لاختيار واحد منهم، فعنصر إسرائيل هو أنقى العناصر وأفخرها – على حد زعمهم –لأنه تكون عن طريق انتقاء الأفضل فى كل جيل. ويقولون: إن تربية شعب إسرائيل كانت أشرف تربية لأنها قامت على أيدى الأنبياء..

ومن المسلم به أن شعباً يتولى تهذيبه أمثال هؤلاء الأفاضل لهو خير من باقى الشعوب على وجه الأرض. من هنا تولدت عندهم عقدة التفوق فى العرق، والنزاهة فى الحسب والنسب، والارتباط بهذه الذرية الطيبة.

ولكن الحقيقة أن كثرة أنبياء اليهود دليل على ضلالتهم، وارتدادهم عن عبادة الله وعن الدين الحنيف بين الحين والآخر، وكلما كان يأتيهم نبى برسالة فإنما يكذبونه أو يقتلونه. يقولون: إن الفرق بين اليهودى وغيره كبير جداً، ولا وجه للمقارنة بينهما، فهما من مستويين مختلفين كلياً، ففى حين يجلس اليهودى فى المرتبة العليا، وينحدر من الصنف الأسمى، تكون بقية الأمم فى الدرك الأسفل، وتنحدر من الصنف الأدنى، حتى أن جسد اليهودى يختلف عن أجساد باقى البشر، وأرواحهم كذلك متميزة.

ورد فى كتاب (الجمارة) المقدس أن جسد اليهودى يختلف كليا عـــن أجســـاد بقيـــة الشعوب، وكذلك عن الأرواح، فأصل أرواح شعوب العالم هـــو من طبقـــات النجاســـة الثلاث، بينما أصل بنى إسرائيل هو من الروح المقدس بالذات.

يقول برنار لازار فى كتابه (اللا سامية) الصادر عام ١٨٩٤م: (لقد انعزل اليهود وراء جدران أحاط بها التوراة، حتى أصبح اليهودى ينعت نفسه بوصف خطير، فهو يزهو بامتياز توراته، الأمر الذى أدى أن يعد اليهودى نفسه نسيج واحد، وأن شعبه فـــوق الشـــعوب جميعاً).

هذه هى معتقداهم بأن (شعب إسرائيل هو صفوة الشعوب كلها، ويرجع ذلك إلى تمييز عنصره، وتفوق تربيته، وجودة مناخ البلاد التى نما فيها وتطور).

كذبـهم فـى أقوالـهم:

فإذا كان كذلك فمعظمهم جاء من أرض الشتات، وفيها ولدوا، وفيها نموا وتطـــوروا جيلاً بعد جيل لمدة قرون خلت، فما هى البلاد التى تميزت بهذه السمات؟.

القسم الأعظم منهم لم يولد على أرض (الميعاد)، ولم تربطهم بها رابطة وليس لهم بها أية علاقة.

إن الديانة اليهودية تزعم أن اليهود انحدروا من سلاسة واحدة هى سلسلة بنى إسرائيل، فلو صح هذا الزعم لتشابه اليهود فى جميع أنحاء العالم، لأن كل الفروع يجـــب أن تشـــبه الأصول تشابها وراثيا، خاصة وأهم منعزلون فى بيئة مغلقة، لكن الحقيقة غير ذلك: فمنهم اليهودى الأشقر ذو الشعر الأصفر، ومنهم اليهودى الأسمر ذو الشعر الأجعد، مثل يهـــود الفلاشا القادمين من أثيوبيا، ومنهم الزنوج فى جنوب الهند، ومنهم الصفر فى بلاد الصين.

وأما مصادر قدومهم فمتعددة بعدد بلدان الدنيا، ومعظمهم من مخلفات بحـر الخـزر اليهودية المنهارة. فأين وحدة دم؟. وأين وحدة العرق النقى؟.

إن معظمهم لا يعرفون آباءهم، لأن نقاء الدم والعرق يعـود إلى أمهـاقم ولـيس إلى الآباء.. إن اليهود فى أوروبا من أصل أوروبى اعتنقوا الدين اليهودى على أيدى المبشـرين اليهود، فاليهود الألمان ينتمون إلى الأصل الجرمانى، وكذلك اليهودى الفرنسى والإنجليزى والروسى والخرزى وهكذا..

فاليهود ليسوا من سلالة واحدة. بل هم ينحدرون من سلالات متعددة، وقد تفرقـوا شيعاً فى الأرض.

خلاصة التعريف باليهودية

١- اليهود صاغوا تاريخهم وشرعيتهم بأيديهم من خلال توراقم وتلمودهم فى إطار من المقدسات والغيبيات، وجعلوه كله وحياً من السماء نافذاً بإرادة الله.

٢- اليهود لايملكون من مقومات القومية كالعرق أو الدم أو اللغة أو التاريخ إلا وحدة الدين، وعلى هذا المبدأ وضعوا كل تشريعاقم وتنظيماقم، لذلك قل معتنقوها علـى مـر الزمان.

٣- اليهود يعتبرون كل بنى آدم ليسوا إلا خدماً لليهود شعب الله المختار، وبالتالى فهم لا يستحقون شرف الانتساب إلى اليهودية.

٤- اليهود تأثروا بالوثنية حيث يعتقدون بمبدأ تناسخ الأرواح والتقمص، كما يعتقـد الهندوس. وذكر الجنة والنار فى التلمود أقرب إلى الخرافة والأساطير.

٥- اليهود ينتقلون من دين لآخر، حسبما تقتضيه مصالحهم وأهدافهم.

٦- اليهود أساءوا الظن بالأنبياء، فعذبوا فريقاً منهم، وفريقاً كانوا يقتلون.

٧- النصوص الدينية اليهودية وثيقة سياسية ظاهرها دينى.

٨- أسفار التوراة الخمسة تتعرض إلى نقد واسع من حيث تـاريخ تأليفهـا وتحديـد

مصادرها وقيمتها التاريخية.. فأين التوراة السماوية ؟!!.

٩- أفكار التلمود تنم عن حقد اليهود وكرههم للعنصر البشرى، وتفوح منها روائح التمييز العنصرى.

١٠- اليهود يسبون السيد المسيح وأمه مريم.. ولا ندرى كيف يكون هناك اندماج بين بعض النصارى واليهود بعد ذلك؟!.

١١- اليهود صنعوا إلهاً فى خيالهم يتصف بالغضب والشر وسفك الدماء!!.

١٢- اليهود يخصون الأرض المقدسة التى وعد الرب بها إبراهيم بنسل إسحاق وحده، مع أنه يجوز أن تكون لنسل إسماعيل الابن الأكبر لإبراهيم.

١٣- اليهودى اليوم من كانت أمه يهودية، ومعظم أنبيائهم لم تكن أمهاتهم ولا زوجاتهم يهوديات.. فمن هو اليهودى الأصل ؟!.

١٤- أفعال اليهود، وكتبهم تثبت أنهم اليوم لا يمتون إلى شريعة موسى المنزلة بصلة، وأنهم صهاينة عنصريون وليسوا أصحاب دين سماوى.

١٥- الصهاينة قسموا أنفسهم إلى طبقات بعضها فوق بعض، وهى أشبه ما تكون بالمجتمع الهندوسى بالهند.

١٦- إن الصهيونية المتجسدة اليوم فى دولة إسرائيل، ليست وليدة وعد بلفور، وإنما يعدونها وليدة الوعد الإبراهيمى الأول فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد.

١٧- اليهود يطمحون فى إنشاء إسرائيل الكبرى، التى تمتد حدودها إلى منابع النفط فى دولة الكويت والمراكز الدينية فى الجزيرة العربية، أى:مكة والمدينة، وإلى النيل غرباً والبحر المتوسط حتى نهر الفرات شمالاً!!.

١٨- كل شعوب العالم اضطهدت اليهود لفجورهم وجشعهم وسوء أخلاقهم.

١٩- اليهود يسرقون وينقلون ويقلدون الحضارات، وليس لهم المقدرة على الخلق والإبداع.. وكل ما لديهم من علوم وفنون قام على أكتاف الأمم من غير اليهود.

٢٠- اليهود لا يعرفون التضامن إلا تجاه العدو المشترك أو تجاه فريسة مشتركة، فإذا زالت مسببات التضامن يرجع اليهود إلى أنانيتهم، ويصبح همهم الوحيد الكيد والمؤامرات، ونهش بعضهم بعضاً.

٢١- كثرة أنبياء اليهود دليل على ضلالتهم، وارتدادهم عن عبادة الله وعن الدين الحنيف بين الحين والآخر!.

٢٢- اليهود يرتبون تسلسل العرق والنسب، ويختارون من النسل ما يريدون وفق ما يبتغون حتى يثبتوا أنهم الجيل الأفضل والعنصر الأمجد، والشعب الذى اختاره الله وفضله على العالمين.

٢٣- الواقع يكذب اليهود فى أنهم النسل الطاهر والسلالة الجيدة فى بنى آدم، لأنهم ليسوا من سلالة واحدة، بل هم ينحدرون من سلالات متعددة فمنهم الأشقر والأسمر والزنجى والأصفر.

فأين هى وحدة النسل إذاً!!.

الباب الثانى

التعريف بالنصرانية

النصرانية شريعة سماوية منزلة، ظهرت بعد اليهودية على يد نبيها ومبلغ رسالتها المسيح عيسى ابن مريم، جاءت لتكمل اليهودية إلا أنه دخل عليها مع الزمن تطور فى المعتقدات والأفكار، وفى العبادات والطقوس. وهى عند نشأتها ديانة توحيدية.. فهى لم تعترف بالوثنية الرومانية، ورفض أتباعها عبادة الإمبراطور والسجود العلنى أمام تمثاله أو تقديم القرابين، لذلك لاقوا اضطهادا مريرا على أيدى الرومان.. ورسالتها تقوم على أساس المحبة والإخاء، وتدعو إلى المساواة.

إن معظم ما جاءت به النصرانية هى عظات ونصائح وحكم وأمثال لترشد الضالين من اليهود إلى الإخلاص فى عبادتهم لله وحده كما ورثوها عن موسى عليه السلام..

وأتباعهم يؤمنون بأن المسيح آت لينقذهم مما هم عليه من الشر والظلم، وأن يحمل العدل والمحبة ويسود السلام العالم كله.. ولكن عيسى عليه السلام جاء رسولا نبيا، بدعوة خاصة لبنى إسرائيل، دعا الناس إلى الفضائل ونهاهم عن الرذائل ولم يتعرض للتوراة بالتغيير والتبديل.

ولكن بولس فى رسائله هو الذى أعطى لعيسى عليه السلام صفة العالمية، وأنه جاء ليخلص الإنسان أينما كان، وليس لإنقاذ اليهود وحدهم، مخالفا النصوص الواضحة فى الإنجيل، ففى رسالته إلى أهل غلاطية الإصحاح(٣) يقول: (لأنكم جميعا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع، لأنكم كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح، وقد لبستم، المسيح ليس يهودى ولا رومانى، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر ولا أنثى، لأنكم جميعا واحدا فى المسيح يسوع).

الفصل الأول

دعوة المسيح دعوة خاصة

يجهل كثير من الناس السبب الذى نشر النصرانية فى بلاد أفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا، وجهل تلك الحقائق مضر بالمجتمع الإنسانى. لأن أتباع السيد المسيح ﵇ فى هذه البلاد سوف يجدون مفاجأة كبرى تبين أنهم خالفوا الحق المبين.. لأن سيدنا عيسى ﵇ ما جاء إلا ليبين لبنى إسرائيل ما خفى عليهم، ويخفف عنهم ما شددوا به على أنفسهم، ويردهم إلى أصول التوراة، لأنه ﵇ لم يبعث بشرع جديد، ولم يرسل بأحكام غير أحكام سيدنا موسى ﵇ إلا ما كان لابد منه من بعض الأخلاق الفاضلة التى لم تبين فى التوراة، لاحتياج أهل زمانه إليها.. مما هو موضح فى أخبار حوارييه، أنه ليس هناك دين مخصوص اسمه النصرانية.

ولما كان قبول ما جاء به مما لم يكن فى التوراة أمراً عظيما على نفوس أهل هذا الدين، جعل الله تعالى الحمل به وولادته من الحوادث العجيبة، والآيات الغريبة، التى تنبه الأفكار إلى هذا المولود، وتلفت الأنظار إلى أعماله ليكون نابه الذكر من صغره، معتنى بشأنه من طفوليته، وأكرمه الله تعالى بما يلفت إليه الخلق وخصوصا بما كان يتنافس فيه أهل زمانه من الطب والسحر، وكان ﵇ يبرئ الأكمة والأبرص بإذن الله، ويحيى الموت بإذن الله، الأمور التى أعجزت أئمة الطب فى عصره، كما فعل سيدنا موسى ﵇ حين ألقى العصا فصارت تلقف ما صنع السحرة.

وكان السيد المسيح ﵇ مخشوشنا فى مأكله وملبسه، ليتحقق الناس بأنه عبد مسكين، وأن تلك الآيات التى تظهر على يده هى من الله الذى خلقه آية من آيات قدرته، وكان ﵇ يرضى بالقليل من الطعام وينام على التراب ويبول ويتغوط خارج الأماكن، ليشهد الناس أنه إنسان مثلهم، ولكن الأحبار لما رأوه كثر محبوه من العامة، وتحققوا أنه يدعو إلى

الحق الصريح، الذى إذا ظهر محق رياستهم وأزال سيادهم وسلب منهم السلطة الدينية، قام سادات اليهود عليه قيام من يريد أن يفقد حياته ليتلذذ بالحياة بعده، لأنهم تحققوا أن بقاءه إذلال لهم وبلاء عليهم، ولكن الله سبحانه وتعالى يكلأ رسله ويحفظهم.

وسوف نجد من داخل الأناجيل الأربعة ما يثبت أن دعوة سيدنا عيسى عليه السلام كانت دعوة خاصة جدا ومحصورة فى بنى إسرائيل، حتى أن الحاكم الرومانى على بلاد اليهود لم يكن يعرفه ولا العرب الكنعانيون كذلك كانوا يعرفونه.. وبالتالى فإن أتباعه خدعوا أوروبا وأمريكا بفكرة أنه مخلصهم.. مع أنه لم يخلص إلا أتباعه فى عصره من اليهود.. وقبل ظهور دين الإسلام.

البشارات
التى تثبت خصوصية دعوة السيد المسيح

١- إنجيل متى:

(ولما سمع الملك هيرودوس بمولد يسوع، اضطرب واضطربت معه أورشليم كلها* فجمع إليه رؤساء كهنة اليهود وكتبتهم جميعا، واستفسر منهم أين يولد المسيح* فأجابوه: فى بيت لحم باليهودية، فقد جاء فى الكتاب المقدس على لسان النبى:*وأنت يا بيت لحم بأرض يهوذا لست صغيرة الشأن أبدا بين حكام يهوذا، لأنه منك يطلع الحاكم الذى يرعى شعبى إسرائيل) (الإصحاح الثانى، الآيات٣-٦).

٢- إنجيل لوقا:

أ- (فقال لها الملاك: لا تخافى يا مريم، فإنك قد نلت نعمة عند الله* وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا، وتسمينه يسوع* إنه يكون عظيما، وابن العلى يدعى، ويمنحه الرب الإله عرش داود أبيه* فيملك على بيت يعقوب إلى الأبد) (الإصحاح الأول، ٣٠-٣٣).

ب- (فباركها سمعان، وقال لمريم أم الطفل: ها إن هذا الطفل قد جعل لسقوط كثيرين فى إسرائيل) (الإصحاح الثانى، ٣٤).

٣- إنجيل يوحنا:

أ- (شهد له يوحنا فهتف قائلا: هذا هو الذى قلت عنه إنه الآتى بعدى متقدم على،

لأنه كان قبل أن أوجد* فمن امتلائه أخذنا جميعا ونلنا نعمة على نعمة* لأن الشريعة أعطيت على يد موسى، أما النعمة والحق فقد تواجدا بيسوع المسيح) (الإصحاح الأول،١٥-١٧).

ب- (ولم أكن أعرفه ولكنى جئت أعمد بالماء كى يُعلَن لإسرائيل) (الإصحاح الأول،٣١).

ومما سبق فى هذه النصوص يتبين الآتى:

أولا: فى إنجيل متى:

ثبت النص أن المسيح يوجد ليرعى شعب إسرائيل.

ثانيا: إنجيل لوقا:

أ- أثبت الملاك للسيدة مريم أن المسيح سيرث عرش داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، وهذه أيضا خصوصية لبنى إسرائيل.

ب- ومن كلام سمعان الرجل البار التقى للسيدة مريم أيضا ما يدل على خصوصية رسالة السيد المسيح فى قوله: (هذا الطفل قد جعل لسقوط كثيرين فى إسرائيل).

ثالثا: إنجيل يوحنا:

أ- نجد شهادة يوحنا المعمدان (يحى بن زكريا) تدل على أنه عليه السلام لم يأت بشريعة جديدة، ودعوته تكملة لدعوة سيدنا موسى وخاصة ببنى إسرائيل حيث قال: (لأن الشريعة أعطيت على يد موسى، أما النعمة والحق فقد تواجدوا بيسوع المسيح).

ب- يبين أنه كان يعمد بالماء ليعلن السيد المسيح لبنى إسرائيل فيعرفونه.

أقوال السيد المسيح فى أنه لم يأت بشريعة جديدة
وإثبات خصوصية دعوته لبنى إسرائيل

١- إنجيل متى:

أ- (لا تظنوا أنى جئت لألغى الشريعة أو الأنبياء. ما جئت لألغى بل لأكمل* فالحق أقول لكم: إلى أن تزول الأرض والسماء، لن يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الشريعة، حتى يتم كل شئ* فأى من خالف واحدة من هذه الوصايا الصغرى، وعلم الناس أن يفعلوا فعله، يدعى الأصغر فى ملكوت السماوات) (الإصحاح الخامس، ١٧-١٩).

ب- (وقال له يسوع: انتبه! لا تخبر أحداً، بل اذهب واعرض نفسك على الكاهن، وقدم القربان الذى أمر به موسى، فيكون ذلك شهادة لهم) (الإصحاح الثامن، ٤).

٢- إنجيل يوحنا:

(لا تظنوا أنى أشكوكم إلى الأب فإن هنالك من يشكوكم وهو موسى الذى علقتم عليه رجاءكم* فلو كنتم صدقتم موسى لكنتم صدقتمونى لأنه هو كتب عنى* وإذا كنتم لا تصدقون ما كتبه موسى فكيف تصدقون كلامي؟) (الإصحاح الخامس،٤٥-٤٧).

ومما سبق فى هذه النصوص يتبين الآتى:

أولا: إنجيل متى:

أ- يثبت السيد المسيح فى إنجيل متى أنه ما جاء ليلغى الشريعة الخاصة بالأنبياء السابقين بل جاء ليكمل ما يحتاجه أهل زمانه من الأخلاق.. ولكنه أشار إلى أن النبى الخاتم سيدنا محمد ﷺ وآله﴾ فى قوله: (الأصغر فى ملكوت السماوات) بأنه هو الذى سوف يلغى هذه الشرائع التى أشار إليها السيد المسيح بأنها (الوصايا الصغرى) ويعلم الناس أن يفعلوا

بفعله ﴿ﷺ وآله﴾،لأن دين النبى الخاتم هو دين الكمال والوصايا الكبرى.

ب- وفى النص الثانى من إنجيل متى بعد أن شفى السيد المسيح الأبرص أمره أن يقدم القربان إلى الكهنة حسب شريعة سيدنا موسى لأنه ما جاء ليهدمها.

ثانيا: إنجيل يوحنا:

يرتبط السيد المسيح فى إنجيل يوحنا بسيدنا موسى ارتباطا أكيدا حيث يبين أن الذى سيشكو بنى إسرائيل إلى الله لعنادهم مع السيد المسيح هو سيدنا موسى.. بل ويجعل الإيمان به وتصديقه مرتبط بإيمانهم وتصديقهم بسيدنا موسى عليه السلام.

نصوص الأناجيل
التى تثبت خصوصية دعوة السيد المسيح

١- إنجيل متى:

أ- (هؤلاء الاثنا عشر رسولا، أرسلهم يسوع وقد أوصاهم قائلا: لا تسلكوا طريقا إلى الأمم، ولا تدخلوا مدينة سامرية* بل اذهبوا بالأحرى إلى الخراف الضالة، إلى بيت إسرائيل) (الإصحاح العاشر، ٥-٦).

ب- وصية يسوع لرسله: (فإذا اضطهدوكم فى مدينة ما، فاهربوا إلى غيرها.. فإنى الحق أقول لكم: لن تفرغوا من مدينة إسرائيل إلى أن يأتى ابن الإنسان) (الإصحاح العاشر، ٢٣).

ج- (ثم غادر يسوع من تلك النواحى، وذهب إلى نواحى صور وصيدا* فإذا امرأة كنعانية من تلك النواحى، قد تقدمت إليه صارخة! ارحمنى يا سيد، يا ابن داود! ابنتى معذبة جدا، يسكنها شيطان* لكنه لم يجبها بكلمة. فجاءه تلاميذه يلحون عليه قائلين: اقض لها حاجتها. فهى تصرخ فى إثرنا* فأجاب: ما أرسلت إلا إلى الخراف الضالة إلى بيت إسرائيل)

(الإصحاح الخامس عشر، الآيات ٢٠-٢٤).

٢- إنجيل لوقا:

أ- (وعاد يسوع إلى منطقة الجليل بقدرة الروح، وذاع صيته فى القرى المجاورة كلها* وكان يعلم فى مجامع اليهود، والجميع يمجدونه) (الإصحاح الرابع، ١٤-١٥).

ب- (ولما طلع النهار، خرج وذهب فى مكان مقفر. فبحثت الجموع عنه حتى وجدوه، وتمسكوا به لئلا يرحل عنهم* ولكنه قال لهم: لابد لى من أن أبشر المدن الأخرى أيضا بملكوت الله لأنى لهذا أرسلت* ومضى يبشر فى مجامع اليهودية) (الإصحاح الرابع، ٤٠-٤٤).

ج- وصايا السيد المسيح لتلاميذه:

(فإن كان الله يكسو العشب ثوبا كهذا، مع أنه يكون اليوم فى الحقل وغدا يطرح فى التنور، فكم أنتم أولى من العشب بأن يكسوكم الله يا قليلى الإيمان؟* فعليكم أنتم ألا تسعوا إلى ما تأكلون وتشربون ولا تكونوا قلقين* فهذه الحاجات كلها تسعى إليها أمم العالم، وأبوكم يعلم أنكم تحتاجون إليها* إنما اسعوا إلى ملكوته، فتزداد لكم هذه كلها) (الإصحاح الثانى عشر، ٢٨-٣١).

٣- إنجيل يوحنا:

أ- (فتساءل اليهود فيما بينهم: إلى أين ينوى أن يذهب فلا نجده؟ أيذهب إلى المدن اليونانية التى تشتت فيها اليهود؟) (الإصحاح السابع، ٣٥).

ب- (وبعد ذلك قال لتلاميذه: لنرجع إلى اليهودية!* فقال التلاميذ: يا معلم أترجع إلى اليهودية، ومنذ وقت قريب أراد اليهود أن يرجموك؟* فأجاب يسوع: أليست ساعات النهار اثنتى عشرة؟ فالذى يمشى فى النهار لا يتعثر لأنه يرى نور هذا العالم* أما الذى يمشى فى الليل فإنه يتعثر، لأن النور ليس فيه) (الإصحاح الحادى عشر، ٧-١٠).

ج- (فعقد رؤساء الكهنة والفريسيون مجلسا، وقالوا: ماذا نفعل؟ هذا الرجل يعمل آيات كثيرة* فإذا تركناه وشأنه يؤمن به الجميع، فيأتى الرومانيون ويدمرون هيكلنا المقدس وأمتنا* فقال واحد منهم وهو قيافا الذى كان رئيسا للكهنة فى تلك السنة: إنكم لا تعرفون شيئا* ألا تفهمون أنه من الأفضل أن يموت رجل واحد فدى الأمة، بدلا من أن تهلك الأمة

كلها* ولم يقل قيافا هذا الكلام من عنده، ولكن إذ كان رئيسا للكهنة فى تلك السنة تنبـأ أن يسوع سيموت فدى الأمة، وليس فدى الأمة فحسب بل أيضا ليجمع أبناء الله المشتتين فيجعلهم واحداً) (الإصحاح الحادى عشر، ٤٧-٥٢).

د- من وصايا السيد المسيح لتلاميذه: (إن أبغضكم العالم، فاعلموا أنه قد أبغضنى مـن قبلكم* لو كنتم من أهل العالم، لكان العالم يحب أهله، ولكن لأنكم لستم من أهل العالم، بل إنى اخترتكم من وسط العالم، لذلك يبغضكم العالم) (الإصحاح الخامس عشر، ١٨-١٩).

هـ- وفى صلاة السيد المسيح يقول: (أما الآن فإنى عائد إليك، وأتكلم بهذا وأنا بعد فى العالم، ليكون لهم فرحى كاملا فيهم* أبلغتهم كلمتك فأبغضهم العالم لأنهم ليسوا من العالم، وأنا لا أطلب أن تأخذهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشرير* فهم ليسوا من العالم كما أنى لست من العالم* قدسهم بالحق، إن كلمتك هى الحق* وكما أرسلتنى أنت إلى العالم، أرسلتهم أنا أيضا إليه* ومن أجلهم أنا أقدس ذاتى، ليتقدسوا هم أيضا فى الحق) (الإصحاح السابع عشر،١٣-١٩).

ومما سبق فى هذه النصوص يتبين الآتى:

أولاً: إنجيل متى:

أ- لما أرسل السيد المسيح رسله أوصاهم بوصايا تدل دلالة واضحة لا شك فيها على أن رسالته خاصة جداً ومقصورة على بنى إسرائيل، فقال لهم: [لا تسلكوا طريقاً إلى الأمم] (يعنى غير اليهود). ولكن أمرهم بالذهاب إلى بنى إسرائيل وسماهم بالخراف الضالة فقال: [بل اذهبوا بالأحرى إلى الخراف الضالة، إلى بيت إسرائيل].

ب- أوصاهم أيضاً: إن اضطهدوا فى مدينة ما من مدن اليهود أن يهربوا إلى غيرها.. ثم بين لهم أنهم لن يفرغوا من مدن إسرائيل إلى أن يأتى ابن الإنسان وهو النبى الخاتم سيدنا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾،لأنهم فى الأناجيل يقولون على سيدنا عيسى عليه السلام: إنه ابن الله.

ج- وفى قصة المرأة العربية الكنعانية وهى تتوسل إليه أن يشفى ابنتها وهو يرفض ويؤكد أنه ما جاء إلا للخراف الضالة من بنى إسرائيل، وليس له شأن بالعرب ولا غيرهم،

لأنه لم يكن مرسلاً إليهم فقال: [ما أرسلت إلا إلى الخراف الضالة، إلى بيت إسرائيل]. ف هذه القصة دلالة واضحة لا تحتاج إلى تأويل على خصوصية دعوته ببنى إسرائيل.

ثانياً: إنجيل لوقا:

أ- كان السيد المسيح لا يعلم إلا فى مجامع اليهود، ولم يثبت أنه علَّم أية أمـــة ســـوى اليهود وذلك لخصوصية دعوته.

ب- كان السيد المسيح يتنقل بين المدن يبشر بملكوت الله، وكل هذه المدن كانـــت للمجامع اليهودية كما جاء فى إنجيل لوقا: [ومضى يبشر فى المجامع اليهودية].

ج- وفى وصايا السيد المسيح لتلاميذه ما يدل على حرصه على نجاقم وحدهم ولا يعنيه باقى العالم الضال، لأنه لم يكن مرسلاً إلى الجميع وإنما كانت رســالته خاصـــة بـــبنى إسرائيل.

ثالثاً: إنجيل يوحنا:

أ- عندما قال السيد المسيح لليهود: إنه سيتركهم كان يقينهم أنه لن يذهب إلى غيرهم لأنه مرسل إليهم، وحتى إن تركهم فسوف يذهب إلى باقى اليهود فى المدن اليونانية الـــتى تشتت فيها اليهود.

ب- لما طلب السيد المسيح من تلاميذه أن يرجعوا جميعاً إلى اليهودية، واعترض تلاميذه خوفاً عليه من اليهود أشار إليهم سيدنا عيسى مبيناً خصوصية دعوته بأن اليهود فيهم نور شريعة سيدنا موسى، أما باقى العالم فليس فيه ذلك النور بل فيه ظلمة الجهل والكفر، وهو مأمور بأن يكون مع بنى إسرائيل.

ج- لما عقد رؤساء الكهنة والفريسيون مجلسهم وقرروا فيه أن يموت رجل فداء الأمـــة اليهودية اختاروا السيد المسيح لأنه منهم ودعوته خاصة بهم، وبسبب موته (كما يقولون) سيجمع الله أبناء الله (اليهود كما يسمون أنفسهم) المشتتين فيجعلهم واحداً.

د،هـــ- من وصايا السيد المسيح لتلاميذه وصلاته يتبين لنا صفة الخصوصية لدعوتـــه التى جاء بها وأنها خاصة ببنى إسرائيل.. أما كلمة العالم التى تتكرر فى أقواله فالمقصود بالعالم هم اليهود وليس الجنس البشرى كله للنصوص السابقة وللنصوص التالية من إنجيل يوحنا:

١- أمر السيد المسيح إخوته بالخروج إلى العالم (اليهود) لحضور حفل العيد فقال: [بعد

ذلك بدأ يسوع يتنقل فى منطقة الجليل متجنباً التجول فى منطقة اليهودية لأن اليهود كانوا يسعون إلى قتله * وعندما اقترب عيد المظال اليهودى * قال له إخوته: اترك هذه المنطقة واذهب إلى اليهودية ليرى أتباعك ما تعمله من أعمال * فلا أحد يعمل فى الخفاء إذا كان يبتغى الشهرة وما دمت تعمل هذه الأعمال فأظهر نفسك للعالم * فإن إخوته لم يكونوا مؤمنين به * فأجابهم يسوع: ما حان وقتى بعد، أما وقتكم فهو مناسب كل حين * لا يقدر العالم أن يبغضكم، ولكن يبغضنى أنا، لأنى أشهد عليه أن أعماله شريرة * اصعدوا أنتم إلى العيد، أما أنا فلن أصعد الآن إلى هذا العيد لأن وقتى ما جاء بعد * قال لهم هذا وبقى فى الجليل] (الإصحاح السابع، ١-٩).

٢- لما خرجت جموع الناس خلف السيد المسيح وهو قادم إلى أورشليم أطلقت كلمة العالم على هذه الجموع من اليهود: [وفى اليوم التالى، عرف الجمهور الكبير الذى جاء إلى العيد أن يسوع قادم إلى أورشليم * فحملوا سعف النخل وخرجوا لاستقباله هاتفين: أوصنا! تبارك الآتى باسم الرب! إنه ملك إسرائيل * ووجد يسوع جحشاً فركب عليه كما قد كتب: * لا تخافى يا بنت صهيون فإن ملكك قادم إليك راكباً على جحش أتان * ولم يدرك التلاميذ أول الأمر أن هذا إتمام للنبوءة. ولكن بعد ما تمجد يسوع تذكروا أن الكتاب قال هذا عنه، وأنهم فعلوا هذا من أجله * والجمع الذين كانوا معه حين دعا لعازر من القبر وأقامه من بين الأموات، كانوا يشهدون له بذلك * ولذلك خرجت الجموع لاستقباله، لأنهم سمعوا أنه أجرى تلك الآية * فقال الفريسيون بعضهم لبعض: أرأيتم كيف أنكم لم تستفيدوا شيئاً؟ ها قد انطلق العالم كله وراءه] والمقصود بالعالم كله جموع اليهود من خلفه (الإصحاح الثانى عشر، ١٢-١٩).

٣- وفى كلام السيد المسيح مع الكهنة يثبت أن المقصود بكلمة العالم هم اليهود وحدهم، فيقول إنجيل يوحنا:

[وسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه * فأجابه يسوع: علنا تكلمت إلى العالم، ودائماً علَّمت فى المجمع والهيكل حيث يجتمع اليهود كلهم، ولم أقل شيئاً فى السر * فلماذا تسألنى أنا؟ اسأل الذين سمعوا ما تكلمت به إليهم فهم يعرفون ما قلته * فلما سمع يسوع هذا لطمه أحد الحراس وقال له: أهكذا تجيب رئيس الكهنة] (الإصحاح الثامن

عشر، ١٩-٢٢).

رابعاً: مما سبق يتبين لنا مدى خصوصية دعوة السيد المسيح وأنه ما جاء إلا لفئة قليلة جداً من البشر وهم اليهود، ولكن المفاجأة الكبرى تكمن فى عدم معرفة بيلاطس حاكم الرومان على اليهود بالسيد المسيح وكذلك جنوده، ويظهر ذلك جلياً فى أسئلته للسيد المسيح وكذلك معاملة الجنود السيئة له كما تقول الأناجيل الأربعة.

عدم معرفة بيلاطس حاكم الرومان على اليهود
وجنوده
بالسيد المسيح

إنجيل متى:

أ- [ووقف يسوع أمام الحاكم. فسأله الحاكم: أأنت ملك اليهود؟ أجابه: أنت قلت] (الإصحاح السابع والعشرون، ١١).

ب- وفى استهزاء الجنود من يسوع ما يدل أيضاً على أنه لم يكن معروفاً لديهم: [وركعوا أمامه يسخرون منه وهم يقولون: سلام يا ملك اليهود] (الإصحاح السابع والعشرون، ٢٩).

ج- وبعد الصلب - كما يقول إنجيل متى ويختلف المسلمون معهم فى هذه المسألة - علقوا عليه لافتة تدل على أنه مقرون باليهود: [وقد علقوا فوق رأسه لافتة تحمل تهمة مكتوباً عليها: هذا هو يسوع، ملك اليهود] (الإصحاح السابع والعشرون،٣٧).

إنجيل مرقس:

أ- [فسأله بيلاطس: أأنت ملك اليهود؟ فأجابه: أنت قلت].

ب- [فكلمهم بيلاطس (اليهود): هل تريدون أن أطلق لكم ملك اليهود؟].

ج- [فعاد بيلاطس يسألهم (اليهود): فماذا تريدون أن أفعل بمن تدعونه ملك اليهود؟].

د- استهزاء الجنود بيسوع: [وبدأوا يحيونه قائلين: سلام يا ملك اليهود * ويضربون رأسه بقصبة، ويبصقون عليه، ويسجدون له جاثين على ركبهم].

هـ- [وكان عنوان تهمته مكتوباً: ملك اليهود].

و- [كذلك كان رؤساء الكهنة أيضاً يسخرون منه مع الكتبة قائلين بعضهم لبعض: خلص غيره، وأما نفسه فلا يقدر أن يخلص * لينزل الآن المسيح ملك إسرائيل من على الصليب لنرى ونؤمن! وعيَّره أيضاً اللصان المصلوبان معه].

الإصحاح الخامس عشر، الآيات ١٨،١٢،٩،٢-٣١،٢٦،١٩-٣٢).

إنجيل لوقا:

أ- [فقامت جماعتهم كلها، وساقوا يسوع إلى بيلاطس * وبدأوا يتهمونه قائلين: تبين لنا أن هذا يضلل أمتنا، ويمنع أن تدفع الجزية للقيصر ويدَّعى أنه المسيح الملك!* فسأله بيلاطس: أأنت ملك اليهود؟ فأجابه أنت قلت * فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع: لا أجد ذنباً في هذا الإنسان!* ولكنهم ألحوا قائلين: إنه يثير الشعب، معلِّماً في اليهودية كلها، ابتداءً من الجليل حتى هنا * فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل، استفسر: هل الرجل من الجليل؟] (الإصحاح الثالث والعشرون، ١-٦).

ب- [وسخر منه الجنود أيضاً فكانوا يتقدمون إليه ويقدمون له خلاً * قائلين: إن كنت أنت ملك اليهود فخلص نفسك * وكان معلقاً فوقه لافتة كتب فيها: هذا هو ملك اليهود] (الإصحاح الثالث والعشرون، ٣٦-٣٨).

إنجيل يوحنا:

أ- [فدخل بيلاطس قصره واستدعى يسوع وسأله: أأنت ملك اليهود؟] (الإصحاح الثامن عشر، ٣٣).

ب- [فسأله بيلاطس: فهل أنت ملك إذن؟ أجابه: أنت قلت إنى ملك. ولهذا ولدت وجئت إلى العالم. لأشهد الحق، وكل من هو من الحق يصغى لصوتى * فقال له بيلاطس: ما هو الحق؟ ثم خرج إلى اليهود وقال: إنى لا أجد فيه ذنباً * وقد جرت العادة عندكم أن أطلق لكم أحد السجناء فى عيد الفصح. فهل تريدون أن أطلق لكم ملك اليهود؟ * فصرخوا جميعاً قائلين: لا تطلق هذا، بل باراباس - وكان باراباس لصاً] (الإصحاح الثامن عشر، ٣٧-٤٠).

ج- معاملة الجنود له: [وأخذوا يقدمون إليه ويقولون: سلام لك يا ملك اليهود ويلطمونه] (الإصحاح التاسع عشر، ٣).

د- [من أجل ذلك سعى بيلاطس أن يطلقه ولكن اليهود صرخوا: إن أطلقت هذا، فلست محباً للقيصر، فإن كل من يجعل نفسه ملكاً يعادى القيصر] (الإصحاح التاسع عشر، ١٢).

هـ- [وكان الوقت نحو السادسة من يوم الإعداد للفصح وقال بيلاطس لليهود: ها هو ملككم * فصرخوا خذه! أصلبه فسألهم بيلاطس: أأصلب ملككم؟ فأجابه رؤساء الكهنة: لا ملك لنا إلا القيصر] (الإصحاح التاسع عشر، ١٤-١٥).

و- [وعلق بيلاطس لافتة على الصليب مكتوباً عليها: يسوع الناصرى ملك اليهود] (الإصحاح التاسع عشر، ١٩).

ز- [فقال رؤساء كهنة اليهود لبيلاطس: لا تكتب ملك اليهود بل إن هذا الإنسان قال: أنا ملك اليهود * فرد بيلاطس: ما كتبت فقد كتبت] (الإصحاح التاسع عشر، ٢١-٢٢).

ومما سبق فى هذه النصوص يتبين الآتى:

أولاً: عدم معرفة بيلاطس الحاكم الرومانى على اليهود بالسيد المسيح لخصوصية دعوته لليهود، ويظهر ذلك من أسئلته المتكررة فى الأناجيل الأربعة: [أأنت ملك اليهود؟، هل الرجل من الجليل؟، أأنت ملك إذن؟].

ثانياً: عدم معرفة الجنود الرومان بالسيد المسيح ويظهر ذلك من سخريتهم منه واستهزائهم به كما تقول الأناجيل الأربعة.

ثالثاً: إصرار اليهود على صلبه مع وجود نية العفو عنه عند بيلاطس (كما تقول الأناجيل) ولا ندرى لماذا برأ البابا فى العصر الحديث اليهود من دم السيد المسيح كما تقول الأناجيل الأربعة؟.

رابعاً: ارتباط السيد المسيح باليهود وخصوصية دعوته حيث لم يطلق عليه أى لقب سوى [ملك اليهود] فى كل هذه النصوص.

خامساً: من كل ما سبق يتبين لنا أن دعوة السيد المسيح عليه السلام دعوة خاصة جداً لبنى إسرائيل وحدهم، فلم ينل منها الرومان شيئاً ولا العرب القاطنين حول بلاد اليهود، وحين أوصى السيد المسيح أتباعه بالدعوة لم يأمرهم بدعوة غير اليهود.. ولذلك كان السيد المسيح عليه السلام يعمَّد (يطهر) اليهود وحدهم فى عصره، ولم يثبت أنه عمَّد أحداً من غير اليهود، فيقول إنجيل يوحنا فى الإصحاح الثالث الآية رقم ٢٢: [وذهب يسوع وتلاميذه بعد ذلك إلى بلاد اليهود وأقام معهم فيها، وأخذ يعمِّد].. وبذلك فإن النصارى خدعوا الغرب وأمريكا وبعض البلدان فى آسيا وأفريقيا وأوهموا الجميع أن رسالتهم عامة لكل الناس، وهذا تكذيب للنصوص السابقة التى ذكرناها فى هذا المختصر.. وإنما الرسالة الوحيدة العامة لجميع الناس والمخلِّصة لكل الجنس البشرى هى الرسالة التى أخبرت أنها عالمية ألا وهى رسالة الإسلام الحنيف التى جاء بها سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾.

الفصل الثانى

العقيدة النصرانية

أخذت العقيدة النصرانية شكلها النهائى بعد السيد المسيح فى القرن الرابع الميلادى، واستقرت على ما هى عليه، وهى تتلخص حسب الروايات المسيحية المتفق عليها كما ورد فى كتاب (سوسنة سليمان) لنوفل بن نعمة الله بن جرجس النصرانى، الذى جاء فيه: (تتلخص العقيدة المسيحية بالإيمان بإله واحد، أب واحد، ضابط الكل خالق السماء والأرض كل ما يرى، وما لا يرى. وبرب واحد، يسوع الابن الوحيد المولود من الأب قبل الدهور من نور الله، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للأب فى الجوهر الذى به كل شئ، والذى من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خطايانا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء تأنس، وصلب عنا على عهد بيلاطس، وتألم وقبر، وقام من الأموات فى اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس على يمين الرب، الحى المنبثق من الأب الذى هو مع الابن يسجد له ويمجد، الناطق بالأنبياء).

لقد سارت النصرانية فى طريقها فى التطور حتى تكونت فكرهًا عن الثالوث المقدس، الذى يعنى: الله الأب، والله الابن، والله الروح القدس.. فإلى الأب ينتمى الخلق بواسطة الابن، وإلى الابن الفداء، وإلى الروح القدس التطهير.. وهم يعتقدون إن الإنسان أخطأ خطيئة كبرى، عندما عصى آدم ربه فى الجنة، فأخرجه الله منها عقوبة له، ثم أراد أن ينقذه فأرسل ابنه منقذا له، يفتدى خطيئته بدمه وما صلبه وسفك دمه إلا فدية لخطيئة الإنسان الأولى، والخطيئة تبقى مع الإنسان، وعليه أن يشارك بدم المسيح لكى ينقذ نفسه، ومن هنا كان ما يسمى بسر القربان المقدس، فإذا أكل الإنسان من القربان اشترك بدم المسيح

وافتدى خطيئته الكبرى.

هذا هو جوهر العقيدة المسيحية، الذى يقوم باختصار على ثلاثة عناصر هى:

١- التثليث، والإيمان بثلاثة أقانيم.

٢- صلب المسيح فداء عن الخليقة، وقيامه من قبره ورفعه.

٣- أنه يدين الأحياء، والأموات، ويحاسبهم على أفعالهم.

أولاً: التثليث عند النصارى

الثالوث المقدس هو جوهر العقيدة النصرانية، وهى أن الله واحد له ثلاثة أقانيم (شخصيات؟) متساوية فى الجوهر: الله الأب، والله الابن، والله الروح القدس، وهذه كلها واحدة، فكلمة الله حلت فى مريم البتول وتجسد منها إنسان ولد هو يسوع، فالأب: هو الذى خلق العالمين بواسطة الابن، والابن: هو الذى أتم الفداء وقام به، والروح القدس: هو الذى يطهر القلب والحياة.

ولكن كيف تكونت هذه الفكرة؟ وما هى أسسها؟!

لقد عرف قانون الإيمان الرسولى هذه العقيدة بالقول التالى: (نؤمن بإله واحد، الأب والابن والروح القدس إله واحد جوهر واحد، متساوين فى القدرة والمجد).

وجاء فى إنجيل يوحنا الإصحاح الخامس العدد ٧: (فإن الذين يشهدون فى السماء ثلاثة: الأب والكلمة، وروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد).

ويعتقد المسيحيون بوجود الله خالق كل شئ، لكنهم بعد أن رأوا معجزات السيد المسيح الكثيرة واعتقدوا أنه صلب، ثم ظهر ثانية- وهذه من خوارق الأمور- تكونت

فكرة راسخة فى نفوسهم عن مكانة المسيح وعن قدرته وقوته، فصاروا يبحثون عن طبيعة تكوينه وخصائصه معتقدين أنه لا مثيل له من حيث ولادته من غير أب وتكونت عندهم آراء مختلفة فى القرن الرابع الميلادى، أهمها ثلاثة أراء هى:

١- رأى الأب بولس الذى قال: إن المسيح شخص سماوى نزل إلى الأرض وأنه روح القدس وصورته.

٢- رأى اليوصفية الذين قالوا: إن المسيح هو كلمة الله، فهو إله لأن الكلمة فيض من الله.

٣- رأى ثالث يقول: إن المسيح ليس رجلا إلا فى ظاهره ومظهره.

وفى هذه الآراء الثلاثة إجماع على أن المسيح أكثر من بشر وأنه متصل بالله. ولنسمع قول الله فيهم: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلو فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خير لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا﴾ (النساء: ١٧١).

إن المسيحية متممة لليهودية. فهى ديانة توحيد، لأنها رسالة من السماء.

ولم يثبت فى التوراة أى شئ عن وجود ابن الله، أو أنه ثالث ثلاثة، لأن فكرة التثليث هذه تتعارض مع فكرة وحدانية الله، وهذا تناقض واضح فى الاعتقاد، وهى مشكلة معقدة ظهرت أمام المسيحيين قبل القرن الرابع، فكان عليهم إما الاعتقاد الكامل بواحدنية الله أو الاعتقاد المتناقض بأن الله ثالث ثلاثة. يقول غنيبر: إن المسيحيين فضلوا الاعتقاد المتناقض على إهمال الثالوث، فقالوا: بإله واحد فى ثلاثة، وهذه النتيجة عارضها اليهود المتنصرون فى عهد المسيحية. هذا الجدل حول الثالوث المقدس، مزق المسيحية إلى فرق متعددة، مع أنه لا يوجد أى دليل على أن رسل السيد المسيح سمعوا منه شيئا عن الثالوث، أو على الأقل سمعوا شيئا عن ذلك من سيدهم نفسه.. وكذلك لا يقول عيسى كلمة واحدة عن عبادة والدته مريم.. (من كتاب ويلز معالم تاريخ الإنسانية).

وتتلخص رسالة السيد المسيح بثلاثة مبادئ.. هى:

١- إن السيد المسيح كان يؤمن بالتوراة الموسوية، وإنه جاء مصدقا لما بين يديه منها، ولم يكن يهدف إلى تأسيس دين جديد، ينقض اليهودية، بل جاء ليصدقه ويتممه.. إلا أنه نبذ كل ما يخالف فكرة الدين التوحيدية الأصلية، وأغفل من كتبهم كل ما هو غير مقبول أو غير معقول، مما يدل على ضيق فكرهم وعدم تعمق فهمهم لأصول دينهم.

٢- إن المسيح كان يقول بأن الله أب للناس جميعا يحبهم كلهم بقدر متساو، وأنه رسوله لبنى إسرائيل، على عكس اليهودية التى اعتقد أتباعها بأنهم شعب الله المختار، وأن الله إلههم وحدهم.

٣- إن المسيح كان يبشر بمجىء ملكوت الله، قاصداً بذلك السلام، والصفاء التام، والمحبة بين الناس، لكن اليهود فهموا من ذلك مجىء ملك وعرش وسلطان ينازعهم، فلم يؤيدوه بدعوته، فحاربوه وعذبوه، وزعموا أنهم قتلوه، كما قتلوا غيره من الأنبياء، ألا ساء ما يفعلون.

تثليث وثنى

لقد أصبح من الحقائق المؤكدة، أن الديانات الوثنية كثيرة التشابه جدا، وأسبابها عديدة، ولما كانت إحدى أمم التاريخ المهمة تنتشر فى الأرض، كانت تنتشر دياناتها وعلومها معها، وبالوقت نفسه يدخل فى دينها أشياء من الأديان الأخرى، ونظرا لما كانت عليه الأمم القديمة من الجهل، كانت تقبل بغير تردد ما تقوله لها كهنتها، وكان إذا قام أحد رجال الدين بدين جديد (وفى الحقيقة ليس بجديد، بل أخذه عن فرقة أخرى من الوثنية)، كان يزيد عليه بعض عقائد أمته ليسهل لهم قبول كل ما كان يقوله.

وقد قال برتشيرد فى كتابه خرافات المصريين الوثنيين ص ٢٨٥: (لا تخلو كافة الأبحاث الدينية المأخوذة عن مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث أو التولد الثلاثى) (أى

الأب والابن وروح القدس).

وقال موريس فى كتاب الآثار الهندية القديمة مجلد ٦ ص ٣٠: (كان عند أكثر الأمم البائدة الوثنية تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثالوثى (أى أن الإله ذو ثلاثة أقانيم).

وجاء فى كتاب (سكان أوروبا الأول) ص ١٩٧: (كان الوثنيون القدماء يعتقدون بأن الإله واحد، ولكنه ذو ثلاثة أقانيم).

التثليث عند الهنود:

وقال العلامة دوان فى كتابه خرافات التوراة وما يماثلها فى الديانات الأخرى ص ٣٦٦: (إذا أرجعنا البصر نحو الهند، نرى أن أعظم وأشهر عبادتهم اللاهوتية هو التثليث (أى القول بأن الإله ذو ثلاثة أقانيم).

ويدعون هذا التعليم بلغتهم (ترى مورتى) وهى جملة مركبة من كلمتين سنسكريتيتين أما (ترى) فمعناها ثلاثة، و(مورتى) معناها هيئات أو قانيم، وهى (براهما وفشنو وسيفا)، ثلاثة أقانيم غير منفكين عن الوحدة، وهى الرب والمخلص وسيفا، ومجموع هذه الثلاثة أقانيم إله واحد، ويرمزون عن هذه الأقانيم الثلاثة بثلاثة أحرف، وهى الألف والواو والميم، ويلفظونها (أوم)، ولا ينطقون بها إلا فى صلاتهم، ويحترمون رمزها فى معابدهم احتراما عظيما، ولما أراد براهما (خالق الوجود الذى لا شكل له، ولا تؤثر فيه الصفات) أن يخلق الخلق، اتخذ صفة الفعل، وصار شخصا ذكرا، وهو براهما الخالق، ثم زاد فى العمل فانقلب إلى الصفة الثانية من الوجود، فكان فشنو الحافظ، ثم انقلب إلى الصفة الثالثة الظلالية فكان سيفا المهلك، ويدعون هذه الصفات الثلاث أيضا ترى مورتى، أى: الأقانيم الثلاثة، ويشبهونها بالنار، ويدعونها أيضا (ألنى وسوريا وأندرا) وغير ذلك من الأسماء

الثلاثية.

وجاء فى كتب البرهميين المقدسة المعتبرة لديهم، أن هذا الثالوث المقدس غير منقسم فى الجوهر والفعل والامتزاج، ويوضحه بقولهم:

– براهما: الممثل لمبادئ التكوين والخلق، ولا يزال خلاقا إلهيا هو الأب.

– وفشنو: يمثل مبادئ الحماية والحفظ، وهو الابن المنفك والمنقلب عن الحال اللاهوتية.

– وسيفا: المبدىء والمهلك والمبيد والمعيد، (وهو روح القدس)، ويدعونه كرشنا الرب المخلص، والروح العظيم، حافظ العالم المنبثق (أى المتولد منه) فشنو الإله الذى ظهر بالناسوت على الأرض، ليخلص الناس، فهو أحد الأقانيم الثلاثة التى هى الإله الواحد.

وجاء فى (الكبيتا) وهو أحد كتبهم المقدسة الدينية أن كرشنا قال: (أنا رب المخلوقات جميعها، أنا سر الألف والواو والميم (أوم)، أنا براهما وفشنو وسيفا التى هى ثلاثة آلهة إله واحد).

فالإقنوم الثالث، وهو فى صفته المظلمة (المهلك)، وفى صفته الحسنة (المعيد) يعبرون عنه بصورة حمامة، ويقصدون بهذه الصورة الرمز عن الإعادة والخلق الجديد، وهو الروح الذى يرف على وجه الماء، ويعبرون عن الأقانيم الثلاثة الأبدية الجوهرية بالألف والواو والميم (أوم) كما ذكرنا، ويقولون عن هذه الأقانيم الثلاثة: الخلاق والحافظ والمهلك. وأنها تتناوب العمل، أى: أن الابن يعمل عمل الأب وروح القدس، وروح القدس يعمل عمل الأب والابن، والأب يعمل عمل الابن وروح القدس.

قال ألن فى كتابه الهند ص ٣٨٢: (يقول البرهميون فى كتبهم الدينية:إن أحد الأتقياء، واسمه أتنيس، رأى أنه من الواجب أن تكون العبادة لإله واحد فتوسل ببراهما وفشنو وسيفا قائلا: يا أيها الأرباب الثلاثة، اعلموا أنى أعترف بوجود إله واحد، فأخبرونى أيكم الإله

الحقيقى، لأقرب له نذرى وصلاتى، فظهرت الآلهة الثلاثة، وقالوا له: اعلم يا أيها العابد أنه لا يوجد فرق حقيقى بيننا، وأما ما تراه من ثلاثة، فما هو إلا بالشبه أو بالشكل، والكائن الواحد الظاهر بالأقانيم الثلاثة هو واحد بالذات).

قال العلامة موريس فى كتابه آثار الهند القديمة مجلد ٤ ص ٣٧٢: (لقد وجدنا بأنقاض هيكل قديم دكه مرور القرون، صنما له ثلاثة رؤوس على جسد واحد، والمقصود منه التعبير عن الثالوث).

قال المستر هلسلى ستيفنس فى كتابه الإيمان والعقل ص ٧٨: (ويعتقد الهنود بإله مثلث الأقانيم، ومتى ودوا التكلم عنه بصفة الخلاق يقولون (الإله براهما) ومتى راموا التكلم عنه بصفة (المهلك) يقولون: (سيفا) أو (مهديفا)، ومتى أرادوا وصفه بصفة (الحافظ) يقولون: (الإله فشنو)، ويقولون: إن هذا الثالوث المقدس حاضر فى كل مكان بالروح والقدرة.

التثليث عند البوذيين:

قال المستر فابر فى كتابه أصل الوثنية: (وكما نجد عند الهنود ثالوثا مؤلفاً من براهما وفشنو وسيفا، هكذا عند البوذيين فإنهم يقولون: إن بوذا إله، ويقولون بأقانيمه الثلاثة، وكذلك بوذى جينست يقولون عن جيفا: إنه مثلث الأقانيم.

قال العلامة دوان ص ٣٧٢: (البوذيون الذين هم أكثر سكان الصين واليابان، يعبدون إلها مثلث الأقانيم، يسمونه (فو)، ومتى ودوا ذكر هذا الثالوث المقدس، يقولون: الثالوث النقى (فو) ويصورنه فى هياكلهم بشكل الأصنام التى وجدت فى الهند، ويقولون أيضا: فو واحد، ولكنه ذو ثلاثة أشكال، ويوجد فى أحد المعابد المختصة ببوتالا فى منشورية تمثال (فو) مثلث الأقانيم.

وقال المستر فابر فى كتابه الصين المجلد ٢، ص ١٠١، ١٠٣: (والصينيون يعبدون بوذا ويسمونه (فو) ويقولون: إنه ذو ثلاثة أقانيم، والألف والواو والميم كما تقول الهنود تماما).

قال العلامة دوان ص ١٧٢: (وأنصار لاوكومتذا –وهو الفيلسوف الصينى المشهور وكان قبل المسيح عليه السلام بأربع سنين وستمائة– يدعون (شيعة تاوو) ويعبدون إلها مثلث الأقانيم، وأساس تعليم فلسفته اللاهوتية أن تاوو، وهو العقل الأبدى انبثق منه واحد، ومن هذا الواحد انبثق ثان، ومن الثانى انبثق ثالث، ومن هذه الثلاثة صدر كل شئ، وهذا القول بالتوليد أدهش العلامة موريس لأن قائله وثنى).

التثليث عند قدماء المصريين:

والمصريون القدماء كانوا يعبدون إلها مثلث الأقانيم، مصورا فى أقدم هياكلهم، ويظن أهل العلم أن الرمز الذى يصورونه، وهو جناح طير ووكر أفعى، إن هو إلا إشارة عن ذلك الثالوث واختلاف صفاته.

قال توما أنمن فى كتابه الوثنيون القدماء ص ١٠١: (وكافة الرموز والإشارات المستعملة عند النصارى، كانت للدلالة على عبادة أشياء يخجل منها، وليس بالإمكان نكران حقائقها)، ثم قال: (أتأمل أنه متى عرف الناس معانيها يتركونها، ولربما يبقى بعض الناس متمسكين بهذه العبادة التى هى عندى قبيحة ووثنية).

وقد ذكر فى كتابه أموراً عديدة ذات بال، سكتنا عن ذكرها، ولم نضع إحدى الصور التى جاءت فيه، فقد ينشأ عنها مس إحساس كثير من الناس.

قال العلامة دوان ص ٤٧٣: (وكان قسيسو هيكل ممفيس بمصر، يعبرون عن الثالوث

المقدس للمبتدئين بتعلم الدين بقولهم: إن الأول خلق الثانى، والثانى مع الأول خلقا الثالث، وبذلك تم الثالوث المقدس).

وسأل توليسو ملك مصر الكاهن تنيشوكى أن يخبره هل كان قبله أحد أعظم منـــه، أو هل يكون بعده من هو أعظم؟ فقال له الكاهن: (نعم، يوجد من هو أعظم وهو أولا الله، ثم الكلمة، ومعها روح القدس، ولهؤلاء الثلاثة طبيعة واحدة، وهم واحد بالـــذات، وعنـــهم صدرت القوة الأبدية، فاذهب يا فانى يا صاحب الحياة القصيرة).

لا ريب أن تسمية الأقنوم الثانى من الثالوث المقدس– كلمة– هو مـــن أصـــل وثـــنى مصرى، دخل فى غيره من الديانات كالديانة النصرانية، وأبولو المدفون بـــدلهى يـــدعى – الكلمة– وفى علم اللاهوت الإسكندرى الذى كان يعلمه بلاتو قبل المسيح بسنين عديـــدة – الكلمة هى الإله الثانى– ويدعى أيضا ابن الله البكر (الآثار الهندية لموريس، ص ١٢٧).

وقال العلامة هيجن فى كتابه الأنجلو سكسنس مجلد ٢ ص ١٦٢: (كان الفرس يدعون متروسا– الكلمة– و– الوسيط– و– مخلص الفرس– (أنظر كذلك كتاب المسيو دونلاب ابن الإنسان ص ٢٠، وكتاب العلامة بنسين المسيح الملاك ص ٥٧).

قال العلامة بونويك فى كتابه اعتقاد المصريين ص ٤٠٢: (وأغرب عقيدة عم انتشارها فى ديانة المصريين (الوثنيين القدماء) هى قولهم: (بلاهوت الكلمة) وأن كـــل شـــئ صـــار بواسطتها، وأنها (أى الكلمة) منبثقة من الله وأنها الله، وكان بلاتو عارفـــا بهـــذه العقيـــدة الوثنية، وكذلك أرسطو وغيرهما، وكان ذلك قبل التاريخ المسيحى بسنين، ولم نكن نعلـــم أن الكلدانيين والمصريين يقولون هذا القول، ويعتقدون هذا الاعتقاد إلا فى هذه الأيام).

وقال فى صفحة ٤٠٤: (وكما أن للكلمة مقاما عند المصـــريين (القـــدماء الـــوثنيين)، كذلك يوجد فى كتبهم الدينية المقدسة هذه الجملة: (إنى أعلم بسر لاهوت الكلمة، وهـــى

رب كل شئ وهو الصانع لها، فالكلمة هى الأقنوم الأول، وهى غير مخلوقة وهى الحـــاكم المطلق على كافة المخلوقات).

التثليث عند الآشوريين والكلدانيين:

قال دوان فى كتابه خرافات التوراة ويماثلها فى الديانات الأخرى: (وكان الآشـــوريون يدعون [مردوخ الكلمة]، ويدعونه أيضا ابن الله البكر، وكانوا يتوسلون إليه بهذا الدعاء: أنت القادر الموفق، ومانح الحياة، أنت الرحيم بين الآلهة، أنت ابن الإلـــه البكـــر خـــالق السموات والأرض ومالكها، ليس لك شبيه، أنت الرحيم ومحيي الأموات).

وقال أيضا فى الصفحة ٣٧٤: (كان الكلدانيون يقولون للكلمة) [ممرار]، كما يقـــول اليونانيون بأنه هو الصانع للعالم، والحاكم عليه، وأن ليس من شئ أعظم منه إلا الله).

قال العلامة فروتنغام فى كتابه مهد المسيح ص ١١٢ ما نصه:(كان فولو يدعى الكلمة، وكانون يعظمونه جدا، ويصفونه بهذه العبارات: فولو الكائن قبل كل شئ، ابن الله البكر، الخبز السماوى الأبدى، ينبوع الحكمة، الدال على الله، النائـــب عـــن الله، صـــورة الله، الكاهن، خالق العوالم، الإله الثانى، المترجم عن الله، سفير الله، قوة الله، الملـــك، المـــلاك، الإنسان، الوسيط، النور الابتدائى، الشرق، اسم الله، الفادى).

التثليث عند اليونانيين:

وكان اليونانيون (القدماء الوثنيين) يقولون: إن الإله مثلـــث الأقـــانيم، وإذا شـــرع قسيسوهم بتقديم الذبائح، يرشون المذبح بالماء المقدس ثلاث مرات (إشارة إلى الثالوث).

ويرشون المجتمعين حول المذبح بالماء ثلاث مرات، ويأخذون البخور من المبخرة بثلاثـــة

أصابع، ويعتقدون بأن الحكماء قد صرحوا أن كل الأشياء المقدسة يجب أن تكون مثلثة، ولهم اعتناء تام بهذا العدد (أى التثليث) فى كافة أحوالهم الدينية، (كتاب برتشيرد، ترقى التصورات الدينية، المجلد الأول، ص ٣٠٧).

قال دوان المذكور نقلا عن أورفيوس، وهو أحد كتاب وشعراء اليونان الذين كانوا قال المسيح بعدة قرون ما نصه:

(كل الأشياء عملها الإله الواحد، مثلث الأسماء والأقانيم).

وهذا التعليم الثالوثى أصله من مصر، (وكثيرون من الآباء فى الجيل الثالث والرابع قالوا: إن فيثاغورس وهيركليتوس وبلاتو علموا التثليث، وقد أخذوا فلسفتهم فى التثليث عن أورفيوس (أنظر دائرة المعارف، تأليف تشمبرس عند كلمة أورفيوس).

التثليث عند الرومانيين:

وقال العلامة فسك فى كتابه الخرافات ومخترعوها ص ٢٠٥: (وكان الرومانيون الوثنيون القدماء يعتقدون بالتثليث، وهو أولا الله ثم الكلمة ثم الروح).

التثليث عند الفرس:

وقال دوان: (وكان الفرس يعبدون إلها مثلث الأقانيم، مثل الهنود تماما، وهم أورمزد ومترات وأهرمان. فأورمزد: الخلاق. ومترات: ابن الله المخلص والوسيط، وأهرمان: المهلك. ويوجد فى كتابات زورستر سانن (الشرائع الفارسية) هذه الجملة: (الثالوث اللاهوتى مضىء فى العالم، ورأس هذا الثالوث موناد، وكان الآشوريون والفينيقيون يعبدون آلهة مثلثة الأقانيم).

(كتاب الديانات القديمة، المجلد الثانى، ص ٨١٩).

التثليث عند الفنلنديين:

قال العلامة بارخورست فى القاموس العبرانى: (وكان للفنلنديين- وهم برابرة كانوا يسكنون شمالى بروسيا فى القرون الخالية- إله اسمه (تريكلاف) وقد وجد تمثال له فى هرتو نجر برج، له ثلاثة رؤوس على جسد واحد).

التثليث عند الإسكندنافيين:

قال دوان ص ٣٧٧: (وكان الإسكندنافيون يعبدون إلها مثلث الأقانيم، يدعونها (أودين وتورا وفرى)، ويقولون عن هذه الثلاثة أقانيم: إنها إله واحد، وقد وجد صنم يمثل هذا الثالوث المقدس بمدينة أوبسال من السويد، وكان أهالى السويد والنروج والدانمارك يفاخرون بعضهم فى بناء الهياكل لهذا الثالوث، وكانت جدران هذه الهياكل مصفحة بالذهب، ومزينة بتماثيل هذا الثالوث، ويصورون (أودين) وبيده حسام، وتورا واقفا عن شماله وعلى رأسه تاج وبيده صولجان، وفرى واقفا عن شمال تورا، وتمثاله فيه علامتا الذكر والأنثى، ويدعون أودين: الأب، وتورا: الابن البكر، ابن الأب أودين، وفرى: مانح البركة والنسل والسلام والغنى).

الثليث عن سكان سيبريا:

وكان الدرديون يعبدون إلها مثلث الأقانيم وهم: تولاك وفان ومولاك، وسكان سيبيريا القدماء كانوا يعبدون إلها مثلث الأقانيم، ويدعون الأقنوم الأول من هذا الثالوث المقدس، خالق كل شئ، والأقنوم الثانى إله الجنود، والأقنوم الثالث روح المحبة السماوية، ثم يقولون: أقانيم ثلاثة إله واحد).

التثليث عند التتر:

والتتر الوثنيون عبدوا إلها مثلث الأقانيم، وعلى أحد نقـــودهم الموجـــودة فى متحـــف بطرسبورج، صورة هذا الإله المثلث الأقانيم جالسا على حندقوقة.

التثليث عند الأقيانوس:

قال العلامة نيت فى كتابه الصنائع القديمة والخرافات الوثنية ص ١٦٩:

(وسكان الجزائر فى الأقيانوس عبدوا إلها مثلث الأقانيم، فيقولون: الإله الرب، الإلـــه الابن، الإله روح القدس، ويصورن روح القدس بهيئة طير).

التثليث عند سكان أمريكا القدماء:

قال اللورد كنسبرو فى كتابه آثار المكسيك القديمة المجلد ٥ ص ١٦٤: (والمكسيكيون يعبدون إلها مثلث الأقانيم يدعونه تزكتليبوكا، ومعه إلهان آخران أحدهما واقف عن يمـــين الإله المذكور، والآخر واقف عن يساره، واسم الإله الأول– أى الواقف عـــن الـــيمين– إهوتز ليبوشتكى، و الآخر اسمه تلالوكا، ولما عين برتولوميو مطرانا سنة ١٤٤٥، أرســـل القس فرنسيس هرمنديز إلى المكسيك ليبشر بين (الهنود الحمر) بالديانة النصرانية، وكـــان هذا القس عارفا بلغة (الهنود الحمر)، ومن بعد مضى عام على ذهابه أرســـل مكتوبـــا إلى المطران المذكور يقول فيه: إن (الهنود الحمر) يؤمنون بإله كائن فى السماء، وأن هذا مثلث الأقانيم وهو الإله الأب، والإله الابن، والإله روح القدس، وهؤلاء الثلاثة إله واحد. واسم الأب: بزونا، واسم الابن: باكاب، مولود من عذراء، واسم الـــروح القـــدس: أيكيهيـــا، ويعبدون صنما اسمه (تنكا تنكا) يقولون عنه: إنه واحد ذو ثلاثة أقانيم، وإنه ثلاثة أقانيم إله واحد).

قال العلامة سكوير فى كتاب رمز الحية ص ١٨١: (والهنود الحمر) الكنديون يعبـــدون

إلها مثلث الأقانيم، ويصورونه بشكل صنم له ثلاثة رؤوس على جسد واحد، ويقولون: إنه ذو ثلاثة أشخاص بقلب وإرادة واحدة).

هكذا نرى التشابه بين أمم الوثنيين، وقد كان بعضهم يعبد آلهة متعددة، لم نذكر عنهم شيئا لأنا قصدنا البيان عن الأمم التى كانت تعتقد التثليث.

ولولا حبنا بالاختصار لأتينا بشواهد عديدة غيرها بخصوص هذه العقيدة الوثنية.

الخلاصة

ومما سبق يتبين لنا عبادة الرومان، والهنود، والبراهمة، والبوذيون فى الصين واليابان، والمصريون، والفرس، والآشوريون، والكلدانيون، واليونانيون، والفنلنديون، والإسكندنافيون، والدرديون، والتتر، وسكان جزر الأقيانوس، والمكسيكيون، والهنود الحمر.. للثالوث المقدس قبل النصرانية، مما يؤكد بشكل واضح لا يحتمل اللبس أن عقيدة التثليث دخلت النصرانية بعد السيد المسيح الذى كان يدعو إلى الإله الواحد.

وبما أننا قد أتينا بالألقاب التى كانت لابن الإله عند الوثنيين، لذلك وجب علينا أن نذكر الأسماء والألقاب التى يدعو النصارى بها المسيح، وهى تتشابه وتتطابق إلى حد كبير مع ما أورده الوثنيون كما يلى:

١- يسوع المسيح (لوقا ص١ عدد ٢١).

٢- الله (يوحنا ص١ عدد١).

٣- الرب (ذكر فى كافة الأناجيل).

٤- الأزلى (الرسالة إلى العبرانيين ص٩ عدد ١٤).

٥- ابن الله (متى ص ٣ عدد ١٧).

٦- البكر (الرسالة إلى العبرانيين ص١عدد ٦).

٧- الرئيس (أعمال الرسل ص٥ عدد ٣١).

٨- أسد سبط يهوذا (رؤيا يوحنا اللاهوتى ص٥ عدد٥).

٩- الفادى (لوقا ص١ عدد ٦٨).

١٠- الوسيط (تيموثاوس ص٢ عدد ٥).

١١- المخلص (يوحنا ص٢ عدد٥).

١٢- الراعى الصالح (يوحنا ص ١٠ عدد١١).

١٣- ابن الإنسان (مرقس ص ١٤ عدد ٦٢).

١٤- عمانوئيل (أى الله معنا) (متى ص١ عدد٢٣).

١٥- الابن المبارك (مرقس ص ١٤عدد ٦١).

١٦- رئيس الحياة (أعمال الرسل ص٣ عدد ١٥).

١٧- الحمل (يوحنا ص١ عدد ٢٩).

١٨- العجل الأحمر (برناباس ص٧ عدد٤).

١٩- الثور (ترتولين فيما قاله عن أشكال المسيح).

٢٠- الأفعى النحاسية (يوحنا ص٣ عدد ١٤).

٢١- الخروف (رؤيا يوحنا ص ١٣ عدد ٨).

[راجع كتاب (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية) للأستاذ محمد طاهر التنير، ص ٣٠-٥١].

ثانياً: عقيدة الفداء والصلب عند النصارى

الفكر الإلهى فى العهد القديم- التوراة- هو فكر أسطورى وثنى إلى حد بعيد، يسيطر فيه الإنسان بدرجة كبيرة على إله مسخ..!! تنقصه الحكمة، متسرع، يندم، وعليه أن يقبل من الإنسان النصح والإرشاد والتوجيه. كما يسبغ هذا الفكر العقائدى على الله صفات وثنية أخرى كثيرة، منها ضعف القدرة، وضعف القوة، والانحسار، والجهالة، ووصل الأمر

بهذا الفكر، إلى أن يجعل الإنسان يشتبك مع الإله بالأيدى والأرجل فى معركة– على غرار المصارعة الحرة– غير متكافئة لصالح الإنسان!!. (راجع كتابنا يهود أم حنابلة).

والعهد القديم يمثل الديانة اليهودية من جانب، كما وإنه يمثل الجزء الأول من الديانة المسيحية من جانب آخر، ويستكمل العهد الجديد– الإنجيل– أو الجزء الثانى من المسيحية، هذا السيناريو أو الامتداد الطبيعى للفكر الأسطورى أو الوثنى عن الإله وهذا التفوق الإنسانى على الإله!! ولكن بصياغة جديدة لقصة جديدة تعرف باسم (الفداء والصلب).

فلكى يثبت إنسان العهد الجديد، أنه ليس بأقل قدرة وقوة عن قدرة وقوة إنسان العهد القديم فى تفوقه على الإله، نجده هو الآخر يقوم بتصميم وإضافة فصل مأساوى عن الإله يفوق فى تصوره كل خيال!! فقد قام إنسان العهد الجديد بجلد الإله، وتعذيب الإله، وصلب الإله، ثم أخيرا بقتل الإله!!.

والعهد الجديد يعطى تصورا جديدا عن الإله والإنسان يختلف عن العهد القديم فى مضمونه بشكل جذرى، حيث يصف هذا المضمون بأنه أحد الأسرار الأساسية التى لم يستطع الإله أن يبوح بها أو أن يذيعها فى العهد القديم، لحرصه الشديد وحذره فى معركته المستمرة مع الشيطان حتى يضمن نجاحه فيها!!.

وفكرة صلب الإله عند المسيحيين يمكن تلخيصها فى النقاط التالية:

[أولا] قام الإله قبل خلق الإنسان أو بعد خلقه للإنسان فهذا لا يهم كثيرا، بسن ثلاثة قوانين أساسية، لم يبح بها الإله فى التوراة والإنجيل ولكنه أباح بها إلى بولس الرسول فيما بعد (فى العهد الجديد)، وقد تورط الإله فى نتائجها، كما سنرى، كما وأنه لم يلتزم بها على طول الكتاب المقدس. وهذه القوانين الثلاثة هى:

القانون الأول: هو أن خطيئة آدم عقوبتها الموت...[(٢٣) لأن أجرة الخطية هي موت] (الكتاب المقدس: رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية،٦:٢٣).

القانون الثانى: أن خطيئة آدم تورث إلى ذريته... [(١٢) من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد (آدم) دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع] (الكتاب المقدس: رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، ٥:١٢).

وهذا ما قال به الإله ل- "بولس الرسول" فى العهد الجديد (فى رسالته إلى أهل رومية)، أى أن – الله – قد قرر توريث خطيئة آدم إلى ذريته...!!! ولم ينتبه الإله إلى أنه قد قال بعكس هذا القانون تماماً فى العهد القديم (أو ربما تنبه وقال بعكسه، حتى لا يلفت نظر الشيطان إلى ما سيقوم – الإله – بتنفيذه فى العهد الجديد من أحداث لاستعادة سلطته المفقودة منه) لهذا نجده يقول فى العهد القديم: [(١٦) لا يقتل الآباء عن الأولاد. ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيئته يقتل] (الكتاب المقدس: تثنية ٢٤:١٦).

ويؤكد "الإله" على هذا المعنى أيضاً فى مكان آخر من العهد القديم، فنجده يقول...[(٢٠) النفس التى تخطىء هى تموت. الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن. بر البار يكون عليه. وشر الشرير عليه يكون]. (الكتاب المقدس: حزقيال،١٨ :٢٠).

القانون الثالث (والأخير): وهو أسوأ القوانين الثلاثة... حيث ينص هذا القانون، على أنه فى حالة خطيئة آدم تنقل سلطة الموت من "الإله" إلى "الشيطان" تلقائياً. وفى الواقع فإن هذا القانون هو الذى تسبب فى الحرب الدائرة إلى الآن بين "الله" و "الشيطان"..!!! فالإله يبذل قصارى جهده. [(١٤)...لكى يبيد ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس] (الكتاب المقدس: الرسالة إلى العبرانيين،٢: ١٤).

ولم يسن "الله" قانوناً عكسياً لاسترجاع سلطة الموت من الشيطان فى حالة انتقال هـــذه السلطة إليه، بدون تضحيات جسيمة عليه أن يؤديها فى حالة خطيئة آدم. وربما فطن الإله إلى هذا الوضع، لذا نراه – من باب الاحتياط – يقوم بخلق "شجرة الحياة"، تحسباً لأن يقوم آدم بعصيانه أو وقوعه فى الخطيئة، وهى الشجرة التى إذا أكل منها آدم، فى حالة خطئـــه، فإنه سوف يحيا حياة أبدية أياً كانت خطيئته أو نوع عصيانه لله. وهكذا ضمن الإله عـــدم انتقال سلطة الموت منه إلى الشيطان، إذا ما أكل "آدم" من شجرة الحياة. وعلى الرغم من هذه الاحتياطات، إلا أن سلطة الموت قد انتقلت فعلاً من الإله إلى الشيطان، كما رأينا من النص المقدس السابق، فكيف حدث هذا...؟!.

عصى آدم الإله فتحول إلى إله بلا سلطات :

[ثانياً] ويخلق "الله" آدم ويقدر له حياة أبدية، ويضعه فى جنة عدن، ويطلـــب منـــه ألا يأكل من شجرة المعرفة، وأن عليه ألا يعصيه... لأن المعصية معناها موته، كما رأينا بموجب القوانين السابقة، كما فى النص المقدس... [(١٥) وأخذ الرب الإله آدم ووضعه فى جنـــة عدن ليعلمها ويحفظها (١٦) وأوصى الرب الإله آدم قائلاً جميع شجرالجنة تأكـــل أكـــلاً (١٧) وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتـــاً تمـــوت] (الكتاب المقدس: تكوين ٢:١٥-١٧).

والنص يبين لنا أنه لا موت لآدم (أى أن هناك حياة أبدية) طالما أن آدم لن يعصى الله. أى أن الله قد قدر لآدم حياة أبدية طالمـــا لن يخطىء. ولكن آدم لم يستجب لتحذير الرب الإله، وعصى آدم "الله" فعلاً، وأكل من شجرة المعرفة، وأصبح عارفاً للخير والشر، شـــأنه فى ذلك شأن الإله نفسه... أى لا فرق الآن... [(٢٢) وقال الرب الإله هو ذا الإنســـان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر]. (الكتاب المقدس، تكوين٣: ٢٢).

وهكذا أصبح الإنسان يعرف الخير والشر شأنه فى ذلك شأن الإله (بأقانيمه الثلاثة) لا

فرق بينهما. ويخشى "الإله" أن يمد الإنسان يده، ويأكل من شجرة الحياة، فتكـون هـذه كارثة أو مصيبة أخرى...!!! لأن معنى هذا أن الإنسان سيحيا إلى الأبد...!!! واستكمالاً للنص المقدس السابق، نجد الإله يقول لأقانيمه... [(٢٢) والآن لعله (أى آدم) يمـد يـده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد] (الكتاب المقـدس: تكـوين٣: ٢٢) وكلمة [لعله] ، تعنى "خشية أن" يقوم آدم بالأكل من شجرة الحياة ويحيا إلى الأبد.

ولهذا يقوم الرب بطرد آدم وزوجه من الجنة، لمعصيته من جانب، وخشيته من أن يأكل آدم وزوجه من شجرة الحياة فيحييا إلى الأبد، من جانب آخر... ومات الإنسان وذهـب إلى الجحيم، وانتظر هناك خلاص المسيح (أى الإله المتجسد). أى انتظر الإنسان فى الجحيم حتى يأتى إليه الله ويخلصه. وينتبه الرب الإله إلى هذا... ولكن بعد فوات الأوان...!!! لأن "سلطة الموت" كانت قد انتقلت منه فعلاً إلى "الشيطان"، ويوضح لنا هذا المعنى الأسـقف استانلى شوبيرج رئيس كنيسة السويد، قائلاً.

[أنه عندما أراد يسوع (أى الإله المتجسد) أن ينقذ النوع البشرى.. كانت المشكلة أن الشيطان كان هنالك، كملك للموت، وكانت أبواب مملكة الجحيم تحت سـيطرته، أى: تحت سيطرة الشيطان]... وهكذا أصبح الشيطان بهذه السلطة الجـديدة هـو ملـك للموت.. وتصبح مملكة الجحيم تحت سيطرته، يأخذ إليها الإنسـان حيـث يشـاء.. ولا يستطيع الإله اقتحامها... ليصل إلى الشيطان ويخلص الإنسان منه..!!!.

وهكذا "تورط الإله" مع الشيطان بموجب قوانينه الثلاثة التى استنها هـو بنفسـه، ثم رفضه بأن يقوم آدم بالأكل من شجرة الحياة، وبهذا أصبح إلهاً بلا سلطة – فى مملكتـه – على الإنسان وذريته. وأصبح الشيطان بموجب انتقال هذه السلطة إليه، لـه الحـق فى أن يميت الإنسان وذريته، وهو الذى كان مقدراً له – الله – الحياة الأبدية، من قبل...!!!.

ويقف الإله عاجزاً لا يدرى ماذا يفعل..؟!! وبناء على هذا الوضع الشاذ لإله مسلوب

السلطة..!! أصبح محتماً عليه القيام بعمل ما لاسترجاع هذه السلطة.

الإله فى بطن مريم!!

[ثالثاً] يقع اختيار "الإله" على "أم بشرية له" هى مريم البتول (أى مريم العذراء). وينزل الإله من السماء إلى الأرض ليحل فى رحمها: [(١٨) لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس] (الكتاب المقدس، متى١: ١٨).

والروح القدس "هو الله بموجب التثليث. و" مريم أمه، تعنى هنا "أم الإله، بالمفهوم العريض لهذا المعنى. وتمتلىء بطن "أم الإله" مريم العذراء ب- "الإله" وهو فى صورة "الروح القدس". [(١٥) ومن بطن أمه يمتلىء بالروح القدس] (الكتاب المقدس، لوقا١: ١٥).

وهكذا تمتلىء بطن "أم الإله" ب- الروح القدس أى بالإله، أو بمعنى آخر تمتلىء بطن مريم البتول بالأقنوم الثانى من الثالوث المقدس. فشكل وحال الإله يتوقف على الدور الذى يؤديه. ويظل الإله على هذا الحال الساكن داخل رحم" مريم البتول" تسعة أشهر، ثم تقوم مريم البتول أم الإله بولادة الإله طفلاً رضيعاً، يقطعوا له غرلته فى اليوم الثامن من ولادته وتسميه يسوع. [(٢١) ولما تمت ثمانية أيام ليختتنوا الصبى سمى يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به فى البطن] (الكتاب المقدس، لوقا٢: ٢١).

وينمو الإله المتجسد، على كوكب الأرض فى صورة الطفل يسوع (أو المسيح عيسى ابن مريم)، بعد أن أرضعته أمه الأرضية حيث تقول له امرأة فيما بعد: [طوبى للبطن الذى حملك والثديين اللذين رضعتهما] (الكتاب المقدس، لوقا١١: ٢٧).

ويترعرع الإله مع أطفال الإنسان يجوع ويأكل.. يتبول ويتبرز.. على كوكب الأرض وتتعهده أمه مريم البتول (أم الإله) بالعناية والتربية، حتى بلغ من العمر ثلاثين عاماً أرضياً

(بداهة لأنه على كوكب الأرض).

الشيطان يحاول فتنة الإله!!

[رابعاً] ثم يتنبه الشيطان لوجود الإله على الأرض فى هذه الصورة البشرية، فيأتى إليه فى محاولة منه لإغوائه، ربما ليفتنه عن المهمة التى جاء من أجلها إلى كوكب الأرض. وظل الشيطان يجربه لمدة أربعين يوماً أرضيه كاملة. [(١) أما يسوع "أى الإله المتجسد" فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس وكان يقتاد بالروح فى البرية (٢) أربعين يوماً يجرب من إبليس] (الكتاب المقدس، لوقا٤: ١-٢).

فعلى مدى أربعين يوماً كاملة يقوم الشيطان بمحاولة إغواء الإله.. ولا ندرى ما القصد الإلهى من أن يترك - الإله - الشيطان ليقوم بإغوائه، ومحاولة فتنته على مدى أربعين يوماً كاملة؟. فهل كان هذا ليطمئن الإله على نفسه، ويتأكد من مدى صلابته وصلاحيته هذه المهمة الصعبة، والتى جاء خصيصاً من أجلها إلى الأرض؟!. أم من أجل أن يطمئن إلى أنه أصبح ناسوتاً (أى إنسانا) كاملاً، ولا يستطيع الشيطان فتنته؟!. أم من أجل حكمة أخرى نحن نجهلها؟!. عموماً لم يذكر لنا الكتاب المقدس وصفاً دقيقاً حول معنى ترك الشيطان يجربه على مدى أربعين يوماً كاملة، ويتوج الشيطان تجاربه على الإله بأن يحاول أن يجعل الإله يخر ويسجد له.. [(٨) ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً وأراه ممالك العالم ومجدها (٩) وقال أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى] (الكتاب المقدس، متى٤: ٨-٩).

ويفارقه الشيطان إلى حين وهو متربص به. [(١٣) ولما أكمل إبليس كل تجربة فارقه إلى حين] (الكتاب المقدس، لوقا٤: ١٣).

الإنسان يجلد ويصلب ويقتل الإله!!

[خامساً] نعود لاستكمال باقى قصة الفداء والصلب فى المسيحية.. فبعد أن فارق الشيطان الإله، قام الشيطان – بوحى من الإله أو بدون وحى منه فهذا لا يهم – بإغواء الإنسان للإمساك بالإله وهو على هذه الصورة البشرية، لينكل به الإنسان (أى ينكل الإنسان ب– الإله) أشد التنكيل.. فيقوم الإنسان بالبصق على الإله، ولكم الإله، ولطم الإله. [(٦٧) حينئذ بصقوا فى وجهه ولكموه وآخرون لطموه (٦٨) قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك] (الكتاب المقدس، إنجيل متى٢٦: ٦٧–٦٨).

والمسيح هو الإله المتجسد.. ثم يقوم الإنسان بجلد الإله [(١٥) فبيلاطس أطلق لهم باراباس وأسلم يسوع (الإله المتجسد) بعد ما جلده ليصلب] (الكتاب المقدس، إنجيل مرقس١٥: ١٥).

وهكذا قام الإنسان بجلد الإله!!.

ثم يعرى الإنسان الإله.. ثم يضفر له إكليلاً من الشوك ويضعه على رأسه.. ثم يضربه بالقصبة على رأسه الإلهى.. فتنغرس الأشواك فى الجبين الإلهى حتى تدميه.. فيبصق الإنسان على الإله، ويمنع الإنسان الماء عن الإله، ويسقيه خلا بدلاً منه، ثم يمضى الإنسان ب– الإله إلى الصلب. [(٢٧) فأخذ عسكر الوالى يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة (٢٨) فعروه وألبسوه رداء قرمزياً (٢٩) وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة فى يمينه. وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين: السلام يا ملك اليهود (٣٠) وبصقوا عليه وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه (٣١) وبعد ما استهزأوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب] (الكتاب المقدس، إنجيل متى ٢٧:٢٧–٣١).

ولم يكتف الإنسان بهذا، بل يقوم الإنسان بالتنكيل بالإله على الصليب. [(٣٤) لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء] (الكتاب المقدس، إنجيل

يوحنا١٩: ٣٤).

وهكذا يطعن الإنسان "الإله" وهو على الصليب، تلك الطعنة النجلاء فى جنبه الإلهى ليسيل منه الدماء طهرا على الأرض كلها.! ويموت الإله على الصليب .! يوم الجمعة فى الساعة التاسعة مساء.. (وتختلف روايات الأناجيل فى هذا التاريخ) [(٤٥) ومن السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة (٤٦) ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: إيلى إيلى لما شبقتنى، أى: إلهى إلهى لماذا تركتنى؟ (٤٧) فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا: إنه ينادى إيليا (٤٨) وللوقت ركض واحد منهم وأخذ أسفنجة وملأها خلا وجعلها على قصبة وسقاه(٤٩) وأما الباقون فقالوا اترك. لنرى هل يأتى إيليا ليخلصه (٥٠) فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح] (الكتاب المقدس، إنجيل متى ٢٧: ٤٥ – ٥٠) وتقول الأجبية بأنه قد تم إنزال جثة الإله من على الصليب حوالى الساعة الحادية عشر مساء من نفس يوم الصلب. ثم بعد ذلك قام الإنسان بتكفين الجسد المقدس، ووضعه فى قبر منحوت مع بداية يوم السبت.. ويقول الإنجيل عن موعد ذلك:[(٥٤) وكان يوم الاستعداد، والسبت يلوح] (الكتاب المقدس، إنجيل لوقا ٢٣: ٥٤).

الإله فى الجحيم

[سادساً] يظل الإله على هذه الحالة من الدفن والوفاة، أى: أن جسده ظل فى القبر، ولكن روح الإله ذهبت إلى الهاوية، أى: ذهبت إلى الجحيم فى باطن الأرض: [(٩) وأما أنه صعد فما هو إلا أنه نزل أيضاً إلى أقسام الأرض السفلى] (الكتاب المقدس: رسالة بولس إلى أهل أفسس (٤: ٩).

ويتأكد هذا المعنى أيضاً، حول وجود الإله فى الجحيم فى هذه الفترة، كما جاء فى قانون إيمان الرسل الموجود فى كتاب الصلوات للكنيسة المتحدة فى انجلترا وأيرلندا، والذى يقول:

أومن بالله الآب القادر صانع السماء، ويسوع ابنه الوحيد ربنا، الذى حبل به من الـــروح القدس، وولد من العذراء مريم، وتألم فى عهد بيلاطس البنطى ومات ودفـــن. ونـــزل إلى الجحيم، وفى اليـــوم الثالث قام ثانية من الأموات.

ثم يصعد بعد ذلك الإله إلى الفردوس (مكان انتظار الأبرار بعد موقم) حتى انتهت المدة المعينة، ثم أعاد لنفسه– أو لناسوته – الحياة فى فجر يوم الأحد التالى، وهكذا مات الإلـــه لكى يبطل بموته من كان له سلطان الموت، كما سبق وأن أشرنا.! [(١٤) فإذا قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم إشترك هو أيضاً (أى الإله) كذلك فيهما لكى يبيد ذاك الذى لـــه سلطان الموت أى إبليس (١٥) ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياقم تحت العبودية] (الكتاب المقدس: الرسالة إلى العبرانيين (٢: ١٤–١٥).

الإله يسترجع سلطة الموت من الشيطان

[سابعاً] ويقوم "الإله" من بين الأموات ويعتبر موته على الصليب هو كفارة قد أداهـــا لنفسه فى مقابل خطأ الإنسان، وبهذه الكفارة أصبح له الحق الآن، فى أن يسترجع ســـلطة الموت التى سلبت منه، وهى السلطة التى انتزعها الشيطان منه بموجب قانونه الإلهى الـــذى استنه هو بنفسه، ثم عانى – بعد ذلك – كل هذه المعاناة لاسترجاعها منه.!

ولم يتنبه الشيطان حين أغوى الناس للقيام بتعذيب "الإله" ثم قتله على الصليب ، بـــأن هذه مقايضة أو كفارة، سوف يعتبرها الإله تعطيه الحق فى استرجاع ســـلطة المـــوت التى كان قد أخـــذها أو سلبها منه الشيطان.!.

وفى هذا الشأن يقول الشيطان "للإله" لو كنت أعلمتنى، بنيتـــك هـــذه وبـــأن هـــذه مقـــايضة، لما قمت بإغواء الناس لقتلك، ويذيـــع هـــذا السر للبشرية لأول مرة بـــولس الرسول، بعد ما أوحى به الله إليه، فيقول:

[(٧) بل نتكلم بحكمة الله فى سر. الحكمة المكتومة التى سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا (٨) التى لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر. لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد] (الكتاب المقدس: رسالة بولس إلى أهل كورنثوس (٢: ٧-٨).

ونلاحظ هنا – فى النص- التكتم الشديد الذى أجرى به "الإله" عملية الفداء والصلب هذه، وذلك إمعاناً فى التمويه، لأن لو علم الشيطان ومساعديه الأبالسة بنية الإله بهذه المقايضة، لما أغووا الناس بصلبه.!.

وبديهى أن "الإله" قد أظهر هذا السر لقديسيه على يد بولس الرسول، وهكذا تمت عملية الفداء بنجاح، ويسترجع "الإله" سلطة الموت من الشيطان، ويعود الإله إلى السماء.

[(١٩) ثم إن الرب بعد ما كلمهم (التلاميذ) ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله (٢٠) وأما هم فخرجوا وكرزوا فى كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة] (الكتاب المقدس: إنجيل مرقس (١٦: ١٩-٢٠).
والمعنى هنا جلس الرب عن يمين الله. أى: جلس الله عن يمين نفسه. فيجب ألا ننسى أن الأب والابن والروح القدس هم إله واحد.

وهذا يعنى أن الأب (الله) والابن (الله) قد تركا الروح القدس (الله أيضاً) ليعمل مع التلاميذ على الأرض.!
وهكذا تنتهى قصة الفداء والصلب فى العقيدة المسيحية، ولكن ما زال سيناريو الأحداث بين "الله" و "الشيطان" مستمراً، والحرب ما زالت قائمة!.

المشكلة قائمة بلا حل

[ثامناً] وبديهى تبقى هناك ثغرة فى استرجاع سلطة الموت، لأننا ما زلنا نرى الإنسان

يموت، ولكن يمكن أن يحل هذا التناقض بقول أئمة العقيدة (مثل الأنبا شنودة الثالث فى كتاب سنوات مع أسئلة الناس ج٢ ص٣٠،٢٩) بأن:

"المسيح (أى الإله المتجسد) قد خلص الإنسان من الموت الروحى والموت الأدبى، فالموت الجسدى لم يعد موتاً بالحقيقة".

أى أن الإنسان حى من الناحية الأدبية. وليس هذا كل ما يواجه هذا الفكر من صعوبات، فما زال هناك بعض الخلافات قائمة إلى الآن، فى الفكر المسيحى، حول بدء سريان مفعول هذا الفداء.! بمعنى هل استطاع الإله استرجاع سلطة الموت بأثر رجعى؟ أى هل أصبح للإله الحق فى أن يحيى من مات من البشر قبل تقديم الفداء.؟ أم أن الأمر اقتصر فقط على من يموت بعد تقديم الفداء.! حيث لم يستطع الإله إلا إخراج بعض الأنبياء والقديسين فقط من الجحيم عقب موته على الصليب.! وبعد أن نزل هو شخصياً بنفسه إليه (أى إلى الجحيم) ليخرجهم منه.! وذلك على النحو السابق شرحه.

وهنا يجب أن أشير إلى أن مشكلة فداء البشر قبل حادث الصلب على وجه مطلق، إنما تعنى – ضمنياً – أن جميع الناس قبل حادث الصلب كانوا سيقبلون السيد المسيح فادياً ومخلصاً لهم بدون استثناء، لأن قبول هذا الشرط هو أساس التمتع بالخلاص المسيحى. وطالما أن هذا الإجماع لا يحدث الآن نظراً لتعدد الأديان، فبديهى أن هذا الإجماع – بالقياس – ما كان ليحدث سابقاً، حيث لا يمكن الجزم بأن كل من جاء من البشر قبل عملية الفداء كان سيقبل السيد المسيح فادياً ومخلصاً. وهكذا تظل هذه المشكلة قائمة بلا حل [راجع كتاب الحقيقة المطلقة د. محمد الحسينى إسماعيل].

لماذا عجز الإله أن يعفو عن آدم؟!

* ألم يكن فى وسع هذا الإله – بدلاً من كل هذه المعاناة التى سببها لنفسه – أن يعفو

عن هذا الإنسان الخاطىء من قبل، وهو نفس الإله، الذى فى أثناء تواجده على الأرض – من بعد – يغفر للرجل المفلوج (أى المشلول) ويقول له:[(٥) يا بنى مغفورة لك خطاياك] (الكتاب المقدس: مرقس [٢]: ٥).

وهو كذلك – نفس الإله – الذى يغفر للمرأة الخاطئة فى بيت سمعان الفريسى خطاياها، ويقول لها: [(٤٨) مغفورة لك خطاياك] (الكتاب المقدس: لوقا [٧]: ٤٨).

وليس هذا فحسب – بل هو نفس الإله – الذى يخلص المرأة الزانية من الرجم ويقول لها: [(١٢) أما دانك أحد (١١) فقالت: لا أحد يا سيد. فقال لها يسوع (أى الإله المتجسد): ولا أنا أدينك. اذهبى ولا تخطئى أيضاً) (الكتاب المقدس: يوحنا [٨]: ١١-١٢).

أليس "إله العهد الجديد" هو..هو "إله العهد القديم"؟! أليس "إله العهد الجديد" هو الذى قام ببساطة شديدة بالعفو عن الناس، وقام ببساطة شديدة بمغفرة جميع خطايا الناس، وقام ببساطة شديدة بتخليص الناس. كما رأينا ولم يقيد نفسه بما سن من قوانين؟!.

وليس هذا فحسب، بل يتجاوز كل هذه الحدود، ويعطى سلطة مغفرة خطايا الناس لتلاميذه أيضاً:[من غفرتم خطاياه تغفر له. ومن أمسكتم خطاياه أمسكت (٢٤)] (الكتاب المقدس: يوحنا [٢٠]: ٢٤).

ثم نرى هذا الإله "فى العهد القديم" يقف أمام خطيئة آدم، وبديهى آدم ناس أيضاً.! وتعييه الحيلة ويغلفه العجز.. فلا يستطيع أن يعفو عن آدم.. ولا يستطيع أن يغفر لآدم.. ولا يستطيع أن يجد خلاصاً لآدم.. إلا أن يأتى فى العهد الجديد – أى فى نفس العهد الذى كان يعفو فيه عن الناس، ويغفر فيه هو وتلاميذه – ليقوم (أى الإله) بتعذيب نفسه. ثم بصلب نفسه. ثم بقتل نفسه. على يد الناس.. ويقدم نفسه قرباناً لنفسه.. حتى يستطيع أن

يجد خلاصاً لآدم.! أو أن يعفو عن خطيئة آدم التى ارتكبها.!.

يقول الدكتور محمد الحسينى إسماعيل فى كتابه السابق:

(وليمرح الإنسان بفكره هذا، أو بجنونه هذا إن صح التعبير.! الذى استطاع أن يفعل كل هذا ب– "الإله".! وليسعد الإنسان بهذا الإله.. وعلى الإنسان ألا ينسى وهو فى صلاته أن يتذكر دائماً، وأن يردد دائماً، لقد خلقنى الإله فعصيت الإله، فحرمنى الإله من الحياة، ولم يتركنى الإله أن آكل من شجرة الحياة بل حال بينى وبين شجرة الحياة.

وقام بحراسة الطريق المؤدى إلى شجرة الحياة، فبصقت على الإله، ولكمت الإله، ولطمت الإله، وجلدت الإله، ونكلت بالإله، وقتلت الإله، ثم قدمت الإله قرباناً للإله، فأعاد الإله إلىّ الحياة.!.

وليس فى هذا أى تجاوز لفظى أو تجن فى معانى هذه الصياغة.. وإن كان هناك من يحتج فيمكن أن يضيف إليها وما فعلت كل هذا إلا بإرادة الإله.! فهل وعى الإنسان ماذا يقول.؟! وهل وعى الإنسان ماذا يعبد.؟!).

أصل عقيدة الصلب وثنى

قال العلامة دوان فى كتابه خرافات التوراة وما يماثلها فى الديانات الأخرى ص ١٨١، ١٨٢: [إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جداً عند الهنود الوثنيين وغيرهم، وذكر هذه التقدمة عند الهنود سابق لعصر الفديك **vedic** ومعناها العلم بالدينيات، وهى أربعة كتب كتبت قبل المسيح بألف سنة، وكتاب الركفدا يمثل الآلهة يقدمون بروشا – وهو الذكر الأول – قرباناً ويعدونه مساوياً للخالق. وجاء فى كتاب التنزيا برهاماناً ما نصه: (وسيد المخلوقات "برجاباتى" قدم نفسه ذبيحة

للآلهة).

وجاء فى كتاب استباتا برهمانا ما نصه: "والعالم لهذه الذبيحة بروشا ميدا (أى ضحية الذكر الأول) يصير كل شيء"].

وكان الوثنيون يقدمون البشر ذبيحة أيضاً، والغالب عندهم تقديم الأرقاء والأسارى ذبيحة فداء عن الخطيئة، وليس هذا فقط بل ونفس أولادهم.

وكان الرومانيون واليونان يقدمون أنفسهم ذبيحة للآلهة استرضاء لها.

وكانوا فى مصر يقدمون من البشر ذبيحة، وتمكنت بهم هذه العادة الشريرة، حتى أنهم صاروا يقدمون الابن البكر من أحد العائلات الآتاناتية ذبيحة، يأخذونه إلى هيكل فى فستات فى عالوس ويضعون على رأسه إكليلاً ثم يذبحونه قرباناً للآلهة كما تذبح الأنعام.

قال العلامة هوك فى كتابه رحلة هوك المجلد (١) ص٣٢٦: (ويعتقد الهنود (الوثنيون) بتجسد أحد الآلهة، وتقديم نفسه ذبيحة فداءً عن الناس من الخطيئة).

قال العلامة مورنيور وليمس فى كتابه الهنود ص٣٦: (ويعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة الأصلية، ومما يدل على ذلك ما جاء فى تضرعاتهم التى يتوسلون بها بعد الكياترى وهى: "إنى مذنب ومرتكب الخطيئة، وطبيعتى شريرة، وحملتنى أمى بالإثم، فخلصنى ياذا العين الحندقوقية، يا مخلص الخاطئين، يا مزيل الآثام والذنوب).

وقال العلامة دوان ما نصه: (ويعتقد الهنود بأن كرشنا المولود البكر، الذى هو نفس الإله فشنو، والذى لا ابتداء ولا انتهاء له على رأيهم تحرك حنواً كى يخلص الأرض من ثقل حملها فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه).

قال العلامة القس جورج كوكس نقلاً عن كتاب العلامة لاندى (الآثار المسيحية):

(ويصفون (أى الهنود) كرشنا بالبطل الوديع، المملوء لاهوتاً لأنه قدم شخصه ذبيحة، ويقولون: إن عمله هذا لا يقدر عليه أحد سواه).

قال الموسيو كوينيو فى كتاب المعتقدات القديمة ما نصه: (يذكر الهنود موت كرشنا بأشكال متعددة أهمها أنه مات معلقاً على شجرة سمر بها بضربة حربة).

قال العلامة دوان فى كتابه السابق ص١٨٤: (والمقصود من الشجرة "الصليب"، وأن المستر مور قد صور كرشنا مصلوباً، كما هو مصور فى كتب الهنود مثقوب اليدين والرجلين، ومعلق بقميصه صورة قلب الإنسان).

(ومن تعاليم الفشنو بورانا نعلم أنه بعد ما رمى الصياد كرشنا بالحربة، ندم وتضرع إليه بقوله: إرحمنى أنا الذى أهلكتنى ذنوبى، وأنت القادر على إهلاكى، فأجابه كرشنا: لا تخف، اذهب إلى السماء مسكن الآلهة، ولما قال له هذا الكلام، ظهرت مركبة حملته إلى السماء).

ومن الألقاب التى يدعى بها كرشنا: "الغافر من الخطايا، والمخلص من أفعى الموت".

وقد صور الراهب جورجيوس الإله أندرا الذى يعبده أهالى النيبال مصلوباً، كما يصورونه يوم عيدهم الذى يقع فى شهر آب (أغسطس).

قال العلامة هيجين فى كتابه الأنجلوسكسنس نقلاً عما كتبه أندرادا الكروزويوس، وهذا المذكور أول أوروبى دخل بلاد النيبال والتيبت (جنوب غرب الصين): "وقال عند تكلمه عن الإله أندرا الذى يعبدونه ويقولون إنه سفك دمه بالصلب، وثقب المسامير كى يخلص البشر من ذنوبهم: إن صورة الصلب موجودة فى كتبهم".

والعلامة دوان قال: "وفى جنوب الهند وتنجور وفى أيونديا يعبدون إلهاً صلب اسمه "بالى" ويعتقدون بأنه فشنو تجسد (أى ظهر بالناسوت)، ويصورونه مثقوب الجنب واليدين".

وجاء فى ترنيمة لبوذا ما يأتى:

(عاينت الاضطهاد والامتهان، والسجن والموت، والقتل بصبر وحب عظيم لجلب السعادة للناس، وسامحت المسيئين إليك).

ويدعون "بوذا": الطبيب العظيم، ومخلص العالم، والممسوح، والمسيح المولود الوحيد وغير ذلك، وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر آثام البشر، ويجعلهم ورثاء ملكوت السموات، وبولادته ترك كافة مجده فى العالم ليخلص الناس من الشقاء والعذاب كما نذر.

قال العلامة بيل فى كتابه تاريخ بوذا ص٣٣: قال "بوجانا": (سأتخذ جسداً ناسوتياً، وأنزل فأولد بين الناس لأمنحهم السلام، وراحة الجسد، وأزيل أحزان وأتراح العالم، وإن عملى هذا لا أبغى به اكتساب شيء من الغنى والسرور).

قال لبى هوك فى كتابه رحلة هوك: (إن بوذا بنظر البوذيين إنسان وإله معاً، وإنه تجسد بالناسوت فى هذا العالم ليهدى الناس ويفديهم، ويبين لهم طريق الأمان. وهذا التجسد اللاهوتى يعتقده كافة البوذيين، كما يعتقدون أن بوذا هو مخلص الناس). قال مكس مولر فى تاريخ الآداب السنسكريتية ص٨٠: "البوذيون يزعمون أن بوذا قال: "دعوا كل الآثام التى ارتكبت فى هذا العالم تقع عليَّ، كى يخلص العالم".

قال العلامة وليمس فى كتابه ديانة الهنود ص٢١٤: (الهنود تقول: ومن رحمته (أى بوذا) تركه للفردوس ومجيئه إلى الدنيا من أجل خطايا بنى الإنسان وشقائهم كى يبررهم من ذنوبهم ويزيل عنهم القصاص الذى يستحقونه).

قال دوان (فى كتاب خرافات التوراة وما يماثلها فى الديانات الأخرى): (كان الفداء بواسطة التألم والموات لمخلص إلهى قديم العهد جدا عند الصينيين، وإن أحد كتبهم المقدسة المدعو (يبكينك) يقول عن (تيان): إنه القدوس الواحد ذو الفضائل السماوية والأرضية،

وإنه سيعيد الكون إلى البر، وإنه يعمل ويتألم كثيرا، ولابد له من اجتياز تيار عظيم تـــدخل أمواجه إلى نفسه، وإنه الوحيد القادر على أن يقدم للرب ذبيحة تليق به.. فالناس يقدمون أنفسهم ذبيحة من أجل اكتساب قوهم، والفلاسفة لاكتساب جـــاه وشـــهرة، والأمـــراء لتثبيت عيالهم، أما القدوس تيان فلأجل الناس يموت كى يخلص الصالح. ويقولـــون عنـــه أيضا: إنه واحد مع الله منذ الأزل قبل كل شئ).

قال بونويك (فى كتابه عقيدة المصـــريين ص ١٦٥): (يعـــد المصـــريون أوســـيريس [أوزوريس] أحد مخلصى الناس، وأنه بسبب جده لعمـــل الصـــلاح يلاقـــى اضـــطهادا، وبمقاومته للخطايا يقهر ويقتل).

قال العلامة مورى (فى كتابه الخرافات ص ٣٨٤): (يحتـــرم المصـــريون أوســـيريس، ويعدونه أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة لينال الناس الحياة).

قال العلامة دوان نقلا عن السرولكنسون: (إن تألم وموت أوسيريس هما السر العظـــيم فى ديانة المصريين، وبعض آثار هذه العقيدة ظـــاهر فى ديانـــات الأمـــم. ويعدونـــه (أى أوسيريس) الصلاح الإلهى وجالب الفكر الصالح. وكيفية ظهوره على الأرض وموته وقيامه من بين الأموات، وأنه سيكون ديان الأموات فى اليوم الأخير تشابه آلهة الهنود).

(وكان حورس يدعى المخلص، والفادى، وإله الحياة، والواحد الأبدى. ويدعى أتـــيس أيضا الولد الوحيد المخلص، فقد كان يعبده الفريجيون (وهم سكان آسيا الصغرى) ويمثلونه برجل مقيد على شجرة وتحت رجليه حمل شبيه أبولو الذى كان يعبده الميليتيـــون، فـــإنهم يقولون إنه مات بالجسد، وإنه حكيم عمل العجائب، وقد قبض عليه جنـــود الكلـــدانيين وقتلوه وسمروه كى يزداد تألما، وإنه صلب لأجل خلاصهم).

قالت مس جمسون فى كتابها تاريخ سيدنا من الآثار: (كان الميليتيون يمثلون الإله إنساناً

مصلوبا مقيد اليدين والرجلين بحبل على خشبة وتحت رجليه صورة الحمل. والسوريون يقولون: إن تموز الإله المولود البكر من عذراء، تألم من أجل الناس ويدعونه (المخلص)، والفادى المصلوب، وكانوا يحتفلون فى يوم مخصوص من السنة تذكارا لموته فيضعون صنما على أنه هو يضعونه على فراش ويندبونه والكهنة ترتل قائلة: (ثقوا بربكم فإن الآلام التى قاساها قد جلبت لنا الخلاص).

قال دوان ص ١٩٢: (وكان الوثنيون يدعون بروميسيون مخلصا كما يدعونه أيضا،الإله الحى، صديق البشر، المقدم نفسه ذبيحة لخلاص الناس).

رواية الصلب اليونانية

(ورواية صلب القراسيوس الهائلة، التى كتبها إسيوس فى أثينا قبل المسيح عليه السلام بخمس مائة عام، هى أقدم شعر باق إلى هذا الحين بخصوص الصلب، أما الحيل والخداع المذكورة فيها، فمأخوذة عن روايات قديمة العهد جداً، وليس لها مثيل لإحداث التأثير على إحساس الناظرين، ولا يوجد من سبقه إلى بيان ووصف ما قد قاساه ذاك الإله من الآلام، ولا يتمالك الناظر إلى تمثيل روايته من الانفعال العظيم، وكيف كان تأثير أولئك الذين كانوا يعتقدون بألوهية بطل هذه الرواية الذى هو (خليلهم وخالقهم ونافعهم ومخلصهم)، وخصامهم جلب عليهم الآثام والآلام التى احتملها، والأحزان التى قاساها كلها من أجل خلاصهم، وبسبب ذنوبهم جرح، وبداعى طغيانهم سحق، وتحمل القصاص لنجاتهم، وبضربه وجلده شفوا، وأنه اضطهد وتألم وامتهن، ولم يتململ، وصبره العظيم ظهر حينما كانت كهنة إله الشر تسمر يديه ورجليه بجبل قوقاسوس، وليس له شبيه أو مثيل إلا الكمال الذى أجراه، وهو معلق ويداه ممدودتان بشكل الصليب، خدمة للناس وحبا بهم، وهذه الخدمة جلبت عليه هذا الصلب المخيف، وحينما كان يقاسى عذاب وعناء تلك المكيدة، اعترف صديقه أوسينوس الصياد أنه لم يقدر على إقناعه لمصالحة المشترى، وترك خلاص الناس، ثم تركه أوسينوس الصياد، وفر هاربا، ولم يبق معه أحد يعاين سكرات موته

إلا جماعة من المرتلين الأحباب المخلصين، الذين ناحوا عليه، واستطاعوا أن يزيلوا من قلبه حب البشر).

قال العلامة دوان ص ١٩٣: (وكان الوثنيون يدعون بوخص ابن المشترى من العذراء المخلص، الابن الوحيد، الذبيح، حامل الخطايا، الفادى، وكانوا يقولون:

ولما كثر الشر فى الأرض طلب بندورا، وتوسل إلى المشترى سيد الآلهة كى يأتى ويخلص الناس من الآثام والخطايا، فاستجاب المشترى لهم، وجعل ابنه مخلصا للمذنبين فى العالم، وتعهد بوخص الفادى بتحرير الأرض من الأوزار، وأنه سيعبده الناس، ويرتلون التسابيح تمجيداً لاسمه، ومن أجل تتميم هذا العمل، حل الإله المشترى بسميل العذراء البديعة، فحملت ودعيت والدة الإله، وقال بوخص الفادى للأمم: أنا مرشدكم وحاميكم وفاديكم أنا الألف والأميكا).

وكان هيركلوس بن زنيس يدعى (المخلص)، وقد وجدت نقود منقوش عليها (هيركلوس المخلص)، وكانوا يدعونه أيضا: الابن الوحيد، والكلمة، وأنه عاد واتحد مع الإله وأنه مكون كل شئ، وهو أبو الزمان. وأسكولابيوس يدعى أيضا (المخلص)، والهيكل المشاد تذكارا على اسمه يدعى هيكل (المخلص)، وأبولو يدعى (المخلص). وكان هدريان إمبراطور الرومان (١٣٨ ب.م) يقول عن سيرابيس إنه إله. وقد وجد صليب بإحدى الهياكل الخربة فى الإسكندرية وعليه صورة هذا المخلص المصرى.

وكان الفرس يدعون مترا (الوسيط بين الله والناس، والمخلص الذى بتألمه خلص الناس ففداهم)، ويدعونه (الكلمة)، و(الفادى)، ويعتقدون أيضا بأن زروستر المتشرع مرسل إلهى أرسل ليخلص الناس من الطرق الشريرة، وإلى هذا الحين ترى أتباعه يدعونه زروستر (الحى المبارك المولود الواحد الأبدى) وما شاكل ذلك من الألقاب، وأنه لما ولد ظهر نور أضاء الغرفة التى ولد فيها، وأنه ضحك على أمه من حين ولادته، ويدعونه (النور الشعشعانى البارز من شجرة المعرفة الذى علق على شجرة).

قال أريان فى تاريخه عن رموز الإسكندر: (إن جيوش بورس يوجد على علمها صورة إنسان مصلوب).

وقال هيجين: إن تلك الصورة تمثل إما أوستروبات أو سيلفاهانا، فإنهما يظهران للرائى كأنهما صورة إنسان كان يحملها الرومانيون على رؤوس أعلامهم، وهى تشابه رمز الحمامة التى كان يضعها الآشوريون على رؤوس أعلامهم، ولابد من أن تكون تلك الصورة هى صورة (ابن الله المصلوب).

وعبد المكسيكيون إلها مصلوبا دعوه المخلص، والفادى، ويدعون ابن الله بلغتهم (باكوب)، و(أوبوكو). ولو لم يحرق الإسبانيون كتب سكان المكسيك والبيرو، ويخربون هياكلهم وينحتون تصاويرهم ورسومهم لعلمنا عنهم أكثر مما نعلم الآن بكثير، ولولا النزر القليل الذى سلم من يد الإسبانيين الظالمة، لما علمنا أنهم كانوا يعبدون إلها صلب فداء عن الخطيئة، وأنهم كانوا يدعونه ابن الله الفادى. وسكان اليوكاتان عبدوا إلها مصلوبا فداء عن الخطيئة ويدعونه ابن الله، وقد وجدت جملة صلبان عليها صورة هذا الابن المصلوب فداء عن الخطيئة.

قالت نيت (فى كتاب الصناعة والخرافات القديمة ص ١٢): (كان الوثنيون يدعون أبولو (الراعى الصالح)، وكذلك دعوا عطارد (الراعى الصالح)، وكرشنا (الراعى اللوكانى الصالح)، وهكذا غيرهم.. وحباً بالاختصار نكتفى بما أوردناه.

(راجع كتاب العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية، لمحمد طاهر التنير).

ظلمة التي حدثت عند موت أحد المخلصين للعالم عند الوثنيين

يقول الهنود: (إنه لما مات كرشنا مخلصهم على الصليب، حدثت فى الكون مصائب جمة، وعلامات متنوعة، وأحاطت بالقمر دائرة سوداء، وأظلمت الشمس عند نصف النهار، وأمطرت السماء نارا ورمادا، واندلعت ألسنة اللهيب، وصارت الشياطين تفسد فى الأرض، وشوهد عند شروق الشمس وغروبها ألوف من الأشباح تتحارب فى الهواء فى كل جانب ومكان).

قال دافدس (فى كتابه البوذية ص ٣٦) إن الهنود يقولون: (لما ابتدأ الحرب ما بين بوذا مخلص العالم، وأمير الشياطين، سقطت ألوف النيازك الهائلة، وامتد الظلام وتكاثف الغيم حتى أن هذه الدنيا ببحارها وجبالها اهتزت كأنها نفس تشعر، وهاجت البحار من شدة الزلازل، وعادت مياه الأنهار إلى ينابيعها، ودكت رؤوس الجبال بما عليها من الأشجار التى عمرت أجيالا، واشتد هدير العواصف فى كل مكان، وكان صوت الانصدام هائلا، واحتجبت الشمس بظلام مدلهم، وملئ الفضاء أرواحا متهدرة).

قال هيجن (فى كتابه أنجلو سكسنس المجلد الأول ص ٦١٦): (إن عباد المخلص بروسيوس يقولون إنه لما صلب على جبل قوقاسوس اهتزت الكائنات، وزلزلت الأرض، واشتد دوى الرعد، ولمعان البرق، ومزقت الرياح الشديدة ما فى الفضاء كل ممزق، وهاجت الأمواج المخيفة، وظهر كأن الكون آخذ بالانحلال).

قال كنون فرار (فى كتابه حياة المسيح ص ٥٢): (إن الرومانيين واليونانيين القدماء يعتقدون أنه عند ولادة أحد العظماء وموته، تظهر حوادث سماوية تنبئ عن ذلك، وقد قالوا إن الشمس أظلمت عند موت رومولس مؤسس رومة، وإنه حدث ظلام فى الدنيا دام ست ساعات).

قال جيبون (فى كتابه تاريخ جيبون المجلد الأول ص ١٥٩و٥٩٠): (إن الشعراء تيبلوس وأفد ولوسيان، والمؤرخين بلينى وأبيان وديون كاسيوس وجوليوس قالوا لما قتل المخلص أسكولابيوس أظلمت الشمس، واختبأت الطيور فى أوكارها، وطأطأت الأشجار رؤوسها حزنا، واغتمت قلوب الناس لأن شافى أمراضهم وأوجاعهم فارق هذه الدنيا).

قال دوان (ص ٢٠٨): (إن الوثنيين يعتقدون ويقولون: (لما كان هيركلوس بحال النزع قال للمرأة الأمينة واسمها (يول) التى تبعته إلى آخر مكان وطئه: لا تبكى قد خلص عملى، والآن صار وقت الراحة، وسأراك فى الأرض النيرة، ولما مات هذا الإله المخلص حدث على وجه الأرض ظلام، وأتى زوس رب الأرباب وحمل ابنه وأخذه إلى عنده، وفتحت قاعات أوليمبوس لملاقاة بطل النور الذى استراح من أتعابه الشاقة، وهنالك هو الآن مكتس بالحلة البيضاء وعلى رأسه الإكليل).

ويقولون أيضا: إنه لما عزم بيوس على مفارقة هذه الدنيا التى هى عالم الأوجاع والأحزان، قال لأنتيكون: (استودعك السلام، ولا تبكى يا ولدى، فإنى ذاهب لبيتى، وافرح بوضع حمل أحزانى وغمى) وحينما اقتربت آخرته، جرت علامات هائلة فى الأرض وفى السماء، واهتزت الأرض، ودوى صدى الرعد فى الفضاء.

وكان للرومانيين إله يدعى كيبرينوس، انبثقت نفسه من الشمس وعاد إليها، ولد من حلول إله الجنود على عذراء دمها ملوكانى، واضطهده أوليوس الجبار، وتربى عند الرعاة، ولما مات قطع إربا إربا، ولما صعد إلى السماء أظلمت الشمس.

قال العلامة كنسبرو (فى كتابه الآثار المكسيكية القديمة المجلد السادس ص٦): (كان المكسيكيون القدماء يعتقدون أنه لما مات كونزلكوتل المخلص المصلوب، أظلمت الشمس واحتجبت أنوارها).

القارئ الكريم: قد ذكرنا ما قاله عباد الإله كرشنا والإله بوذا والإله أندرا وغيرهم عن الظلمة التى حدثت حين موت أحد هؤلاء الآلهة المذكورين، إما صلبا أو قتلا، وقد ذكرنا حدوثها أيضا لما صلب يسوع المسيح، أنظر إنجيل متى الإصحاح ٢٧ العدد ٤٥ (ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة)، وفى إنجيل مرقس الإصحاح ١٥ العدد ٣٣، وفى إنجيل لوقا الإصحاح ٢٣ العدد ٤٤.

ولادة أحد الآلهة

الذين قدموا أنفسهم فداء عن القتل عند الوثنيين

قال العلامة دوان (فى كتابه خرافات التوراة وما يماثلها فى الديانات الأخرى ص ١١٢): (ومن عقائد الوثنيين القدماء قولهم بتجسد أحد الآلهة، ونزوله وسكنه معهم، وقد ورد ذكر ذلك على أنواع كثيرة من التصورات والروايات الشرقية، ولم يزل كرشنا حتى هذه الساعة الإله المحبوب عند نساء الهنود، والفرقة التى تحترمه مشغوفة بعبادته، وقد نشروا تعاليم يتمسكون بها أشد التمسك، وهى أن كرشنا يخالف كل الآلهة التى تجسدت، لأنها لم يكن فيها إلا جزء من الألوهية، أما كرشنا فهو نفس الإله فشنو ظهر بالناسوت).

وقال دوان (ص ١٣٥): (والهنود يقولون إن كرشنا هو ابن العذراء النقية الطاهرة ديفاكى، ويدعونها والدة الإله).

وجاء فى كتاب الهنود المقدس المدعو (فوشنو بورانا) ما يأتى:
(قد مجد الآلهة ديفاكى التى حملت برحمها الإله ذا العينين الخندقوقيتين– مخلص العالم– ومن ذا الذى يستطيع النظر إلى وجه ديفاكى بسبب النور المضىء، وكل من ينظر إلى نورها يختل شعوره.. والآلهة التى لا يراها الناس تمجدها مذ حل فشنو بها، فالإله فشنو أصل الشجرة العمومية، لا تدركه أفهام الآلهة، ولا الجن، ولا الحكماء، ولا الناس فى الحاضر

والمستقبل، كما أنها لم تدركه فى الماضى. والمعبود براهما وكافة الآلهة التى ليس لهـا ابتـداء وانتهاء، تكرمت بخلاص الأرض من حملها الثقيل، رحمة منها بإرسـال فشـنو إلى رحـم (ديفاكى) وولادته منها كأنه ولدها وتقمصه بكرشنا الذى هو نفس براهما، وإنـه لسـر عجيب كيف أن الإله تكيف بجسد الإنسان).

وقال أيضا: (أنا الواحد العظيم، أثبت وجودى بقدرتى، وعندما تقل الفضائل، وتكثـر الرذائل فى العالم، أبين نفسى وأظهر من جيل فجيل لحفظ البار، وهلاك الشـقى، وإعـادة الفضيلة إلى الكون).

وجاء فى كتاب (البهقيقات) جيتا، أن الإله كرشنا قال لتلميذه أرجون: (وأنـت يـا أرجون الذى بداعى ثقتك اعترفت بألوهية ولادتى، انضم إلى وادخل فى).

وقال أيضا: (والجهال لا يعترفون بلاهوتيتى، وبأننى رب كل شئ، ويحتقروننى بالناسوت متكلين على الشر والخبث والمكر فى طبائعهم، فآمالهم وحكمتهم وأفكارهم وطبيعتهم كلها فاسدة، أما الرجال ذوو العقول الواعية يتكلون على طبيعتهم اللاهوتيـة. فيعلمـون أنى الأبدى الكائن قبل كل شئ، ويعبدوننى بقلوب لا تميل إلى آلهة أخرى).

قال دوان (ص ١١٥): (والإله بوذا المولود من العذراء مايا الذى يعبده بوذيو الهنـد وغيرهم، يقولون عنه إنه ترك الفردوس، ونزل إلى الأرض، وظهر بالناسوت رحمة بالناس، كى ينقذهم من الآثام ويرشدهم صراطا مستقيما، ويحمل أوزارهم، ويفديهم مما يستحقونه من العذاب بأخذه عنهم ما يستحقونه من القصاص).

ويقول الوثنيون عن كل واحد من الآلهة الذين تجسدوا لخلاص الناس: إنه إله الآلهـة، وإله العالم، قادر عليم حكيم، وفادى الجميع (كتاب الديانات الشرقية ص ٦٠٤).

وجاء أيضا ذكر مناجاة العابد عمورا للإله بوذا المتجسد: (لك التعظيم يا من ظهـــرت بشكل بوذا المتجسد، يا رب الأرض لك المجد، يا أيها الإله المتجسد الواحد الأبدى لـــك الاحترام، يا رب الظاهر والرحمة، يا مبدء الأوجاع والأحزان، يا إله كل شئ، يـــا حـــافظ الكائنات، يا عالم الرحمة ورمزها يا فادى).

قال بنسون فى كتابه الملاك المسيح ص ٤٠،١٠، ٥٢: (يقول البوذيون إن ولادة بوذا كانت هكذا لما تجسد كوتاما بوذا نزلت قوة إلهية تدعى روح القدس على العذراء مايـــا، وكان نزولها على شكل فيل أبيض، والتيكاسيون البوذيون يقولون إن معنى الفيل الأبـــيض (الحكمة والقوة).

وجاء فى كتاب الصين (فو بنهنك) ما نصه: (إذا رأت والدة فى منامها حلما أن الفيـــل الأبيض دخل مـــن جنبها اليمين، فإذا وضعت غلاما يكون رئيس العالم وهو (بوذا) وينتفع منه كل ذى جسد، وهو القادر على تخليص الناس من بحار الشقاء والأحزان).

قال العلامة فركوسون فى كتابه الشجرة الأفعى: (والبوذيون يصورون مايا نائمة وقـــد نظرت فى منامها أن فيلا أبيض أتى ودخل فى جنبها اليمين، ويرتلون لها تراتيل، بأنها مملوءة رحمة، وأنها ملكة السماء، ومزيلة الأحزان، وأن ابنها بوذا محيى الأموات، ورجـــاء الأمـــم وناشر السلام. ومايا الملكة ستضع غلاما قدوسا حكيما يستفيد منه كل ذى جسد، ويحكم العالم).

ويعتقد سكان سيام بإله ولد من عذراء يدعونه (الإله المخلص)، واسمه بلغتهم (كودم) وأمه فتاة عذراء حسنة المظهر، أتاها وحى من الإله فهجرت الناس، وذهبت إلى الأحـــراج التى قل أن يجتاز بها الناس، وانتظرت الحمل بالإله، كما أتاها الوحى، وفى يوم من الأيـــام، بينما كانت تصلى حبلت من أشعة الشمس التى وقعت عليها، وعندما أحست بالحمـــل، ذهبت مـــن هنالك إلى شاطئ بحيرة ما بين سيام وكمبوديا، وهنالك وضعت غلاما سماويا، ولما شب صار مثال ومنبع الحكمة، وفعل العجائب.

قال دوان (ص ١١٩): (وقد اندهش الأوربيون الذين ذهبوا إلى رأس كـــــومورين فى جنوبى الهند، من رؤية السكان يعبدون إلها مخلصا يدعوه (سيلفاهانا)، واسم أبيه (تيشاكا)، وذلك الولد الإلهى ولد من عذراء، وأنه نفس فشنو العظيم المتجسد).

والصينيون يعتقدون بآلهة تجسدت: منها (فوهى وستين نونك)، و(هوانكتى) وغيرهـــا، ويقول الكساكيون الصينيون: إن بوذا حملته مايا العذراء، وقد حبلـــت بـــه فى منامهـــا، ووضعته من جنبها للطهارة، لا كما تضع الحاملات أولادهن، ويحكون عن ولادة لاوكيون العجائب، وكانت بعصر الإمبراطور تونكونك قبل المسيح عليه السلام ب- (٦٠٤) سنة.

يقولون: إنه (أى بوذا)، كان منذ الأزل، ونزل إلى الأرض، وولد من عذراء ســـوداء، ولكنها حسناء، وبديعة الطلعة، وبنو لعبادته هياكل كثيرة، ويعبدونه على أنه إله متجسد، ويدعون تلاميذه (المعلمين السماويين)، ويعتقدون أن الكهنة هم أعظم الوســائط لنـــوال القداسة العامة والخلاص، ويتضرعون إليه كخالق ومصـــور الســـموات والأرض، وممـــا يعتقدونه أيضا أن أمه وضعته من جنبها تحت شجرة.

وأما هاؤوكى فيقولون عن ولادته هكذا: (وكانت أمه عاقرا فقدمت قربانـــا للـــرب ليزول عنها العقر، ثم داست على أثر قدم الرب، فأخذت إلى المكان العظيم، وحملت بـــه، ولما حبلت اعتزلت الناس، وولدته كحمل وسمته هاؤوكى، وحين الوضـــع لم تشـــعر بـــألم المخاض، وهذا يدل على عجيبة تكوينه.

وعزاها الرب ونظر إلى قربانها النقى، وقبله وولدت ابنها بسهولة ويـــدعـــون كل من ولد من عذراء (ابن السماء)، وفى اللغة الصينية (تيانش).

ويقولون المصريون: (إن حورس المخلص ولد من العذراء أيزيس وإنه المنبثق الثانى مـــن

عامون، ويقولون الابن المولود، ويصورونه إما على يدى أمه، أو على حضنها. وقد تـرجم شمبليون فى كتابه (الدقة فى الهيروغليفى المصرى القديم) ما يأتى عن الخـط الهيروغليفـى: (أنت الإله المنتقم، وابن الإله، أنت حورس المنتقم، أنت الذى أعلن عنك أوزوريس أنـك المولود من الإلهة أيزيس).

ويقول المصريون أيضا: (إن الإله (دا) ولد من جنب أمه لا كما يولد الناس).

ويوجد على جدار أحد الهياكل فى تيبان صورة تمثل الإله توت رسول الإلـه (كـذا) قائلا: (العذراء الملكة موتمس ستلد ابنا إلهيا يكون هو الملك أمونوتوف). وكانوا يقولـون عن ملوكهم إنهم آلهة، كما أن كثيـرا من ملوكهم من قد أدعى الألوهية، ويقولون عـن زروستر صاحب شريعة عباد النار: إنه منبثق من نور الله، لا كما يخلق الناس، خلق بغـير دنس، أى أن أمه لم يمسها ذكر، وقال بلاطو: إن عباد النار من الفرس يدعونه (ابن الله).

ونرى من الغريب أن اليونانيين كانوا يدعون أبطالهم فى القرون الماضية آلهـة، وأولاد الآلهة، وأنهم ظهروا بالناسوت، ومن بعد موتهم انضموا مع الآلهة، وكـانوا يقربـون لهـم الذبائح والعبادات وغير ذلك، ومن جملة أبناء الآلهة هرقل ابن الإله المشترى، ولد من الأم المشترية (الكمين) ملكة تيبس، وقال زوس إله الآلهة عـن هرقل: إنه (ابنه)، وقال أيضـا: (بهذا اليوم سيولد لنا غلام من سبط برسيوت وسيكون أقوى أولاد الناس).

ويعتقدون أن باخوص ابن الإله المشترى، ولد من أم بشرية اسمها سيميل ابنة كدموس ملك تيبس، وأنه قد قال: أنا بوخص ابن الإله ذوس، الذى ولدتنى سيميل ابنة كـدموس، أتيت إلى بلاد تيباس، كونت من نور البرق، واتخذت جسد إنسان عوضا عن جسد إلهـى، وقد وصلت إلى ينابيع ديروس ومياه أسمينوس.

ومثله أمفيون ابن الإله المشترى، والأم البشرية أنثيوب ابنة الملك نيستيوس ملك بواتيا ويدعون أن نيستيوس (هذا الاسم مشتق من كلمة يونانية معناها البصر والعناية الإلهية) إله

اتحد لاهوته بناسوته فهو ذو نشأتين إلهية وجسدية فى جسم واحد، وهـــو إنســـان وإلـــه حقيقيان فى وقت واحد.

وبيريسيوس ابن الإله المشترى من العذراء دانية ابنــة أكريســيوس ملــك أرغــوس عبدوه، وقالوا عنه إنه إله، وبنوا له هيكلا فى أثينا، كانوا يعبدونه فيه.

ويقولون: إن عطارد هو ابن المشترى من الأم البشرية أطلس. ويقــال إن ســيلين فى أركاديا محل ولادته وتربيته، وقد بنوا له فيها هيكلا عظيما لعبادته. ويعتقدون أن يولــوص ملك جزائر ليبارى سيسيليا هو ابن الإله المشترى من الأم البشرية أفاسطا.

ويدعون أن بولو هو ابن الإله المشترى من الأم البشرية لاتونا، ويقول الأفسيون: إنــه ولد تحت شجرة، كما يقول البوذيون عن بوذا ولاوكيون من أمه لاتونا اســتظلت تحــت شجرة زيتون ووضعته، ولما وضعته ابتهجت الآلهة فى أوليمبوس وضــحكت وابتســمت السماء.

وكانوا يدعون أرتوس ابن المشترى من والده بشرية، ويدعون أروكلوس بن المشــترى أيضا من والدة بشرية. ويوجد غيرهم كثير ممن يدعون أهم أبناء المشــترى مــن أمهــات بشريات، ضربنا عن ذكرها صفحا، حبا بالاختصار.

ولا يخفى أن اليونانيين والرومانيين، كانوا يعبدون آلهة كثيرة وأبناء آلهــة. وتوســلات أورفيوس للمشترى هى هكذا (أنت القادر، والأول والآخر، والرأس والوسط، أنت الإله المشترى الواهب لكل شئ، ومؤسس الأرض والسماء ذات النجوم).

وقال دوان (ص ١٢٥): (وكان الرومانيون يؤلهون ملوكهم ويعبدوهم ويقيمون لهــم التماثيل).

وهذه أسماء بعض ملوك الرومانيين الذين ألهوا: منهم روميلوس مؤسس رومية (٧٥٣. ق.م) ويدعونه (ابن الله) ولد من العذراء راسيلفيا، ويقولون عن يوليوس قيصر إنه ابن الله، وقالوا أيضا إن أوغسطوس قيصر إنسان وإله، وقد جاء ذكر ألوهيته فى شعر فيرجيـــل، إذ يقول إنه ابن جوف (أى المشترى)، وبنوا له هياكل عبدوه فيها، وعينوا لها كهنة ورؤســـاء ليقوموا بعبادته فيها. وقد ألهوا كلوريوس، وكانوا يدعون ملوك رومية بهذه الألقاب (ربنـــا ومعلمنا وسيدنا وإلهنا).

وقد قالوا عن الإسكندر المقدونى الذى ولد قبل المسيح بـ ٣٥٦ سنة: إنه إله علـــى الأرض، وإنه ابن المشترى من الأم البشرية أولمبياس، وقد زار مرة هيكل المشترى عمـــون المشاد فى وريقة صحراء لبيان، وهنالك سمع صوتا يناديه أنت ابن الله، ومن ذاك الحين صار يمضى أوامره ومكاتيبه وغير ذلك هكذا: (الكسندر ابن المشترى عمون).

وكذلك سقراط ذكر الإسكندر بشعره أنه إله وابن المشترى، وقد ألهوا بطليموس أحد القواد الذين كانوا مع الإسكندر المقدونى، وهذا صار ملكا على مصر بعد موت الإسكندر وكانت تدعوه رعيته (بطليموس المخلص)، ومعنى كلمة (صوتر) الموصوف بها(مخلص).

ويقولون عن سيروس ملك الفرس: إنه من أصل إلهى، ويدعونـــه المســـيح، أو الإلـــه الممسوح، ويقولون عن بلاتو: إنه ابن الله، وكانت ولادته فى أثينا سنة ٤٢٩ قبل المســـيح عيسى عليه السلام، ويعتقدون أنه ولد من عذراء طاهرة نقية، وأن إيزيس الذى يقال عنه إنه أباه أنذر بحلم رآه فى المنام، بأن لا يقترب منها، ولا يمسها، حتى تضع حملها لأنها حبلى من الإله أبولو.

وقالت والدة أبولونيوس إنها رأت أحد الآلهة يقول لها إنه سيولد منها، وبعد مضى أيام وضعته، ولما كبر صار من أعظم المعلمين الذين عملوا العجائب والآيات، وتاريخـــه قبـــل المسيح عليه السلام بـ ٤٠ سنة.

ويقولون عن فيثاغورث: إنه إله، وإن أمه حملت به من طيف ظهر لها، وهذا الطيف هو روح القدس، وأباه يدعى بذلك الاسم فقط، وقد أخبر بحلم أن زوجته ستلد ابنا ينفع الناس.

ويعتقدون أن أسكولابيوس صاحب القوات والآيات والعجائب ابن الإله ولد من أم بشرية اسمها كورونيس، ولما سأل المسينيون الكهنة عن زمن ولادته والمحل الذى سيولد فيه، وعن اسم أبيه، قالوا لهم: إن الإله أبوه، واسم أمه البشرية كورونيس، والمحل الذى يولد فيه هو مدينة أبيدوس (جنوبى أسيوط).

وقد اعتقد سكان رومية بألوهية سمعان السامرى الملقب (ماغوس) أو (الساحر)، وكان معاصرا للمسيح عليه السلام، وقالوا: إنه عمل آيات وعجائب مدهشة، ووضعوا صورته مع صور الآلهة المصورين فى تلك المدينة. وقد نقل المؤرخ يوسبيوس عن جوستين الشهيد أن الرومانيين كانوا يعتقدون بألوهية سمعان الساحر، ويوجد على الجسر الكائن فوق نهر تبريس هذه العبارة (لسمعان الإله القدوس).

وكانت الأمم الساكنة بشمالى أوروبا كالأسويجيين والنروجيين والهولنديين وغيرهم يصفون أبطالهم بالألوهية، وأنهم أولاد الإله (أودين)، وقد وصفوا الشعراء بالألوهية أيضا.

ويقولون: إن تورهو أول مولود ولد من الإله أودين، ويقولون عن (بلدر): إنه (الصالح)، و(المخلص)، (وابن الإله أودين، وأمه إلهة فريجا).

وكان سكان المكسيك قبل ذهاب كولومبس إليها سنة ١٤٩٢م بأجيال عديدة يعبدون إلها مخلصا اسمه (كوتز لكوتل)، ولد من عذراء بتول طاهرة، وكانوا يقولون: إنه أتى رسول من السماء، وبشر أمه بحملها به بغير مضاجعة رجل، واسم أمه (العذراء حويشيكثرال

ملكة السماء)، ويقولون: إنها وضعته فى بلاد (النولا) (أى: تملو بلان). ويعتقد مايايو كاتان فى أمريكا أن الإله (ذاما) هو الإله كنيشاهان.

وميوتسكيو كولومبيا يعتقدون بإله اسمه بوشيكا، مولود من الأب العظيم.

وسكان نيكازكو لهم إله يدعونه صوما تويو، ويقولون: إنه أرسل ابنه إلى الدنيا واسمه ثيوبتلاهى، علمهم وأرشدهم طريق الهدى.

وكان سكان البيرو يعبدون الشمس، ويقولون: إنه لما رأت شقاء حال الناس أرسلت ابنها (مالكو) ليعلمهم ويرشدهم إلى سواء السبيل.

والإيركويسيون يعبدون إلها من جهة إنسانا، ومن الجهة الأخرى إلها تجسد وظهر بالناسوت، واسمه عندهم (أثارينكواكانا)، ثم علمهم الشرائع وأسس لهم حكومتهم، ويقولون أيضا: إنه الروح العظيم.

والأجبوا بو من هنود أمريكا أيضا يعتقدون بإله ظهر بالناسوت، ويسمونه (ميشابويح)، وأنه الولد البكر لإله السماء (منيوتوعا)، ويقولون: إنه ولد من أم بشرية، ويحترمون هذا الإله المتجسد احتراما تعظيما، ويقولون عنه (مخلص الناس).

مريم العذراء والدة الإله يسوع المسيح

وأما قول النصارى عن مريم العذراء إنها والدة الإله، مثل والدات الآلهة عند الوثنيين، فهو أشهر من نار على علم، حتى أنهم ينشدون الأناشيد تعظيما لها، ويتضرعون إليها فى أيام مخصوصة يسمونها (الأيام المريمية)، ويلقبونها (ملكة السماء ووالدة الإله الممتلئة نعمة، وصاحبة المجد على الأرض وفى السماء)، وما شاكل كل ذلك من أوصاف التعظيم والتأليه. وجاء فى إنجيل لوقا الإصحاح الأول العدد ٢٨ طبعة ١٩٨٥م ما يلى: (فدخل إليها الملاك

وقال سلام لك أيتها المنعم عليها، الرب معك، مباركة أنت فى النساء).

وقد صار القول بأنها والدة الإله فى مجمع أفيسوس سنة **٤٣١** بعد المسيح.

قال دوان (من ص **٣٣٦-٣٣٨**) ما ملخصه: (كما نجد عند الوثنيين والدات الآلهة، يعظمونهن، ويلقبونهن بألقاب التمجيد والتفخيم، كذلك نجد عند النصارى والدة للإله، يعظمونها ويلقبونها بالألقاب التى يلقب الوثنيون بها والدات آلهتهم، يؤكد ذلك الرسوم التى يصورونها بها، وهى محتضنة ولدها المسيح، فإنها مثل الرسوم التى يصور الوثنيون والدات آلهتهم تماما).

ويمكنك أن تقابل هذه الرسوم بما هو موجود للآن عند النصارى من الصور والتماثيل، مع ملاحظة تلك القرون الطويلة التى كانت بين آلهة الوثنيين كبوذا وكرشنا وغيرهما. وبين عيسى المسيح إله النصارى، وأيضا فإن الصينيين يضعون صورة الإله (شينمو) إلههم فى أحسن محل من البيت ويجللونها بغطاء من الحرير، كما يفعل أكثر النصارى بصورة العذراء مريم، ويبنون الهياكل على اسمها مثل (هيكل والدة الإله متسوبو) كما يبنى النصارى كنائسهم مثل (كنيسة السيدة)، (وكنيسة العذراء).

وكان المصريون القدماء يلقبون والدة الإله إيزيس، أو والدة المخلص حورس بأسماء عديدة منها (السيدة)، (ملكة السماء)، (نجمة البحر)، (والدة الإله)، (الشفيعة)، (العذراء) إلخ.. ويصورونها واقفة على الهلال، يحيط بها عشرة نجوم، كما يصور النصارى مريم العذراء واقفة على الهلال يحيط بها اثنتا عشرة نجمة. غير أن تصوير الوثنيين لوالدات آلهتهم بهذا الشكل سابق لتصوير النصارى لمريم العذراء بقرون عديدة.. فتدبر!!.

قال القديس أبيفانيوس بخصوص عبادة المصريين للعذراء المذكورة والدة الإله إنه: (لا ريب قد جاءهم وحى منذ القديم عن العذراء وحبلها).

قال بونويك (فى كتابه دين المصريين ص ١٤٣): لقد جاء فى كتاب للنصارى قديم العهد اسمه (سفر أخبار الإسكندرية) ما نصه: (أنظروا كيف يمثل المصريون ولادة العذراء ثم ولادة ابنها، وهذا عين ما يقوله النصارى بخصوص ولادة المسيح، مع أن الحين بين القصتين مديد جدا).

وعيد دخول المسيح إلى الهيكل، وتطهير العذراء الذى يقع فى ٢ شباط (فبراير) من كل سنة، هو من أصل مصرى، فقد كان المصريون يعيدون إجلالا وتعظيما للعذراء نايث، وفى ذات اليوم يعيد النصارى هذا العيد.

وأهالى بابل وآشور عبدوا عذراء، زعموا أنها والدة إله وصوروها على يدها ولدها الإله، كما هى الحال عند النصارى تماما، واسم هذه العذراء (ميليتا) واسم ابنها المخلص (تموز)، ويلقب بالوسيط والمخلص، وكان يوجد فى جزيرة قبرص هيكل اسمه (هيكل العذراء ميليتا) وهو أعظم الهياكل التى كانت فى عصر اليونانيين إبان مجدهم.

وقد ولج اليهود أيضا فى لجج بحار الوثنية، حتى أنهم عبدوا الشمس والقمر والنجوم، وقدموا من الإنسان ذبيحة وقربانا لأحد تلك الآلهة، ومما عبدوه عذراء دعوها (ملكة السماء)، كما جاء فى سفر أرميا الإصحاح ٤٤ من عدد ١٦-١٩ قالت اليهود إلى أرميا: (إننا لا نسمع لك الكلمة التى كلمتنا بها باسم الرب، بل سنعمل كل أمر خرج من فمنا فنبخر لملكة السموات، ونسكب لها سكائب كما فعلنا نحن وآباؤنا وملوكنا ورؤساؤنا فى أرض يهوذا فى شوارع أورشليم، فشبعنا خبزا وكنا بخير ولم نر شرا، ولكن من حين كففنا عن التبخير لملكة السموات وسكب السكائب لها، احتجنا إلى كل وفنينا بالسيف والجوع، وإذا كنا نبخر لملكة السموات ونسكب لها سكائب، فهل بدون رجالنا كنا نضع لها كعكا لنعبدها ونسكب لها السكائب).

وما جاء عن ولادة (مرها) والدة الإله باخوص عند الرومانيين يشابه تمام المشابهة ما جاء فى إنجيل متى الإصحاح الأول من عدد ١٨ إلى ٢٤، وقد فسر القديس جيروم اسم (مرها)

ب– (مريم). وكانوا يلقبونها (إلهة البحر)، ويلقبون مريم والدة المسيح الآن (نجمة البحر).

وكان اليونانيون يدعون والدة الإله العذراء (جونو) (ملكة السماء)، ويعبدونها معتقدين أنها حارسة النساء مــن المهد إلى اللحد، كما تعتقد النصارى اليوم بمريم العذراء.

اعتقاد الوثنيين
طلب الملوك والجبابرة قتل الآلهة المتجسدة
وهي كل خلاصها من طالبي هلاكها

قال جوكرت أشوند غنفولى وهو أحد الوثنيين المتنصرين فى الهند فى كتابه (حياة الهنود وديانتهم ص ١٣٤): (يعتقد الهنود الوثنيون أنه لما ولد كرشنا سمعوا صــوت منــاد مــن السماء يقول لحاضنه: قم وخذ الولد واهرب به، واقطع نهر الجومتا، ففعل كما أمــر، لأن الملك قانصا كان قاصداً إهلاك الطفل المخلص، وقد أرسل الملك المذكور رسلاً من مملكته كى يقتلوا كل مولود ذكر).

قال هيجين: ويعتقد الهنود الوثنيون أنه لما ولد كرشنا أخذوه بالليل وهربوا به إلى بلاد بعيدة عن محل ولادته، خوفاً من الجبار، الذى قيل إن كرشنا سيكون السبب فى إهلاكه متى شب، ولذلك أمر الملك بقتل كافة الأطفال الذين ولدوا فى مملكته.

ويقولون عن سلفاهانا المخلص المولود من عذراء: (وكان يعبده ســكان أهــالى رأس كامورين بالهند) كما يقولون عن كرشنا من هرب مربيه به، وأنه لما كبر قتل الملك الــذى

أراد قتله وهو طفل.

ويقول الهنود كانت حياة بوذا محدقة بالأخطار فى طفوليته، وكـان فى جنـوبى بـلاد المفاضد ملك عات جبار اسمه (بمباسارا)، ولخوف هذا الملك من قيام أحد يغتصـب منـه الملك، شاور وزراءه عما يجب عمله لحفظه مما يخشاه فقالوا له: يوجد فى الشـمال عائلـة معتبرة عظيمة تدعى سقيا، ولد لهم غلام وهو بكر أمه واسمه بوذا، وربما يحصل لك منه شر مبين، وأشاروا عليه بتجنيد الرجال، وإرسالهم كى يقتلوا الغلام. وعند بوذا(المغـول) مـا يماثل هذه القصة. ويقول الصينيون عن هأوكى البطل الصينى مثلما يقول الهنود عن بـوذا أيضاً.

ويقول المصريون عن حورس: إنه ولد بفصل الشتاء وربى سرا بجزيرة بوتا خوفـاً مـن تيفون الذى قصد قتله وهو طفل.

وقصة تيروس ملك الفرس (قبل المسيح بنحو ستمائة سنة) تشابه ما مر معنا، ويقولون أيضاً: إن والده رأى حلما وفسره عند المجوس، فقالوا: ستضع ابنتك فندان غلاما يكـون سبب إخراج الملك منك، ولما ولد الغلام سلمه إلى هرباغوس ليقتله، وهذا المذكور سـلم الولد لراع كى يقتله، فأخذ هذا الراعى الطفل وادعى أنه (أى سيوس) ابنه وربـاه، ولمـا شب الغلام، أقام على استياخيس وأخذ الملك منه كما تنبأ المجوس، وهيردوتـس المـؤرخ اليونانى قد ذكر قصته والحلم الذى فسره المجوس.

ويقولون عن زروستر مؤسس ديانة المجوس: إن حياته كانت مدة طفوليته محاطة بالخطر، ولذلك هربت به أمه إلى بلاد الفرس، ورأت فى منامها روحا؟ قالت لها: لا تخافى شيئاً، فالله يحمى هذا الطفل لأنه المرسل الذى ينتظره العالم.

وكانت حياة برسيوس ابن العذراء دانيا محاطة بالخطر من طفوليته، لأن قرسيوس أخبر

ملك أرغوس أنه سيولد من ابنته العذراء غلاماً متى كبر يقتله (أى يقتل جده)، فحبس ابنته فى برج كى لا يصل إليها أحد من الرجال، حفظاً لحياته مما تنبأ عنه المجوس، وفى يوم من الأيام زارها الإله المشترى، فحبلت وولدت ابناً وسمته برسيوس، ولما سمع عن وضعها لهذا الغلام، أمر بوضعها مع ابنها فى صندوق وأن يطرح فى البحر ففعل بهما كما أمر، فوجدهما رجل اسمه ديكتيس، فنشلهما من البحر ونجاهما.

ولما كان أسكولابيوس طفلا، وضع على جبل آلاس ليموت، فوجده الرعاة فأخذوه وربوه.

وهرقس المولود من العذراء ليتو وضع فى سهل ليموت، فوجدته ابنة وربته.

وأودبوس طرحته أمه على جبل كسيرون، فوجده الرعاة فأخذوه وربوه.

وتلفوس وتراجان وياموس وأبولو وغيرهم كثيرون من أولاد الآلهة، أو النصف آلهة، أراد ملوك عصرهم إهلاكهم خوفا منهم، وبأمر سماوى نجوا من مضطهديهم، فضربنا عن ذكرهم صفحاً حباً بالاختصار.

اعتقاد النصارى بأن هيرودس أراد قتل المسيح وكيفية خلاصه

قد رأينا اعتقاد الأمم البائدة فى طلب الملوك والجبابرة إهلاك أبناء الآلهة المتجسدين والمولودين من عذراء، ورأينا ما قال النصارى عن يسوع المسيح فكانوا فيه مثلهم، جاء فى إنجيل متى الإصحاح الثانى العدد الثالث عشر: (وبعد ما انصرفوا (أى المجوس) ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلاً: قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك لأن هيرودوس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه، فقام وأخذ الصبى وأمه ليلاً وانصرف إلى مصر).

تجربة الشيطان لأنبياء الآلهة المذكورين وصيامهم مدة أربعين يوماً

جاء فى كتاب (حياة بوذا الصيامية) تأليف مونكيور كونوى الصينى صفحة ٤٤و١٧٢و ١٧٣: (والكائن العظيم بوذا جرد نفسه فى الزهد لدرجة عدم الأكل (أى صام) والتنفس أيضا.. فأتى الأمير مارا (أى أمير الشياطين) وقصد تجربة بوذا مراراً عديدة مدعياً الشفقة والحنو عليه، وقال لبوذا: (انتبه يا أيها الكائن العظيم، فإن حالتك محزنة لكل من يراك، وقد نحلت لحد لا يوصف.... فإنك تمارس الذل وتعانيه باطلا، وإنى أرى أن لا تبقى هنا كثيراً... يا رب قد تحملت كثيراً من العذاب المبين، فلا تستعمل حياة دنيئة بل ارجع إلى ملكوتك، وبمدة سبعة أيام تصير الحاكم على أربع قارات).

فأجابه الكائن العظيم بوذا: (انتبه يا مارا أنا عالم إنى بمدة سبعة أيام أربح الكون كله، لكننى لا أود ملكاً كهذا، لأن التمسك بالدين خير من ملك العالم، أنت تفكر بالشهوات الشريرة، تروم إجبارى على ترك الناس بغير مرشد، حتى لا يكونون فى مأمن من دهائك، فاذهب عنى، وركب الرب وسار مُصراً على قصده، وأمطرت السموات أزهاراً، وتخلل الفضاء روائح عطرية بديعة العرف جداً).

وجرب الشيطان زروستر (مؤسس ديانة المجوس)، ووعده مواعيد عظيمة إذا أطاعه واعتمد عليه، ولكن تجاربه ذهبت سدى، وعندهم حكايات خرافية، وقصص لا طائل تحتها، أساسها تجربة الشيطان لزروستر.

وجرب الشيطان أيضا (كوتزلكوتل): مخلص البرازيليين المولود من عذراء، وصام أيضاً أربعين يوماً.

قال أكوستا وغيره: (كان كهنة المكسيك والبيرو يصومون صياماً مهلكاً، ويقولون عن مخلصهم (كوتز لكوتل) إنه صام أربعين يوما لما جربه الشيطان.

تجربة الشيطان ليسوع المسيح:

ذكرنا الآن ما جاء عند الوثنيين من تجربة الشيطان لأبناء آلهتهم، والآن نأتى ببعض مـــا جاء فى الإنجيل عن تجربة الشيطان ليسوع المسيح.

جاء فى إنجيل متى الإصحاح الرابع ١-١١:(ثم أصعد يسوع إلى البرية مـــن الـــروح ليجرب من إبليس، فبعد ما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً. فتقدم إليه المجـــرب وقال له: إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً، فأجاب وقال: مكتوب لـــيس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله.

ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل. وقال له: إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل، لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك، فعلى أياديهم يحملونك لكى لا تصدم بحجر رجلك، قال له يسوع: مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك.

ثم أخذه أيضا إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له: أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى. حينئذ قال له يسوع: اذهب يا شيطان، لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد، ثم تركه إبليس، وإذا ملائكة قد جـــاءت فصـــارت تخدمه).

نزول أبناء الآلهة المتجسدين إلى الجحيم لأجل خلاص الأموات

يعتقد الوثنيون أن آلهتهم المتجسدين، نزلوا إلى الجحيم بعد قتلهم أو صلبهم ليخلصوا الأموات.

- كرشنا مخلص الهنود قبل ذهابه إلى السماء، نزل إلى الجحيم ليخلص الأموات.
- زروستر نزل إلى الجحيم ليخلص الأموات.
- أدونيس المخلص المولود من عذراء، نزل إلى الجحيم ليخلص الأموات.
- باخوص المخلص المولود من عذراء، نزل إلى الجحيم ليخلص الأموات.
- هرقل المخلص المولود من عذراء، نزل إلى الجحيم ليخلص الأموات.
- عطارد الكلمة، نزل إلى الجحيم ليخلص الأموات.
- بالدور إله الإسكندنافيين، من بعد قتله نزل إلى الجحيم ليخلص الأموات.
- كوتزلكوتل مخلص المكسيكيين، نزل إلى الجحيم ليخلص الأموات.

وعلى هذا المثال يقال فى كافة آلهة الوثنيين الذين ظهروا بالناسوت وماتوا صلباً أو قتلا فداء عن الخطيئة (راجع كتاب العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية، لمحمد طاهر التنير).

نزول يسوع المسيح إلى الجحيم ليخلص المعذبين فيها

كما قال الوثنيون عن نزول أبناء آلهتهم إلى الجحيم ليخلصوا المعذبين فيها، قالت

النصارى عن نزول المسيح إلى الجحيم ليخلص المعذبين فيها أيضا.

جاء فى التعليم المسيحى ذكر نزول المسيح إلى الجحيم، وأنه فى اليوم الثانى قام من بين الأموات. قال القديس كريستوم فى سنة ٣٤٧ بعد المسيح: (لا ينكر نزول المسيح إلى الجحيم إلا الكافر).

وجاء فى أعمال الرسل الإصحاح الثانى العدد ٣١: (سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح إنه لم يترك نفسه فى الهاوية ولا رأى جسده فساداً).

وفى رسالة بطرس الرسول الأولى الإصحاح الثالث عدد ١٧و١٨و١٩، (لأن تألمكم إن شاءت مشيئة الله وأنتم صانعون خيراً أفضل منه وأنتم صانعون شراً *فإن المسيح أيضا تألم مرة واحدة من أجل الخطايا البار من أجل الآثمة لكى يقربنا إلى الله مماتا فى الجسد ولكن محيى فى الروح* الذى فيه أيضا ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن).

قيام أولئك الآلهة من بين الأموات

يعتقد وثنيو الهند بقيام كرشنا من الموت، وصعوده إلى السماء بجسده، وأنه لما كان صاعدا ظهر نور أضاء الأرض والسماء، وكان محيطا به أرواح سماوية، وكان نور تلك الليلة التى قام فيها من بين الأموات، كالنور الذى ظهر حين ولادته فى بيت فسودينا، وأن نوره تبعه إلى الفردوس، وشاهده الناس، وقالوا: (هو ذا كرشنا صاعد إلى وطنه فى السموات).

وراما وهو فشنو بأحد الأدوار التى ظهر فيها بالناسوت (الجسد) من بعد ما أتم أعماله الأرضية صعد إلى السماء، وعاد إلى لاهوته، وببركة اسم راما والإيمان به تغتفر الخطايا، وكل من يذكر اسمه ويسجد له بإخلاص عند موته تغفر ذنوبه كلها.

وقصة قيام بوذا من بين الأموات، تماثل ما مر ويدعونه (كميديو، وكاما)، و(كام) ويقولون عنه: لما مات سكبت الدموع عليه، وحزن أهل السموات والأرض حيث إنهم خسروا إله المحبة، حتى أن مهاديو (أى الإله العظيم)، حزن ونادى: (قم أيها المحب المقدس)، فقام كاما (أى بوذا) حيا، وبدلت الأحزان والأتراح بالأفراح، وهاجت السماء ونادت فرحة: (عاد الإله الذى ظن أنه مات وفقد)، وعظم خوف جهنم، وأبدلت السماء تعجبا، وأزيل عنه الكفن، وفتح القبر بقوة إلهية، وصعد بجسده إلى السماء بعد ما أتم عمله، وإلى هذا الحين يعرضون على أتباعه أثر قدميه بالجبل الذى صعد منه إلى السماء، ويعتقد أتباعه أنهم بصلاتهم له يدخلون ملكوت السموات، ويصيرون معه كواحد، كما هو واحد، مع منبع النور.

ويعتقد الصينيون أنه لما أتم لاوكيون (المولود من عذراء) أعماله الخيرية وإحساناته فى الأرض، صعد بجسده إلى الفردوس، ويعدونه إلها، ويوجد عدة هياكل مهمة شيدت من أجله وباسمه.

ويعتقد المجوس بألوهية زروستر، ويقولون إنه: أرسل ليفدى الناس ويخلصهم من الطرق الشريرة، وإنه بعد ما أتم أعماله على الأرض، صعد إلى السماء.

وأتباعه إلى هذا اليوم يذكرونه باحترام وإجلال، ويقولون: زروستر الحى والمبارك والنجم، وما شاكل ذلك من الأسماء والألقاب.

وابن الله المخلص–على زعمهم–أسكولابيوس، من بعد ما قتلوه قام من بين الأموات، وقصة تاريخه مذكورة فى شعر، وهى تنبئ عن حياته وأعماله.

والمخلص أدونى (ويدعى تموز أيضا) بعدما قتلوه قام من بين الأموات، وقصة موته

وقيامه حكاها جوليوس قرمسيوس، وكان هذا الراوى معاصراً لقسطنطين، قال: فى ليلة معينة بينما كان القداس جاريا لتعظيم أدونى جاؤوا بتمثال ووضعوه على مهد، وشرع القوم يندبون بأناشيد الحزن والرثاء، ومن بعد ذلك جاء الكاهن، وصار يمسح أفواه المرتلين بزيت، وهو يقول: (ثقوا أيها القديسون برجوع إلهكم، واتكلوا على ربكم الذى قام (من الموت) فبآلامه استجلب لنا الخلاص).

وقال الدكتور برتشيرد فى كتابه خرافات المصريين: (وكان السوريون يُعيِّدون لأدونى بفصل الربيع، وكانوا أولا يندبون موته بحزن عظيم، ثم يذكرون قيامه من بين الأموات بفرح وابتهاج).

قال كلمت فى كتابه قاموس التوراة بخصوص قيام أدونى من بين الأموات: (ومن بعد ندبهم وانتحابهم على أدونى يعلنون أنه قام وعاد حياً، وعلامة قيامه (من بين الأموات) إدخالهم النور إلى المحل الذى فيه).

قال الكسندر مورى فى كتابه الخرافات : (كان اليونانيون القدماء يحترمون عيد قيام أدونى من بين الأموات، ويعظمونه جداً، وكانوا يأتون بصنم على أنه أدونى ويتلون عليه جنائز الموت، وهم يبكون ويرتلون أناشيد الحزن واليأس، ومن بعد ذلك ترتفع أصوات الفرح والسرور، وينادى بأن أدونى عاد حياً وقام).

وأوزيريس المخلص المولود من عذراء، قام من بعد موته، والمصريون يدعونه (الواحد المبعوث) وقال مهامى: (إن محور التعليم الدينى عند الوثنيين فى مصر فى القرون الخالية هو الإيمان بقيام الإله، الوسيط الظاهر بالناسوت، والمولود من العذراء، من بين الأموات، وأبدية تملكه لملكوت السموات، وكانوا يُعيِّدون عيد الفصح بفصل الربيع تذكاراً لقيام الإله المخلص أدونى من بين الأموات، ويمرحون فرحاً، ويموجون تيها، ويعتقدون أنه قدم نفسه ذبيحة فداء عن الناس وأنه مانح السلام والحياة وفاتح الحق.

قال بونويك فى كتابه الاعتقادات المصرية: ومن العجائب المدهشة أن الأمم منذ خمسة آلاف سنة، وثقوا بأوزيريس المخلص الذى قام من بين الأموات، واعتقادهم بأنه مخلصهم وأنهم سيعودون أحياء مثله.. وهو أشهر آلهتهم ويحبونه جداً، ويقولون: إنه الواحد الصالح وحبيبهم فى الحياة والممات، (وحذر علماء اللاهوت عندهم قصة ولادته وموته وقيامه وصعوده إلى السماء). وحبا بالخير حمل الأنام، ولذلك غلب وقتل، ودفن، وأصبح قبره أبرك بقعة بمصر ويقصدها الزوار، ودامت هذه الحال مدة ألوف من السنين، وكانوا يوقدون السرج على قبره، ويرتلون له الأناشيد المحزنة، وقد ذكر نغمتها هيردوتس، وقبل العيد يحزنون عليه ثلاثة أيام يقضوها بالبكاء والنحيب، ثم يباشرون عيد قيامه من بين الأموات بالأفراح والمسرات.

وأصاب حورس ابن العذراء إيزيس، ما أصاب أوزيريس، أى قتل، ثم قام من بين الأموات، والذين يعتقدون به يعملون له، كما يعمل للذى ذكر سابقاً من الحزن والبكاء، ثم الفرح والزينة يوم قيامه من الموت.

وأتيس مخلص الفريجيين وإلههم قتل ظلما، ثم قام من بين الأموات، ويحكون قصة ولادته بروايات مختلفة، لكن موضوعها واحد، ويدعونه (الواحد الذبيح)، الذى عاد إلى الحياة بتاريخ ٢٥ آذار (مارس)، ويدعون هذا اليوم المذكور (هيلاريا) أو عيد الفصح الأصلى.

ومترات مخلص الفرس وهو الوسيط بين الله والناس، كانت عبادته شائعة فى بلاد الفرس والأرمن وآسيا الصغرى مات قتلا، ثم قام من بين الأموات، ويوم عيد قيامه الواقع فى ٢٥ آذار(مارس)، يأتون بشاب يتماوت ردحا قصيرا، ثم يقوم على أنه عاد حيا، وما ذلك إلا تمثيلا لموته وقيامه، ويعتقدون أن بتألمه نالوا الخلاص، ويدعونه المخلص، وفى يوم عيد قيامه المذكور سابقا، تقعد الكهنة على القبر الذى يعملونه فى معابدهم يبكونه ويندبونه فى ظلام الليل، ثم يشعلون السرج بغتة، وينادون: (افرحوا وهللوا أيها القديسون المخلصون، فقد

عاد ربكم الذى بموته وآلامه وأوجاعه نلنا الخلاص).

والمخلص باخوص ابن العذراء سميل، بعد قتله قام من بين الأموات، وفى يــوم قيامــه، كانوا يأتون برجل ميت، يضعونه على مهد، ويندبون موت مخلصهم باخوص كغيرهم مــن الأمم الوثنية المذكورة فيما مر، وفى صباح اليوم الخامس والعشرين من آذار، ينادون أنــه قام من الموت، ويباشرون بإقامة الأفراح، معتقدين أن موته جلب الخلاص والأفراح للبشر المنكودى الحظ، ويقولون: إنه بعد قيامه صعد إلى السماء.

ويعتقدون أن هرقل المخلص ابن الإله زوس من الأم البشرية، قتــل وقــام مــن بــين الأموات، وصعد إلى السماء على غمامة يحفها الرعد، وقد بنى المعتقدون بألوهيته هيكلاً فى المكان الذى يقال عنه إنه صعد منه إلى السماء.

وممنون قتل ثم قام من بين الأموات، وبكته أمه واكيوس، وحزنت عليه، وأحفــاريوس قام من بين الأموات، وكان المؤمنون به من اليونانيين يدلون الناس على المكان الذى صعد منه إلى السماء.

ويلدور إله الإسكندنافيين ومخلصهم، قتل وقام من الموت إلى الحياة الأبدية، ويقولــون: (لما نزل يلدور الصالح والإله الرحيم إلى الجحيم قال لهرمود (الذى بكى عليه وفداه): (قل لكل من فى العالم من حى وغير حى، أن يبكوا على كى أعود إلى عند الآلهة، ولما سمع منــه هذا الخطاب أرسل الدعاة إلى كافة أنحاء العالم كى يبكوا ويندبوا ليــتخلص يلــدور مــن الجحيم، فبكوه بتلهف وعندها عاد حياً).

ويعبدون إلها آخر اسمه فرى يقولون: إنه قتل ثم قام من بين الأموات، وكان الدرويــد سيون القدماء فى بريطانيا يعتقدون بموت باخوص وقيامه من الموت، ويعملون جنازاً تذكاراً لموته سنويا فى هياكلهم، يشابه الجناز الذى يعمله الرومان واليونان.

كوتزلكوتل مخلص المكسيكيين الذى قتل صلبا، قام من بين الأموات وقصة قيامه مذكورة بالخط المكسيكى الهيروغليفى فى (الكودكس بورجيانوس) ظاهرة حتى يومنا هذا.

وكان المصريون والفرس والصينيون وغيرهم يصبغون البيض بألوان مختلفة، ويتهادونها، ومنهم من كان يحفظها إلى العام القابل، لليوم الذى قام أحد أولئك الآلهة المتجسدة من بين الأموات فيه رمزاً لإعادة الحياة.

قيام المسيح من بين الأموات

كما قال الوثنيون عن قيام أبناء آلهتهم من بين الأموات، قالت النصارى عن يسوع المسيح تماماً.

جاء فى إنجيل متى الإصحاح ٢٨ من عدد ٥ إلى ٨: (فأجاب الملاك وقال للمرأتين، لا تخافا أنتما، فإنى أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب، ليس هو ها هنا لأنه قام كما قال، هلما انظرا الموضع الذى كان الرب مضطجعا فيه، واذهبا سريعا قولا لتلاميذه إنه قد قام من الأموات، ها هو يسبقكم إلى الجليل، هناك ترونها، أنا قد قلت لكما).

وقد جاء أيضا ذكر قيامه من بين الأموات فى إنجيل مرقس الإصحاح السادس عشر، وفى إنجيل لوقا الإصحاح الرابع والعشرين، وفى إنجيل يوحنا الإصحاح العشرين، ومع هذا فلم تتفق الأناجيل على هيئة قيامه، بل ذكر فى كل واحد ما يخالف الآخر.

ثالثاً: مجىء الآلهة المتجسدة التى قامت من بين الأموات

فى هذا العالم ثانية للدينونة

يعتقد الصينيون أن مخلصهم وحاميهم فشنو، الذى ظهر بالناسوت باسم كرشنا، سيأتى ثانية فى الأيام الأخيرة، وكتب الهنود الدينية تقول: إنه متى عادت النجـــوم الثوابـــت إلى المكان الذى كان منه ابتداء دورها، والحين الذى ابتدأ منه كل شئ (وذلك ببرج العقرب) يظهر فشنو بين الناس بهيئة فارس مدجج بالسلاح، وراكب على فرس أشهب ذى أجنحة، يحمل باليد الأولى حساما (سيفاً) مشتعلا كمذنب يهلك به الأشرار الذين لا يزالون أحياء على وجه الأرض، ويحمل فى اليد الثانية خاتما مضيئا، إشـــارة لابتـــداء (اليـــاكوس)، أى: الأجيال العظيمة، وإن الآخرة أتت، وعند مجيئه تظلم الشمس، والقمـــر، وتهتـــز الأرض، وتسقط النجوم.

ويعتقد البوذيون بظهور بوذا مراراً عديدة بالناسوت، ليؤهلهم ويعلمهم باتحادهم بذاته المحيطة، وأنه فى الأيام الآخرة يأتى أيضا، وقد جاء ذكر هذا المجئ فى كتبهم المقدســـة، وأن المقصود من مجيئه إلى هذا العالم هو إعادة النظام والسعادة إلى هذه الدنيا.

ويعتقد الصينيون أنه فى الأيام الأخيرة، عند انقضاء الألف عام، يأتى إلى الدنيا إنســـان إلهى يعيد إليها السلام والسعادة، وكتبهم الدينية الخمسة مشحونة بذكر عصر ذهـــبى فى المستقبل.

ويعتقد المجوس القدماء أن سيمر على الأرض ألف عام، يؤمن عندها الناس جميعا بـــدين

زروستر، ومجوس هذا العصر (وهم بقايا أولئك المجوس المعتقدون بألوهية زروستر) يقولون: إنه يوجد ذات مقدسة بأرض تدعى (كانكودر)، منتظرة أمر (يزيد سيروش)، وهذا المنتظر سيأتى إلى بلاد الفرس، ويعيد فيها الدولة القديمة، وينشر دين زروستر فى الدنيا.. ومتى أراد بعث الناس، يأمر الأرض والبحر بإعادة بقايا الأموات ويكسوهم (أورمزد) لحما ودما، والذين يكونون أحياء إلى اليوم الأخير يميتهم ثم يحييهم كغيرهم من الناس، وقبل وقوع ذلك يظهر ثلاثة أنبياء عظام يعلمون العجائب والآيات، وبهذه المدة تضرب الأرض بوباء عام، وحروب وجوع وغير ذلك، وبعد البعث يجازى كل واحد بحسب عمله، إن خيرا فخيرا وإن شرا فشرا، ويفصل الأبرار عن الأشرار، ويقذف الذين كانوا غير مرضيين إلى جهنم ليطهروا مدة ثلاثة أيام بلياليها.. يطهرون بنار معدن مائع، وبذلك يخرجون إلى النعيم الدائم، ويزال ملك الشيطان.. وتنار الأرض حيث تصير مسكن الأبرار.. ويصبح الحاكم عليهم أورمزد فقط.

وأتباع بوخص ينتظرون مجيئه ثانية ليحكم على الدنيا، ويعيد إلى الناس السعادة.

والأثونيون كانوا منتظرين مجيء بطلهم (كالويبوك) ثانية لكى يخلصهم من ظلم الألمانيين، وهو الآن راقد حتى يعم البلاء، وعندها يظهر ويخلصهم من الظلم.

والثلتيون ينتظرون رجوع (بوريان بورويهم) ثانية، بعد مضى ألف عام ويقولون أيضا: إن (ولكردنسيك) ينتظر مجيء الوقت المعين ليقوم من نومه ويساعد (الدانس) على قهر أعدائهم البروسيانيين.

والإسكندنافيون القدماء يعتقدون أنه فى اليوم الأخير سيصيب الناس بلايا وأوبئة، وتهتز الأرض، وتتساقط النجوم من السماء، ومن بعد ذلك تقيد الحية العظيمة بسلاسل، وسيصبح دين (أودين) مسيطرا على الجميع.

وأصحاب (كوتز لكوتل) مخلص المكسيك ينتظرون عودته ثانية، ويعتقدون أنه قبل

مفارقته لهذه الحياة الدنيا أخبر سكان (متشولولا) عن مجيئه ثانية وحكمه عليهم، ولما ظهرت مراكب الإسبانيين على شواطئ البرازيل سنة ١٥١٨م، ظنوها هياكل (كوتز لكوتل) جاء فيها كما وعدهم.

مجيء المسيح ثانية إلى هذا العالم للدينونة

قد ذكرنا ما قاله الوثنيون بخصوص مجيء أبناء آلهتهم المتجسدين إلى هذا العالم مرة أخرى، وقد اقتدى بهم النصارى، فقالوا بمجيء المسيح مرة ثانية إلى هذا العالم، ولم يغادروا شيئا مما قاله الوثنيون عن آلهتهم إلا وقالوه بحق يسوع المسيح، ظنا منهم أن فى ذلك تعظيما لمقامه عليه السلام، وإليك ما جاء فى كتبهم المقدسة مشيرا إلى ذلك:

إنجيل متى الإصحاح ٢٤ العدد ٢٧: (لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب هكذا يكون أيضا مجيء ابن الإنسان)، (وقد جاء فى هذا الإصحاح ذكر العلامات والآيات، والشروط التى ستقع قبل مجيئه، مما لا نذكرها حبا بالاختصار).

وجاء فى أعمال الرسل الإصحاح الأول العدد ١٠ و١١: (وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق إذا رجلان قد وقفا بهم بلباس أبيض، وقالا أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء إن يسوع هذا الذى ارتفع عنكم إلى السماء سيأتى هكذا كما رأيتموه منطلقا إلى السماء).

وفى إنجيل مرقس الإصحاح ١٣ عدد ٢٦: (وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا فى سحاب بقوة كثيرة ومجد).

وعلى هذا النمط بقية المحلات المذكور فيها مجيئه الثانى، وكذلك نصوص القديسين والمفسرين وقد اكتفينا بما مر.

وهنا سؤل هام: هل السيد المسيح ابن الله أم ابن الإنسان؟!!.

الاعتقاد بأن الابن هو الخالق والمصور للكائنات

إن التعاليم التى فى كتب الهنود الدينية تصرح (أن كرشنا ابن الإله من العذراء ديفاكى، وهو الأقنوم الثانى من الثالوث المقدس خلق السموات والأرض بما فيهما، وهــو عنــدهم الأول والآخر، وإنه كل شئ، وموجد كل شئ).

وجاء فى كتاب (بهكوات جيتا) وهو أحد الكتب المقدسة عند الهنود أن كرشــنا قــال لتلميذه أرجون الحبيب ما نصه: (أنا رب كل المخلوقات ومبدعها، خلقت الإنسان علــى أربعة أنواع متباينة الأصول والواجبات، فاعرفنى أنا المصور والخالق للإنسان، أنــا الغــير مخلوق فلا يلحقنى العدم)، وقال أيضا فى الموعظة السابعة المدعوة (القوى الطبيعية والروح الرئيسية): (أنا الخالق والمبيد والعظيم الذى على يتكل كل شئ)، وقال فى الموعظة التاسعة المدعوة: (الأسرار الرئيسية والعلوم الأولية): (أنا بسطت العالم بشكله فى الحجاب، وأنــا المقيت لكل شئ، وأنا الوالد والوالدة لهذه الدنيا، وأنا الكبير الحافظ، وأنا القدوس الواجب معــرفته وأنا الرمز السرى (الألف والياء)، وأنا السبيل الصالح والمعزى والخالق الشــهيد، والخليل ولى المآب)، وقال فى الموعظة العاشرة المدعوة (التنوعات اللاهوتية الطبيعية): (أنــا خالق ومصدر كل شئ، فليصدق ذلك الذين أنعم عليهم بالحكمة الروحية، ولتكن قلوبهم متعلقة بى يعبدوننى ويتهللون بذكر اسمى، ويعلم بعضهم بعضــا تعــاليمى لــيعم الفــرح بينهم).وكافة كتب الهنود المقدسة تذكر كرشنا أنه أصل الوجود، ولولاه لما كان شــئ فى هذا العالم.

ويعتقد الصينيون أن الله الآب لم يخلق شيئا، وأن الابن هــو الخالق للكائنات، ويدعون

الأصنام المنحوتة على شكله (نتيكاى)، ويصلون له، ويسألونه قضاء حوائجهم، ويقولـــون عن (لانوثوا) المولود من العذراء الطاهرة النقية أنه خالق كل شئ، والتعـــاليم الكلدانيـــة الدينية تصرح أن الابن الوحيد هو الخالق لكل شئ، وأتباع (تاو) الإله البطل يدعون أنـــه ابن الإله وأنه الخالق لكل شئ.

وتعاليم الفرس الدينية الخرافية القديمة تصرح بوجود إله واحد لا يـــرى ولا يـــدرك، ويدعونه (زروعانا عقارينا)، ومعنى هذه الجملة (غير محدود الوقت)، (أى الأبـــدى الأزلى) ومن الإله انبثق أورمزد ملك النور الابن البكر الخالق، الذى صدر منه كـــل شـــئ وهـــو الخالق، وكتاب الفرس المقدس المدعو (زندفستا) مملوء بالصلوات والتضـــرعات لابـــن الله البكر (أورمزد) ، وهذا مثال من صلواهم وتضرعاهم: (إلى أورمزد أقدم صـــلواتى فهـــو خالق كل شئ مما هو كان، وما سيكون إلى الأبد، هو الحكيم القـــوى، خـــالق الســـماء والشمس والقمر والنجوم والرياح والغيوم والماء والنار والشجر والبهائم والإنسان، هـــو الذى سجد له زروستر واضع الشريعة فى الدنيا، وعرفه بالإدراك الطبيعى، وآمن بما كـــان منه وما هو كائن وما سيكون، عرف العلوم والكلمة المعظمة التى بها تجتاز الأنفس جســـر النور، حيث يفصلون عن أرض الشقاء إلى النور عند المساكن المقدسة الممتلئة طيباً، أيهـــا الخالق إنى مطيع لشريعتك، أتفكر وأتكلم وأعمل بحسب أوامرك، وأبتعـــد عـــن كـــل إثم وأعمل الأعمال الصالحة، أعبدك بقلب صاف وقول مخلص وعمل صالح وما نســـكى إلا لأورمزد المكافئ على الأعمال الصالحة، لأنه هو الذى ينجى الذين يعملون بأوامره فيثقون بالوصول إلى الفردوس موطن السعادة والنور والطيب).

والتعاليم الدينية الآشورية تقول: إن (نرودك)، وهو ابن الله البكـــر وكلمتـــه، خلـــق السموات والأرض وما عليها، وإنه الرحيم الواهب للحياة.

ويعتقد مؤلهى المخلِّص (أدونى) أنه هو الذى خلق الناس وسيبعثهم من بعد الموت.

وجاء فى كتاب الهنود (كتيا) أن كرشنا قال: (لم يأت زمان لم أكن فيه موجــوداً، أنــا صنعت كل شئ، أنا الباقى والأبدى والمبدى، والكائن قبل كل شئ، أنا الحاكم القوى على الكون، أنا أول ووسط وآخر كل شئ).

ومن توسلات (أرجون) تلميذ كرشنا (أنت الكائن العظيم الباقى الواجبة معرفتك، أنت القابض على الكائنات، والحافظ على للدين، والمبدىء أمجدك، أنت الإلــه الكــائن قبــل الآلهة).

وبوذا الذى هو الألف والياء، ليس لوجوده ابتداء ولا انتهاء، وهو الرب المالك القادر الأبدى، والكائن العظيم الممجد.

(ولاؤكيون ابن الإله البكــر المولود من العذراء ليس لوجوده ابتداء البتة).

ومن خرافات أتباع لاوتز فى الصين، قولهم عنه: (إنه كان قبل الكائنات، وهو المطلــق العظيم، والجوهر النقى، ونافخ الروح الأولى، ومصدر الأرض والسماء، وخــالق الخلــق، ومقدر الفناء ليتبع الأول الآخر إلى أدوار لا نهاية لها، وأنه الموجود قبل الكائنات، وقبــل حركة الكون الأولى).

الاعتقاد بأن يسوع المسيح هو الخالق والبارئ والمصور للكائنات جميعا

لقد رأينا فيما مر ما اعتقدته الأمم البائدة فى أبناء آلهتهم المتجسدين مــن أنهــم هــم

الخالقون والبارئون والمصورون للكائنات جميعا، ومثلهم قالت النصارى بحق يسوع المسيح ﷺ، أى قالوا: إنه هو الخالق والمصور والمبدع والبارئ للكائنات.

فقد جاء فى إنجيل يوحنا الإصحاح الأول العدد ٣ و١٠: (كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان)، (كان فى العالم وكُوِّنَ العالم به ولم يعرفه العالم).

وفى رسالة بولس إلى أهل كولوسى الإصحاح الأول العدد ١٦و١٧: (فإنه فيه خلق الكل ما فى السموات، وما على الأرض، ما يرى وما لا يرى، سواء كان عروشا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكل به وله قد خلق، الذى هو قبل كل شئ وفيه يقوم الكل).

وفى رسالة العبرانيين الإصحاح الأول العدد٢: (كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه الذى جعله وارثا لكل شئ الذى به أيضا عمل العالمين).

وعلى هذا النمط بقية الأعداد المذكور فيها أنه هو الملكوت للكائنات، وكذلك قول ونصوص القديسين والمفسرين، ولا عجب من ذلك طالما أنهم يعدونه ابن الإله، كالذين سبقوه من أبناء آلهة الوثنيين.

العمادة لإزالة الخطيئة عند الوثنيين

قال أمبرلى فى كتابه (التفصيل والتحليل) ص٦١، وبنسون فى كتابه (الملاك المسيح) ص ٤٢، وهيجين فى المجلد الثانى ص ٦٩، وليلى فى كتابه (ديانة البوذية) ص ٥٥ و١٣٤ ما ملخصه: (عندما يعمدون الأطفال فى الهند ومنغوليا والتبت، يوقدون الشموع، ويحرقون البخور على المذابح، وتقرأ الكهنة صلوات مخصوصة، ثم يغطسون الطفل فى الماء ثلاث مرات، وبعد ذلك يدعونه بالاسم الذى يريدونه. وعند البرهميين عادة دينية قديمة تشابه ما

يعمله الفرس والمصريون واليونانيون والرومانيون القدماء، وهذه هى العمادة بعينها، وحين إجرائها يصلون ويتوسلون للشمس، ومن بعد قسم الإيمان المغلظة من المعمد (هذا إذا كان كبيرا) على أداء الطاعة التامة للكهنة، وحفظ الأسرار والنظافة على جسده، يرشونه بالماء ثلاث مرات، ويخاطبونه بما يوافق المقام، ويعدون الرش بالماء (الخلق الجديد)، ويلبسونه ثوبا خصوصيا، وإكليلا، ويرسمون على جبينه صليبا، ويضعون على صدره صليبا، من شكل صلبان (تو) ويسلمونه السر. وهو كلمة (أوم)، وأما إذا كان المعمد طفلا فيأخذه الكاهن البرهمى ويدعونه (كورو) (أى راعى)، ويلطخه بالوحل، ثم يغمسه فى الماء ثلاث مرات، وعند تغطيسه يقول: (يا أيها الرب العظيم إن هذا الطفل خاطئ، تلطخ بالخطيئة كتلطخه من وحل هذه القناة، فكما أن الماء ينظفه من الوحل، طهره وخلصه من الخطيئة)، ويعتقدون أن العمادة بالماء تزيل الخطايا مهما تكن، ويسمون الكهنة الذين يقومون على حافتى الأنهار لأجل عمادة الطالبين (أبناء الشمس).

وأتباع (زروستر) يعمدون أولادهم سواء كانوا أطفالا أو مراهقين، قال (بواصبر): (والفرس القدماء كانوا يأخذون أولادهم إلى الهياكل بعد الولادة ببضع أيام، ويسلموهم للكاهن عند صنم الشمس (والنار هى الرمز عن الشمس)، فيغمسه بإناء مملوء ماء. ثم يسمونه بما يودون من الأسماء).

وقال الدكتور (هيد): (وكانت العمادة عند القدماء إما غمسا بالماء أو رشا، ويدعون هذه العمادة الولادة الثانية، ويعدون الأنفس زكية سعيدة من بعدها، ثم يسمون المعمَّد بما يودون من الأسماء).

وكان المصريون يعمدون أولادهم المراهقين، ويسلموهم الأسرار الدينية الابتدائية، ويرسمون على جبين المعمَّد علامة الصليب المقدس.

(والأبوليسيو فدورا) فى إفريقية كانوا يعمدون أولادهم، وحين إجراء العمادة يتلون

صلوات مخصوصة، ويعتقدون أن العمادة تزيل الخطايا.

وقال دوان فى كتابه: (خرافات التوراة وما يماثلها فى الديانات الأخرى) ص٣٢٠ ما نصه: (كان الرومانيون الوثنيون يعمدون أولادهم بالماء ويعتقدون أن العمادة واسطة لإزالة الخطايا)، وذكر المؤرخ (ذيوجنوس) أنهم كانوا يعمدون أولادهم على اسمها وبركتها، أما الأطفال الذكور فكانوا يعمدونهم فى اليوم التاسع من ولادتهم، والإناث فى الثامن من ولادتهن ويدعون ماء العمادة (الماء المقدس)، ومن بعد العمادة يعطى الكاهن أبوى الطفل ورقة شهادة على أن ولدهما عمد وخلق ثانية، ثم لهما الحق بعد ذلك أن يعدونه من العائلة، ويتخذون هذا اليوم عيدا عظيما، وكانوا يعمدون أيضا الذين يستلمون تعاليم (مثرا) السرية.

وكان وثنيو إسوج والنرويج والدنمارك يعمدون أولادهم بصب الماء عليهم ثم يسموهم. والليفونيون اعتنوا بالعمادة وعدوها ركنا مهما من طقوسهم. ومثلهم الجرمانيون القدماء، والدريديون، وسكان زيلاندا، وغيرهم.

وحين عمادة الطفل يقدمون الصلوات لخلاص المعمَّد من الخطيئة.

والمكسيكيون القدماء كانوا يعمدون أولادهم بعد الولادة بمدة قليلة، فتجتمع الأهل والأصحاب فى بيت أبوى الطفل، وحين المباشرة بالعمادة، تضع الداية رأس الطفل على يدها موجهة وجهه نحو مشرق الشمس، ثم يقدمون الصلوات للمخلص كوتزلكوتل ولآلهة الماء، ويبلل الكاهن أصابعه بالماء، ويلمس بها فم الطفل وصدره، ويقول: (نتضرع للماء أن يهلك ويفصل الخطيئة الملمة بهذا الطفل قبل تكوين العالم)، ومن بعد ذلك يغسلون جسده بالماء، ويذكرون كل ما يرونه مضرا به أن يذهب عنه ليحيى بالولادة الثانية التى هى بعد العمادة.

قال بريسكويت فى كتابه (فتح المكسيك): وكان المكسيكيون يعمدون أولادهم بدهن

أفواههم وصدورهم بالماء، ويتوسلون بآلهتهم كى تسمح وتأذن لنقط الماء أن تزيل الخطيئة التى لحقت بالطفل قبل تكوين العالم، لكى يولد الولادة الثانية بالعمادة. وعند العمادة يدعون أهل الطفل وأقاربه وأصدقاءهم لحضورها.

وقال لندى: إذا تصفحنا التاريخ، نرى طقس العمادة قديم العهد جدا، فقد كان شائعا فى آسية وأميركا، وكان سكان البرازيل يعمدون أولادهم الذكور والإناث فى الهيكل المدعو (هيكل الصليب) بصب الماء من إبريق، وكانوا يدعون ماء العمادة: (ماء الولادة الثانية).

العمادة عند النصارى

قد ذكرنا العمادة عند الأمم الوثنية، والآن نأتى لذكرها عند النصارى، جاء فى إنجيل مرقس الإصحاح الأول العدد ٩ :(وفى تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا فى الأردن، وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السموات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلاً عليه).

وفى إنجيل متى الإصحاح ٣ العدد ١١ :(أنا – أى يوحنا – أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار).

وفى إنجيل مرقس الإصحاح ١٦ عدد ١٦ : (من آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يدن)، (والفقرات من العدد ١٣–١٧ فى هذا الإصحاح تصف التعميد أيضا).

وقد جاء ذكر العمادة فى إنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا، وفى أعمال الرسل، ورسالة كورنثوس الأولى، وفى سفر الرؤيا، ورسالة بولس إلى أهل أفسس، ورسالته أيضا إلى العبرانيين، ورسالة كورنثوس الثانية وغيرها، وقد اكتفينا بالتلميح عن التطويل.

خلاصة التعريف بالنصرانية

١- النصرانية جاءت لتكمل اليهودية، وهى دعوة خاصة ببنى إسرائيل، وهذا ما تؤكده الأناجيل الأربعة، ولكن بولس فى رسائله هو الذى أعطى لسيدنا عيسى ﷺ صفة العالمية.

٢- جوهر العقيدة النصرانية يقوم على ثلاثة عناصر هى:

أ- التثليث والإيمان بثلاثة أقانيم.

ب- صلب المسيح فداء عن الخليقة، وقيامه من قبره ورفعه.

ج- أنه يدين الأحياء والأموات، ويحاسبهم على أفعالهم.

٣- المسيح كان يقول بأن الله أب للناس جميعا، وأنه رسول إلى بنى إسرائيل، والتثليث عقيدة وثنية، جاءت فى جميع الديانات الأرضية قبل ميلاد السيد المسيح!!.

٤- عقيدة الصلب والفداء موجودة فى العقائد الوثنية قبل ميلاد السيد المسيح بألف سنة!!.

٥- عقيدة الحرب بين الإله والشيطان عند النصارى مستوحاة من الحرب ما بين بوذا مخلص العالم- كما يعتقد أتباعه- وأمير الشيطان!.

٦- قبل ميلاد المسيح قال عباد كرشنا وبوذا وأندرا وغيرهم، بحدوث ظلمة فى الكون عند موت أحد هؤلاء الآلهة.. فقلدهم النصارى.

٧- فكرة ولادة ابن للإله من أم بشرية جاءت فى جميع العقائد الوثنية قبل ميلاد السيد المسيح، وصورة العذراء مريم وهى محتضنة ولدها المسيح صورة طبق الأصل من الرسوم التى يصورها الوثنيون لوالدات آلهتهم.

٨- جاء فى الأناجيل أن هيرودوس يطلب قتل المسيح، والشيطان يحاول فتنته، وينزل إلى الجحيم ليخلص الأموات، ويقوم بعد موته ويصعد إلى السماء.. وهو ما كتبه الوثنيون عن جميع آلهتهم.. فتدبر!!.

٩- يعتقد الوثنيون أن الآلهة المتجسدة تقوم من بين الأموات وتعود مرة ثانية إلى هذا

العالم، ويعتقدون أن أبناء الآلهة هم الخالق والمصور للكائنات، وقــاموا بالعمــادة لإزالــة الخطيئة.. وهذا ما يعتقده النصارى فى السيد المسيح تماما!!.

الباب الثالث

تعريف الدين

الدين وضع إلهى، يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عن الرسول. أو وضع إلهى سائغ لذوى العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات. أو دين الله المرضى الذى لا لبس فيه، ولا حجاب عليه، ولا عوج له. أو هو إطلاعه تعالى عبده على قيوميته الظاهرة بكل ناد، وفى كل باد، وعلى كل باد، وأظهر له من كل باد، وعظمته الحقية التى لا يشير إليها اسم، ولا يحيزها رسم، وهى مداد كل مداد.

هذه التعاريف التى بينا بها رسم الدين- وإن اختلفت عباراتها- فمدلولها فى الجملة واحد.

والإنسان هو العالم الوسط الذى خلقه الله تعالى صالحا للدارين، مؤهلا لأن يتجمل بالكمالات حتى يكون فى أعلى الجنات، تتولى خدمته الملائكة بعناية الله تعالى وحسن تدبيره، أو يتعشق الضلالات وتستعبده الشهوات، حتى يكون فى هاوية السخط والمقت أسفل سافلين فى العذاب الأليم مع الشياطين، ولهذا فإن الله سبحانه جعله محل البلوى بنص قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة﴾ (الأحزاب: ٧٢).

وحيث إن الله سبحانه وتعالى خلقه صالحا للدارين، ركَّبه جلت قدرته من قوى متباينة، بعضها يفارقه، وبعضها لا يفارقه.

وإذا تقرر ذلك فبنو الإنسان ينتظرون من الله سبحانه رسولا كريما يأتيهم من قبله سبحانه وتعالى، مبينا لهم جزئيات كل تلك المعانى التى لا ينالون السعادة الحقيقية إلا بها.

وكل رسول جاء قبل نبى الإسلام سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ إنما جاء ليعد بنى الإنسان لنيل تلك السعادة القصوى، التى لا تنال إلا بظهور النبى الخاتم ﴿ﷺ وآله﴾.

ولم يرسل الله تعالى رسولا يدعو الناس إلى الخير الحقيقى والسعادة الحقيقة فى الدارين، مبينا أنواع الكمالات الإنسانية كلها عقيدة وعبادة ومعاملة وأخلاقا، وموضحا الآداب التى تجعل الإنسان أهلا لأن يكون فى معية ربه فى الدنيا والآخرة، وصورة كاملة مجملة بالأخلاق الربانية حتى يحصل له الخير الحقيقى وتتم له السعادة الحقيقية روحا وجسما، إلا النبى الخاتم ﴿ﷺ وآله﴾.

وإذا ثبت من خلال هذا السفر الجليل أن نبى الإسلام هو خاتم الأنبياء يحق لى أن أقول: إن الإسلام هو الدين حقا، وإن الأحكام والشرائع التى جاءت بها الرسل قبله، نسخت بدينه الناسخ لكل شئ، فمثله ومثلهم ﴿ﷺ وآله﴾ وعليهم أجمعين كالأنجم الزاهرة التى يستضاء بها فى ظلمة الليل، فإذا أشرقت الشمس حجبت ما هنالك من النجوم، فمن غض بصره عن الشمس ولم يهتد بها جنى على نفسه أكبر جناية، وخسر خسرانا مبينا، لاسيما وأن تلك الشمس لا تغيب أبدا، لأن خاتم الرسل والأنبياء، ولا يزال نوره مشرقا فى الآفاق بأعمال وأقوال وأحوال خلفائه ﴿ﷺ وآله﴾ الهادين المهتدين الراشدين من العارفين والأئمة، فالعارفون والأئمة من أتباع النبى الخاتم أمثال الأنجم المضيئة بنور الشمس فى أفقها.

الفصل الأول

إن الدين عند اللّه الإسلام

إن الإسلام هو الدين الذى ارتضاه الله لعباده، وفطرته التى فطر الناس عليها، ولن يقبل الله من أحد ابتغى غير الإسلام دينا.. لهذا نجد جميع الأنبياء والمرسلين لم يأمروا أقوامهم إلا بالإسلام، وكتاب الله الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يقرر هذه الحقيقة بصورة واضحة..

١- فيقول عن سيدنا نوح عليه السلام: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ* فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٧١-٧٢).

٢- ويقول عن سيدنا إبراهيم عليه السلام وبنيه: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ* أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٢-١٣٣).

وقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِياً وَلاَ نَصْرَانِياًّ وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران: ٦٧).

وقال: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ* وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٤-٨٥).

٣- وقال مبينا أن شريعة الأنبياء جميعا هـــى الإسلام: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الـــدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَـــن يُنِيبُ﴾ (الشورى: ١٣).

٤- وقال عن سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَـــوَفَّنِي مُسْـــلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف: ١٠١).

٥- وبين القرآن أن سيدنا موسى ما دعا قومه إلا إلى الإسلام فقال: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٨٤).

وجـــاء على لسان سحرة فرعون الذين آمنوا بموسى: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَـــا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٦).

٦- وحين أدرك فرعون الغرق آمن بدين بنى إسرائيل وهو الإسلام- لأن اليهوديـــة لم تكن دينا لهم- فقال: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُـــو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس ٩٠).

٧- ودعا سيدنا عيسى عليه السلام أتباعه إلى الإسلام فقال: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْـــلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٥٢).

٨- وقال عن سيدنا سليمان عليه السلام حين أرسل رسالته لبلقيس ملكة اليمن يدعوهم إلى الإسلام: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (النمل: ٣٠-٣١).

وقال لأتباعه من الإنس والجن: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَـــأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (النمل: ٣٨).

ومما سبق من الآيات القرآنية يقول الإمام أبو العزائم عليه السلام فى (أسرار القرآن) ج١ ص ٢٧٠-٢٧١: ثبت أن اليهودية بدعة ليست من إبراهيم فى شئ. ومعنى هاد يعنى رجـــع، وقد قال بنو إسرائيل فى زمان موسى مخبرين عن أنفسهم عند توبتهم من عبـــادة العجـــل: ﴿إنا هدنا إليك﴾ ،أى: رجعنا إليك، فظهر أن اليهودية ليست دينا، ودعواهم أنها ديـــن

لكل الأنبياء من قبل، بهتان وبدعة ابتدعوها لأنفسهم، ما أنزل الله بها من سلطان.

كما أن النصرانية ليست دينا، ولكن عيسى كان من بلدة تسمى (ناصرة) فكانوا يقولون: عيسى الناصرى، فابتدعوا لهم دينا يسمونه (نصرانى)، وهم كاذبون فى كل ذلك، تقهرهم الحقائق التى وردت فى التوراة والإنجيل والقرآن، بل وفى سير الملوك والأنبياء، فثبت أن دين الله تعالى هو الحنيفية البيضاء التى ليلها كنهارها، وهى التى كان عليها الخليل عليه السلام، ووصى بها بنيه وعاهدهم أن يموتوا على الإسلام. ومن العقيدة الإسلامية أن يعتقد كل مسلم أن الأنبياء جميعا ماتوا مسلمين، ولم يكن لهم دين غير دين الإسلام، قال تعالى: ﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل﴾ (الحج: ٧٨). فإن دينهم كان اعتقاد توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة لذاته العلية، وقد جاءنا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فكشف الحجاب عن أسرار العقيدة وغيوبها، وبين لنا ما يحبه الله ويرضاه من عبادته، صلاة وصياما وزكاة وحجا وجهادا، ومن حسن معاملة خلقه فى أن يحب كل مسلم لأخيه ما يحبه لنفسه، ومن جمال الأخلاق التى هى أخلاقه سبحانه وتعالى.

ثم بين لنا ﴿ﷺ وآله﴾ الحقائق التى يجب علينا أن نؤمن بها، التى جاءتنا من طريق النقل، كأن نؤمن بالجنة والنار والصراط والميزان، بالوقوف بين يدى الله، وبواسع رحمة الله تعالى وعفوه، وبشديد عذاب الله، وبما هنالك مما لم يسطر على الأوراق، مما أخبرنا به رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ من قوله: (فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)، كل ذلك جاءنا به رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، ولم يأت فى الأسفار السابقة، وبذلك كان رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ خاتم الأنبياء، يعنى لا نبى بعده، ومن ادعى النبوة بعده كفر ووجب قتله، قال الله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ (المائدة: ٣).أ.هـ.

الفصل الثانى

عالمية الإسلام

الإسلام دين عالمى، بعكس الرسالات السابقة التى كانت ترتبط بقوم الرسول وبزمنه، وأحيانا كان هناك نبيان فى وقت واحد، كإبراهيم ولوط، وإسماعيل وإسحاق، وموسى وهارون، وعيسى ويحيى. ومما يؤكد النطاق المحدود للرسالة، وتخصيص دعوات الأنبياء السابقين بأهليهم وقبائلهم قوله تعالى: ﴿وإلى عاد أخاهم هودا﴾ (هود: ٥٠)، ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً﴾ (الأعراف: ٧٣)، ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا﴾ (الأعراف: ٨٤)، ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه﴾ (هود: ٢٥)، ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه﴾ (الزخرف: ٢٦)، وعن سيدنا موسى يقول تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ (الأعراف: ١٤٥)، وعن سيدنا عيسى يقول القرآن الكريم: ﴿ورسولا إلى بنى إسرائيل﴾ (آل عمران: ٤٩)، ورفض السيد المسيح علاج فتاة كنعانية وصرخ: (لم أرسل إلا إلى الخراف الضالة من بنى إسرائيل) (إنجيل متى، الإصحاح ١٥، الفقرة ٢٤).

أما دعوة سيدنا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ فجاءت شاملة من ناحية المكان، أى: أنها لكل الناس فى أى بقعة من بقاع الأرض. وشاملة من ناحية الزمان، أى أنها لأجيال البشرية منذ مطلع الإسلام إلى يوم الدين، وهذا المعنى كان واضحا منذ مطلع البعثة، فالآيات القرآنية الكريمة التى تحدثت عن عالمية الدعوة الإسلامية هى آيات مكية وبيانها كما يلى فى قوله تعالى:

﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ (الفرقان:١)، ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ (سبأ: ٢٨)، ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾

(الأنبياء: ١٠٧)، ﴿قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا﴾ (الأعراف: ١٨٥)، ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب﴾ (إبراهيم: ٥٢)، ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين﴾ (الأنعام: ٩٠)، ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين* ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ (ص: ٨٧،٨٨).

والذى يطالع بعمق سيرة الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ وتاريخ أصحابه من بعده، يدرك بوضوح الالتزام الكامل بتحقيق عالمية الإسلام، فعندما وجد الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ أن مكة لا تصلح مركزا تنطلق منه الدعوة للعالم، بسبب عناد وكفر قريش، اختار الرسول الحبشة مهاجرا، وسار لها وفدان من المهاجرين، بيد أن الحبشة اختيرت ملاذا لإنقاذ المغلوبين على أمرهم من مسلمى مكة، وفى ليلة الإسراء والمعراج تحدد المركز الصحيح لانطلاق الدعوة نحو العالمية وهو يثرب، فكان ذلك المكان الذى أعدته العناية الإلهية هو دار الهجرة، وهاجر المصطفى ﴿ﷺ وآله﴾ ليس فرارا من العدو، ولا ملجأ مؤقتاً كالحبشة، ولكن لبناء القاعدة التى تنطلق منها الدعوة الجديدة لكل مكان. وأسس النبى ﴿ﷺ وآله﴾ مجتمع المدينة على عدة دعائم وهى المسجد، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وعقد معاهدة المدينة- أو دستور الحكم- بين المسلمين وغير المسلمين من سكان المدينة، ثم أسس النظام الاقتصادى بها.

لكن اليهود لم يخلصوا لهذه المعاهدة، وكانوا مصدر إزعاج وعدم استقرار لمركز انطلاق الدعوة الإسلامية نحو العالمية، فلم يتساهل معهم الرسول ﴿ﷺ وآله﴾، بل وقف موقفا صارما ضد من خانوا العهد فقضى على بنى قينقاع فى العام الثانى من الهجرة، وعلى بنى النضير فى العام الرابع، وبنى قريظة فى العام الخامس، وصفت المدينة من العوائق التى كان يمكن أن تعوق الانطلاق.

وجاء صلح الحديبية فى العام الهجرى السادس، والذى يقضى بهدنة بين المسلمين وقريش مدتها عشر سنوات.. وهو يعنى إيقاف عداء قريش للمسلمين.. وهذا يعنى ضمان

لسلامة المسلمين من العدو الثانى وهو قريش، بعد أن انتهت قوة العدو الأولى وهم اليهود قبل ذلك بعام واحد. (عالمية الإسلام، د.أحمد شلبى، ص ١٧).

وابتداء من العام السادس حتى انتقال الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ إلى الرفيق الأعلى قام ﴿ﷺ وآله﴾ بتوجيه الرسائل إلى مختلف شعوب ودول العالم المعروفة فى ذلك الزمان، يدعو الجميع إلى الإسلام، فقد بعث برسائل ومبعوثين إلى نجاشى الحبشة، وإلى هوزة بن على الحنفى أمير اليمامة، وإلى صاحب البحرين، وإلى كسرى بلاد الفرس، وإلى قيصر الروم، وإلى المقوقس كبير مصر، وقد أحصى المؤرخون للرسول ﴿ﷺ وآله﴾ أكثر من ثلاثمائة رسالة وجهها إلى الحكام والملوك والأباطرة والأمراء المعروفين فى العالم آنذاك. (د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ط ١٩٧٣).

أصول العالمية فى الإسلام

تبرز دعوات عديدة تحمل شعار(الحوار) حوار الأديان، حوار الحضارات، حوار الثقافات، حوار الشمال والجنوب، حوار الشرق والغرب.. والحوار شىء إيجابى ينبغى الاعتراف به، ونحن كمسلمين ندعو إلى الحوار بكافة صوره، انطلاقا من مفهوم الإسلام للعلاقات بين البشر، ذلك المفهوم الذى يعترف دائما بالآخر.. قال تعالى: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ (النحل:١٢٥).. بل نحن ندعو إلى العولمة لكن.. فى أسمى معانيها، لا عولمة الهيمنة والتبعية فى أبشع صورها.. فالإسلام يعترف بخصوصية كل شعب: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ (الحجرات: ١٣). والإسلام حينما يدعو إلى الانفتاح والعالمية جعل لذلك شروطا وحدودا.. منها:

١– أن يقوم الانفتاح والتواصل على الحوار لا على الإلغاء أو الاحتواء.. قال تعالى: ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ﴾(سبأ: ٢٤).. وهو ما يعنى أيضا الحرص على موضوعية الحوار الذى لا ينبغى لأى طرف أن ينطلق فيه من أفكار مسبقة، أو من موقع

استعلاء واستكبار.. قال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ (يونس:٩٩).

٢- اعتماد مبدأ الحرية، حرية الفكر والرأى، وحرية الرأى فى الإسلام جعلت بعض المسلمين يجاهرون بالرأى لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ بالرغم من إجلالهم له إجلالاً لا يقف عند حد، ذلك أن هذا الدين لم يقهر إرادة الآخرين فى تبنى ما يشاءون من آراء وأفكار، حتى وإن كان الإسلام يرفضها.. قال تعالى: ﴿لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى﴾ (البقرة:٢٥٦). وقال تعالى: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ (الكهف:٢٩).

٣- روعة الأدب فى الحوار مع الآخرين.. قال تعالى: ﴿وما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ (المائدة:٩٩)، ﴿فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ (الرعد:٤٠)، ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن﴾ (العنكبوت:٤٦).

٤- والحوار الإسلامى ليس فيه كذب ولا خداع ولا تلفيق.. قال تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾ (الإسراء:٣٦).

٥- تأكيد الإسلام لهوية كل شعب، حيث يتم الاعتراف بلغته التى تمثل أحد أهم أركان هويته فتبدو واضحة فى قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ (إبراهيم:٤).

٦- احترام الثوابت العقدية وعدم التعرض لها بالاستخفاف والاستهزاء، قال تعالى: ﴿وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا﴾ (النساء:١٤٠).

وحينما لا يستجيب الانفتاح لهذه الشروط، ولا يحترم هذه الحدود، ويكون فوق ذلك مفروضا، فإنه لا بد أن يصير عندئذ تحديا بل استفزازا.

إن ما تحمله الدعوة الإسلامية من سمو فى قوله تعالى: ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾(آل عمران:١٠٤). هو

جوهر ما يمكن أن تواجه به الشبهات، وهو جوهر ما يمكن أن يفعله ويدعو له المسلمون من عولمة، العالم فى مسيس الحاجة إليها.

العالم فى مخاض

إن الناظر بحياد تام إلى العالم اليوم يجد أن كل النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية فشلت فى حل مشاكل البشر، وعجزت عن إقامة دعائم العدل والمساواة بين أبناء الأرض، وأفلست أو كادت النظم الرأسمالية والشيوعية فى أن تحل مشاكل الإنسان، وقد خدعت ببريق المادية والذهب، وحياة البذخ والغنى والتطور المادى، وفى وقت طغت المادة على الروح فأعمتها، وتحول الإنسان إلى صخرة لا يهتز مهما اضطهدت من شعوب، ومهما أريقت من دماء، أو انتزعت من حريات.

وفى ميدان الحريات التى أطلقت لأبناء الغرب لم يستطع الكثير منهم – فى غياب العقيدة – أن يضبط شهوته ونزوات نفسه، فكان أن جرف فى تيار المادية بما حملته معها من خمور ومخدرات ونساء وشهوات، فغرق وسط ذلك التيار وما عاد يستطيع أن يتخلص من أوزار ذلك كله وتبعاته.. هذا التيار المادى الذى تلبس فى الظاهر بلبوس الفتن الباهرة ليخفى وراءه من دواعى الفساد ونذر الفناء ما يخفيه، وإن المجتمع الغربى لتكاد تسمع صيحات أبنائه وعويلهم من حين لآخر، على الرغم من التقدم والغنى، فليست سعادة الإنسان بالمادة وحدها، إن الروح لها حقها ولها ضريبتها فإذا لم يحسب لها حساب، وإذا لم تعمل على النهوض مع الفكر والعقل، على انتزاع الإنسان من كلب المادة وسلطانها فعلى تلك المجتمعات السلام.

لذلك يقول المسلمون: إن لقاء الإسلام اليوم مع كل تقدم علمى فى الغرب، وكل حضارة ورقى ليعنى أنه هو الغاية وهو الهدف وهو المآل والملجأ، وعنده الحل والربط، إنه نظام متكامل صلاحيته لكل زمان ومكان.. وكل صيحات العقلاء والحكماء فى الأرض

تلتقى مع ما خطه الإسلام من نظم وقوانين.. لأنه هو القادر وحده على قيـــادة العـــالم إلى النجاة.. وإعادة كرامة الإنسان المهدرة فوق سطح الأرض.. فهل تعى الإنسانية ذلك قبل فوات الأوان؟.

ويقولون: العالم فى مخاض وسيلد الإسلام.. تلك هى الحقيقة الواضحة، الإسلام اليـــوم عاد يكتسح سائر بقاع الأرض، ويشعل فتيله على الرغم من ضعف المســـلمين، وضـــعف المبشرين بتعاليمه، وعلى كثرة الواقفين فى وجهه..لأن حضارتهم داخلها الوهن فى القـــيم والأخلاق والعقيدة والدين، لذلك فهى صـــائرة إلى الـــزوال، وفى زوال الإمبراطوريـــات العظمى أكبر شاهد، ولعلهم يعتبرون بغيرهم قبل أن تصير حضارتهم عبرة للآخرين: ﴿إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ (ق:٣٧).

الفصل الثالث

تعريف الإسلام

قبل أن نتحدث عن الرسالة الإسلامية فمن المفيد أن نشير إلى أن معنى الإسلام فى لغة العرب، هو الخضوع والرضوخ والانقياد. وبعبارة أخرى هو: (الانقياد لأمر الآمر ونهيه، بلا اعتراض) ، فذلك المعنى هو معنى كلمة الإسلام فى لغة العرب. وسمى الله سبحانه الدين الذى أرسل به سيدنا محمدا ﴿ﷺ وآله﴾ إلى البشرية كافة بهذا الاسم (لأنه منهج الخضوع والانقياد الاختيارى لأمر الله سبحانه).

ويعرف الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم عليه السلام الإسلام فيقول فى كتاب (من جوامع الكلم) ص٢٧٥: إن الإسلام روح وجسد، إيمان ونظام، فهو عقيدة باطنة تشبه الوقود الذى يحرك الآلات، ثم مجموعة الوصايا والأوامر التى هى أصل السعادات.

والمسلم: هو كل من تشهد الشهادتين، أى كل فرد أقر ب– (لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله) فهو مسلم.

ويعرف المصطفى ﴿ﷺ وآله﴾ المسلم بقوله: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده). وفى رواية: (من سلم الناس من لسانه ويده) وفى حديث آخر: (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذى له ذمة الله فلا تخفروا الله فى ذمته).

ويضع الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم عليه السلام تعريفا دقيقا للمسلم فيقول فى كتابه (مذكرة المرشدين والمسترشدين) ص٩: المسلم إنسان آمن بالله وحده، وأسلم له سبحانه وجهه، وانقاد لأوامره، مؤمنا بكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر، والقضاء

والقدر.. خيره وشره من الله تعالى، معتقدا أن كل من لم يكن على هذا فهو مشرك ضال. والإيمان هذا يوجب عليه القيام بما أمره به بقدر الاستطاعة، والتباعد عما نهى عنه جملة واحدة، إلا ما اضطر إليه اضطرارا يقدر بهلاك نفس أو ما يساويها.

عناصر الرسالة الإلهية

تتكون الرسالة الإسلامية من ثلاثة عناصر أساسية هى:

١- العقيدة.

٢- الفرائض والنظم الاجتماعية (التشريع).

٣- الأخلاق والدعوة إلى الخير.

لذا عرف الدين الإلهى بصورة عامة بأنه: عقيدة إلهية ينبثق عنها نظام كامل للحياة.. وعلى هذا الأساس عرف الدين الإسلامى بأنه: الدين الذى جاء به سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ من عند الله لمعالجة نواحى الحياة كافة.

وسنتناول باختصار كل عنصر من هذه العناصر الثلاثة لنقدم صورة مختصرة عن الرسالة الإسلامية.

١ - العقيدة

يقصد بالعقيدة: مجموعة ما يؤمن به الإنسان من أفكار ومفاهيم خاصة بتفسير صدور الكون والحياة وما يرتبط بذلك من أفكار ومفاهيم. فالأفكار التى تتعلق بنشأة الكون، كالإيمان بالله، والإيمان بنهاية لهذا العالم، وبوجود أنبياء ورسل سفراء مخبرين عن الله ومبلغين عنه. والتصديق بوجود عالم الآخرة، وما يتصل بتلك القضايا، ويتفرع عنها من أفكار ومفاهيم ومعتقدات، كالإيمان بالملائكة وبالقضاء والقدر.. إلخ، تشكل بمجموعها (العقيدة الإلهية). وبذا فإن العقيدة الإسلامية تبنى على أركان أساسية، تتفرع عنها معتقدات فرعية كثيرة، والأركان الأساسية هى:

أ – الإيمان بالله واحدا أحدا. يقول سيدنا على كرم الله وجهه: (أول الدين معرفته، وكمال معرفته توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له).

ب – الإيمان بالنبوة.

ج – الإيمان بعالم الآخرة.

وواضح أن الإيمان بالنبوة وبعالم الآخرة، يرتبط بالإيمان بالله سبحانه، فمن يؤمن بالله، ويصدق بوجوده، يقوده هذا الإيمان إلى التصديق بالنبوة، وبعالم الآخرة وما فيه من عقاب وثواب.

٢– الفرائض والنظم الاجتماعية

يقوم النظام الاجتماعى فى الإسلام على روابط وأسس تربط بين أفراده وتنظم علاقاقم وهى:

١– الحب والولاء بين المؤمنين: قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ (الحجرات:١٠).

٢– احترام حقوق الفرد والجماعة: فللفرد حق على المجتمع، وللمجتمع حق على الأفراد.

٣– يقوم المجتمع الإسلامى على أساس الحق والعدل والإحسان بين الناس: قال تعالى: ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾(النحل:٩٠).

٤– الاتحاد والتعاون: قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾(المائدة:٢).

فالمجتمع الإسلامى هو مجتمع تعاونى يتعاون أفراده فى كل مجال من مجالات الحياة النافعة، كبناء المساجد والمدارس، ومساعدة المحتاج ومقاومة الظالم، وإنشاء المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعاونية وغير ذلك.

٥– الأخلاق الفاضلة: والأساس المهم من أسس المجتمع الإسلامى هو الأخلاق الفاضلة، كالأمانة والتضحية والإيثار والرحمة والعطف والحب والصدق وصلة الأرحام

واحترام الجار وحسن المعاشرة.. إلخ.

ولو تتبعنا سلوك الإنسان اليومى ونشاطاته ومواقفه لصعب علينا حصرها وإحصاؤها، ففى كل يوم تصدر من الإنسان مئات الأفعال والأقوال، وتولد فى نفسه شتى الأفكار سوالأحاسيس، فهو - مثلا - يستطيع أن يأكل ويشرب وينام ويتزوج، ويسرق ويزنى ويقتل ويغش ويكذب، ويصلى ويتعبد ويحتكر ويعطف على المشرد واليتيم، ويضحك وييأس ويتفاءل، وينتج العلاج ويصنع آلات التعذيب والدمار.. إلخ.

ولو حاولنا أن نفحص هذه القائمة من السلوك لوجدناها خليطا من الخير والشر والحسن والقبح، متفاوتة فى درجات النفع والضرر العائد على الفرد الفاعل نفسه، وعلى المجتمع الذى يتفاعل معه، ويمارس نشاط فيه.

لذلك فإن الإسلام نظر إلى مجموعة النشاطات الإنسانية - من أعمال وأقوال ومعتقدات ومشاعر - الصادرة عن الإنسان باهتمام بالغ، وجعلها موضوعا لشريعته، فقام بفهرستها، وفرزها وتصنيفها، ليصف كل فعل ونشاط إنسانى بالوصف الذى يستحقه.. وانطلاقا من هذه الحسابات والأهداف ينقسم الحكم الشرعى إلى خمسة أقسام، تندرج تحتها جميع الأفعال والنشاطات الإنسانية المختلفة بما يناسب حقيقة كل منها وطبيعته، وآثاره السلبية والإيجابية على حياة الإنسان، ومختلف علاقاته، وهى كما قسمها العلماء كما يلى:

الحكم	وصف العمل
١- الإباحة	المباح
٢- الاستحباب	المستحب

٣- الكراهـــــة المكـــــــروه

٤- الحرمـــــة المحـــــرم

٥- الوجـــوب الـــــواجب

١- المباح: وهو كل فعل أعطى المكلف فيه حق الاختيار المطلق ولم يلزم أو يرجح لـــه الفعل أو الترك. فمثلا المكلف حر فى اختيار نوع العمل الذى يناسبه، وهو حر فى أن يختار نوع الطعام واللباس والسكن.. إلخ. والجدير بالذكر هنا هو أن دائرة المباح أوسع دائرة فى السلوك الإنسانى، وأكثرها شمولا لأن الأصل فى الأفعال جميعها هو الإباحة – حسب الرأى المشهور – وكل شىء مباح للإنسان ما لم يرد فيه دليل شرعى يحكم بالحرمة.

٢- المستحب: وهو كل فعل حث الإسلام المكلف على أدائه، واعتبر فاعله صـــانعا للخير يستحق الثواب والرضا الإلهى، ولكنه لم يرتب عقوبة على تركه أو التـــهاون فيـــه، بسبب تحقق الخير والمنفعة بفعله وعدم حدوث الضرر من تركه وإلغائه.. مثل إلقاء التحية، وزيارة الأصدقاء والجيران، والصدقة، والعناية بحسن المظهر، والملبس، ونافلة الليل، وصيام شهرى رجب وشعبان وقراءة القرآن.. إلخ.

ويعبر فعل المستحب عن دافع أخلاقى رفيع يعمل المكلف فى ظلاله من غير أن يشـــعر بالإلزام والخوف، فدافعه هو الحب والشوق نحو الكمال والتسامى المستمر فى الحياة.. لأن تشريع المستحب يأتى تأكيدا لخطة الإسلام الرامية إلى التسامى المستمر بالفرد الإنســـانى، وتوفير أكبر قدر ممكن من الخير له فى آخرته ودنياه.

٣- المكروه: وهو كل فعل حث الإسلام المكلف على تركه لا على وجـــه التحتـــيم والإلزام واعتبر تاركه محبا للخير، وباحثا عن المصلحة، ولكنه لم يشرع عقوبة على فعلـــه لأنه لم يبلغ حدا من الخطر والضرر المؤكد.. ويساهم هذا التشريع مساهمة عملية فى قطـــع الخطوط الموصلة إلى فعل الحرام.

والمكروه كالتبول فى الماء الراكد، والنوم حتى طلوع الشمس، وأن يأكـــل الجنـــب أو يشرب شيئا إلا بعد الوضوء أو المضمضة والاستنشاق.. إلخ.

٤- المحرم: وهو كل فعل ألزم الإسلام المكلف بتركه، ولم يسمح له بفعلـــه، ورتـــب العقوبة على فاعله، كما أوجب الثناء والثواب لتاركه، ويأتى تشريع الإسلام لقوانين الحظر

هذه كمكافحة لظاهرة الانحراف التى ينجر إليها الإنسان بسبب الشذوذ وسوء التعبير عن الدوافع والغرائز والنزعات الإنسانية.

ولو حاولنا استعراض المحرمات فى الإسلام، ودرسناها دراسة دقيقة وافية لوجدنا أن سبب تشريعها هو حماية الإنسانية من السلوك المنحرف الهدام، والحفاظ على كيانها من الأخطار والأضرار.

لذلك فإنا نجد التحريم فى الإسلام يشمل حماية الفكر والنفس والبدن فى دائرة الفرد الخاصة، كما يشمل حماية النظام والعلاقات الإنسانية، وحياة الجماعة فى دائرة المجتمع العامة من أخطار التخريب والانحراف والسقوط.

– ففى مجال التفكر مثلا حرم الإسلام الكفر وسوء الظن بالله ، ووصفه بما لا يصح وصفه به، كالظلم والتشبه بالخلق، والتجسيد ونحوه.

كما حرم الخرافة والشعوذة وتجميد الفكر والتقليد الأعمى، وكل ما من شأنه أن يستعبد طاقة العقل أو يكبح نشاطه العلمى وممارسته التحصيلية.

– وفى المجال النفسى للإنسان حرم الله كل ما من شأنه تلويث باطن الإنسان وقتل ضميره ووجدانه الأخلاقى كالحقد والكراهية واليأس وسوء الظن.

– وحرم كذلك كل النشاطات والممارسات والأعمال التى تضر بصحة الجسم وتهدم قواه، فحرم شرب الخمر، وممارسة الزنى، وأكل لحم الخنزير والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع والميتة والدم.

– وتوجه كذلك الإسلام لحماية المجتمع من الممارسات الضارة فى مجال الاجتماع، والسياسة، والاقتصاد، والقضاء، والتعليم.. إلخ.

فحرم الظلم والربا والاحتكار والغش والسرقة والكذب والغيبة، وشهادة الزور والسب والرشوة وقتل النفس، والقمار وتعليم المعارف والمفاهيم الهدامة وبثها، كالأفكار والصور والأفلام والثقافات التى تعود بالتحلل والانهيار الأخلاقى والفكرى.. وأكل السحت كثمن الخمر وأجر الزانية أو الراقصة، وما يؤخذ من أموال لإعانة الظالمين على تنفيذ ممارساتهم الظالمة.

وإن من يتأمل هذه القائمة من المحرمات، ويحاول استكشاف الحكمة الإسلامية الكامنة وراء هذا التحريم، يدرك عظمة التشريع الإسلامى وقدرته على بناء الفرد والمجتمع القوى المتحضر من خلال هذه الصيانة والوقاية التشريعية والأخلاقية المحكمة.

٥- الواجب: وهو كل ما ألزم الإسلام المكلف بفعله على وجه التحتيم ولم يسمح له بتركه، ورتب الثواب على أدائه والعقاب على تركه، كالصلاة والصوم والزكاة، والجهاد والحكم بالعدل، وبر الوالدين، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومقاومة الظلم والطغيان، وحب النبى وأهل بيته، والصدق والإخلاص.. إلخ.

٣- الأخلاق والدعوة إلى الخير

إن الهدف الأساس من بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام، هو توجيه الإنسان نحو الخير، وإصلاح شخصيته، وبناء ذاته، وتقويم سلوكه ووجدانه. لذا كانت الأخلاق هدفا أساسيا فى دعواتهم، ومعلما بارزا من معالم رسالاتهم، قال تعالى: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ (الأنبياء: ٧٣).

ولقد كان الرسول الكريم ﴿ﷺ وآله﴾ المثل الأعلى فى الأخلاق والاستقامة، وحسن التعامل مع الناس، وحب الخير للجميع لذلك وصفه القرآن الكريم بقوله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (القلم: ٤).

وكم دقيق ودال على أهمية الأخلاق فى الرسالة الإسلامية ما ورد عن الرسول الهادى سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ من قول: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) (الموطأ باب ٨، مسند أحمد ٢/٣٨١).

ليوضح أن أهداف رسالته وبعثته إنما تتركز فى تحقيق مكارم الأخلاق وإصلاح النفوس وتزكيتها حتى تتحلى بالصدق والأمانة، والحب، والرحمة، والعدل، والحلم، والكرم،

والشجاعة، والإخلاص، والوفاء.

وتخليص الإنسان من مساوئ الأخلاق ورذائلها، كالكذب والغش، والخيانة والغيبة، والبهتان والنميمة، والنفاق والرياء، والبخل وسوء المعاشرة، والحقد والحماقة، والسخط.. إلخ.. لأنها من أسباب سقوط المجتمع وشقاء الإنسان وتعاسته، لذلك يقول الرسول الكريم ﴿ﷺ وآله﴾: (من ساء خلقه فقد عذب نفسه) (مسند أحمد ٢/٢٥٩)، وعلى أساس هذه التربية الأخلاقية شاد الإسلام دعوته إلى حب الخير للجميع، ونداءه لتحقيق الخير للناس، كل الناس لذلك يحث الرسول الكريم ﴿ﷺ وآله﴾ المسلمين على فعل الخير ويدعوهم إليه، ويحذرهم من الشر، وينهاهم عنه بقوله: (خير من الخير معطيه، وشر من الشر فاعله). وقال: (الخلق كلهم عيال الله، فأحب الخلق إلى الله أحسن الناس إلى عياله).

كل ذلك لإشادة وبناء المجتمع الإنسانى على أساس الخير، وحسن الخلق، وليكون مجتمعا نظيفا من الشر والرذيلة، وسوء الخلق، ذلك لأن الأخلاق، وحب الخير هى ميزة من أبرز ميزات الإنسان، وسمة من أهم سمات الحضارة الإسلامية، وقيمها المقدسة.

وأن إنسانية الإنسان لا تكتمل إلا بالأخلاق الفاضلة، وحب الخير، والسعى نحوه، وتعتبر الأخلاق فى الإسلام الركن الأساس فى بناء الأسرة، والدولة والمجتمع، وبالأخلاق يرتبط القانون والسياسة والاقتصاد.. إلخ، ارتباطا وثيقا.

فالأخلاق فى الحياة الإسلامية كالماء فى خلايا النبات، تملؤها جميعا وتمنحها الحياة، والنمو والنضارة والجمال.

يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم عليه السلام:

هى الأخلاق أسرار المعالى ... تفاض على أولى الهمم العوالى
ترى الإنسان إنسانا عيانا ... وتشهده بها نور المثال
يلوح عليه نور الوصف يجلى ... كما يجلى على الملك الموالى

ومما سبق يمكننا أن نحصر خصائص الرسالة الإسلامية فيما يلي:

خصائص الرسالة الإلهية

تمتاز الرسالة الإسلامية بميزات وخصائص ملازمة لطبيعة القوانين والتكاليف والأخلاق والفكر والدعوة الإسلامية، وفيما يلي نوضح أبرز هذه الخصائص بشيء من الإيجاز والتركيز، فهي:

١-الخلود

فمن أولى خصائص الرسالة الإسلامية الخلود، وخلود الإسلام هو استمرار بقائه، وامتداد رسالته ودعوته، ما دامت البشرية تواصل حياتها على سطح هذه الأرض.

قال تعالى يصف خلود هذه الرسالة: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ (الأنعام: ١٩)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ (سبأ: ٢٨).

إن الإنسان فى كل مرحلة من مراحل التاريخ، وفى كل فترة من فترات حياته، لا يمكن أن يستغنى عن الدين إنما هو بحاجة إلى دين يهديه، وإيمان ينقذه من الجاهلية، وتسلط الطواغيت، وانحراف الأنظمة التى وضعها المتسلطون ولعبت بها الشهوات والأهواء.

وقد شاء الله سبحانه أن يكون هذا الدين الذى يلازم البشرية فى مسيرتها، ويستوعب مظاهر التجدد والنمو فى حياتها هو دين الإسلام.

وقد صور الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام خلود الرسالة الإلهية بقوله: إن القرآن حى لم يمت، وإنه يجرى كما يجرى الليل والنهار، وكما تجرى الشمس والقمر، ويجرى على

آخرنا كما يجرى على أولنا.

والإسلام لابد أن يكون خالداً لأنه خاتمة الشرائع ومكمل الرسالات والمعبر عن لطف الله ورحمته بخلقه. وقد وضح الإمام محمد بن على الباقر عليه السلام صفة الخلود فى الرسالة الإسلامية بقوله: إن القرآن حى لا يموت، وإن الآية حية لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت فى الأقوام، وماتوا ماتت الآية لمات القرآن، ولكن هى جارية فى الباقين كما جرت فى الماضين.

أما سر خلود الرسالة الإسلامية، فيكمن فى عدة عناصر أساسية هى:

أ- السعة والشمول: إن من العوامل المهمة التى تساعد الشريعة على البقاء والخلود المستمر مع الإنسان هو عامل السعة والشمول فى العقيدة والقوانين والنظم والأفكار والمفاهيم الإيمانية والحضارية..

ب-

فالرسالة الإسلامية رسالة شاملة عامة، عالجت قضايا العقيدة والعبادات والأخلاق والقوانين المختلفة، التى تنظم شئون الأسرة والحكم والسياسة والعلاقات الدولية والمال والاقتصاد والحرب والسلام، وعلاقات ملكية الأرض والعلم، كما تشمل تنظيم النشاطات الفردية المتعددة عند الإنسان، كالطهارة واللباس والأناقة والمأكولات والمشروبات، والحفاظ على الصحة البدنية والأوضاع النفسية والانفعالية.. إلخ.

وقد جاء ذلك واضحا فى بيان الإمام جعفر بن محمد الصادق: (ما من شئ إلا وفيه كتاب أو سنة). وبناء على هذه الحقيقة ثبت الفقهاء القاعدة الفقهية المشهورة: (ما من واقع إلا ولله فيها حكم)، وقد أوضحنا فيما سبق جانبا مختصرا من تلك العبادات والأنظمة والتعليمات الاجتماعية السامية.

فالقرآن الكريم بما حوى من معالجة لمشاكل الإنسان، والسنة النبوية بما فيها من

أحاديث، وسيرة عملية وموافقات، وكتب التفسير والفقه، وما حوت من عشرات الآلاف من المسائل القانونية، بالإضافة إلى القواعد الفقهية والأصولية، كلها شاهد على عظمة رسالة الإسلام وسعة أفقها.

ومن الشواهد العملية على ذلك تلك الحضارة الشامخة التى أسسها الإسلام – ولم تتسب حضارة لدين سواه– وما كون من دولة ومجتمع وثقافة وعلم ومعرفة، كانت مصدر النهضة العلمية الحديثة، ومنبع المدنية والقيم الإنسانية.

ولقد كان الرسول الكريم ﴿ﷺ وآله﴾ أول بانٍ للدولة الإسلامية، والمجتمع الإسلامى، والحضارة الإسلامية فى المدينة المنورة التى امتدت إلى آفاق العالم، فلم يكن الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ مجرد مبلغ لعقيدة الإيمان بالله ولطقوس العبادة المجردة وحدها.

ولو تاملنا فى الحياة الإنسانية وحاجات الإنسان لوجدناها تنقسم بطبيعتها إلى قسمين اثنين هما:

١– قسم ثابت ودائم لا يتغير: وهو جانب الحاجات الإنسانية الثابتة المرتبط بالغريزة والفطرة والتكوين البشرى، كالحاجة إلى الطعام والشراب والزواج والعلاج والعلم والأمن.. إلخ.

فكل تلك الحاجات الإنسانية هى قضايا ثابتة. وقائمة فى ذات الإنسان، ومرتبطة بتكوينه وفطرته فى كل زمان ومكان، فلا تتغير دوافعها، ولا تتبدل الحاجة إليها مهما تتغير الظروف، أو تتبدل وسائل الحياة.

٢– الجانب المتغير من الحاجات الإنسانية: أما الجانب الثانى من الحاجات والحياة الإنسانية فهو جانب الوسائل والأساليب التى تمكن الإنسان من تحقيق مطالبه، والاستجابة للحاجات الثابتة، والعمل على إشباعها.

وتلك الوسائل والأساليب هى التى تمثل الجانب المتغير، والمتطور من حياة الإنسان، فوسائل إنتاج الغذاء واللباس، أو وسائل النقل والسكن والعلاج وأساليب تحصيل العلم

ووسائل الدفاع وحماية الأمن وطرق إدارة وتنظـيم النشـاط السياسـى والاجتمـاعى والاقتصادى، تتطور وتزداد نموا وتعقيدا، يوما بعد يوم، كلما ازداد نمو الحيـاة وأثريـت بالعلوم والتجارب والمكتشفات الإنسانية، لذا فإن الإسلام قام بتنظيم الجانـب الثابـت، ووضع له الأسس والقواعد الكلية باعتباره حقيقة تكوينية ثابتة فى ذات الإنسان، وجعـل الجانب المتطور من الحياة الإنسانية جانبا مفتوحا، ولكنه يتحرك وفق قواعد ومفاهيم ثابتة، ترسم له طريق النمو، وتحدد له المسار، فكل تطور يحصل فى هذا المجال يجد بابـه التقنـينى المفتوح، وقاعدته القانونية الكلية، التى ينطوى تحتها غير محدد بقيد ولا شرط، غير حـدود الالتزام بمفاهيم الشريعة وقواعدها الأساسية، ومصالح الإنسانية والحفاظ عليها.

وبذلك فتح الإسلام باب النمو فى الحياة الإنسانية علـى مصـراعيه، مـا دام يحقـق مصالحها، ويسير على وفق قيم الخير والإيمان.

ب- الاجتهاد: ومن العناصر الأساسية التى تحقق استيعاب الشريعة الإسـلامية لكـل متجدد ومتطور فى حياة الإنسان، وتحقق لهذه الشريعة الخلود والبقاء هو (الاجتـهاد)، أى استنباط الأحكام والقوانين والمفاهيم والأفكار من القرآن الكريم والسنة المطهـرة، فكـل حادثة، وأمر جديد يحدث فى المجتمع الإسلامى، ولم يكن له حكم محدد وجاهز، فإن الشريعة قد أذنت باستنباط ذلك الحكم من القواعد والأسس والمفاهيم الكلية العامة، وبـذا يمتـد ويتسع القانون والفكر الإسلامى، ولا يجد المسـلمون مسـألة فرديـة أو اجتماعيـة إلا ويستطيعون أن يستخرجوا لها حكما من القرآن والسنة.

٢- اليسر والسهولة والتكليف بمستوى القدرة والطاقة:

والخاصية الثانية من خصائص الرسالة الإسلامية هى التكليف بمستوى الطاقة، واليسـر والسهولة فى التكاليف والواجبات، فليس فى الشريعة الإسلامية تكليفا فوق طاقة الإنسان واستطاعته، فكل العبادات من الصوم، والصلاة، والطهارة، والحج، والزكاة، والجهـاد فى سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والنفقة على الزوجة والأبنـاء والوالـدين، وأمثال ذلك، كلها قد وضعت بمستوى طاقة الإنسان واستطاعته.

وبذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ (البقـــرة: ٢٨٦). ﴿لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾ (الطلاق: ٧). لذلك فـــإن الشيخ المسن الذى لا يستطيع الصوم يعفا منه، والعاجز عن الصلاة لمرض أو عائق قـــاهر يصلى وهو جالس، وإن عجز عن ذلك صلى مضطجعا.. إلخ، والعاجز عن عمل يعفا منه، والذى يضره استعمال الماء فى الغسل أو الوضوء يتيمم.. إلخ، فلا تكليف فى الإســـلام إلا مع الاستطاعة، وعدم الضرر، بل إن الإنسان يعفا من التكاليف التى فيها مشقة وحرج.

قال تعالى موضحا ذلك: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: ٦). وقال سبحانه: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة: ١٧٣). وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾ (النساء: ٢٨).

وروى عن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ قوله: (لا ضرر ولا ضرار) (ابن ماجة ٢/٧٨٤).

وروى عنه ﴿ﷺ وآله﴾ قوله: (رفع عن أمتى تسع: الخطأ، والنسيان، ومـــا أكرهـــوا عليه، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطروا عليه، والحسد، والطيرة، والوسوسة فى الخلق ما لم ينطق بشفة) (تحف العقول عن آل الرسول، ص ٤١).

وهكذا تتجلى صفات الرحمة والعـــدل واللطـــف والحكمـــة الإلهيـــة فى التكـــاليف والمسؤوليات جميعها.

٣- الإنسانية:

والصفة الأخرى من صفات الرسالة الإسلامية هى صفة الإنسانية، فهى رسالة موجهـــة إلى البشرية جميعها، وهى تنظر إلى الناس جميعا بأنهم من أصل واحد، متساوون فى الإنسانية،

ولا فضل لأحد على أحد، إلا بالاستقامة، وعمل الخير.

فلا يفضل أحد على أحد بسبب لونه، أو جنسه، أو ذكورته أو أنوثتـــه، أو مالـــه، أو قوته.. إلخ، وإنما الفضل للاستقامة في العقيدة والسلوك. قال الله تعالى: ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (الحجرات:١٣). وقال مخاطبا نبيه ﴿ ﷺ وآله﴾: ﴿وما أرســـلناك إلا رحمـــة للعـــالمين﴾ (الأنبياء:١٠٧).

٤- العقلانية واحترام العقل:

تمتاز الرسالة الإسلامية بأنها رسالة العقل والمنطق السليم، فهي رسالة تقوم على أســـاس قناعة العقـــل والتوافق مع منطقه، وإقناعه بالحجة والدليل والبرهان الرصين، لـــذا كـــان حوار القرآن مستمرا ومفتوحا مع العقل، ودعوة متواصلة لحث الإنسان علـــى التفكـــر والتأمل، واستخدام العقل.

قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ العَالِمُونَ﴾ (العنكبوت:٤٣). وقال تعالى: ﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِـــي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ* وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَـــخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (النحل:١١ – ١٢). ﴿إن شر الدواب عنـــد الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ (الأنفال:٢٢).

وقد حرر الإسلام العقل، وأطلقه من الجمود والركود والخرافة، فبنى أعظـــم حضـــارة ومدنية عقلية ملتزمة بقيم الإيمان والأخلاق.

٥- الواقعية وعدم التناقض:

الإسلام دين عمل، ومنهج حياة، بلغ للبشرية لتهتدى به، وتسير على نهجه، وتبنى حياتها على أساسه. ورسالة هذه صفاتها وأهدافها، يجب أن تكون رسالة واقعية، بعيدة عن التزمت والتصور اللا معقول، لذا فهى جاءت مراعية للفطرة البشرية، ووضع الإنسان الجسمى والعقلى والنفسى.

وبذا كانت القوانين والأنظمة والعبادات والأخلاق.. إلخ، التى جاءت بها الرسالة الإسلامية متجاوبة مع الفطرة، ومنظمة لنشاط العقل والغريزة والجسد، وفق منهج إلهى متكامل، من أجل الوصول بالإنسان إلى الكمال اللائق بإنسانيته، والمحقق لخيره وصالحه، فى الدنيا والآخرة.

وبذا انتفى التناقض بين التكوين الإنسانى ومبادىء الرسالة الإسلامية، وتحقق التوافق فى كل القوانين والأخلاق والأنظمة والعبادات الإسلامية، لتحقيق غاية واحدة متكاملة، وهى إصلاح الإنسان، وتحقيق الخير والكمال له.

فالأخلاق والتربية تكمل دور القانون الإسلامى فى إصلاح البشرية، وتعد الإنسان للتطبيق القانونى والالتزام، وتهيئ الإنسان للعبادة، والعبادة تساعد على تنقية الضمير الإنسانى، وإصلاح المجتمع البشرى، والسمو بروح الإنسان وعقله ونفسه نحو خالقه.

قال تعالى موضحا هذه الحقيقة: ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾(النساء: ٨٢).

وهكذا تتوافق مبادىء الرسالة الإسلامية، وتتجاوب مع فطرة الإنسان، لبناء الذات الإنسانية والمجتمع الإنسانى، على أساس الخير والإصلاح، والسير نحو الله سبحانه.

٦- الإهتمام بالقصد والغاية:

إن الغاية الأساسية للرسالة الإسلامية، هى بناء الذات الإنسانية بناء خيرا، وتطهير محتواها من الرياء والنفاق والغش.. إلخ، لذلك اعتنى الإسلام بالقصد الإنسانى (النية)، وجعله روح الفعل وأساس قيمته.

لذلك ورد فى الحديث النبوى الشريف: (إنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نـوى) [رواه البخارى ومسلم، وأبو داود]. كل ذلك من أجل تصحيح اتجاه الإنسان وغايته فى الحياة، كجزء من المنهج التربوى الذى يحرص على تقويم الذات الإنسانية من داخلها، وبناء الإحساس الباطنى بناء أخلاقيا وروحيا خيرا.

وعلى هذا الأساس، اعتبر الإسلام كل عمل عبادى باطلا إذا داخله الرياء أو النفاق، ولم يتوفر فيه قصد الإخلاص لله سبحانه.

٧- الإعتدال والموازنة بين الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ (القصص:٧٧). وقال: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(الأعراف:٣٢). ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾(القصص:٦٠). ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلاَ تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾(طه:٨١). ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف:٣١). ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(البقرة:١٦٨). ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم:٢١).

تمتاز الرسالة الإسلامية بأنها رسالة وازنت بين الدنيا والآخرة، فدعت الإنسان إلى طلب العلم والإنتاج، والإعمار والتمتع بطيبات الحياة وزينتها، ورعاية جسده وغرائزه فيما يحل له ويليق بحاله كمؤمن لا إفراط ولا تفريط فى حياته.

فجعل العناية بشؤون الجسد المادية من الطعام واللباس والرعاية الصحية واجبا على الإنسان فى بعض الأحيان. كما حبب إليه الزواج، بل وجعله واجبا إذا أصبح ضرورة له. وأكد على جانب الاهتمام بالنظافة والرياضة وحفظ الصحة.

فقال الرسول الكريم سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ : (لأبدانكم حق عليكم). وقال: (إن الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر النعمة على عبده). (الكلينى، الفروع من الكافى ج٦ ص ٤٣٨). وقال: (علموا أولادكم الرماية والسباحة) (المصدر السابق ج٦ ص ٤٧).

فى الوقت الذى دعاه فيه إلى العبادة والتقوى والاهتمام بعالم الآخرة، والتعلق بما فيه من جنات ونعيم. فربط بذلك بين الدنيا والآخرة، ولم يفصل بينهما، فأعمال الدنيا لها أثرها فى عالم الآخرة، وأعمال الآخرة لها آثارها فى الحياة الدنيا.

وقد وضح الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ مفهوم الموازنة بين الدنيا والآخرة. بقوله: (ليس منا من ترك آخرته لدنياه، وليس منا من ترك دنياه لآخرته).[المتقى الهندى، كنز العمال ج٣ص١٦].

ولقد كانت شخصية الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ وسيرته العملية، المثل الأعلى فى الاعتدال، ومراعاة شؤون الدنيا والآخرة، فقد كان نبى الإسلام مبلغا عن الله سبحانه، وداعية إلى الإسلام، ومجاهدا فى سوح القتال، ورئيس دولة، ورجل مجتمع وحياة اجتماعية، وعابدا وقديسا متعلقا بربه، ليس له نظير فى الأرض، ورب أسرة، يعتنى بهيئته وجمال منظره، وكان يعرف بعطره ورائحته الطيبة. فهو المثل الأعلى لكل مسلم على هذه الأرض، والمطبق للشريعة والمبادئ الإسلامية تطبيقا نموذجيا.

ويمكن تلخيص الموازنة والاعتدال فى الإسلام، بما يأتى:

١- اعتبار الحياة الدنيا مرحلة فى هذا الوجود، ومقدمة لعالم الآخرة.

٢- التهيؤ لعالم الآخرة بالعبادة، والتوجه إلى الله ، وعدم التكالب على الدنيا.

٣- إعطاء الجسد والغريزة حقهما، والاستمتاع بطيبات الحياة المحللة.

٤- الاعتدال فى كل شيء: فى الطعام، والشراب، والحب، والبغض، والإنفاق، والعبادة.. إلخ، فقد نهى الإسلام عن الإسراف والتبذير والتفريط والإفراط فى كل شيء، وقد رفض الإسلام اتجاه الرهبانية واعتزال الحياة، فى الوقت الذى لا يسمح للإنسان أن يغالى فى طلب الدنيا، ويتهالك عليها، فيتحول إلى بهيمة، همها غريزتها، وشهواتها.

أين الحقيقة؟!

سأفترض لأصحاب الشرائع السماوية من يهود ونصارى ومسلمين، أننا من كوكب آخر جئنا إلى الأرض، وسمعنا أن على وجه الأرض أديان ثلاثة، جاء بها أنبياء هم: سيدنا موسى عليه السلام باليهودية، وسيدنا عيسى عليه السلام بالنصرانية، وسيدنا محمد ﴿صلى الله عليه وسلم وآله﴾ بالإسلام.

نحن غرباء عن الأرض، وسوف نتأكد من صحة هذا الكلام، بالدلائل المادية المحسوسة، والتى سوف نحصرها فى أربعة دلائل هى:

الأنساب التاريخ، القبور، الآثار.

أولا: الأنساب

سيدنا موسى تزوج وأنجب، فهل يستطيع واحد من يهود اليوم أن يقول إنه من نسل سيدنا موسى، أو من نسل أخيه هارون عليهما السلام، الإجابة: لا، لا يستطيع يهودى واحد أن يثبت لنا نسبه لسيدنا موسى أو هارون.

سيدنا عيسى لم يتزوج ولم يأمر بزواج، ولكن حوارييه كانت لهم زوجات، فهل يستطيع

نصرانى أن يقول: إنه من نسل أى حوارى من حوارى سيدنا عيسى، الإجابة: لا.

سيدنا محمد تزوج وأنجب، وأمر بالزواج، ويستطيع الملايين على وجه الأرض اليوم أن يثبتوا نسبهم لسيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾، بل ويثبتون نسبهم لأصحاب سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾.

فالفرق كبير بين أنساب موصولة، وأنساب مقطوعة!!.

ثانياً: التاريخ

سيدنا موسى ولد وتربى فى مصر، وكان يعامل معامله ابن فرعون مصر، ومع ذلك لم يذكره التاريخ المصرى، وحتى الآن لا يعرف من هو فرعون موسى.

سيدنا عيسى ولد فى فلسطين وكان محتلة من الرومان، وأرسل إلى بنى إسرائيل، ويقول النصارى: إنه جاء إلى مصر، ثم عاد إلى فلسطين، حيث صلب ودفن ورفع منها.. ولكن المفاجأة أن السيد المسيح لم يذكر فى التوراة وهى التاريخ الإسرائيلى، ولم يذكر فى تاريخ الرومان أو فلسطين أو مصر!!.

سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ ذكر فى التاريخ المصرى والحبشى والرومانى والفارسى والعربى لما أرسل رسله إلى هذه البلدان ليدعوهم إلى الإسلام، بل إن بعض رسائله مازالت محفوظة حتى اليوم فى متحف (توب كابى) بتركيا.

فالفرق شاسع بين من ذكر فى تاريخ الأمم، ومن لم يذكرهم التاريخ!!.

ثالثا: القبور

لا يوجد قبور معلومة لأى نبى أو رسول يقينا، إلا روضة سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾

بالمدينة المنورة.

فالفرق شاسع بين قبور مجهولة، وروضة معلومة!!.

رابعاً: الآثار

أعظم أثر لسيدنا موسى عليه السلام هو عصاه، التى كان يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه، والتى كانت آية عجيبة أمام فرعون وملئه، وفلق البحر بها، وشق الحجر بها.. أين هى هذه العصا؟ الجواب: غير موجودة.

أعظم أثر للسيد المسيح يتبرك به النصارى ويعلقونه فى رقابهم هو الصليب، أين هو الصليب الذى صلب عليه السيد المسيح؟ الجواب: غير موجود.

أما سيدنا محمد ﴿ صلى الله عليه وسلم وآله﴾ فعمامته، وسيوفه، ومكحلته ومروده، وشعر رأسه، وشعر لحيته، وقميصه، وجبته وغيرها الكثير من آثاره تفخر بها المتاحف الإسلامية فى أكثر من مكان.

فالفرق كبير بين من له آثار معلومة، ومن ليس له أى آثر يدل على وجوده!!.

فيا أهل اليهودية والنصرانية، بعد هذا البيان العقلى المادى المحسوس ألا يحتاج الأمر منكم إلى إعادة نظر فيما أنتم عليه، فأنبياؤكم ليس لهم أنساب موصولة، ولم يذكرهم التاريخ، وليست لهم قبور معلومة، ولا آثار تدل على وجودهم، بينما نبى الإسلام كل الشواهد تدل على وجوده؟!!.

ألا يستحق القرآن الكريم التقدير والاحترام والتصديق، لأنه هو الذى أثبت لأنبيائكم وجوداً، وأمر بتوقيرهم والإيمان بهم، فقال: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ (البقرة: ٢٨٥) ؟!!

أخى فى الإنسانية

هذه نماذج من وصايا الله سبحانه وتعالى ووصايا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ ، وهى قطرة من المحيط الأعظم جعلتها نورا لقلبك وبرهانا لعقلك، وهداية لنفسك، لتعلم حق يقين أن الإسلام هو دين الله حقا الذى خلق الخلق بقدرته، وجعل الإنسان وسطا بحكمته، وأهَّله لأن يكون فى أعلى عليين باتباع وصاياه. أو فى أسفل سافلين بمخالفة أمره ومعصية رسله صلوات الله وسلامه عليهم. كتبت لك هذه القطرة من البحر اللجى لتعلم حق العلم أن تلك الوصايا والحكم دالة على الخير الحقيقى، موصلة إلى السعادة الأبدية، بها سعادة المجتمع الإنسانى، وباتباعها الفوز بالرضوان الأكبر من الله تعالى. وأن تلك الوصايا والحكم جامعة لخير الإنسان منفردا ومجتمعا فى كل أنواع المجتمعات. وهى كليات تضمنت كل جزئيات العادات الحسنة، والأخلاق الفاضلة، والمعاملة العادلة، وشيم النفوس الكريمة، وأعمال القلوب الخالصة لله تعالى من عقائد ونوايا وقرب وخشية وصدق وإخلاص ويقين وطمأنينة وروية.

فلعلك أيها الأخ أن تجذبك يد العناية بما شهدت من تلك الآيات البينات والأحكام المحكمات، فتتجمل بهذا الجمال وتتحصن بحصون الأمن المنيعة، حتى تحفظ من عذاب ضميرك برذائل النفس، وأليم العذاب يوم الحساب من اعتقاد العقائد الباطلة، والسقوط فى هاوية الجحيم بالأعمال المهلكة، وإنما ذلك رغبة فى سعادتك وحبا فى خيرك. وكيف لا ، والدين يأمرنى أن أرحم كل ذى كبد رطبة، فشفقتى على أخى الإنسان واجبة علىّ كشفقتى على نفسى، والله سبحانه وتعالى يجعل لى قسطا من الخير، ويمنحنى الإخلاص فى إرادة الخير والرحمة لجميع الناس، ويمنح قارئ هذا المختصر نور هداية وقبول، إنه على كل شيء قدير..

الباب الرابع

خلق الكون والبشرية

لقد كانت مسألة بدء الكون والحياة وظهور الإنسان وخلقه من أدق المسائل التى تناولها العقل البشرى، فكثرت الأقوال والأساطير بكثرة الشعوب والأمم، فلكل أمة أسطورة أو مجموعة أساطير ولكل شعب حكاية أو مجموعة حكايات فى قضية الخلق والتكوين والبدايات. قال تعالى: ﴿الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل﴾ (الزمر: ٦٢). هذا قول فصل مترل فى كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فلا ريب فيه ولا شك، فالإيمان مطلق بأن قوة عليا خفية تسيطر على كل الأشياء من أصغرها إلى أكبرها، ومن الذرة إلى المجرة.

ولكن كيف تم ذلك الخلق؟ وكيف تشكل ذلك الكون؟ وما رأى الأمم فى ذلك قبل نزول القرآن؟.

الفصل الأول

خلق الكون بين اليهودية والنصرانية والإسلامية

لقد اختلفت الآراء والنظريات بين الأساطير الخيالية والأفكار العلمية الحديثة، فالكتب المقدسة تقول بخلق السموات والأرض فى ستة أيام.. والفرضيات العلمية والمكتشفات الحديثة تقدر عمر الكون بمليارات السنين.. وما أكثر الأساطير التى قيلت فى هذا المجال مدعمة بأفكار خيالية، ربما تكون قريبة من العقل لما تعتمد عليه من نظريات وضعت لتفسير وتعليل مسألة التكوين هذه وكشف حقيقة البدايات الكونية.

ومهما يكن من أمر فأساطير الأولين تراجعت أمام حقائق العلم الحديث، وأصبحت لا تتعدى مجرد حكاية للتسلية أو حديث للاستغراب، وحلت النظريات العلمية محل الأسطورة والخيال.. وسنستعرض ما جاء فى التوراة والقرآن والعلم الحديث بشأن قصة الخلق والتكوين..

ولعل البعض يستغرب أن بحثنا سيكون بين التوراة والقرآن فقط دون الإنجيل، ذلك لأن الإنجيل ليس فيه أى بيان عن هذه القضية على الإطلاق، وسنكتفى بما جاء فى التوراة للحكم على رأى اليهود والنصارى، لأنهما يعتبران التوراة هى العهد القديم، والإنجيل هو العهد الجديد، وبالتالى فكلاهما مكمل للآخر ولا ينفصل عنه، وما ثبت فى التوراة يقبله اليهود والنصارى، وما ثبت فى القرآن يقبله المسلمون.

التكوين فى التوراة

إن كتاب التوراة – وهو المأثرة الثقافية الوحيدة عند اليهود– قد نشأ وتطور منطلقا من أرضية ثقافية سورية وبابلية ومصرية، وخاصة عندما حصل السبى البـــابلى الأول (٥٨٦ ق.م). الذى قدم لليهود فرصة مناسبة للاطلاع علـــى آداب بـــلاد الرافـــدين وديانتـــها وأساطيرها وثقافتها، وخاصة ملحمة التكوين والخلق البابلى (الإينوما إيليش)، ويذكر سفر التكوين كثيرا عن كيفية خلق السموات والأرض وخلق العالمين. فقد ورد فى سفر التكوين فى الإصحاح الأول والثانى قصة خلق السماوات والأرض كما يلى:

(فى البدء خلق الله السماوات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، وعلـــى وجـــه الغمر ظلمة، وروح الله يرف على وجه المياه، وقال الله: ليكن نور فكان نـــور، ورأى الله النور أنه حسن، وفصل الله بين النور والظلمة، ودعا الله النور نهاراً، والظلمة دعاها لـــيلا، وكان مساء وكان صباح يوما واحدا.

وقال الله: ليكن جلد فى وسط المياه، وليكن فاصلا بين مياه ومياه، فعمـــل الله الجلـــد وفصل بين المياه التى تحت الجلد والمياه التى فوق الجلد، وكان كذلك، ودعا الله الجلد سماء، وكان مساء وكان صباح يوما ثانيا.

وقال الله: لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة، وكان كـــذلك، ودعا الله اليابسة أرضا، ومجتمع المياه دعاه بحاراً.. ورأى الله ذلك أنه حســـن. وقـــال الله: لتنبت الأرض عشبا يبزر بزرا وشجرا ذا ثمر يعمل ثمرا كجنسه، بزره فيـــه علـــى الأرض، وكان كذلك، فأخرجت الأرض عشبا وبقلا ويبزر بزراً كجنسه وشجرا يعمل ثمراً بزره فيه كجنسه، ورأى الله ذلك أنه حسن، وكان مساء وكان صباح يوما ثالثا.

وقال الله: لتكن أنوار فى جلد السماء لتفصل بين النهار والليل، وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين، وتكون أنوارا فى جلد السماء لتنير على الأرض، وكان ذلـــك، فعمـــل الله

النورين العظيمين: النور الأكبر لحكم النهار، والنور الأصغر لحكم الليل، والنجوم، وجعلها الله فى جلد السماء لتنير على الأرض، ولتحكم على النهار والليل، ولتفصل بين النور والظلمة، ورأى الله ذلك أنه حسن، وكان مساء وكان صباح يوما رابعا.

وقال الله: لتفض المياه زحافات ذات نفس حية، وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء، فخلق الله التنانين العظام، وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التى فاضت بها المياه كأجناسها، وكل طائر ذى جناح كجنسه، ورأى الله ذلك أنه حسن، وباركها الله قائلا: أثمرى وأكثرى واملأى المياه فى البحار، وليكثر الطير على الأرض، وكان مساء وكان صباح يوما خامسا.

وقال الله: لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها، بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها، وكان كذلك، فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها، والبهائم كأجناسها، وجميع دبابات الأرض كأجناسها، ورأى الله ذلك أنه حسن، وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض، وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض. فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم، وباركهم الله وقال لهم: أثمروا وأكثروا، واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض، وقال الله: إنى قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزرا على وجه الأرض، وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزرا، لكم يكون طعاما ولكل حيوان الأرض، وكل طير السماء، وكل دبابة على الأرض فيها نفس حية، أعطيت كل عشب أخضر طعاما. وكان كذلك، ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جدا وكان مساء وكان صباح يوما سادسا).

وتابع سلسلة خلق الكون فى الإصحاح الثانى من سفر التكوين حيث قال: (فأكملت السموات والأرض وكل جندها.. وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه

فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا.

هذه مبادئ السموات والأرض حين خلقت، يوم عمل الرب الإله الأرض والسموات.. كل شجر البرية لم يكن بعد فى الأرض، وكل عشب البرية لم ينبت بعد. لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض، ولا كان إنسان ليعمل الأرض، ثم كان ضباب يطلع من الأرض ويسقى كل وجه الأرض.. وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض، ونفخ فى أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفسا حية..).

من هذا التسلسل التوراتى فى قصة الخلق والتكوين يظهر معنا أن الحالة البدئية السابقة للخلق حالة عماء مائى وظلمة سرمدية، ومن هذه المياه تم التكوين، حيث قام(يهوه) –أى الإله– بتقسيم المياه إلى قسمين: رفع الأول إلى السماء وترك الثانى فى الأسفل فصار بحارا، ومنها برزت اليابسة، ومن هذه اليابسة تابع يهوه أفعاله الخلاقة، فأخرج النبت والمرعى والشجر والثمر وخلق الحيوان، وفى السماء خلق الشمس والقمر والنجوم، وفى البحر خلق الحيوانات المائية، وفى الجو خلق الطير، وأخيرا خلق الإنسان.

فى هذا التسلسل المرحلى للتكوين التوراتى يظهر تناقض واضح فى الأحداث. ففى البدء خلق السموات والأرض، ثم يخلقهما مرة ثانية بفصل المياه عن بعضها. ومرة يخلق البشر دفعة واحدة، وفى المرة الأخرى يخلق الرب الإنسان بدءاً من زوجين أوليين متأثراً بالأساطير البابلية والسومرية، وهذا ناتج عن تعدد المصادر التى اعتمدت عليها التوراة كالمصدر اليهوى والإيلوهيمى والتثنية والكهنوتى.. وغيرها.

ملاحظات حول نصوص التوراة

من دراسة النصوص التوراتية المتقدمة، يتبين لنا وجود تناقضات واضحة، فهى تارة مطابقة للواقع العلمى، وتارة غير مقبولة علميا، هذا عدا عن التقديم والتأخير فى المراحل

التكوينية. ومما لا شك فيه أن الظلمات كانت سائدة فى الكون قبل خلق الأرض، أما المياه المذكورة فى النص فهى صورة رمزية صرفة، والأصح القول بوجود كتلة غازية سديمية فى المرحلة الأولى لتكوين الكون.

لقد خلق الله النجوم والكواكب فى اليوم الرابع، فكيف يكون الليل والنهار قبل وجود الأرض لتدور حول الشمس؟ وأما صورة انقسام المياه إلى كتلتين بهذا الشكل غير مقبولة علميا.

وعن تشكيل القارات فهذا مقبول علميا، حيث تظهر اليابسة بعد الغمر المائى.

أما أن تنبت الأرض خضرة وعشبا وشجرا وثمرا قبل أن تظهر الشمس (اليوم الرابع) وقبل أن ينتظم تعاقب الليل والنهار فذلك غير مقبول علميا. وعن خلق الشمس والقمر بعد الأرض فهو أمر مخالف للعلم وفرضياته الحديثة..

وعن تطور المخلوقات الحية الأرضية تقول التوراة: إن حيوانات الأرض كانت فى اليوم السادس بعد ظهور الطيور، وهذا غير مقبول علمياً..

أما عن خلق الإنسان بعد كل المخلوقات الحية فهو صحيح علميا.. ولكن الراحة التى يفترض أن الله أخذها فى اليوم السابع (السبت) بعد أن عمل ستة أيام متواصلة فهى أسطورة مبتكرة، وأن الله متره عن التعب ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ (البقرة: ٢٥٥).

إن تعاقب الأحدث فى النص الكهنوتى يناقض المعلومات العلمية الحقيقية، وهكذا تبدو لنا الرواية الكهنوتية للخلق كبناء خيالى أسطورى لا يهدف إلى التعريف بالحقيقة..

الفرضيات العلمية الحديثة فى نشوء الكون

إن مسألة أصل الكون هى من أشد المسائل المطروحة أمام عقل الإنسان وإدراكه ضخامة وهولاً، وقد تعددت الفرضيات العلمية التى قيلت فى أصل المجموعة الشمسية ومنشؤها.. حيث يرى الفلكيون أنه منذ أكثر من خمس مليارات سنة تكونت الشمس وكواكبها السيارة فى الفضاء الكونى من سحابة غازية أو الغبار الكونى، ولقد تم انفصال الشمس والأرض وسائر كواكب المجموعة الشمسية عن تلك السحابة السديمية بواسطة القوة المركزية النابذة أو القوة الجاذبة أو الانفجار النووى، أو بطريقة التصادم مع الشمس حيث احتلت الشمس المركز، بينما أخذت الكواكب التى تدور حولها بانتظام فى مدارات خاصة بعد أن تبردت وتصلبت وأخذت تدور حول الشمس الأم، كما تبرد الغلاف الجوى وتكاثف بخار الماء، فانهمرت الأمطار الغزيرة مئات من السنين، حيث تشكلت البحار والمحيطات. ثم تشكلت القارات المنفصلة، ومن المحتمل أن الحياة ظهرت لأول مرة فى البحر منذ ٢,٧ مليار سنة مضت، وقد تحولت تدريجيا بعض الكائنات المائية إلى حيوانات برمائية، ثم تحولت إلى زواحف، ثم تطورات إلى ثدييات، وخلق الإنسان على سطح الأرض منذ نحو مليون سنة تقريبا.

فرضيات فى أصل الأرض

١- فرضيات العالم الألمانى (كنت) التى تقول: إن الشمس هى التى كونت مجموعتها السيارة بنفسها دون تدخل أى جرم سماوى آخر. أى: أن الشمس كانت فى مراحلها الأولى كتلة ضخمة جدا من الغاز المتوهج، تملأ حيز المجموعة الشمسية الحالى بأكمله، وتدور حول محورها، ثم أخذت حرارتها تتناقص باستمرار لأنها فقدت قسما منه بالإشعاع فى الفضاء المحيط بها، حيث تقلصت تدريجيا فزادت سرعتها، ثم تولدت قوة مركزية نابذة ناتجة عن هذا الدوران السريع حول محورها أدت إلى تفلطح مادة السديم، حيث تم طرد عدد من الحلقات الغازية، التى أخذت تدور حول محورها وحول الكتلة المركزية، نواة

السديم، التى هى الشمس الأولى.

٢- فرضية لابلاس: قدم فى كتابه (عرض لنظام الكون عام ١٧٩٦) الفرضية السديمية وهى تشبه فرضية (كنت) التى تقول: (إن سديما من السحب الغازية اللاهبة، يدور بسرعة، وبتأثير جاذبية العناصر والأجسام أخذت هذه الغازات تتكاثف، وتقلص حجم السديم على شكل كرة مفلطحة، مما أدى إلى ازدياد سرعة الدوران التى أدت إلى انفصال حلقات متعددة عن النواة الأصل بسبب القوة النابذة).

٣- فرضية أخرى تقول: إن نجما عابرا مر أمام الشمس يتميز بسرعته، وشدة جاذبيته، يقارب الشمس فى حجمه وكتلته، فأخذ من الشمس من الجهة المقابلة له أجزاء من الغاز، انفصلت عن بعضها وشكلت الكواكب السيارة بعد تبردها.

٤- فرضية مكسويل تقول: إن المادة المركزة فى الوقت الحاضر فى مختلف الكواكب السيارة لو كانت موزعة بانتظام على جميع الحيز الذى تشكله المجموعة الشمسية الآن لكان توزيع مادتها دقيقا، بحيث إن قوة الجذب لا تستطيع أن تجمعها وتكتلها فى سيارات مستقلة، وأن الحلقات التى طرحتها الشمس كانت ستظل حلقات مماثلة لحلقات زحل مستمرة فى دورانها حول كواكبها.

٥- أما فرضية (دى بوفون) التى تقول: بأن مذنباً هائلا آتيا من الفضاء البعيد تصادم مع الشمس، ففصل عن جسم الشمس عدداً من الأجزاء الصغيرة، ابتعدت عنها فى الفضاء، ودارت حول نفسها من شدة الصدمة، وأخذت لها مدارات حول الشمس مشكلة أعضاء المجموعة الشمسية بعد أن تبردت وتصلبت.

وقد اكتشف العلماء بتحليل أطياف الأضواء الواردة من الشمس والكواكب أنها تتكون من عناصر متشابهة، وأن المواد الموجودة فى الشمس موجودة على الأرض، حتى أن

بعض العناصر كالهليوم مثلا اكتشف فى الشمس قبل اكتشافه على الأرض، وأن تركيب الكون الذى يحيط بنا يتألف من ٩٩% من الهيدروجين والهليوم، وهما أشد العناصر بساطة وخفة، ومن ١% من عناصر أشد ثقلا..

وجميع هذه المواد تتجمع فى غيوم ضخمة من الغازات والغبار الكونى، وإذا تراكمت مع بعضها شكلت كرة ضخمة فى الفضاء تصدر إشعاعات مشحونة بالطاقة وهكذا يتشكل النجم. أما الكتلة المظلمة الكثيفة من غبار كونى فإنها تؤلف كوكبا سيارا..

خلق الكون فى القرآن الكريم

لم يذكر القرآن الكريم رواية كاملة عن مسألة الخلق الكامل، وإنما ذكر قصة الخلق فى أماكن متعددة منه، على غير ما ورد فى رواية التوراة من تسلسل مستمر يبين الخلق فى أيام ستة كما مر بنا.. قال تعالى: ﴿إن ربكم الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام﴾ (الأعراف: ٥٤). وفى موضع آخر قال تعالى: ﴿خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ (الفرقان: ٥٩). يفهم من كل كلمة يوم على أنها مرحلة عمل، أى أن عملية الخلق تمت على ست مراحل، وأن اليوم بمفهوم علم الفلك لم يكن قد بدأ استنادا إلى دوران الأرض حول نفسها.. وبالتالى فلا ليل ولا نهار.. وربما يكون اليوم دهراً طويلاً أو فترة زمنية غير محددة مهما طالت، وتتضاءل إلى جانبها الأيام كما نفهمها.. قال تعالى: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ (السجدة: ٥).

وجاء فى موضع آخر قوله تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ (المعارج: ٤). إن الله سبحانه وتعالى قادر على الخلق بأقل من طرفة عين، وأمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.. قال تعالى: ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا﴾ (نوح: ١٥-١٦).

وفى الآيات الكريمة التالية يبين الله عز وجل طريقة خلق الكون مخاطبا سيدنا محمـــداً ﷺ وآله﴾ قال تعالى: ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون لـــه أنـــداداً ذلك رب العالمين* وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين* ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرهـــا قالتا أتينا طائعين* فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا الســـماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (فصلت: ٩-١٢).

هـــذا تسلسل مرحلى يبين خلق الأرض وما عليها، من جبال وأقوات للعالمين فى أربعة أيام ثم خلق سبع سموات فى يومين آخرين.. ويؤكد قوله تعالى فى موقع آخر من الكتـــاب العزيز: ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ (ق: ٣٨).

إن عملية الخلق لم تتعب الخالق مطلقا- على غير ما ورد فى التوراة التى قالت براحـــة الخالق فى اليوم السابع، يوم السبت- فالله متره عنه صفات البشر.. ومن جهـــة أخـــرى فالقرآن الكريم لم يحدد ترتيبا زمنيا فى خلق السماوات والأرض وأيهما كان الأسبق. فبعض الآيات تشير إلى الأرض أولا، قال تعالى: ﴿هو الذى خلق لكـــم مـــا فى الأرض جميعـــا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات* وهو بكل شئ عليم﴾ (البقرة: ٢٩).

وفى سورة طه يقول كذلك: ﴿تتريلا ممن خلق الأرض والسموات العلى﴾ (طـــه: ٤). كما توجد آيات أخرى تشير إلى السماوات قبل الأرض قال تعـــالى: ﴿وســـع كرســـيه السموات والأرض﴾ (البقرة: ٢٥٥). وقال كذلك: ﴿والله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن﴾ (الطلاق: ١٢)..

أما فى سورة النازعات فقد جاء ترتيب واضح بين جزءاً من قصة الخلـــق مسلســـلة: ﴿أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها* رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخـــرج ضـــحاها*

والأرض بعد ذلك دحاها* أخرج منها ماءها ومرعاها* والجبال أرساها* متاعا لكم ولأنعامكم﴾ (النازعات: ٢٧-٣٣).

تبين هذه الآيات الكريمة كيف بدأ خلق السماوات وبنيانها، ثم كيف رفع سمكها وجعلها مستوية وأظلم ليلها، وأخرج ضحاها حيث أبرز نور شمسها، وأضيف إليها الليل لأنه ظلها، والشمس لأنها سراجها. ثم بسط الأرض، وبعد ذلك دحاها (جعلها على شكل البيضة) ثم فجر الينابيع والعيون، ثم أنبت المرعى من شجر وعشب وكل ما يأكله الناس من القوت والثمار، ثم ثبت الجبال على وجه الأرض وجعلها رواسى، وجعلها أوتاداً، لتسكن الأرض وتستقر. لتتمتعوا بها أنتم وأنعامكم من بقر وغنم وإبل. جلت قدرة الخالق فيما خلق.. وقال كذلك: ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً، وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ (يونس: ٥). وقد ﴿خلق السموات بغير عمد ترونها﴾ (لقمان: ١٠).

هذا ما خلق الله العلى القدير. ولنفكر فى قوله تعالى: ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (غافر: ٥٧).

فتتضح معنا عملية خلق الكون واضحة جلية فى قوله تعالى: ﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون﴾ (الأنبياء: ٣٠).

ويفهم منها أن السموات والأرض كانتا سدا، أى: كتلة واحدة، ففتقناهما، أى: فصلناهما، فجعلنا السماء سبعا والأرض واحدة، لكنها مخلوقة مثل السموات، أو فتق السماء إن كانت لا تمطر فأمطرت، وفتق الأرض إن كانت لا تنبت فأنبتت، وجعلنا من الماء النازل من السماء أو النابع من الأرض كل شئ حى، فالماء سبب الحياة فى الكون كله.

قال تعالى: ﴿وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون* وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون* وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون﴾ (الأنبياء: ٣١-٣٣).

خلق الله الأرض وثبت عليها الجبال حتى لا تهتز، وجعل فيها مسالك وطرق لهدايتهم إلى مقاصدهم فى الأسفار، ثم جعل الله السماء سقفا للأرض كالسقف للبيت، محفوظا من السقوط والانهيار، وهو الذى خلق الليل وخلق النهار، وخلق الشمس وخلق القمر، وجعل كلا منها فى مداره الخاص لا يحيد عنه أبداً.. وهنا يبين الله لنا أن الأرض قبل السماء، فهى كالأساس بالنسبة للبناء وركيزة له وقرار مكين، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ (غافر: ٦٤). تفكروا فى خلق الله يا بنى البشر، واعلموا أن الله على كل شئ قدير. قال تعالى: ﴿وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (النمل: ٨٨). فهو الذى جعل الأرض ممهدة وثبتها كما ثبت الخيام بالأوتاد، حتى لا تهتز ولا تميد، وهو الذى رفع السموات بغير عمد ترونها. قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً * وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً* وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً﴾ (النبأ: ٦-٨). ويؤكد سبحانه وتعالى هذه الفكرة فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم حيث قال: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ* وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ المَاهِدُونَ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات: ٤٧-٤٩). فبقدرة الله تبنى السماء بشكل هندسى بديع، فهو يوسعها كلما زاد الارتفاع والسمو حتى السماء السابعة أوسع السماوات. قال تعالى:﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ (الملك: ٣). ومن قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا* وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ (الشمس: ٥-٦) بمعنى بسطها.

فالله تعالى يخبر عن خلق السماوات وعظمة اتساعها وارتفاعها وجمالها، فهى فى غاية الحسن والبهاء والكمال.. قال تعالى: ﴿والسماء ذات الحبك﴾ (الذاريات: ٧). أى :الخلق الحسن.

وقال تعالى: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ* وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ* وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ* وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (الغاشية: ١٧-٢٠). يخاطب الله تعالى كفار مكة بأن انظروا إلى آيات الله فى خلق الإبل وهو بينكم، ورفع السماء من فوقكم بغير عمد، ونصب الجبال من حولكم، وبسط الأرض من تحتكم

.

﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه﴾ (الحج: ٦٥). أفلا تؤمنون بالخالق المبدع مالك الملك: ﴿تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير﴾ (الملك:١). فالله عز وجل هو الخالق وهو البديع لهذا الكون، وهو الذى وضع له القوانين والأسس، وهو الذى خلق كل شئ بقدر، ومن أجدر منه إلها واحدا خالقا مهيمنا على الكون وعلى كل موجداته، فهو الأول وهو الآخر، فتبارك الله أحسن الخالقين.

القرآن لا يناقض النظريات العلمية

إننا لا نجد فى القرآن الكريم ما يناقض النظريات العلمية الحديثة، فالقرآن ليس كتابا متخصصا فى علم معين، إنما لم يغفل موضوعا ما من الذكر.. فتكلم فى الفلك، وفى الطب، والتاريخ، والجغرافية، والأخلاق، والسياسة، ولكن من دون تخصص، وقد أورد فى كل منها العديد من الآيات، منها ما قد عرفها الإنسان القديم والفضائى الحديث، ومنها ما لم يعرفه الإنسان، قال تعالى: ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق، وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ (فصلت: ٥٣).

وهاهم رواد الفضاء يجوبون الآفاق الكونية يبحثون عن أغراضهم وأهدافهم، وفى كل يوم إنجاز علمى جديد. إن العلم الحديث أثبت أنه لا توجد حقيقة كونية واحدة تختلف مع ما جاء به القرآن الكريم، وهو كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فمن حيث الخلق يؤكد على وجود كتلة غازية. وتردد كلمة (دخان) تعنى عموما كتلة

ذات قوام غازى. وهذا يتفق معه العلم الحديث، والكتلة السديمية، وكذلك عملية الفتق للكتلة الوحيدة الأولى التى كانت عناصرها ملتحمة، ثم انفتقت وتجزأت إلى كتل متعددة، أصبحت أعضاء المجموعة الشمسية الناتجة عن انفجار السديم وتفتته إلى عوالم عديدة ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ (الانفطار: ٢). أى: تمزقت وتبعثرت، والحمد لله رب العالمين.

خلق الكون فى الأحاديث النبوية

وفى الأحاديث النبوية: عن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ قال الإمام أحمد بن حنبل عندما سئل، أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (كان فى عماء، ما فوقه هواء، وما تحته هواء، ثم خلق عرشه على الماء..).

وفى رواية ابن جرير عن محمد بن إسحق أنه قال: (أول ما خلق الله النور والظلمة ثم ميز بينهما، فجعل الظلمة ليلا أسود، وجعل النور نهارا مضيئا).

عن أنس بن مالك عن النبى ﴿ﷺ وآله﴾ أنه قال: (لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت، فتعجبت الملائكة من خلق الجبال، فقالوا: يا رب هل من خلقك شئ أشد من الجبال؟ قال: نعم، الحديد، فقالوا: يا رب فهل من خلقك شئ أشد من الحديد؟ قال: نعم، النار، فقالوا: يا رب فهل من خلقك شئ أشد من النار؟ قال: نعم، الماء.

فقالوا: يا رب فهل من خلقك شئ أشد من الماء؟ قال: نعم، الريح. فقالوا: يا رب فهل من خلقك شئ أشد من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم، يتصدق بصدقة يمينه، يخفيها من شماله) (أخرجه الترمذى).

وفى موضوع تسلسل الخلق قال ابن جرير: (إن ربنا خلق الكرسى بعد القلم، ثم خلق

العرش بعد الكرسى، ثم خلق الهواء والظلمة، ثم خلق الماء فوضع عرشه على الماء).

وعن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ روى الإمام أحمد: قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾: (إن أول ما خلق الله القلم، ثم قال له: أكتب فجرى فى تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة). وقال أيضا: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء). قال ابن عباس: (إن عرش الله كان على الماء، ولم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا، فارتفع الدخان فوق الماء فسماه سماء، ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أراضى).

يقول الإمام أبو العزائم عليه السلام فى أسرار القرآن جـ٤: (جمع الله السموات وأفرد الأرض ليدل على أن السموات سبع، وأن الأرض واحدة، وقد أثبت الحس أن الأرض واحدة، وأنها ليست كروية تامة التكور، ولا مبسوطة كل البسط، وقارات الأرض السبع، أو طبقاتها السبع، لا تسمى سبعة أراضى، لأنها كتلة واحدة وإن ورد فى الآية الشريفة: ﴿خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن﴾ (الطلاق: ١٢) فإن المشبه به السموات، والمشبه الأرض، ووجه الشبه هنا أن الله خلق الأرض كما خلق السموات).

يحدثنا الشيخ محى الدين بن عربى فى كتابه (الفتوحات المكية) عن خلق العالم فيقول: (خلق الله سبحانه بردة جامدة، كالجوهرة فى الاستدارة والبياض، وأودع فيها بالقوة ذوات الأجسام وذوات الأعراض، ثم خلق العرش واستوى عليه اسم الرحمن، فنظر بعين الجلال إلى تلك الجوهرة، فذابت حياء، وتحللت أجزاؤها، فسالت ماء، وكان عرشه على ذلك الماء قبل وجود الأرض والسماء، فأرسل النفس فتموج الماء وأزبد، فأنشأ سبحانه من ذلك الزبد الأرض، ثم أنشأ الدخان من نار احتكاك الأرض عند فتقها ففتق فيه السموات العلى..).

واليوم يقدر العلماء أنه يوجد فى الكون نحو مئة مليون كوكب، لها شروط مماثلة

لشروط الأرض من جو ووجود وماء، وتركيب كيميائى متشابه، ونفس الإضاءة ومتوسط درجات الحرارة، ولكنهم لا يعرفون ما هو نمط الحياة على مثل هذه الكواكب؟..

يقول جل شأنه: ﴿يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين﴾ (الأنبياء:١٠٤).

ومن هذه الآيات التى مر ذكرها، ومن الأقوال الرشيدة التى سردناها نتوصل إلى الحقائق التالية:

١- إن الخلق عموما تم على ست مراحل.

٢- تداخل مراحل خلق السموات مع مراحل خلق الأرض.

٣- خلق الكون ابتداء من كتلة أولية فريدة كانت تشكل كتلة متماسكة تجزأت فيما بعد.

٤- تعدد السموات وتعدد الكواكب التى تشبه الأرض.

٥- وجود خلق وسيط بين السموات والأرض، قال تعالى: ﴿له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ (طه: ٦).

ولنذكر دائما قوله تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ (الإسراء: ٨٥).

الأصل المشترك فى قصة ولادة الكون

فى الختام نجد أن العامل المشترك فى كل نظريات الخلق والتكوين وأساطيره هو ظاهرة الميلاد المائى، حيث إن فكرة المياه الأولى مشتركة فى كل الأديان والمعتقدات.

- فالأسطورة السومرية قالت: إن ولادة الكون للإلهة (نمو) وهى المياه الأولى.

- والأساطير البابلية قالت: إن ولادة الكون من المياه الأولى (تهامة).

- والأساطير السورية تقول: (إن (يم) المياه الأولى الذى انتصر عليه الإله بعل وشرع بتنظيم العالم بعد انتصاره).

– والأسطورة المصرية قالت: إن الإله (رع) كان أول إله يخرج من المياه الأولى، وهو الذى أنجب بقية الآلهة فيما بعد..

– والأسطورة الإغريقية قالت: إن أوقيانوس هو المياه الأولى، والإله البدء الذى نشأ عنه الكون.

– وفى التوراة نجد أن المياه الأولى وروح الرب ترف فوقها قبل التكوين..

وقد أثبت القرآن الكريم، وهو نهاية الوحى وهو القول الفصل، والنطق الحق، وجود المياه البدئية بقوله تعالى: ﴿هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾ (هود: ٧).

***

وفى فصل السموات والأرض: تقول الأسطورة المصرية إن الإله (جيب) إله الأرض المذكر و(نوت) إلهة السماء المؤنثة فى حالة اتحاد، وقد تزوجا بعضهما سرا، دون إذن الإله (رع)، فلما علم كبير الآلهة بذلك أرسل إله الهواء (شو) الذى أبعدهما عن بعض عنوة.. ومنذ ذلك الحين والإله (شو) يطأ بقدميه (جيب) الصريع، ويرفع بذراعيه القويتين السماء (نوت).

وتقول الأسطورة البابلية: إن الإله (مردوخ) يقوم بشطر جسد الإلهة (تهامة) إلى نصفين فيرفع الأولى سماء، ويبسط الثانية أرضا.

وعند الإغريق تقول الأسطورة: إن الأرض (جيا) وهى الأم الأولى كانت أول إله يخرج من العماء البدئى.. تلد نظيرها (أورانوس) إله السماء الذى يغطيها من كل الجوانب، وتتحد به لتلد بقية الآلهة، ثم يتم التفريق بينهما عنوة..

والتوراة تقول فى روايتها: إن الإله (يهوه) إله العبرانيين يقوم بفصل المياه الأولى إلى شطرين رفع الأول إلى السماء، وبسط الثانى الذى تجمع ماؤه فى جانب، وبرزت من اليابسة فى جانب آخر.

الفصل الثانى

خلق البشرية بين اليهودية والنصرانية والإسلام

اتفقت معظم الأساطير والروايات على أن البشر من طين وكلهم من أصل واحد، حتى الأساطير البدائية تقول ذلك. ولكن القول الحق الذى أثبته العلم هو ما جـــاء فى القـــرآن الكريم بأن الخلق البشرى بدأ من طين، وجعل نسل آدم وسلالته من ماء مهـــين فى قـــرار مكين فجعله سميعاً بصيراً. ومرت عليه فترة لم يكن شيئاً مـــذكوراً، وشـــرفه الله بـــالعلم والتعليم، وميزه من سائر المخلوقات بالعقل والكرامة والإبداع. فقد خلق الله بيديه الكريمة آدم أبا البشر جامعاً لحقائق الملك والملكوت، وصور جثته ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته طائعين، وجعله فى الأرض خليفة، وعلمه الأسماء كلها. وخلق منه امرأته حـــواء أم البشر، فآنس بها وحدته، وأسكنها معه جنته. ثم أهبطهما إلى الأرض وبث منـــهما خلقـــا كثيراً، وأسكنهم كوكب الأرض، وسخر لهم الفلك وأنزل الأمطار.. فأحيا الأرض بعـــد موتها، وجادت الأرض بكل أصناف الحياة، وبث فيها من كل دابة.

وتجمع النصوص الدينية كلها على أن أصل الإنسان واحد. فالأمم على اختلاف طبقاتها فى زمانها ومكانها متسلسلة من أب واحد كما جاء فى الحديث الشريف: (كلكم لآدم وآدم من تراب، والخلق كلهم عيال الله) وسنستعرض بعض الروايات التى قيلت فى خلق الإنسان الأول آدم عليه السلام.

الخلق البشرى فى التوراة:

تذكر التوراة أن الإله "يَهْوَهْ" قام بخلق الإنسان الأول من طين بعد أن انتهى من خلق العالم كله، (وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض، ونفخ فى أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حيةً، وغرس الرب الإله جنةً فى عدن شرقاً، ووضع هناك آدم الذى جبله، وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل، وشجرة الحياة فى وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر) (سفر التكوين، الإصحاح الثانى، الآيات ٧-٩).

ويوصى الرب آدم بأن يأكل من جميع شجر الجنة ما عدا شجرة معرفة الخير والشر، وأنذره بالموت إذا أكل منها. تقول التوراة: (وأخذ الرب الإله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعلمها ويحفظها.. وأوصى الرب الإله آدم قائلا: من جميع شجر الجنة تأكل أكلا، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتا تموت) (التكوين، الإصحاح الثانى الآيات ١٥-١٧).

ويريد الرب أن يؤنس آدم بامرأة من نفسه تسكن معه الجنة. وتساعده على أيام حياته، وعلمه الأسماء كلها، وتتابع التوراة القول: (وقال الرب الإله ليس جيداً أن يكون آدم وحده فأصنع له معينا نظيره.

وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية، وكل طيور السماء فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها) (التكوين، الإصحاح الثانى، الآيات ١٨، ١٩).

كيف خلقت حواء من نفس آدم؟

تقول التوراة: (فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما، وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة، وأحضرها إلى آدم، فقال آدم: هذه الآن عظم من عظامى، ولحم من لحمى، هذه تدعى امرأة لأنها من امرئ أخذت،

لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكونان جسدا واحدا) (التكوين، الإصحاح الثانى الآيات ٢١، ٢٤).

ويسمى آدم زوجته حواء باسمها لأنها أم لكل الأحياء فى الكون. تقول التوراة: (ودعا آدم اسم امرأته حواء لأنها أم لكل حى، وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما) (التكوين، الإصحاح الثالث الآية ٢٠).

وبدأ الخلق يتزايد وكثرت الولادات من أب واحد وأم واحدة، من آدم وحواء، فالكل لآدم وآدم من تراب، فجاء قابيل وبدأت الحياة بتناقضاتها وصراعاتها القائمة بين الخير والشر، بين الحق والباطل. تقول التوراة: (وعرف آدم حواء امرأته، فحبلت وولدت قايين وقال اقتنيت رجلا من عند الرب، ثم عادت فولدت أخاه هابيل، وكان هابيل راعيا للغنم، وكان قايين عاملاً فى الأرض، وحدث من بعد أيام أن قايين قدم من أثمار الأرض قربانا للرب، وقدم هابيل أيضا من أبكار غنمه ومن سِمانها، فنظر الرب إلى هابيل وقربانه، ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر) (التكوين، الإصحاح الرابع الآيات ١-٥).

وقد ورد فى القرآن الكريم ما يشبه ذلك حيث قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٢٧).

تذكر التوراة ما يلى: (هذا كتاب مواليد آدم يوم خلق الله الإنسان، على شبه الله عمله. ذكراً أو أنثى خلقه وباركه ودعا اسمه آدم يوم خلق، وعاش آدم مائة وثلاثين سنة وولد ولدا على شبهه كصورته ودعا اسمه شيثا) (التكوين، الصحاح الخامس، الآيات ١-٣). واحتالت الحية الخبيثة على حواء فأكلت من الشجرة، واحتالت حواء على آدم فأكل بدوره من الشجرة التى منعه الله منها، وذكرت الرواية التوراتية ذلك: (وكانت الحية أحيل جميع الحيوانات البرية التى عملها الرب الإله). وتوضح لنا الآيات التالية قصة الحية مع

حواء وكيف أغوهما وزوجها حتى أكلا من الشجرة الممنوعة: (قالت الحية للمرأة: لن تموتا، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تتفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضا معها فأكل، فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان، فخاطا أوراق التين وصنعا لأنفسهما مآزر) (التكوين، الإصحاح الثالث، الآيات ٤-٧).

وحلت من الله العقوبة على الحية. تقول التوراة: (فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك* وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه) [سفر التكوين، الإصحاح الثالث، الآيات ١٤،١٥].

وحلت العقوبة من الله تعالى على آدم وزوجته ووقعا بالخطيئة لمخالفتهما أوامره، وعليهما أن يتحملا وزر أعمالهما. فكان الطرد من الجنة، لأن آدم سمع كلام زوجته واستجاب لرغبتها. تقول التوراة: (فقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلا: لا تأكل منها، ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها لأنك من تراب وإلى تراب تعود) [سفر التكوين، الإصحاح الثالث، الآيات ١٧-١٩].

أما عقوبة حواء فى التوراة فكانت: (وقال للمرأة تكثيرا أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولادا. وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك) [سفر التكوين، الإصحاح الثالث، الآية ١٦].

ومن خرافات التلمود فى قصة الخلق: (يروى أن الله خلق آدم ذا وجهين، رجلا من ناحية، وامرأة من ناحية أخرى، ثم قطعه من النصف، وأن طوله كان يصل القبة الزرقاء. ولكن بعد خطيئته وضع الله يده على رأس آدم وكبسه حتى صار صغيرا، وأنه أتى الخطيئة

فى الساعة العاشرة من خلقه، ثم طرده من الجنة فى الساعة الثانية عشرة).

تعليق على خلق البشرية فى التوراة:

١- خلق الله آدم من تراب، ونفخ فيه الحياة، فصار آدم نفسا حية.

٢- أسكنه الله جنة عدن، وهى من منظور التوراة جنة أرضية.

٣- أن الحية أغوت حواء، وحواء أغوت آدم، وعلى هذا فخروج آدم من الجنة كان بسبب إغواء حواء، بعكس القرآن الذى أشار إلى أنهما أكلا معا بعد وسوسة الشيطان لهما، فقال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ* وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ* فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (الأعراف: ٢٠- ٢٢).

٤- الرب الإله لا يعلم بذاته، وإنما يستنتج النتائج من المعلومات التى تصل إليه- تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا – وانظر بعين قلبك إلى هذا النص الموجود فى سفر التكوين الإصحاح الثالث الآيات ٨-١٣ : (وسمعا صوت الرب الإله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة* فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت*؟ فقال: سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت* فقال: من أعلمك أنك عريان، هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها*؟ فقال آدم: المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت، فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا الذى فعلت؟ فقالت المرأة: الحية غرتنى فأكلت).

٥- عاقب الله الحية باللعنة من جميع البهائم والوحوش، وأن تسعى على بطنها، وتأكل من تراب الأرض، ووضع بينها وبين نسل المرأة العداوة.

وهذا الكلام فيه مغالطات عديدة تتناقض مع طبيعة خلق الحية، ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن تكون صادرة من الإله الخالق سبحانه، بل هى من وضع أحد الكتاب الجهلاء

بعلم المخلوقات.. للأسباب التالية:

أ- الحية لا تأكل من التراب، وإنما تأكل بيض الطيور والحيوانات، وكـــذلك بعـــض الطيور والزواحف والحيوانات.

ب- العداوة ليست بين نسل المرأة والحية فقط، بل هى موجودة بـــين الحيـــة وجميـــع المخلوقات الأرضية، لظهورها فجأة، أو لسمها القاتل، أو لسرعة أذاها.

٦- عاقب الله حواء بكثرة التعب فى الحبل، والوجع فى الولادة، والحقيقـــة أن ذلـــك قانون لكل أنثى تعيش على الأرض، فإنها تتعب فى الحمل وتتألم فى الولادة، سواء كانت من الحيوان أو الطير أو النبات، فهل أكلت كل أنثى مخلوقة على وجـــه الأرض من الشـــجرة حتى تعاقب؟ أم أن ذلك قانون إلهى خاص بالمخلوقات الأرضية؟!.

٧- عاقب الله تعالى آدم بأن يأكل بالتعب وعرق الجبين، وهذا أيضا قانون لكل مـــن يعيش على الأرض، سواء كان من الحيوان أو الطير أو النبات، فمن لم يعمل ويجتهـــد لـــن يأكل، وليس ذلك عقابا لهذه المخلوقات، وإنما هو قانون أرضى أيضا وضعه الخالق سبحانه وتعالى.

الخطيئة عند النصارى

يؤمن النصارى أن خطيئة آدم تورث إلى ذريته، اعتمادا على ما قاله بـــولس الرســـول لأهل رومية الإصحاح الخامس الآية ١٢: (من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد (آدم) دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع).

هذا الكلام الخطير يتناقض تماماً مع ما جاء فى التوراة، فى سفر التثنية الإصـــحاح ٢٤، الآية ١٦ : (لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنســـان بخطيئتـــه يقتل).

ويتأكد هذا المعنى أيضا فى سفر حزقيال الإصحاح ١٨ الآية ٢٠: (النفس التى تخطىء

تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن. بر البار يكون عليه وشر الشرير عليه يكون).

وعموما، فإن هذا التناقض فى الكتاب المقدس (التوراة- الإنجيل) لا يعنينا كثيرا، فكل ما يعنينا هنا هو عقيدة النصارى أن الإله أراد أن يخلص البشرية من خطيئة آدم، فضحى بابنه الوحيد، فصلب وقتل، ودفن، وقام من بين الأموات، وجلس بجوار أبيه فى السماوات، على الرغم من أنهم يؤمنون أن الأب والابن والروح القدس إله واحد!!.

وللتعليق على ذلك نقول:

١- إذا كانت عقوبة آدم - كما يقول بولس - الموت، فكان من الواجب بعد صلب ابن الإله الوحيد، أن يرفع الموت عن ذرية آدم، ولكننا ما زلنا نرى الإنسان يموت، فالمشكلة قائمة بلا حل، والإله ضحى بابنه دون نتيجة!!.

٢- كان يجب أن ترفع العقوبة عن الحية، بأن تحمدها جميع البهائم والوحوش، وأن تسعى قائمة، ويعم السلام والمحبة بينها وبين نسل بنى آدم، ولكن ذلك لم يحدث أيضا.

٣- كان يجب أن ترفع العقوبة عن المرأة، فلا تتعب فى الحمل، ولا تتألم فى الولادة، ولكن ذلك لم يحدث!!.

٤- كان يجب أن ترفع العقوبة عن الرجل، فلا يأكل بالتعب وعرق الجبين، وإنما يأتيه كل شيء ميسرا وسهلا.. وهذا لم يحدث كذلك!!.

٥- إذا كان صلب الابن الوحيد للإله لم يرفع شيئا من العقوبات الموقعة على آدم وحواء والحية، ولم يرفع الموت عن بنى آدم، فما فائدة الخلاص والتضحية إذن؟!!.

٦- هل سمعتم عن قاضٍ حكم فى قضية: (حكمت المحكمة حضورياً على المتهم بالبراءة مع بقائه فى السجن مدى الحياة؟). لا أعتقد ذلك، ولا أظن أنكم تعتقدونه معى!!

خلق البشرية فى القرآن

إن الحياة خلقت على سطح الأرض بعد أن نشأت وتكونت، وبعد أن تبردت وهطلت عليها المياه مدرارا فكانت النباتات ثم الحيوانات، ثم الإنسان وهو قمة المخلوقات وأرقاها، وقد وردت فى القرآن الكريم أن المياه هى المصدر الرئيس للحياة، وهى سبب نمو كل النباتات بأنواعها وأشكالها، وخلق الحيوانات وكل ما دب على الأرض.. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍ﴾ (الأنبياء: ٣٠). وقال جل شأنه: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ (طه: ٥٣). تجلت قدرة الخالق الذى أخرج من النباتات أزواجا لتكون قادرة على استمرار الحياة والتجديد. وقال كذلك: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ (النور: ٤٥).

وأما عن الإنسان فقد فسر لنا القرآن الكريم المراحل التى تم فيها خلق الإنسان منذ عهد آدم عليه السلام وتناسل أولاده من بعده وامتلأ الكون بشراً، فقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ (المؤمنون: ١٢).

وقال أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ* الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ* فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (الانفطار: ٦–٨). يا أيها الكافر ما غرك بربك حتى عصيته، فهو الذى خلقك ولم تك شيئا موجودا، وأحسن الله خلقك وجعلك سوىّ الخلقة، سالم الأعضاء، معتدل الخلق، متناسب التركيب، وقد جعلك على أجمل صورة، وأنعم عليك الكثير من نعمه وإنعامه.

بدأ الله خلق الإنسان من ذرية آدم من نطفة ﴿خلَقَ مِنْ ماء دافق﴾ (الطارق: ٦). ثم يمر بأطوار أخرى حتى يكتمل الخلق تماما، قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾ (نوح: ١٤). وقال كذلك: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ (الحج:٥). ويكرر جل شأنه قوله مؤكدا لنا الطريقة ذاتها فى الخلق والتكوين الإنسانى، ويصفها بدقة محكمة

وتحديد: ﴿هَوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ (غافر: ٦٧). ويخبرنا كيفية تطور الجنين فى الرحم ومراحل الخلق والتكوين، وهو قول يتوافق معه العلم الحديث، قال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً﴾ (المؤمنون: ١٤). أى أن الخلق يتم على ست مراحل هى: النطفة– العلقة– المضغة– العظام– اللحم– ثم نفخ الروح فيه.

خلق آدم من طين

لقد شرف الله الإنسان على سائر المخلوقات فهو صفوة العالم وخلاصته وثمرته، وأخبر الله تعالى ملائكته أنه سيخلق بشرا من طين، وأنه سيجعله خليفة فى الأرض يخلفه فى تنفيذ أحكامه، فخلق الله تعالى آدم من أديم الأرض، بأن قبض من وجه الأرض قبضة من جميع ألوانها وعجنت بالمياه المختلفة، ثم سواه ونفخ فيه الروح فصار حيوانا حساسا بعد أن كان جامدا لا حراك فيه. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٣٠). ويبين جل شأنه قدرته على خلق الإنسان من طين صلصال قائلا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ* وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ* وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ*فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ* فَسَجَدَ المَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ* إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (الحجر: ٢٦–٣١). وهكذا خلق الله تعالى آدم من طين يابس أسود مسنون متغير تسمع له صلصلة إذا نقر، والصلصال هو الطين اليابس، والطين الحر خليط بالرمل فصار يتصلصل، أى: يصدر صوتا إذا جف، وإذا طبخ بالنار فهو الفخار. أما إبليس فقد خلقه الله تعالى قبل آدم (قال عبد الله بن عمر: كانت الجن قبل آدم بألفى عام، خلقه من نار لا دخان لها تنفذ من المسام، فسواه الله ونفخ فيه من روحه فصار حيا).

وكرم الله آدم بإضافة الروح إليه، ثم أمر الملائكة جميعهم بالسجود تحية واحتراما لآدم

أبى البشر، فسجدوا بأمــر الله احتراما وتكريما، إلا إبليس أبا الجن الــذى أبى واســتكبر وامتنع عن السجود، ويتكرر خطاب الله لملائكته بأنه خالق بشرا من طين حيث قال: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَــهُ سَاجِدِينَ* فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ* إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ* قَالَ يَــا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ العَالِينَ* قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (ص: ٧١-٧٦).

لقد كرم الله بنى آدم على العالمين خلقا وخلقا، وميزهم على غيرهم بالعقل والــتفكير والكرامة والإبداع.

قال تعالى: ﴿ولقد كرمنا بنى آدم﴾ (الإسراء: ٧٠). وقد وردت آيات قرآنية كثيرة فى مواضع عديدة حول خلق الإنسان الأول آدم عليه السلام، ومراحل تطوره ثم ولادة البشرية كلها كأبناء لآدم وآدم من تراب. قال تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ *وَخَلَقَ الجَانَّ مِــن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ (الرحمن: ١٤-١٥).

هذه مقارنة بين خلق الإنسان من الطين وخلق الجان من النار وميز بينهما بهذه الأصول، فكانت صورة البشر على أجمل تركيب وأجمل هيئة. قال تعــالى: ﴿وصــوركم فأحســن صوركم﴾ (غافر: ٦٤).

روى عن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ أنه قال: (إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب، والسهل والحزن وبين ذلك).. وفى الحديث القدسى عن أبى هريرة عــن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ أنه قال: (لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، وجعل بين عينى كل إنسان منهم وميضا من نور، ثم عرضــهم على آدم، فقال: أى رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك) [أخرجه الترمذى].

وفى حديث قدسى آخر قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (خلق الله عز وجل آدم على صورته، طوله ستون ذراعا، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيونك به، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، قال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعا، فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن) (رواه مسلم).

وقد ورد فى تاريخ ابن جرير أن حواء ولدت أربعين ولدا فى عشرين بطنا، وقيل: مائة وعشرين بطنا، فى كل بطن ذكر وأنثى، أولهم قابيل وأخته إقليما، وآخرهم عبد المغيث وأخته أمة المغيث– إلا شيث فلم يكن له أخت لحمله نور سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾.

وكانت مدة حياة آدم ألف سنة، فتباركت يا خالق الخلق، ما أجلك وما أعظمك فكل شئ عندك بمقدار.

خلق الإنسان الأول فى مفهوم العلم الحديث

نصت الرواية التوراتية على أن التاريخ العبرى بدأ منذ حوالى (٥٧٦٥ سنة حتى هذا العام، أى: عام ٢٠٠٥). وتعد هذه الفترة الزمنية قصيرة جدا بالنسبة إلى عمر البشرية، وفى الجدول التالى تبين لنا التوراة أبناء آدم وأعمارهم من عهد آدم عليه السلام حتى إبراهيم الخليل، وهذه الإحصائية مأخوذة من العهد القديم من نصوص التوراة فى سفر التكوين:

الرقم	الاسم	تاريخ الميلاد بعد خلق آدم	مدة العمر	تاريخ الوفاة بعد خلق آدم
١	آدم	٠٠٠٠٠٠٠٠ ٠	٩٣٠	٩٣٠
٢	شيت	١٣٠	٩١٢	١٠٤٢
٣	أنوش	٢٣٥	٩٠٥	١١٤٠
٤	قينان	٣٢٥	٩١٠	١٢٣٥
٥	مهللئيل	٣٩٥	٨٩٥	١٢٩٠
٦	يارد	٤٦٠	٩٦٢	١٤٢٢
٧	أخنوخ	٦٢٢	٣٦٥	٩٨٧
٨	متوشالح	٦٨٧	٩٦٩	١٦٥٦
٩	لامك	٨٧٤	٧٧٧	١٦٥١
١٠	نوح	١٠٥٦	٩٥٠	٢٠٠٦
١١	سام	١٥٥٦	٦٠٠	٢١٥٦
١٢	أرفكشاد	١٦٥٨	٤٣٨	٢٠٩٦
١٣	شالح	١٦٩٣	٤٣٣	٢١٢٦
١٤	عابر	١٧٢٣	٤٦٤	٢١٨٧
١٥	فالج	١٧٥٧	٢٣٩	١٩٩٦
١٦	راعو	١٧٨٧	٢٣٩	٢٠٢٦
١٧	سروج	١٨١٩	٢٣٠	٢٠٤٩
١٨	ناحور	١٨٤٩	١٤٨	١٩٩٧
١٩	تارح	١٨٧٨	٢٠٥	٢٠٨٣
٢٠	إبراهيم	١٩٤٨	١٧٥	٢١٢٣

ربما أن هذه الأرقام والتقديرات الموضوعة تكاد تكون متقاربة فى نسخ التوراة، لكنها تتعارض مع مكتشفات العلم الحديث التى حددت تاريخ خلق الإنسان بعصر أسبق من ذلك بكثير..

فما رأى العلم الحديث فى ذلك؟.

تدل المعطيات العلمية من وثائق ومستحاثات وآثار وأدوات بشرية قديمة مستعملة على أن الإنسان ظهر على سطح الأرض لأول مرة منذ أكثر من مليون سنة تقريبا. وهو زمن قصير نسبيا بالنسبة لعمر الخليقة وبداية الكون ١٣-١٥ مليار سنة، بل لعمر الأرض ذاتها ب- (٤,٥-٦,٠٠ مليار سنة).

وتقول كل الفرضيات بالزمن البعيد لبداية خلق الإنسان وليس كما ذكرت التوراة..
لقد وجد الإنسان على وجه الأرض بقدرته وقوة ذكائه التى تميز بها عن باقى المخلوقات حتى القريبة منه تشريحيا. فالقرد قد يلتقط عصا أو حجر كيفما اتفق ويستخدمه كأداة له وفق ما يريد. بينما الإنسان القديم فى ما قبل التاريخ تميز بصفات خاصة ومؤهلات ذاتية على صنع أدواته الخاصة مما تقدمه الطبيعة من حجر أو شجر، فهو يستطيع تكييف الحجارة وتصنيعها لتصبح أكثر ملائمة ويحسنها ويطورها كيف يشاء.. كما أنه اكتشف النار واستخدمها، وكان أقدم موقد عرف هو الموقد الذى اكتشف فى الصين فى كهف عثر فيه على أدوات بدائية وبقايا عظام الأيائل ووحيد القرن، ويعود ذلك إلى أكثر من (٢٠٠ ألف سنة).

وبسبب غلبة العنصر الحجرى على الأدوات المستعملة حين ذاك فقد اصطلح علماء الأنتروبولوجيا (علماء الإنسان)، أن يقسموا الفترة التاريخية لظهور البشر من خلال المعطيات والوثائق إلى:

١- العصر الحجرى بأنواعه الثلاثة: وهى القديم: الذى يستمر حتى (١٢٠٠٠ سنة

ق.م). والوسيط: الذى يستمر (١٠٠٠٠ حتى ٨٥٠٠ ق.م). والحديث: الذى يستمر من (٥٠٠٠ إلى ٢٥٠٠ ق.م). وكان الإنسان يصنع أدواته وأسلحته من الحجر بأشكاله وخاصة حجر الصوان، الذى اكتشف منه أقدم أداة مصقولة من طرفيها فى منطقة حدودية بين أثيوبيا وكينيا، ويقدر عمرها بحوالى (٢,٢) مليون سنة.

٢- العصر البرونزى: حيث اهتدى الإنسان إلى خليطة البرونز من النحاس والقصدير، وصنع أدواته وحاجاته منها، ويعود ذلك إلى أكثر من (٤٠٠٠ عام ق.م) حيث اكتشف النحاس أولا ثم البرونز ثم الحديد.

٣- العصر الحديدى: اهتدى إليه الإنسان واستخدمه فى صناعاته البدائية.. ومع ذلك يصعب تحديد الزمن الذى انتقل فيه الإنسان من عصر إلى عصر، بين منطقة وأخرى، وما ذكرناه من أرقام تاريخية فهى تقريبية إجمالا، تنقصها الدقة والإثبات.

أصل الإنسان

يعتقد الكثيرون أن أصل الإنسان واحد، بدليل أن جميع الناس على اختلاف طبقاتهم وأصنافهم وأجناسهم ومراكز تواجدهم ليس بينهم اختلاف جوهرى يفيد بتعدد الأصول البشرية، وإنما هى تنوعات أو اختلافات اقتضتها الأحوال وفرضتها سنة النشوء والتطور للتكيف مع البيئة، وما تتعرض إليه من مؤثرات خارجية. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾(النساء: ١). فالوجود كله تأكيد لوحدة الأصل وكل الكائنات البشرية تعود إلى الأصل الأول آدم وحواء. قال تعالى: ﴿ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ (الذاريات: ٤٩). ولكن أصحاب فرضية النشوء والارتقاء يرون أن الإنسان انحدر من أسلاف حيوانية، أى أنه ارتقى عن حيوان وسط بين الإنسان والقرد، لذلك فهم يعدون أن الإنسان والقرد من أصل واحد، نظرا للتشابه الكبير بينهما فى الأعضاء وبعض الأطوار، وخاصة

التشابه التدريجى بين أدمغة القرود وأدمغة البشر، حيث تبين أن حجم الدماغ يتـــدرج فى القرود حتى يبلغ أرقاها، ثم يتصل بطبقات الناس بدءاً من أحط العروق البشرية حتى أرقاها فكريا، أى أن أرقى فصائل القرود وأذكاها هى أحط فصائل البشر عقلا وتفكيرا، والفرق بين الطائفتين كبير وواضح، والوصل بينما أمر صعب، ويقوم العلماء بالبحث عن الحلقـــة الواصلة بينهما، والتى يسمونها (الحلقة المفقودة)، ولم يهتدوا إليها حتى الآن، ولن يهتدوا.

وفى عام ١٨٥٩م نشر داروين اليهودى (١٨٠٩-١٨٨٢) كتابه (أصل الأنــواع). ودار النقاش الحاد والجدل الجاد حول عملية التطور وكيفية النشوء والارتقاء التى قال عنها داروين، وقد تساءل الناس فى ريبة عما إذا كان الإنسان – ومعه الحيوانات الأخرى– قد ارتقى أو تطور منحدرا من نفس الأسلاف الأصليين، ومن المؤكد أن الإنسان الأول لم يكن مظهره وشكله كما يبدو عليه الآن من الناحية التشريحية، وقد كان مميزا عن جميع القـــرود التى لم يكن لها ذكاء الإنسان الأول المسمى (شبه الإنسان). وهذه النظريـــة الفاســـدة رد عليها وفندها الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام فى كتابه: (إنسان المؤمنين وإنسان الملحدين).

جماجم أشباه الإنسان

* إن أول جمجمة عثر عليها فى الصين (إنسان بكين) فى منطقة (تل عظام التنين) منـــذ أكثر من (٣٠٠٠٠٠سنة)، وهذه الجمجمة من أقدم العظام البشرية المكتشـــفة، وقـــد تم العثور عليها عام ١٩٢٩م، وهى تدل على وجود الإنسان المنتصب القديم.

* وفى عام ١٨٩٢م عثر على بقايا حيوان قديم كثير الشبه ببقايا الإنســـان فى جزيـــرة (جاوة) فى إندونيسيا من قبل الدكتور (أوجين ديوا)، وقد وجدت هذه البقايا ضمن طبقات العصر البليوسينى (الحقب ٣). وبسبب تشابهه الشديد مع الإنسان سمى بالقرد الإنســـانى المنتصب، وعدُّوه الحلقة المفقودة بين الإنسان وما دونه.

* كما اكتشفت بعض الجماجم فى أفريقيا القديمة وخاصة فى تنزانيا وشرق أفريقيا، ونلاحظ هنا أن هذه المناطق الثلاث الأكثر دفئا فى العالم..

* وفى عام ١٨٥٦م عثروا على جمجمة من بقايا العصور الجليدية فى (نياندرتال) فى ألمانيا قرب دوسلدورف، وهى أقدم ما عثر عليه من بقايا الإنسان فى أوربا، وحجمها متوسط بين جمجمة القرد الإنسانى وجمجمة الإنسان الحالى، وسموه الإنسان (البليوستوسينى) الحقب ٤.

* كما اكتشف فى فرنسا فى منطقة الدوردون إنسان(كرومانيون).. وفى أستراليا وجدت جمجمة تشبه جمجمة نياندرتال، رغم بعد المسافة بين ألمانيا وأستراليا، وكان التشابه كبيرا فى الأدوات الحجرية المستخدمة التى عثروا عليها مما يدل على وحدة أصلها..

فهل يمكن أن نعد أشباه البشر هؤلاء حقيقيين؟. وهل هم من نسل آدم عليه السلام؟.

أم أن وجود هذه المخلوقات كان قبل خلق آدم؟. وأن لا علاقة لهم بخلق آدم عليه السلام لقوله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾ (التين: ٤).

مهما يكن من أمر فتاريخ وجود الإنسان قديم جدا، ومازال الجدل قائما بين ما تقدمه المعلومات الحسابية لسفر التكوين الخاصة بظهور الإنسان على الأرض، وبين المعطيات العلمية الحديثة، وما تقدمه المستحاثات الأرضية.. وهذا الجدول يبين لنا بدء الحياة العامة على سطح الأرض: مع ملاحظة أن العلماء يقدرون اليوم عمر الأرض بـ (٤,٥-٦) مليار سنة، بينما يقدر بعض الفلكيين ذلك بـ (٩,٢) مليار سنة منذ بدء تشكيل المجرات.

مراحل الحياة على الأرض:

المدة المقدرة	الحقب		العصر	الخصائص الجيولوجية وأنواع الحياة فيها
٥٠٠٠٠٠ سنة	الرابع		الحديث	عصر الإنسان
			البليوستوسين	العصور الحجرية– عصر الجليديات
٥١ مليون سنة	الثالث	١١م	البليوسين	بدء ظهور الإنسان
		١١م	الميوسين	تكوين الجبال الإلتوائية العظمى– ظهور الثدييات الكبرى
		١٢م	الأوليغوسين	بدء ظهور القردة
		٢٠م سنة	الأيوسين	بدء الحياة الحديثة
١٣٥ مليون سنة	الثانى	٥٥م سنة	كريتاسى	صخور الطباشير– إندثار الزواحف الكبرى– بدء النباتات ذات الأزهار
		٤٥م سنة	جوراسى	عصر الزواحف الضخمة والثدييات الأولى
		٤٠م سنة	ترياسى	بدء الحياة الوسطى، فترة جفاف أوربا
٣٦٠ مليون سنة	الأول	٥٠م سنة	البيرمى	ظهور الزواحف
		٨٠م سنة	الفحمى	عصر الفحم الحجرى

		٣٠م سنة	الديفونى	عصر الأسماك الغضروفية
		٥٠م سنة	السيلورى	بدء ظهور الأسماك والحيوانات القشرية
		١٠٠م سنة	الكامبرى	ظهور الحيوانات اللافقارية
٢٠٠٠ مليون سنة	البدائى الأركى		ما قبل الكامبرى	صخور نارية أو متحولة خالية من المستحاثات..

[راجع كتاب عالم الأديان، لفوزى محمد حميد، ص ٦٢، ٦٣، ط. جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ١٩٩٩م].

الباب الخامس

شبهـــات وافتراءات

الفصل الأول:

ما يقال عن الإسلام

من الأمور المثيرة للعجب فى عالم الاستشراق والتبشير والاستعمار والغــزو الفكــرى، الأكاذيب التى تفترى، والأضاليل التى تخترع، والشبهات التى يروج لها، دون رادع مــن دين، أو رقيب من ضمير، أو مانع من علم أو حقيقة..

ومن هذه الأكاذيب والافتراءات- على ســبيل المثــال لا الحصــر- قــول (ولــيم جلادستون) رئيس وزراء بريطانيا السابق فى معرض حديثه عن المسلم: (إنه الإنسان الذى لا إنسانية فيه) [الهلال والصليب: خليل خالد أفندى، مطبعة الهداية بالقاهرة ١٩١٠م. ص ٢٥].

ويقرر المسيو كيمون: (إن الديانة المحمدية جذام بين الناس، أخذ يفتك بهم فتكا ذريعا، بل هى مرض مريع).

ويقول لطفى لوفنيان: (إن الإسلام كان سلسلة مخيفة من ســفك الــدماء والحــروب والمذابح) [التبشير والاستعمار: د. خالد ود. فروخ، منشورات المكتبة العصــرية، صــيدا ١٩٨٦، ص ٤١].

ويذكر كارل بروكلمان الألمانى- للحقيقة والتاريخ، متناسيا كل سماحــة الإســلام-: (ويتحتم على المسلم أن يعلن العداوة على غير المسلمين، حيث وجدهم، لأن محاربة غــير المسلمين واجب دينى) [تاريخ الشعوب الإسلامية: كارل بروكلمان، دار العلم للملايــين، بيروت، ص ٧٨].

ويقول وليم موير الاسكتلندى: (إن سيف محمد والقرآن هما أكثر أعــداء الحضــارة والحرية والحقيقة الذين عرفهم العالم حتى الآن عناداً) [الاستشــراق، إدوارد ســعيد، ص ١٦٨].

وتيودور نولدكه الألمانى أوصله علمه إلى: (أن سبب الوحى النازل على محمد، والدعوة التى قام بها، هو ما كان ينتابه من داء الصرع (!)) [حاضر العــالم الإســلامى: لــوثروب ستودارد، ترجمة عجاج نويهض، دار الفكر- بيروت، ط ٤ سنة ١٩٧٣، ١/٣٤].

وجاء منشور البابا يوحنا بولس الثانى، الصادر فى أواخــر ١٩٩٠م، ليطالب الولايات المتحدة الأمريكية بدعم مالى كى يضاعف التبشير جهوده (فالإسلام هو الــدين الوحيــد الذى يتحدى انتشار المسيحية، وهناك تزايد فى الإقبال على الإسلام، وانحسار فى المنــاطق المسيحية فى الشرق الأدنى وإفريقية، وهناك جسور للإسلام تتزايــد فى جنــوبى أوربــة) (نيويورك تايمز عدد ١٩٩١/١/٢٣م).

عجيب غريب، موقفهم من الإسلام، على الرغم من تسامحه تجاههم، هــذا التســامح الذى مازلت الكنيسة تنكره ولا تدنو من ساحته، وراحــت تســتغل جهــل الأوربــيين والأمريكيين لتعاليم الإسلام وتاريخه، وضحالة معارفهم عن الشرق وأهله، فشوهت صورة الإسلام فى نفوس رعاياها.

وفى الصفحات التالية سنفند ونرد على بعض افتراءاتهم على الإسلام والقــرآن ونبيــه

وأهله، لأن الدفاع عن عقيدتنا دفاع عن وجودنا، والدفاع عن تاريخنا دفاع عن أصالتنا، والدفاع عن أعلامنا دفاع عن جذورنا، وقد آن الأوان، أن نتجاوز مرحلة الدفاع التى شغلنا بها، لنعبر إلى مرحلة إظهار الحقيقة، والصورة الصحيحة لإسقاطاتهم.

ونحن فى هذا الكتاب نخاطب المستشرقين الحاقدين، لا كل المستشرقين، والمبشرين المستعمرين حصراً ليس غير.

أولا: الإسلام انتشر بالسيف

(إسقاط) يردده المبشرون والمستشرقون المتعصبون كثيرا، ويردده كل مسيحى عندما يحاور مسلما، إنهم يقولون: انتشر الإسلام بالسيف، وانتشرت المسيحية بكسب القلوب، بالمحبة..

قال المنسنيور كولى: (لقد وضع محمد السيف فى أيدى الذين اتبعوه، وتساهل فى أقدس قوانين الأخلاق، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب، ووعد الذين يهلكون فى القتال بالاستمتاع باللذات، وبعد قليل أصبحت آسية الصغرى وإفريقية فريسة له) (البحث عن الدين الحقيقى، الصادر عن اتحاد مؤسسات التعليم المسيحى، باريس ١٩٢٨).

(يتحتم على المسلم أن يعلن العداوة على غير المسلمين حيث وجدهم، لأن محاربة غير المسلمين واجب دينى) (تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ص ٧٨).
ويقول فردريك موريس: (من الثابت أن الإسلام لم يكن يصادف نجاحا إلا عندما كان يهدف إلى الغزو) (ديانات العالم: ص ٢٨، كمبردج ١٨٥٢).

ويرجع كل من مور ، وغيتانى: (ازدياد عدد المسلمين إلى الانتصارات العسكرية،

وإكراه الناس على الدعوة الموجودة فى تعاليم الإسلام) (الدعوة إلى الإسلام، ص ٤٦٩ عن ديانات العالم لفريدريك موريس ص ٢٨).

(وأخضع سيف الإسلام شعوب إفريقية وآسية شعباً بعد شعب) (التبشير والاستعمار، ص ٤١).

(فى القرن السابع للميلاد برز فى الشرق عدو جديد، ذلك هو الإسلام الـذى أسس على القوة، وقام على أشد أنواع التعصب..) (البحث عن الدين الحقيقى: المسنيور كولى، ط ١٩٢٨، ص ٢٢٠).

(وقد أمر محمد أتباعه أن يحملوا العالم كله على الإسلام بالسيف إذا اقتضت الضرورة) (تاريخ محاضرات ج. إيزاك للشرق الأدنى، ص ٣٢).

(إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة، وقالوا للناس: أسلموا أو موتوا، بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم وإحسانهم) (تاريخ فرنسا، هـ. غيومان، وف. لوستير، ص: ٨٠-٨٢، وكان يدرس فى لبنان).

(إن سيف محمد والقرآن هما أكثر أعداء الحضارة والحرية) (أرنست رينان، أنظر: الاستشراق، إدوارد سعيد، ص ١٦٨).

(لم تدر الحروب الصليبية حول إنقاذ كنيسة القيامة فحسب، بل دارت حول معرفة من الذى سينتصر على هذه الأرض، مذهب تعبدى هو عدو الحضارة، محبذ باطراد للجهل- وذلك هو الإسلام طبعا- وللطغيان وللعبودية، أو مذهب تعبدى أدى إلى أن يوقظ فى البشر المعاصرين عبقرية الزمن، وألغى العبودية الدينية) (الاستشراق، إدوارد سعيد، ص ١٨٦).

من أكبر التهم- والإسقاطات- البعيدة عن الحقيقة التى حاول المتعصبون إلصاقها

بالإسلام، هى أنه انتشر بالسيف، أى: بقهر الناس واضطهادهم، لكن هذه التهمة الباطلة سرعان ما تذوب أمام شمس الحقيقة، ونور العقل، ومنهج العلم، بتمحيصها ودراستها على ضوء أمرين اثنين، هما:

١- شرعة الإسلام وموقفها من غير المسلمين.

٢- موقف المسلمين العملى وسلوكهم مع غير المسلمين.

أما بالنسبة للشريعة الإسلامية مع غير المسلمين، فموقفها صريح وواضح جدا، ففى القرآن: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾ (البقرة:٢٥٦، دار المعارف بمصر ١٩٦٠)، ﴿وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩). ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاغُ المُبِينُ﴾ (النحل: ٧٢)، فأية حرية للعقيدة بعد هذا الدستور الخالد، فالعالم كله حتى اليوم لم يستطع مع كل نظرياته التقدمية أن يصل إلى حرية الفكر التى نص عليها القرآن الكريم، فاضطهاد المعارضين يجرى فى دول عديدة، وبأشكال مختلفة، وبمبررات متعددة، بل وتحت ستار العلمانية يحارب الإسلام، ويترك غيره.

أما بالنسبة لموقف المسلمين العملى وسلوكهم خلال فتوحاتهم، فإن تاريخهم برئ من أية حادثة فيها ضغط- أو اضطهاد- على إنسان لإجباره على اعتناق الإسلام، وما كانت الفتوح واستخدام السيف إلا لإزالة أنظمة الحكم من أكاسرة وقياصرة وملوك وقفوا فى وجه الدعوة للتوحيد، فاستخدم المسلمون القوة لإزالة هذه العقبات لتأمين حرية نشر الإسلام، وليس لإجبار الناس على اعتناقه، بل لإيصاله إليهم وتركهم بعد معرفتهم بالإسلام أحراراً فى أن يعتنقوه أو يبقوا على ديانتهم، وأكبر شاهد على صحة ما نقول، وجود مئات الألوف من اليهود والنصارى فى بلاد المسلمين، مع حريتهم فى إقامة عبادتهم ومعابدهم وصلبانهم وأعيادهم منذ أربعة عشر قرنا وحتى اليوم، وأعظم وثيقة تاريخية تثبت ذلك العهد الذى أعطاه عمر بن الخطاب لأهل القدس، (العهدة العمرية)، والتى جاء فيها:

(بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء (مدينة القدس) من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا

من صليبهم، ولا من شئ من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم..

وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله، وذمة الخلفاء، وذمة المؤمنين.

شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وكتب وحضر سنة خمس عشرة) (الطبرى: ٣/٦٠٩).

وعلى مضمون (العهدة العمرية) وقع أبو عبيدة بن الجراح معاهدة مع أهل دمشق، ووقع عمرو معاهدة مع أهل مصر.

هذا.. وها هو الإسلام نرى ملايين أفراده اليوم فى بلاد إندونيسية، والفليبين، وماليزية، وجنوبى خط الاستواء فى القارة الإفريقية، لم يصل إليهم سيف، أو جيش فاتح!.

سيف الإسلام رحمة الله، وبرهان ذلك:

قال الإمام أبو العزائم ﷺ فى كتابه (وسائل إظهار الحق):

(ليس تاريخ العرب بالتاريخ الذى كان منقوشا على الأحجار فمحى من عليها، أو مرموزا باللغة العجمية وليس من يقرأه، ولكنه تاريخ جلى، يعلم كل عاقل ما كانوا عليه وما آلوا إليه.

عجبا عجبا!! يخرج العربي من جوف مكة فى زمن لم تكن هناك معدات سفر ولا عوارف حضر، ولا آلات للنقل، فيخرج والقرآن فى يمينه، وحب الخير لعامة بنى الإنسان فى ضميره، وقليل من القوت والماء على ظهره، والسيف الذى هو رحمة الله فى يساره، أقول: رحمة الله، لأنه فى يد من سل وعلى من سلط؟ فى يد إنسان ملأ الله قلبه رحمة ليسوى بين أفراد الإنسان، وجعل فى قلبه نورا لينشر العدل بين بنى جنسه، لا يقصد بذلك أن يقهرهم على اعتناق دينه، ولا أن يخرجهم من الملك الذى هم فيه ماداموا على مبادئه الشريفة الفاضلة، من العدل والمساواة والرحمة والشفقة والتعاون والصلة والبر، لا فرق عنده بين النصرانى واليهودى والصابئ. وها هم أهل الذمة فى كل بلد إسلامية برهان ساطع على أن الأمر كما أقول.

على من سلط هذا السيف؟ سلط على جبار عنيد يستعبد عباد الله، وطاغية فاجر عامل لمحو الحق وإظهار الباطل. سبحان الله! ما للعيون عميت عن الحقائق وهــي مجلــوة! ومــا للقلوب انصرفت عن الآيات وهى مضيئة! اللهم رحماك. فكأن الإنسان ليس بإنسان، لأنه أهمل عقله إهمالا جعله يجعل الباطل حقا ويؤيده بأباطيل، ويجعل الشمس الجليــة ضــحوة مظلمة.

قلت: إن المسلم لم يجعل سيفه فى قهر الناس على اعتناق الدين، لأن الجمال الإســلامى تجلى للعقول الكاملة، وللقلوب السليمة، تجليا جذبها إليه. ومن رأى الكتب التى ألفت فى تفسير القرآن، وخدمة الأحاديث النبوية، واستنباط الأحكام من الكتاب يتحقق أن أكثــر مؤلفيها من غير العرب، وأنهم من عقلاء الأمم وعلمائهم، الذين جذبهم الحق إليه وقــربهم منه، الذين تجلت لهم أنوار الإسلام فاهتدوا بها إليه، وظهرت لهم حقائقه فأقبلوا بها عليــه، فلما أن باشرت بشاشته قلوبهم تفجرت ينابيع الحكمة منها، فترجمت بها ألسنتهم. ومن قرأ تلك الكتب يعلم حق العلم أن الذى دعا العالم إلى الإسلام جماله الحقيقى ونوره الجلى.

وإنما كان السيف الإسلامى لمحو الظلم والفسوق والجهالة والرذائل، وإلا فما لنا نــرى أكثر مــن أسلم من غير العرب هم الذين خدموا بعلومهم وأفكارهم، وبينــوا أســراره وأنواره، وكشفوا للعقول عن حكمه وآدابه. ونرى من بقى منــهم علــى دينــه ممــتعين بأملاكهم وأموالهم وخدمهم، وهم أقل ممن أسلم عقلاً وأدنى منهم فكرا، وأبعد منهم معرفة بأسرار الحكمة.

خرج هذا العربى بعد أن تلقى عن سيد رسل الله، صلوات الله وسلامه عليه، من مكــة مخترقا تلك البوادى القاحلة والصحارى الماحلة، والجبال الشامخة والبحار المحيطة، حتى رمى بنفسه إلى الأقطار النائية. فما مر على مجتمع جاهلى إلا جمَّله بفضائل الإسلام، ولا على أمة ضالة إلا هداها إلى الحق، ولا على مدينة فاسقة إلا أرجعها إلى الهدايــة، فكــان كأشــعة

الشمس التى تسرى فى الدقيقة الواحدة بسرعة تحير عقل العاقل فى سرعة سريانها، وفيما تفيضه من الخير من النور والهدى والبيان. فكان رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ هو الشمس، وكان أصحابه هم الأنوار المنبعثة من تلك الشمس العلية.

خرج العربى من مكة حتى خاض لجنة المحيط، محيط الظلمات (المحيط الأطلا نطيقى) غربا، وخرج من مكة حتى سبح فى لجة المحيط الهادئ شرقا، ونشر النور فى أقطار الهند والصين حتى جبال القوقاز، ولم تقف به عزيمته حتى أبقى له فى كل واد أثرا لا يزال لسان صدق، ناطقا بما للإسلام من الفضل العميم، ونورا مبينا شاهدا بأن الإسلام هو الدين الحق الذى يجب على كل عاقل أن يعتنقه.

لعل المنكر يجهل ما من الله به على جميع الخلق من الرحمة برسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، فيقول: قام والسيف صلت، أى: مسلول فى يده. ونعم، ولكنه، سيف رحمة وحنانة ورأفة وشفقة. وإلا فالذى كان فى يده السيف للنقمة لم أبقاك أيها المنكر حيا، وكان من السهل عليه أن يقول كلمة صغيرة فى وصاياه تكفى أن تصبح الكرة الأرضية ليس على وجهها غير مسلم؟ لعلك لا تسلم بحكمى هذا، لكنى أبين لك بالبرهان الحسى أنه لم يشهر السيف إلا على الظلم، ولم يضرب به إلا هامة الجور. أنظر إلى المدن التى أسسها الإسلام والبلاد التى ملكها المسلمون، تر النصرانى واليهودى والمسلم سواء فى كل الحقوق المدنية، فلو كان السيف سيف النقمة لغير المسلم لما أبقى نصرانيا ولا يهوديا. أقول على وجه الأرض لأن المسلمين إذا كانوا متمسكين بالدين تمسكا حقيقيا مكنهم الله فى الأرض بالحق تمكينا، حتى جعل لهم من القوة ما يمكنهم به أن يقهروا الخلق أجمعين على الإسلام أو القتل، ولم نسمع بهذا أبدا.

وإنما كانوا يقهرون الظلمة الذين كانوا يستعبدون خلق الله من الملوك والرؤساء، ليجعلوا عباد الله يتنعمون بنعمه سبحانه فى مستوى واحد، ويكون لليهودى والنصرانى ما للمسلم من الحقوق كلها، ويمتاز النصرانى واليهودى عن المسلم، بأنه لا يكلف بحماية

الثغور، ولا بمدافعة الأعداء فى الجهاد، ولا بحراسة المدن ليلا، بل يكونون فى أمن وأمـــان! يعملون فى أعمالهم الخاصة، ويستريحون متى شاءوا، وكان المسلم يكلف بدفع زكاة ماله فى كل سنة والذمى يكلف بنظيرها من ماله، وزكاة المال من المسلم لا تجعل له امتيـــازا ومـــا يؤخذ من الذمى من المال يجعله فى رياض الأنس وحصون الأمن، تسفك دماء المسلمين وهو آنس بزوجته وأولاده فرحا مسرورا ، ويفارق المسلمون أولادهم وأهلهم وبيوقم، وهـــم كأهم ملوك فى منازلهم ومزارعهم ومصانعهم.

هذا هو الذى سل لأجله سيف الإسلام، فهو رحمة لا نقمة، ونور لا ظلمة، وحيـــاة لا موت، وسعادة فى الدنيا لأهل الذمة، وسعادة فى الدنيا والآخرة لمن انكشفت لـــه أســـرار الدين ممن أسعدهم الله بالعقل.

قام هذا الرسول الكريم ﴿ ﷺ وآله﴾ بين أصحابه، فنور قلوهم بالحكمة النظريـــة بمـــا أنزله الله عليه من كتابه المجيد، وما أوحاه الله إليه من الحكمة والبيان. ثم قام ﴿ ﷺ وآله﴾ بأكمل أحوال الحكمة العملية، فعمل الأعمال الروحانية والبدنية خالصة للـــدار الآخـــرة. والأعمال البدنية للدنيا والآخرة.

والأعمال الروحانية والبدنية لخير بنى الإنسان، فبث ﴿ ﷺ وآله﴾ روح تلك الأعمال فى أرواح ســـــــــــــــــــلمت لـــــــــــــــــــه ﴿ ﷺ وآله﴾، وقلوب تخلت مـــن سواه ﴿ ﷺ وآله﴾، وآمال تعلقت به ﴿ ﷺ وآلـــه﴾، فكانوا صورة كاملة لجنابه صلوات الله وسلامه عليه، وآية كبرى دالة على أنه خاتم رســـل الله وسيدهم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. وليس بنقص فى الشمس أن يراهـــا الخفاش مظلمة، وأنكر فضلها البوم والأفاعى وأشكالها من الحيوانات المؤذية التى لا تهتدى فى النور المشرق، وكم من حيوانات تتطيب بالقاذورات وتتغذى منها، وتموت إذا شمـــت الطيب، وكذلك الحيوان الذى هو على صورة الإنسان يرى الحق باطلا والباطل حقا، كما يرى الخفاش نور الشمس ظلمة، وظلمة الليل نورا. نعوذ بالله من هوى يعمى عن الحـــق،

وحظ تنقلب به الحقائق. وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل لنا نورا فى قلوبنا نهتدى به إلى الحق، ويحفظنى وأهلى وإخوانى والمسلمين).أ. هـــ.

من الذى يقهر الناس بالسيف؟!!

أما إذا أردنا أن نسمع عن عقيدة حاول أصحابها أن يجبروا الناس على اعتناقها بالسيف وبالتعذيب، وتقطيع الأوصال، وبألوان لم يعرف تاريخ البشرية مثــيلا لهــا بالاضـــطهاد، وباستخدام أدوات ووسائل لم تخطر على بال أعتى المجرمين فى العالم، فلنعد إلى مــا ســجله التاريخ من أعمال محاكم التفتيش، وبخاصة فى إسبانية، وعن أعمال رجالها ببقايا المســلمين الذين نشروا فى ربوع الأندلس التسامح والحضارة والرقى والعلو.. نشروا رسالة الإخــاء الإنسانى حين كان الحكم بأيديهم، ثم حين تحول الحكم إلى يد الأســبان، ومــن ورائهــم الكنيسة والبابوية، نالهم من الاضطهاد ما تقشعر لهوله الأبدان، ويخجل منه اليــوم أحفــاد أولئك الطغاة المتعصبون، فضلا عن اضطهادات أخرى بين الكاثوليك والبروتستانت، وبين النصارى واليهود، والأمثلة التاريخية على ذلك تملأ الصفحات، ولكن فقــدت الصــليبية الحياء– من يومها– فعمدت إلى اتهام الإسلام والمسلمين بما كان فيها.

أنسيت الصليبية أن مجمع نيقيــة سنة ٣٢٥م، أمر بتحريق الكتب التى تخالف رأيــه، وتتبعها فى كل مكان، وحث الناس على تحريم قراءتها، فهو بهذا منع أن يصل الناس إلى علم بأى أمر من الأمور التى تخالف رأيه؟ فأين حرية المعتقد؟!.

والأب (تــوماس ده طور كمادا) الراهب الدومينيكانى، الذى عــين رئيســا لمحكمــة التفتيش فى إسبانيا عام ١٤٨٢م، وكان قد أعطى أشد الأوامر وأقساها وأصرمها لمحــاكم التفتيش فى طول البلاد الإسبانية وعرضها، بإحراق عشرات الألوف من الأبرياء الــذين لم يكن لهم ذنب من الذنوب سوى أنهم أبوا ورفضوا أن يصبأوا عن معتقــدهم الإســلامى، وينصاعوا إلى المسيحيين.

والأب (بليدا) أكثر تصورا وتخيلا، إذ إنه كان يعتقد استحالة التفريق بين الذين اعتنقوا النصرانية عن عقيدة ورغبة وحب بدين المسيح، وبين الذين اعتنقوا النصرانية عن خيفة ورهبة، وإنه من الأنسب والأصلح قطع دابرهم، واستئصال شأفتهم عن بكرة أبيهم، وأن لا يستثنى منهم أحد، ويذبحوا كالأنعام، وبذلك يكون يوم القيامة أسهل على الله تفريق وتمييز من تنصر عن قلب سليم فيدخله الجنة ودار النعيم، ومن كان تنصره خوفا ورهبة، فليلقيه فى نار الجحيم مخلدا أبد الآبدين.

ومع أن هذا القرار قد صدق من رجال الدين الإسبان جميعا، إلا أن الحكومة لم تر من الحكمة أن تضعه موضع التنفيذ على هذه الطريقة، وبهذه الصرامة والشدة، ولكنها أمرت المسلمين بمغادرة إسبانيا إلى المغرب، وأوعزت إلى سكان البلدان والقرى التى كان على المسلمين أن يمروا عليها أن يقضوا عليهم بجميع الوسائل والذرائع لكى لا يبقى منهم باقية، وهكذا لم يصل إلى الساحل من هؤلاء الملايين الثلاثة الذين رفضوا التنصر بمحاكم التفتيش إلا حوالى مائة الألف فقط. [راجع كتاب أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، د.شوقى خليل، ط. جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ١٩٩١م].

الإسلام انتشر بالسيف، عبارة يهدف الغربيون من ورائها إلى وصم الإسلام بالبعد عن حرية الفكر، وعن الرحمة والإنسانية، فما هو تاريخ اليهود والنصارى فى نشر دينهم؟!.

التوراة نصت على حمل السيف:

بهدف القتل للقتل، والقتل للفساد، والقتل للعلو فى الأرض بغير الحق، جاء- على سبيل المثال- فى سفر التثنية: [٢٠-١٠/١٦] (حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك، وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها، وإذا دفعها الرب

إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا، وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما..).

والإنجيل نص على حمل السيف:

(لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض، ما جئت لألقى سلاما بل سيفا) **[متى: ١٠/٣٤]**. (ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتر سيفا) **[لوقا: ٢٢/٣٧]**.

والإسلام حمل السيف، فليس الخلاف بين الشرائع فى حمل السيف، وإنما الخلاف فى الهدف من حمله، والأسباب التى حمل بسببها، والأسلوب الذى حمل به، والهدف المرجو من حمله: ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾ (النساء: ٩٠).

﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينِ وَلَمْ يُخرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِك هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الممتحنة: ٨-٩).

لقد عرف العالم فى الفتوحات الإسلامية الإنسانية- الحضارية، وجه الصواب فى استعمال السيف، ويكفيه أنه لم يكره شعبا، ولا فردا، على اعتناقه، وجعل من المعاهدات التى وقعها مع الشعوب وثائق مقدسة، لا قصاصات ورق.

التاريخ الأسود للنصرانية فى القتل

ولا يحق للنصارى، ولا لغيرهم، أن يتهموا الإسلام بأنه دين العنف والقتل وسفك الدماء، وفى كتابهم (المقدس) من النصوص ما يفحمهم ويدينهم.

أما أعمالهم وتاريخهم، ففاحم أسود، ونتن آسن، فالسيف هو الرفيق الأوحد للصليب أينما سار وحل ومشى وارتحل، وهذه نماذج منها:

١- شجع ثيودوسيوس الأول تحطيم المعابد الوثنية، وحرم إقامة الشعائر القديمة، وقام المسيحيون بقيادة الرهبان بعملية تحطيم المعابد وتخريبها، وفى سنة ٣٩١م صدر مرسوم إمبراطورى لقاضى القضاة، بالعمل على تنفيذ أمر تحريم زيارة الأماكن الوثنية المقدسة، وبعد ذلك بقليل صدرت الأوامر المشابهة لحكام مصر، فبدأ أسقف الإسكندرية اضطهادا واسعا تؤيده القوة العسكرية الرومانية.

إن انتشار المسيحية – ابتداء من أواخر القرن الرابع الميلادى– إنما أخذ صورة أخرى غير الصورة القديمة، إذ بدأت الكنيسة التى تعضدها سلطة الدولة المادية حينئذ، تفرض الدين بالقوة، وبمختلف الوسائل كما تشير جميع دلائل التاريخ وأحداثه(حضارة الإسلام، جلال مظهر، ص ١٥٨، مكتبة الخانجى، دار مصر للطباعة، القاهرة).

٢- شارلمان، حارب السكسونيين ثلاثا وثلاثين سنة، بغاية العنف، وذروة الوحشية، حتى أخضعهم وحولهم قسرا– بالسيف– إلى المسيحية على يد القديس ليودجر، وويليهاد (تاريخ أوربة فى العصور الوسطى، فيشر: ١/٦١، دار المعارف بمصر، ط٣).

وأكرهت مصر على انتحال النصرانية (حضارة العرب، جوستاف لوبون، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ط٣، ١٩٧٩، ص ٣٣٦).

٣- ونشر الملك كنوت المسيحية فى الدنمارك بالقوة والإرهاب (الدعوة إلى الإسلام، السير توماس أرنولد، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٥٧م، ص: ٣٠). وفرضت المسيحية فى روسية على يد جماعة اسمها: إخوان السيف (الدعوة إلى الإسلام، ص: ٣٠).

وعلى يد فلاديمير دوق كييف (٩٨٥-١٠١٥) الذى يضرب به المثل فى الوحشية

والعنف والشهوانية.. وبلغ من حمقه وطيشه أن أمر بتعميد أهل دوقية روسية كلهم مـــرة واحدة فى مياه نهر الدنيبر(تاريخ أوربا فى العصور الوسطى، ص: ٤٠٧).

٤- وفى النرويج أمر الملك أولاف ترايجفيسون بذبح الذين أبوا الدخول فى المسيحية، أو بتقطيع أيديهم وأرجلهم، أو بنفيهم وتشريدهم.

٥- أما فى أمريكا، فقد حلت حرب الإبادة ضد الهنود الحمر، وقضـــى فعـــلا علـــى حضارة الأنتيل، والمايا، والآزتيك، والأنكا.

نشـــرت مجـــلة: كـــوبا العالمـــية، عدد يولـــية ١٩٧٢، تحـــت عنـــوان التـــاريخ، الصفحة ٦، صورة لمبشر بيده صليب، وزعيم هندى أحمر مقيد إلى سارية، وقد غطى وجهه يدعوه إلى المسيحية قبل إحراقه!!.

٦- وماذا نقول عن الكشوف الجغرافية الأوربية؟

لقد ظهرت قسوة الأوربيين ووحشيتهم وتعصبهم منذ أول يوم نزلوا فيه أراضى إفريقية وآسية.

إنها كشوف جغرافية وأوربية، وما هى فى حقيقتـــها إلا امتـــداد لوحشـــية الحـــروب الصليبية، وفى جوهرها حركة تبشيرية، واستمرار لمحاكم التفتيش، ودليـــل ذلـــك: بقـــى البرتغاليون- مثلا- نحو مئتى سنة فى إفريقية الشمالية، لم يتركوا بعدها أثـــرا مـــن آثـــار الحضارة النافعة، ولم يعقبوا بعدهم غير ذكرى الخراب الذى حل على أيـــديهم بالمعاهـــد والمعابد الإسلامية، ولم يزالوا حيثما نزلوا يخربون وينهبون، وما حدث من الدمار لم يكن فى إفريقية فحسب، بل حل فى كل بقعة وصلها المبشرون الصليبيون المستعمرون (الإسلام فى إفريقيا الشرقية، ليندن هاديس).

وعلى الرغم من هذا كله، يقول: (خليل خالد أفندى) فى كتابه (الهلال والصليب) ص: ٦٤ وما بعدها:

(يقولون: إن الإسلام ما قام إلا بقائم السيف، ولا امتد رواقه إلا فوق الـــدماء الـــتى أسالها، ولا اعتنقته القلوب حتى خشيته الرقاب، ذلك رأى كبارهم، وما الجمهـــور فيـــه بمرتاب، بل هو يأخذه أخذا دون بحث، ويقول به وهو غير كظيم.

كثر ذكر السيف فى صحفهم وخطاباتهم، وقالوا: إن الإسلام ما انتشر إلا به.. وكأنى بقسيس منهم يقول لصاحبه وهو ينصح له: قل لقد كان المسلمون يدخلون المسيحيين فى دينهم بالسيف، فاذكر السيف كلما خطبت، واذكر السيف أينما احتفلت، ولكى تؤيد قولك وتعزز حجتك، اقتضب من آيات القرآن بعضها، وترجمها للسامعين لتريهم كيف يأمر الإسلام باضطهاد من ليسوا على مذهبه، فلقد رأيت كثيرا من أعضاء البرلمان وغيرهم من رجال الكنيسة يتوخون ذلك المنهج فى كل حادثة من حوادث الشرق، ونحن جديرون أن نقلدهم ونتبع سنتهم، والغاية تبرر الوسائل، فإذا تصدى لك من المسلمين نفر لتكذيبك واتهامك بأنك متعمد تشويه الحقائق الإسلامية مخطئ فى نقل الآيات القرآنية، مفتر على محمد ودينه، فلا تأبه به، ولا تعر مطاعنه لفتة منك، وكيف تهتم بقول شرقى مسلم عريق فى الهمجية، أو تأبه بما يعارضك به ذلك الأخرق المستطار، وأنت فى جمهور المسيحيين الذين يؤمنون بقولك، ويؤمنون عليه ببساطة، ويبجلونك من أجل طعنك فى دين محمد، ذلك الدين القذر الممقوت؟.. استمع لقولى واعمل بوصيتى، فإنك بالغ قصدك على كل حال).

هذا نزر يسير من دجلهم وافتراءاتهم وأسلوبهم وإسقاطهم، فصليبيتهم أوصلتهم إلى ما هو أبعد من هذا، يقول (أرنست رينان): (إن الشرط الجوهرى لنشر الحضارة الأوربية، هو زوال الإسلام، وستظل الحرب قائمة فى هذا المضمار، ولن تنتهى إلا عندما يموت آخر ولد فى ذرية إسماعيل بؤسا، أو عندما يدحره الإرهاب، فيتقهقر حتى قلب الصحراء).

وستبقى الحقيقة ثابتة تصرخ فى وجه المفترين، بتسامح الإسلام وتعصب أعدائه، (وبأن تاريخ الأمم النصرانية، وأكثر من هذا تاريخ الكنيسة بالذات، مضرج بالدماء وملطخ، ولربما أكثر تضرجا ووحشية من أى شعب وثنى آخر من العالم القديم) (تبدد أوهام قسيس، د. فرانز غريس، مطبعة دار الطباعة (الضياء)- بيونس أيرس- الأرجنتين، ترجمة عن الإسبانية: خليل سعيد ذو الغنى، ص: ٤٠٢).

(ليت شعرى، هل أوجدت الكنيسة وأحدثت فى إسبانية حضارة ذات بال تستحق

الذكر؟!)

إنهم المسلمون العرب، هم الذين غيروا وبدلوا وقلبوا وحولوا هذه البلاد إلى حـــدائق، ورياض وبساتين وجنان، وهم فى الوقت نفسه مشتغلون بجميع أنواع العلوم، وشتى الفنون، مكونين وموجودين تمدنا وعمرانا وحضارة حقيقية.

إن أمما ذوات حضارات زاهية باهرة قد أزيلت وأبيدت ومحيت ببساطة وسهولة من عالم الوجود، وكل ذلك باسم الدين النصرانى (تبدد أوهام قسيس، ص: ٣٩٢).

وقبل أن نورد شهادات منصفة، من فم علماء كبار، رفضوا البهتان والكذب، نذكر أن يوحنا ملك إنجلترا عرض على محمد الناصر (من سلاطين دولة الموحدين بالمغرب العربى) أن يحميه ضد البابا مقابل جزية سنوية، واعتناق الإسلام هو وشعبه، ولكن محمد الناصر رفض هذا العرض، لأن أريحيته أبت عليه استغلال الضائقة السياسية الإنجليزية لحملـــهم علـــى اعتناق الإسلام؟ (تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين، يوسف أشباخ: ١٥٣/٢).

ومن الشهادات المنصفة:

١- يقول: (فانسان مونتيه) الأستاذ بجامعة باريس: (من أســـباب إســـلامى، تســـامح الإسلام تجاه أبناء الأديان الأخرى، وعلى العكس كما يقول ســـوليناك **Soliynac**: داء الجهاد العصبى المسيحى).

٢- ورروبرتسون يقول: (إن أتباع محمد ﴿ﷺ وآله﴾ هم الأمة الوحيدة التى جمعت بين التحمس فى الدين والتسامح فيه، أى إنها مع تمسكها بدينها لم تعرف إكراه غيرهـــا علـــى قبوله) (حاضر العالم الإسلامى: ١/٤٠١).

٣- أما جوستاف لوبون فيقول: (إن القوة لم تكن عاملا فى انتشار القرآن، فقد تـــرك العرب المغلوبين أحراراً فى أديانهم، فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام النصرانية الإســـلام، واتخذوا العربية لغة لهم، فذلك لما رأوه من عدل العرب الغالبين، مما لم يروا مثله من سادتهم السابقين، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التى لم يعرفوها من قبل.

ولم ينتشر الإسلام بالسيف، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقت الإسلام الشعوب) (حضارة العرب ص: ١٦٢).

٤- والكونت (هنرى دى كاسترى) فى كتابه: الإسلام خواطر وسوانح، ص: ٣٥، ترجمة أحمد فتحى زغلول، بعد وصفه الفتوحات الإسلامية، وانتشار الإسلام بين الشعوب، وصف المسلمين بقوله: (فلم يقتلوا أمة أبت الإسلام).

٥- أما المستشرقة الإيطالية (لورا فيشيا فاجليرى) فتقول عن شعوب البلدان التى فتحها المسلمون: (منحت تلك الشعوب حرية الاحتفاظ بأديانها القديمة.. فليس من الغلو أن نصر على أن الإسلام لم يكتف بالدعوة إلى التسامح الدينى، بل تجاوز ذلك ليجعل التسامح جزءا من شريعته الدينية) (دفاع عن الإسلام، تعريب منير البعلبكى، دار العلم للملايين، ١٩٦٠، ص: ٣٤، ٣٥).

لما سبق، يقول: (فردريك نيتشه): (حارب الصليبيون شيئا كان الأجدر بهم أن ينبطحوا بذل أمامه، حضارة يمكن لقرننا التاسع عشر أن يعتقد أنه فقير جدا، ومتأخر جدا، بالمقارنة معها) (عدو المسيح، لنيتشه الفيلسوف الألمانى، الفقرة: ٦٠).

(إن تاريخ الكنيسة يحمل صفحات حمراء دامية فى أمريكا وإفريقية وآسية وأوربة) (المرجع السابق، الفقرة: ٣٦).

ويقول: (نيتشه) عن المبشرين ورجال الكهنوت المسيحيين: (لا يخطئون فقط فى كل جملة يقولونها، بل يكذبون، أى أنهم لم يعودوا أحراراً فى أن يكذبوا ببراءة وبسبب الجهل) (المرجع السابق، الفقرة: ٣٨).

تسامح الإسلام معروف قديما وحديثا:

﴿لا إكراه فى الدين﴾ (البقرة: ٢٥٦).

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾ (النحل: ١٢٥).

﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ (يونس: ٩٩).

وتعصب المسيحية معروف قديما منذ أيام قسطنطين، وحديثا فى تبشيرهم الذى رافق الكشوف الجغرافية، والاستعمار الأوربى، مرورا بالحروب الصليبية، ومحاكم التفتيش، وحتى يومنا الحاضر، فى العراق وأفغانستان والشيشان وفلسطين وغيرها.

ولكنه الإسقاط– رمتنى بدائها وانسلت– مكرا وخداعا، كذبا وتشويها.

ونذكر بأن سلطة الإسلام السياسية تلاشت، وعلى الرغم من كل الجهود والأموال التى تقدمها الكنيسة لتنصير المسلمين، فالإسلام هو الدين الأول انتشارا فى العالم اليوم، وإننا نقول: لا نظن أن المؤثرات التى تحركها الفاتيكان قادرة على صد الإسلام عن الانتشار فى أوربة أو أمريكا، فضلا عن بقاع العالم الأخرى.

أغرب ما فى التاريخ

هل سمعتم بجيش منتصر يخرج من البلد الذى فتحه؟ وبأمر من؟ بأمر الخليفة القائد الأعلى لهذا الجيش.. ولماذا؟ إليكم هذه القصة التى تروى أغرب حادثة فى تاريخ الدنيا..

لما ولى الخلافة عمر بن عبد العزيز، وفد إليه قوم من أهل سمرقند(آسيا الوسطى) فرفعوا إليه أن قتيبة قائد الجيش الإسلامى فيها دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين غدرا بغير حق. فكتب عمر إلى عامله هناك أن ينصب لهم قاضيا ينظر فيما ذكروا، فإن قضى بإخراج المسلمين من سمرقند أخرجوا!.

فنصب لهم الوالى (جميع بن حاضر الباجى) قاضيا ينظر شكواهم، فحكم القاضى وهو مسلم، بإخراج المسلمين.. على أن ينذرهم قائد الجيش الإسلامى بعد ذلك، وينابذهم وفقا لمبادئ الحرب الإسلامية، حتى يكون أهل سمرقند على استعداد لقتال المسلمين فلا يؤخذوا بغتة.

فلما رأى ذلك أهل سمرقند، رأوا ما لا مثيل له فى التاريخ من عدالة تنفذها الدولة على جيشها وقائدها.. قالوا: هذه أمة لا تحارب، وإنما حكمها رحمة ونعمة، فرضوا ببقاء الجيش الإسلامى، وأقروا أن يقيم المسلمون بين أظهرهم.

أرأيتم.. جيش يفتح مدينة ويدخلها، فيشتكى المغلوبون للدولة المنتصرة، فيحكم قضاؤها على الجيش الظافر ويأمر بإخراجه ولا يدخلها بعد ذلك إلا أن يرضى أهلها..؟

أرأيتم فى التاريخ القديم والحديث حربا يتقيد أصحابها بمبادئ الأخلاق والحق كما يتقيد به جيش المسلمين؟ إنى لا أعلم فى الدنيا كلها مثل هذا الموقف لأمة من أمم الأرض.

ثانياً: الإسلام مقتبس من اليهودية والنصرانية

قال البابا (أينوشانيوس الثالث) (١١٩٨ -١٢١٩) عن سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾: إنه المسيح الدجال (حاضر العالم الإسلامى: ١/٨٣).

ورئيس بعثات التبشير فى المشرق (الأمريكى صموئيل زويمر) قال مخاطباً المسيحيين فى رسالة دعاها (وهديناه النجدين): لستم مضطرين إلى تغيير داخلى فى عقيدتكم، ولا إلى تجديد الطبيعة، إذا رغبتم فى اعتناق الديانة الإسلامية (ينابيع المسيحية، خواجة أفندى كمال الدين، تعريب إسماعيل حلمى البارودى -منشوات لجنة المحققين- لندن ١٩٩١، ص٦).

وفى كتاب (العقيدة والشريعة فى الإسلام) قال المجرى اليهودى (جولد تسيهر): (فتبشير النبى العربى، ليس إلا مزيجا من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، والتى تأثر بها تأثراً عميقاً، ورآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بنى وطنه) (الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام، من البحوث

المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامى ١٣٩٦، الرياض، المجلس العلمى ١٨، سنة ١٩٨١، ص٤٤١). وقال فيليب حتى: (لقد نسج الإسلام فى ترتيب صلاة الجمعة على منوال اليهود فى عباداتهم بالكنيس، إلا أنه تأثر من بعد بطقوس صلاة الأحد التى يمارسها النصارى فى البيع) (تاريخ العرب المطول، ص١٨١ دار الكشاف- بيروت).

وقال المستشرق الألمانى كارل بروكلمان: (اقتبس النبى عن التوراة فكرة بالخطيئة الأصلية.. وإنما ترجع معتقداته فيما يتعلق بالعالم الآخر إلى مصادر يهودية، وهكذا تتصل بصورة غير مباشرة بمصادر فارسية وبابلية قديمة) (تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٧٠).

وقال جوستاف لوبون الفرنسى: (وإذا أرجعنا القرآن إلى أصوله، أمكننا عد الإسلام صورة مختصرة من النصرانية، والإسلام يختلف عن النصرانية- مع ذلك- فى كثير من الأصول، ولا سيما فى التوحيد المطلق الذى هو أصل أساسى) (حضارة العرب، ص ١٥٨).

وصدر عن جامعة كمبردج كتاب يهاجم الإسلام، تحت اسم: (الهاجرية) وتكوين العالم الإسلامى، بقلم: باتريشيان كرون، وميكل كول، الباحثين فى دراسات التاريخ الاقتصادى للشرق الأوسط، ومما جاء فى الكتاب المذكور: الإسلام دين وضعى، أسست قواعده فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٤٦- ٧٠٥م)، أما ما كان قبل ذلك فقد كان شيئا اسمه (الهاجرية)، و(الهاجرية) هى عبارة عن كلام كتبه الأسقف (ذيبوس) يقول فيه: إن النبى يبشر بدين يعد استكمالا للديانة (الهاجرية)، وإن هذا الاسم ينسب إلى السيدة هاجر زوجة إبراهيم وأم إسماعيل.

ووصل التمويه بالكاتبين إلى حد التضليل والتشكيك فى حدوث الهجرة النبوية، ويقولان: إن اسم هاجر هذا تم تحريره بعد ذلك فى القرن الثامن الميلادى، ليعطى معنى الهجرة من مكة إلى المدينة، وهى واقعة يشكك فيها الباحثان، ويحاولان الادعاء بأن هذه

الهجرة لم تحدث قط.

وأصدر (إلياس المر) فى لبنان سنة ١٩٨٥، كتابا عنوانه: (الإسلام بدعة نصرانية).

وهكذا.. تتفق آراء الكنيسة والمستشرقين- عموما- على أن الإسلام دين مقتبس من اليهودية والنصرانية، (ومن هنا هان على المسلم المؤمن- إذا استثنينا بعض الأحـوال- أن يسلم بمعظم ما تنطوى عليه العقائد المسيحية) (تاريخ العرب المطول، فيليب حتى، ص٢).

ولسنا هنا فى موقف الدفاع عن الإسلام، وتوضيح أنه دين جديـد، ويختلـف كـل الاختلاف عن النصرانية وخصوصاً النصرانية المعاصرة، الموجودة الآن على اختلاف كتبها وأناجيلها ومذاهبها، فهى فى جميع ألوانها وفروعها عبادة وطقوس وانحراف عن الوحدانيـة إلى التثليث، ومن هنا كان (الإسقاط) فالنصرانية الحالية، بدعة يهودية ووثنية، وهذا ثابت علميا، ولكن الكنيسة أسقطت ذلك على الإسلام، وهذا الدليل:

يقول الدكتور فرانس جريس فى كتابه (تبدد أوهام قسيس، ص١١٤): إن البحـوث والاستقصاءات العلمية، أثبتت، وأقامت البرهان والدليل على أن ثمانين إصحاحا من التسعة والثمانين للأناجيل الأربعة، ما هى إلا صورة ونسخة عن حياة وتعـاليم (كرشـنا الإلـه الهندى) و(بوذا)، فيا لها من نتيجة محزنة للنصارى، وحصيلة مفجعة للنصرانية، ويا له مـن منظر ومشهد أليم لأجل شخص المسيح، إن العالم النصرانى أخذ بالسقوط والانهيار، إنـه يغطس ويغوص، ويرسب ويسوخ).

ويقول: إن عيد ميلاد (أجنى)، الابن الوحيد لـ- (ساويسترى) أى: الأب السـماوى، احتفل به منذ أربعة آلاف عام قبل ميلاد يسوع المسيح (تبدد أوهام قسيس، ص١٤٦).

والأستاذ (رودلف سيدل) العالم اللاهوتى البروتستانتى فى جامعة لايبسيج (الألمانيـة)، وأحد الكبار فى زمانه، يقول فى كتابه (أسطورة بوذا): فإن من ثمانية وعشرين إصحاحا التى

يتألف منها إنجيل متى، فإن إصحاحين منها فقط هما: الثانى والعشرون، والرابع والعشـــرون خاليان من النصوص الهندوسية. ومن إنجيل مرقس الذى يتكون من ستة عشر إصـــحاحا، فإن إصحاحين أيضا هما: السابع، والثانى عشر غير منقولين.

وفى إنجيل لوقا، الإصحاح السادس عشر، والسابع عشر، والعشرون فقط، من مجموع أربعة وعشرين إصحاحا التى يتشكل منها الإنجيل المـــذكور، هـــى ليســـت منتحلـــة، أى مسروقة. ثم إنجيل يوحنا المتضمن واحدا وعشرين إصحاحا، فـــإن الإصـــحاحين العاشـــر والسابع عشر فقط خاليان من النقل.

والعالم البروتستانتى (هابل) مؤرخ الأديان، يوافق ويؤيد أقوال (رودلف سيدل) ويذكر ويسمى ستة وثلاثين نصا فى الكتاب المقدس، مقتبسة عن العقائد الوثنية، منـــها: تجســـد يسوع، الطفل يسوع فى الهيكل، قصة مريم المجدلية الخاطئة، ومعجزة المشى على الماء (تبدد أوهام قسيس، ص ١٧١).

والعالم (برنهارد سبيس) العالم بالسنسكريتية، وبالخط المسمارى، يقرر ويثبت ويجزم بأن الأمثال بأجمعها– تقريبا –التى فى الأناجيل، هى نسخ عن أمثال الهندوســـيين والســـومريين والفرس والآشوريين، وخصوصا سلسلة الأمثال التى تتعاقب فى الإصحاح الثالث عشر من إنجيل متى (تبدد أوهام قسيس، ص ١٧٢).

و(جارب) يقول: إن أكبر وأعظم علمائنا اللاهوتيين أمثـــال (هارنـــاك)، و(جونكـــل) يعدون النصرانية ويحسبونها بسهولة وببساطة وإخلاص وصراحة كدين توفيقى تلفيقى، أى يعادل التوفيق بين النقيضين، أو بين المذاهب والآراء المتناقضة (أورد هذا الـــنص فـــرانس جريس أيضاً، ص١٧٢، فى (تبدد أوهام قسيس).

والمكتبة المنطقية فى باريس (شارع فوجيرارد، رقم ٤١/٦)، نشرت عددا من الكتـــب

الجليلة الفائدة العلمية فى هذا الخصوص، فى أحد هذه الكتب المسمى (مشكلة يسوع والمصادر النصرانية) للأب القس الكاثوليكى- سابقا- وأستاذ تاريخ الأديان فى جامعة استراسبورج، وكان الفاتيكان قد أعلن حرمانه بتاريخ ٢٠ يوليو ١٩٣٣، لأنه شك وارتاب فى كتابات الفاتيكان ومحاضراته عن ألوهية المسيح، وعن وجوده أيضا (تبدد أوهام قسيس، ص ١٧٥).

و(إرنست رينان) قال: إن عبادة (ميترا) قد وصلت إلى روما فى القرون الثلاثة الأولى بعد المسيح، لدرجة أنه لو لم يتنصر الإمبراطور قسطنطين، لأصبح العالم ميترانيا- أى يعبد ميترا- عوضا عن أن يكون عيسويا- يعبد عيسى-) (تبدد أوهام قسيس، ص١٧٥).

الأستاذ (هيلشر) من بلدة كاتبوس فى بروسيا (بألمانيا)، وهو عالم لاهوتى بروتستانتى، نشر مؤلفا فى خمسة مجلدات بعنوان: (تحريات واستقصاءات تتعلق بتاريخ الرسول بولس) مع نتائج دراسة عشرين عاما حول الرسول بولس، وإن نتيجة دراسته الرئيسة والأساسية والقطعية النهائية.. خلاصتها مايلى:

إن أعمال الرسل التى تحتوى تاريخ الرسل، إنما هى تزوير وتزييف وتلفيق وتمويه اختلقته وصاغته الكنيسة النصرانية بعد العام الخامس والأربعين والمئة لميلاد يسوع المسيح (تبدد أوهام قسيس، ص١٧٥).

(ابتدع اليهود واخترعوا وابتكروا وأوجدوا النصرانية لأجل الشعوب الأخرى، ولولا شعار (أحبوا أعداءكم) لاختفوا وتواروا وتلاشوا وزالوا وبادوا وانقرضوا) (تبدد أوهام قسيس، ص١٨٣).

وهناك رأى فى (دائرة المعارف الفرنسية: ٥/١١٧) خلاصته: أن المصادر المسيحية كلها من عمل اليهودى شاؤول (بولس) أو من عمل أتباعه، وليست الأسماء الموضوعة عليها إلا أسماء مستعارة غير حقيقية.

والأناجيل والأبحاث التى تعارض اتجاه بولس فنيت إلى الأبد، وفى قمتها إنجيل المسـيح، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا، أما الرسائل فهى (بولسية) كلها، أى: منسوبة إلى بولس وأتباعه بلا شك.

(والعجيب أن الفاتيكان يعترف إلى حد كبير بموقف بولس من المسيحية، وعدم حرصه عليها، فقد جاء فى كتاب نشره الفاتيكان سنة ١٩٦٨م بعنوان: (المسيحية عقيدة وعمل، ص٥٠) ما يلى: كان القديس بولس منذ بدء المسيحية ينصح لحديثى الإيمان أن يحتفظوا بما كانوا عليه من أحوال قبل إيمانهم بيسوع.

وذلك أمر يستدعى الدهشة، فليس لإنسان أن يسمح لمؤمن أن يظل على ما كان عليه قبل الإيمان، ولكن بولس لم يكن يهتم بالمسيحية، وكان تشويهها وتدميرها هدفا من أهدافه) (مقارنة الأديان المسيحية، د. أحمد شلبى، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، ط٨، سنة ١٩٨٤، ص١٢٩).

وهكذا.. إن مصادر النصرانية وثنية قطعا، منها ماهو مصرى قديم، فالإله (أوزوريس) إله مصرى فرعونى، ذهب ضحية روح الشر، وله ثالوث مقدس هو: (أوزوريس وإيزيس وحورس) لذلك يقول الدكتور محمد حماد: (المسيحية دينا ليست بعيدة فى أسسها عن العقائد المصرية القديمة، وهناك تشابه كبير بين الاثنين فى كثير من الوجوه) (مقارنة الأديان المسيحية، ص٦).

ولو أردنا إيراد مقارنة بين بوذا والمسيح، وبين كرشنا والمسيح، وبين مترا والمسيح، لكان لزاما علينا أن نسجل كتابين كاملين هما: (العقائد الوثنية فى الديانة المسيحية) للمرحوم محمد طاهر التنير، و(ينابيع المسيحية) للمرحوم خواجه كمال الدين.. ولكننا نكتفى بالتلميح والاختصار.

أو بعد هذا كله، يقال عن الإسلام: إنه مقتبس عن النصرانية أو اليهودية وفيه رواسب وثنية؟!!.

الأمر يحتاج إلى كبير عناء لإظهار (الإسقاط) فى القول المذكور، فالتوراة- التى بين أيدى الناس حاليا- والتى تبتدئ بسفر التكوين، وهى جماع عقائدهم الدينية، غير مسند إلى أحد من أنبياء بنى إسرائيل، ولذا فلا حاجة إلى القول بأن عقائده سابقة للنبوءات الإسرائيلية، وأن اليهود تعلموه عمن سبقهم، سواء كان من وحى الأنبياء الأسبقين، أو من تراث الشعوب الموروث عن الأسلاف.

أما متى وأين كتبت التوراة؟ فالعلماء مجمعون على أنها كتبت بعد موسى بزمن طويل، وكتب معظمها فى الأسر البابلى، مقتبسة من أساطير الشعوب القديمة.

ينكر المبشرون على الإسلام ونبيه كل صواب، وكل فضل، وكل جديد، ويريدون أن يثبتوا لأتباعهم قبل أن يدرسوا الإسلام ويعجبوا به ويعتنقوه، أنه مزيج متنافر بين اليهودية والمسيحية والوثنية، وخطؤهم كامن فى حقدهم الذى أوصلهم إلى قصر النظر، فمن الغريب ألا نجد شيئا مشتركا بين الديانات السماوية من حيث الإيمان بالله، والحساب، واليوم الآخر والملائكة.

أما وقد قررت البحوث العلمية أن ينابيع النصرانية وثنية، كما قال الدكتور بارنز فى عظته فى شهر أغسطس ١٩٢٥: إن معظم الشعائر الدينية المسيحية قد اقتبست من الوثنية، ومنها العشاء الربانى الذى تسرب إليها من الشعائر المعروفة عن عبادة الشمس، وكما قرر المجلس الأدنى لمجمع (كنتربورى) بجلسة فى شهر (يوليو) ١٩١٧: أن الكتاب المقدس ليس كلام الله صرفاً، ولكنه مشوب بالأقاصيص التى كانت تجرى على ألسنة الناس، كما أن كثيرا من الحوادث الواردة فيه لايقبلها العقل (ينابيع المسيحية، ص٨٥).

أما وقد تقرر هذا، فكل ما وجه إلى دين التوحيد المطلق لله عزوجل- الإسلام- (إسقاط) ليس غير.

علمه ورقة وبحيرى!!

(وتذهب الروايات إلى أنه - ﴿ﷺ وآله﴾ - اتصل فى رحلاته ببعض اليهود والنصارى، أما فى مكة نفسها، فعله اتصل بجماعات من النصارى كانت معرفتهم بالإنجيل هزيلة إلى حد بعيد) (كارل بروكلمان فى تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٣٤).

(وتقول القصة: إن محمدا سافر مرة مع عمه إلى سورية، فتعرف فى بصرى براهب نسطورى فى دير نصرانى، فتلقى منه علم التوراة) (جوستاف لوبون حضارة العرب، ص١٣٠).

لقد علم ورقة بن نوفل- ذلك المفكرالنصرانى الكبير - محمدا، (ومحمد كان لا يملك بين يديه سوى إنجيل القس ورقة، وهو لا يؤمن بألوهية ولا بصلب، فصدقه ودعا إليه قومه) (من كتاب (قس ونبى) المنحول لاسم خيالى هو: أبو موسى الحريرى، والذى اعتمده إلياس المر فى كتابه: الإسلام بدعة نصرانية).

(هذه الشذرات الإلهية، من أين أتى بها شعراء الجاهلية [التى اقتبسها القرآن الكريم منهم] لو لم يطلعوا من أهل الكتاب وخاصة النصارى على إيمانهم وما يشمله هذا الإيمان..) (أديان العرب قبل الإسلام، للأب جرجس داود).

(.. والسر الكبير فى ثقافة محمد الكتابية والإنجيلية، وجود العالم المسيحى ورقة بن نوفل من بنى أسد، ابن عم السيدة خديجة فى جوار النبى، وهو الذى زوجه ابنة عمه، فقد أجمعت الآثار على أن ورقة تنصر، وكان يترجم التوراة والإنجيل إلى العربية، فهو إذن عالم مسيحى

كبير، وقد عاش محمد فى جواره خمسة عشر عاماً قبل مبعثه، ألا تكفى هذه المــدة لنابغــة العرب محمد بن عبد الله لكى يأخذ عنه شيئاً من علوم التوراة والإنجيل) (يوسف حــداد، القرآن والكتاب قسم ٢، أطوار الدعوة القرآنية: ١٠٥٩- ١٠٦٠).

* * *

لسنا فى موقف الدفاع عن الإسلام فى هذه الصــفحات، لأن الهــدف هنــا إظهــار (الإسقاط)، ولكن قبل البدء بتوضيح هذا (الإسقاط) الجديد، لابد من القول: لــو علــم بحيرى أو ورقة بن نوفل سيدنا محمداً ﴿ ﷺ وآله﴾ شيئاً من الفكر النصرانى، لما آمن بسيدنا محمد (رسول الله) قرشى واحد.

وأحداث البعثة وما بعد الهجرة، أين كان منها بحيرى الذى مات قبل البعثة؟ وأين كان منها ورقة بن نوفل الذى توفى سنة ١٢ قبل الهجرة؟.

هذا.. ومن الغريب ألا نجد شيئاً مشتركا بين الديانات السماوية علــى مــا بقــى فى اليهودية والنصرانية بعد التحريفات والتغييرات والإضافات.

وبعد..

يقول المسيح فى إنجيل متى ١٧/٥: (لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، مــا جئت لأنقض بل لأكمل).

والنصرانية – فى أناجيلها الأربعة المعتمدة – لا تشريع فيها، لذلك فهى ملزمة بأخــذ كل تشريعاتها من العهد القديم (التوراة)، ولذلك تطبع الكنيسة (الكتاب المقدس) فى عهديه القديم والجديد معها فى مجلد واحد.

أما ما أخذته النصرانية فى الباب الثانى عن العقائد الوثنية، وجعلته من صلب عقيــدتها،

فقد ذكرنا بعضه عند تعريف النصرانية فى الباب الثانى. وعند تعريفنا للإسلام تبين لنا أن الإسلام انفرد بأشياء كثيرة لم تكن موجودة عند السابقين كأحكام المواريث مثلا، فكيف يكون متأثرا باليهودية أو النصرانية؟!!.

إن جل عقائد النصارى وأعمالهم وأعيادهم المقدسة كانت موجودة فى الأصل فى العالم الوثنى بأشكالها وأسسها وترتيباتها من قرون مضت قبل ظهور المسيح، (وإذا تبين لهم أن المسيح نفسه ليست له علاقة ما بهذه الأشياء، ألا يكون هذا الوقت المناسب لأن يصحح متبعوه الحقيقيون اعتقادهم، ويواجهوا الحقائق الدينية وجها لوجه مع الآخرين الذين هم ليسوا على دينهم)؟.

أما آن للمسيحى أن يتعرف – وبشكل علمى– على مواد البناء التى استخدمها (بولس) فى بناء الكنيسة؟.

أما آن للتبشير والاستشراق – الذى ترعرع تحت كنف الكنيسة– أن يقدما كلمة الصدق، حبا للحقيقة وسعياً وراءها، وأن يبتعدا عن الافتراءات والكذب، ويتركا حالات (الإسقاط) المتكررة فيما وجهوه إلى الإسلام وأهله؟.

لقد تيقنت نفوسهم بأن النصرانية بدعة وثنية، فأسقطوا ما بهم – زورا وبهتانا–على الإسلام، فقالوا: الإسلام بدعة نصرانية، ظنا منهم أن حقائق العلم والتاريخ بعيدة عن متناول أيدى المسلمين.

أساس الإسلام مأخوذ من القرآن الكريم وبيان سيد المرسلين :

يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم عليه السلام فى كتابه (وسائل إظهار الحق): لم يؤسس المجتمع الإسلامى على أساسات المدن القديمة، ولكنه أسس على مبادئ عالية ربانية لم تكن بوضع مخلوق ولا بتجربة مجرب، ولكنها على تعاليم القرآن المجيد، وبيان سيد المرسلين. فرفع الله شأن المسلمين، ومكن لهم فى الأرض بقوته وعزته، وجعل لهم السلطان

حتى أذل لهم كل الأمم ممن كان لهم شأن وملك، إلا بعض الأمم النائية التى كانت فى حال توحش لم يهتدوا بنور الإنسانية فأرجأوهم، حتى إذا محوا الظلم والضلال من المدن العامرة أرسلوا إليهم من يرقيهم ويرفع شأنهم، ولكن خلف من بعد الصحابة– رضوان الله عنهم وتابعتهم بإحسان رحمهم الله– خلف أضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات، وتركوا العمل بالسنة والكتاب، فاكفهرت الأرض بعد خصبها، ونزلت النقم وتغيرت النعم. نعوذ بالله من معصيته، ومن مخالفة سنة نبيه ﴿ﷺ وآله﴾، وعسى الله أن يجدد النور ويعيده كما بدأه، إنه مجيب الدعاء.

ثالثا: الإسلام عدو العلم

يقول أرنست رينان فى كتابه الإسلام والعلم: (حارب الإسلام العلم والفلسفة).

ويقول وليم جيفورد بالكراف: (متى توراى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا أن نرى العربى حينئذ يتدرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه) (حاضر العالم الإسلامى، ص ٩٣).

ويقول اللورد الإنجليزى كرومر: (إن الإسلام دين مناف للمدنية، ولم يكن صالحا إلا للزمن والمحيط اللذين وجد فيهما، وإن المسلمين لا يمكن أن يرقوا فى سلم الحضارة والتمدن، إلا بعد أن يتركوا دينهم، وينبذوا القرآن وأوامره ظهريا) (الإسلام روح المدنية، مصطفى الغلايينى، بيروت ١٩٠٨، ص ١٣).

وركزت الكنيسة على أن الإسلام لا يستقيم مع المدنية فى سبيل، وهى ترى أن ما قامت به أوربا من استعمار، عمل إنسانى جليل، والأوربيون – ومبشروهم– جديرون أن يسموا برسل المدنية.

إنه إسقاط، ولكن مهما عادى متعصب الإسلام، وحاول إلصاق التهم به، فإنه يجب أن يحذر من قول يوقعه فى حفرة الجهل لدى من يعرف الإسلام، ولو معرفة بسيطة، ذلك لأن

الإسلام لا يماثله فى دفع أتباعه نحو العلم والاستزادة من بحوره أى دين آخر، إنه الدين الذى كانت أول لبنة فى بنائه كلمة ﴿اقرأ﴾، ثم وضع الناس عامة وأتباعه الدارسين لكتابه الكريم بصورة خاصة، أمام مشاهد الكون بسمائه وكواكبه وشمسه وقمره وغيومه وأمطاره وبحاره وجباله وأنهاره ونباته وحيوانه وإنسانه.. وشجعهم على البحث والدراسة لكشف قوانين الكون ومعرفة أسراره: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت: ٢٠).

وجعل نبى الإسلام سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ طلب العلم فريضة على كل مسلم، وأوجب على كل مسلم أن يكون عالما أو متعلما، وفى فترة قصيرة من الزمن بعد انتشار الإسلام، انحسرت موجة الأمية والجهل، وارتفعت منارات العلم حيث وصل الإسلام وحل المسلمون، فمن سمرقند وبخارى شرقا، إلى قرطبة وطليطلة غربا، لا نجد مدينة ولا قرية إلا وفيها المدارس (الكتاتيب) وحلقات العلم والمكتبات، وأعداد كبيرة من العلماء، وطلاب العلم، وكانت ترتفع مكانة الإنسان بعلمه حتى ولو لم يكن مسلما، والأمثلة على ذلك لا حصر لها.

طبيعة الإسلام الاعتماد على العلم وتحكيم العقل، وعنده أن منزلة العالم فوق منزلة العابد، وفى القرآن الكريم أكثر من سبع مئة آية تحث على العلم والنظر فى الكون، ويقول النبى ﴿ﷺ وآله﴾: (الحكمة ضالة المؤمن، التقطها أينما وجدها)، ثم إن الذين يقرأون تاريخ العرب ويعونه، يذكرون أن هارون الرشيد لم يكن ينظر إلى البلد الذى عاش فيه العالم، ولا إلى الدين الذى كان يعتنقه، بل لم يكن ينظر إلا إلى مكانته من العلم والمعرفة.

ويذكرون أنه فى حكم المأمون الخليفة العباسى السابع كان رجال العلم من نصارى وصابئة.. يؤمون مجلس ذلك الخليفة، ويجادلون فى حضرته علماء المسلمين فى العلوم العقلية والنقلية.

موقف النصرانية من العلم

كل ذلك كان يجرى بفضل التسامح الإسلامى، ولكنا لا نذكر أن أمة من الأمم النصرانية فى ذلك العصر، كانت تحتمل ظل علماء المسلمين إذا هم أرادوا أن ينعموا فى تلك البلاد بمثل ما ينعم به أقرانهم من النصارى فى بلادهم، بل إن ما هو أدل على بعد النصرانية بين العلم والمدنية عن التسامح، ما ردده التاريخ من أمر تعنت الطوائف النصرانية بعضها مع بعض، واضطهاد الواحدة للأخرى، حتى بعد أن علمهم الإسلام سعة الصدر والتسامح، أفلم يذكر لنا التاريخ أن كثيرا من رجال العلم المبرزين من النصارى، كانوا يذوقون أشد أنواع المظالم والعسف من أيدى إخوانهم فى الدين، بسبب أن أولئك ينتمون إلى طائفة غير طائفتهم (الإسلام والنصرانية، للأستاذ محمد عبده، ص ٢٦، كتاب الهلال، العدد ١٤٤ سبتمبر ١٩٦٠م).

أفلم يع التاريخ ذكر أولئك الحكماء الذين كان يحرقون علانية باسم الدين؟ بل وقد وعى التاريخ ذكرهم، وذكر همجيتهم التى نافسوا فيها همجية القبائل المتوحشة، وطاولوا بها ما يفعله الوثنيون الذين يجعلون من أنفسهم قرابين لآلهتهم.

حكمت محكمة التفتيش التى أسسها البابا فى مدة ثمانى عشرة سنة، من سنة ١٤٨١م إلى ١٤٩٩م على عشرة آلاف ومائتين وعشرين شخصا بأن يحرقوا وهم أحياء، فأحرقوا، وعلى ستة آلاف وثمان مئة وستين بالشنق بعد التشهير، فشهر بهم وشنقوا، وعلى سبعة وتسعين ألفا وثلاثة وعشرين شخصا بعقوبات مختلفة بهم، فنفذت (الهلال والصليب، ص ٣٤).

لقد وقفت الكنيسة ورجالها فى وجه العلم والعلماء، لأنهم- أى رجال الكنيسة- وجدوا أن طريق العقل والعلم يؤدى إلى كشف زيفهم، وإبطال جهلهم، وفضح تعاليمهم وتفاسيرهم.

لقد اعتقدت الكنيسة أن الكتاب (المقدس) قد حوى بين دفتيه كل ما يمكن للإنسان أن يعرفه أو يبتغيه، سواء فى هذه الدنيا أو فى الآخرة، ومن ثم وضعوا نظرياتهم اللاهوتية، وبنوا عقائدهم الدينية على هذا الأساس، وانتهوا إلى أن هذه النظريات والعقائد المستمدة من النصوص الصريحة للكتاب (المقدس)، هى وحدها التى ينبغى للناس أن يؤمنوا بها، وإن الذين يعارضونها أو يشكون فى صحتها إنما يستحقون اللعنة والعذاب والهلاك، وبرروا لأنفسهم اتخاذ أقصى ضروب القهر والتنكيل بمن يعارضهم، مستمدين هذا التبرير من نظرية توهموها، هى أنهم طالما كانوا الممثلين لله فى الأرض، ورعاة كنيسته، فلماذا لا يقلدونه إذ يعذب المارقين من دينه تعذيبا أبديا فى مدته، رهيبا فى قسوته، ويفعلون بعباده كما يفعل هو بهم (حضارة الإسلام، جلال مظهر، ص١٥٩).

واعتقدت الكنيسة أيضا، أن الدليل الذى قدمه المسيح على صدقه، هو ما كان يصنع من الخوارق والمعجزات، وهى كثيرة جدا تفيض بها صفحات الأناجيل، ومن ثمة جعلت هذه الخوارق والمعجزات دليلا على صحة الدين للآتين من بعده، ولما كانت خوارق العادات أموراً مخالفة لقوانين الطبيعة وسنن الكون وشرائعه، فإنها بالتالى كانت مضادة لكل علم من العلوم التى اكتشف العلماء قوانينها كالفلك مثلا، وهى علوم لابد أن نجد فيها ما يخالف هذه الخوارق (الإسلام والنصرانية، محمد عبده، ص٢٢، ٢٣).

ومن هنا وقف هذا الأصل عائقا كبيرا جدا فى وجه العلوم، وصدها عن الانطلاق فى مداها الطبيعى، وبرر لرجال اللاهوت المسيحى مواقفهم المعروفة ضد العلم، والتى لم يتنازلوا عنها تنازلا نهائيا إلا فى أواخر القرن التاسع عشر (حضارة الإسلام، جلال مظهر، ص ١٥٩).

وكان لزاما فى عالم كهذا يعيش فى هذا الجو العجيب، أن يتناول آباء الكنيسة النصوص الدينية التى تحض على احتقار العلم والعلماء، ويجعلوا من تفسيرها جحيما يلقون فيه العلم

والعلماء، ومثال ذلك:

(لا يخدعن أحد نفسه، إن كان يظن أنه حكيم بينكم فى هذا الدهر، فليصر جاهلا لكى يصير حكيما، لأن حكمة هذا العالم هى جهالة عند الله، لأنه مكتوب الآخذ الحكماء بمكرهم، وأيضا الرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة، إذاً لا يفتخرن أحد بالناس..) (رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: ٣/١٨-٢١).

(اختار الله جهال العالم ليخزى الحكماء، واختار الله ضعفاء العالم ليخزى الأقوياء..) (رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: ١/٢٧).

(أنظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس، حسب أركان العالم، وليس حسب المسيح) (رسالة بولس إلى أهل كولوسى: ٢/٨).

لذلك.. أصبحت أعمال الفلاسفة والعلماء باطلة، وأصبح المثل الشائع فى طول العالم المسيحى وعرضه أن الجهالة أم التقوى ورأس العبادة، وبناء عليه، لم يعد غريبا أن يمعن رجال الكنيسة فى القضاء على كل مظاهر العلم القديم والفلسفة، وأن يغالوا فى اضطهادهم للعلماء والفلاسفة، وبدا عصر عجيب انهارت فيه كل أسس الحضارة القديمة التى بذل فى وضعها قدماء المصريين والبابليين واليونان آلافا من السنين.

وأصر قواد الفكر الجديد على أن كل شئ فيما عدا خلاص النفوس حمق وقلة عقل وسخافة، واعتبروا أن كل علم دنيوى أمر لا طائل من ورائه ولا نفع فيه، بل إنهم اعتبروا أن العلم خطر.

وبدأت الكنيسة بعدها بعملية تخريب هذا العلم القديم، الذى سموه آنذاك بالعلم الوثنى، وثارت فى طول العالم المسيحى وبعرضه موجة عارمة محمومة من الاضطهاد والبطش ضد العلماء وكلامهم الباطل الدنس، وكما قال أحد القديسين: هُدِمَ معبد القيصر الذى

بالإسكندرية، وأحرقت مكتبته فى سنة ٣٦٦م، وهدم معبد السرابيوم، وأحرقت مكتبته فى سنة ٣٩١م.

وفى سنة ٤١٥م انقض جماعة من الرهبان على العالمة الجليلة (هيباشيا)، ابنة الفلكى (ثيون)، وآخر أستاذة للطب والرياضيات بجامعة الإسكندرية وجردوها من ثيابها، وقادوها مكشوفة العورة إلى كنيسة فى الإسكندرية بتحريض من كيرلس بطريق الإسكندرية، الذى كان يغار من شعبيتها، والذى أراد أن يضع حدا للعلم الوثنى فى مدينته (حضارة الإسلام، جلال مظهر، ص ١٦٦).

(وظلت موجات الاضطهاد ضد العلم والعلماء تتكرر، حتى شهدت أرض أوربا فى القرن السادس آخر فلاسفتها بوثيوس (٤٨٠-٥٢٤م) وهو يعدم بتهمة المروق من الدين والهرطقة، وكان كل اضطهاد من هذا القبيل يبعد عن دنيا المسيحية عددا من أحسن الرجال الذين كانوا يقتلون أو يفرون إلى الشرق (إلى فارس)، ليحل محلهم على رأس المجتمع، أجهل الرجال، وأسوأ المثل)(المرجع السابق).

ونظرت الكنيسة منذ عصورها الأولى إلى علم الفلك باعتباره من العلوم البائرة عديمة الجدوى، ذلك أنه جاء فى الكتاب (المقدس) أن الأرض سوف لا تلبث أن تهلك وتزول، وأن الله سوف يخلق سماوات جديدة، وأرضا جديدة: (لأنى هأنذا خالق سماوات جديدة وأرضا جديدة، فلا تذكر الأولى، ولا تخطر على بال) (سفر أشعياء: ٦٥/١٧).

ولقد عبر القديس أوجسطين أسقف هيبون بإفريقيا عن هذا الشعور بقوله: (ماذا يعنينى أن تكون السماء كرة تضم الأرض فى وسط الكون، أو أن تكون منسدلة عليها من كل جانب).

وتمسكت الكنيسة فترة طويلة، وبناء على نصوص الكتاب (المقدس) بالفكرة القائلة

بأن قبة صلبة- أو سماء- تمتد فوق الأرض، وأن الأجرام السماوية ما هى إلا أنوار علقت فيها، وأعلن القديس فيلاسطريوس فى مبحثه الشهير، الذى ألفه فى ضروب الهرطقة: (بأن إنكار القول بأن الله يحضر النجوم من خزانته ويعلقها فى السماء كل ليلة هرطقة، وأن أى رأى يخالف هذا الرأى باطل فى نظر المعتقد الكاثوليكى).. ونتيجة لجهود عدد من رجال اللاهوت، تكون نظام فلكى دينى مقدس، قاوم كل فكر فلكى علمى صحيح، ولا تخفى علينا المآسى التى تعرض لها عدد من علماء الفلك طوال قرون عدة.

وهكذا.. فإن النظرية الكنسية القائلة بأن كل مساعى الإنسان باطلة أعاقت الفكر العلمى، وشلت المحاولات العلمية قرونا طويلة، ظلت سائرة حتى أواخر القرن التاسع عشر، (ففى النصف الثانى من القرن الثامن عشر، وعلى التحديد فى سنة ١٧٧٢م، ألقى اللاهوتى الإنجليزى (إدوارد ماسى) عظة عنوانها: (مزاولة التطعيم ضد الجدرى خطيرة وآثمة)، أكد فيها أن الشيطان هو بلا شك الذى يصيبنا بالأمراض، وأن العناية الإلهية ترسل الأمراض عقابا على الخطايا.

وفى سنة ١٧٨٥م رفض الكاثوليك فى مدينة مونتريال- فى كندا- أن يحصنوا أنفسهم ضد الجدرى، وهددوا السلطات إن أرغمتهم على ذلك بحمل السلاح وإراقة الدماء (حضارة الإسلام، جلال مظهر، ص ٥٤٠).

ومن أعجب الأشياء أن نعلم أن ضرب الممسوس بالسياط لإخراج الشيطان من جسده، كان من أقل العقوبات عنفا وفظاعة، وربما يكون أكثرها شيوعا، ولقد راقت هذه الطريقة المثيرة للعجب لرجل حكيم عاقل، مفكر رحيم، هو السير توماس مور فى القرن السادس عشر، فأمر بأن يجلد المجانين علنا.

وشكسبير جعل إحدى شخصيات رواياته يشير إلى الجنون باعتبار أن المجنون يستحق (مترلا معتما وسوطا).

ليس هذا فقط، بل إنهم كانوا يعتقدون أيضا أن الشياطين تدخل أجسام الحيوانات، ومن ثم كانت هذه الحيوانات التى تصوروا أن الشياطين دخلتها ترقى وتحاكم وتضرب، ويحكم عليها وتعدم، ولا غرابة أنه فى سنة ١٧٣١م وضعت مادة فى لائحة المجلس البلدى لمدينة (ثوبون) تقول: تقرر أن تنضم هذه المدينة مع غيرها من مدن المقاطعة فى الحصول على حرم كنسى من روما ضد الحشرات، وإنما سوف تدفع حصتها فى تكاليف استصدار هذا القرار(المرجع السابق، ص ٥٤٢).

وفى تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٨٧٨م، أصدرت الهيئة الدينية المشرفة على جامعة (فاندربلت) الأمريكية، وتحت تأثير مثل هذه الأفكار بيانا يتعلق برأيها فى العلم غير المقرر شرعا، جاء فيه: (هذا عصر جرد فيه العلم نفسه من الثياب التى تزين الإنسانية وتبجلها، وأصبح يمشى فى العراء فى عرى مخز، إن الادعاءات الوقحة المتسمة بالعجرفة والغطرسة التى يدعيها هذا (العلم الكاذب الاسم)، كانت شديدة الوطأة، مثابرة على المضى فى سبيلها، حتى لقد ضل للأسف المجموع الأكبر من الطبقة المفكرة، غير أن جامعتنا وحدها تملك الشجاعة الكافية لتضع قبضتها الناشئة، ولكن القوية النشطة، على خناق هذه التأملات الهوجاء، وتقول: إننا سوف نقضى على هذا) (المرجع السابق، ص٥٤٤، ٥٤٥).

والحديث عن محاربة الكنيسة للعلم والعلماء يطول، ويكفينا قول لكتانشيوس: (إنى لفى حيرة من أمر هؤلاء الذين إذا أخطأوا مرة، استمروا فى غيهم مدافعين عن الباطل بباطل آخر).

آراء المنصفين

إن الحقيقة العلمية اختفت تماما تحت وطأة هذا الضغط اللاهوتى قرونا من الزمان، حتى بدأ تأثير الحضارة الإسلامية يؤتى ثماره نتيجة اطلاع الأوربيين عليها فى صقلية والأندلس وجنوبى إيطالية، عندئذ بدأت قبضة هذا الأسلوب تضعف شيئا بعد شئ، وأذعن كبار رجال الكنيسة بعض الشيء للاتجاهات العلمية تحت التأثيرات الإسلامية.

١- يقول (نيكلسون): (لقد صحب هذا التوسع- الفتوحات الإسلامية- نشاط فكرى لا عهد للشرق بمثله من قبل، حتى لقد لاح أن الناس فى العالم- الإسلامى- كله ابتداء من الخليفة، إلى أقل المواطنين، قد أصبحوا طلابا للعلم، أو على الأقل من مناصريه، وكان الناس طلبا للعلم يسافرون عبر قارات ثلاث، ثم يعودون إلى ديارهم وكأنهم نحل تشبع بالعسل، ليفضوا بما جمعوا من محصول علمى ثمين إلى حشود من التلاميذ المتشوقين للعلم، وليؤلفوا بهمة عظيمة تلك الأعمال التى اتصفت بالدقة وسعة الأفق، والتى استمد منها العلم الحديث- بكل ما تحمل هذه العبارة من معان- مقوماته بصورة أكثر فاعلية مما نفترض) (أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، د. شوقى أبو خليل، ص ١١٦).

٢- ومن الظواهر العجيبة التى تحار فيها الأفهام بادئ الرأى، ما هو مشاهد من فشل البعثات التبشيرية حتى فى أوساط الجهلاء، وما هو مشاهد من انتشار الإسلام فى أوساط العلماء خاصة، (ولكنى أدلك على أحد الأسباب التى تميط اللثام على هذا اللغز، ذلك أن القرآن ورسول الإسلام يعتمدان على العقل والمنطق، ويستشهدان بالظواهر الكونية على صحة العقائد التى يناديان بها، وفساد العقائد التى يرفضانها) (المثل الأعلى فى الأنبياء، خواجه أفندى كمال الدين، ترجمة أمين محمود الشريف، دار الفكر بدمشق، ط١، سنة ١٩٨٩، ص ١٨٧).

٣- (الإسلام من أكثر الديانات ملاءمة لاكتشافات العلم) (حضارة العرب، جوستاف لوبون، ص ١٢٦).

٤- (وكان المسلمون فى القرون الوسطى - عندما كانت الكنيسة فى أوربا تحرق العلماء - متفردين فى العلم والفلسفة والفنون، وقد نشروها أينما حلت أقدامهم وتسربت عنهم إلى أوربا، فكانوا سببا لنهضتها وارتقائها) (لويس إميلى سيديو فى كتابه تاريخ العرب طبعة عيسى البابى الحلبى، ط٣ سنة ١٩٦٩م).

٥- (ولا نرى فى التاريخ أمة ذات تأثير بارز كالعرب المسلمين، فجميع الأمم التى كانت ذات صلة بالعرب المسلمين اعتنقت حضارتهم، ولو حينا من الزمن) (حضارة العرب، جوستاف لوبون، ص ٥٨٥).

إسقاط قمىء مفضوح..

١- أنسى الغرب- على سبيل المثال- فضل ابن خلدون فى فلسفة الاجتماع وفلسفة التاريخ، وسبقه لميكيافيلى، وجون لوك، وباتيستافيكو، وفولتير، وهردر، وتارد، وجان جاك روسو، ونيتشه..؟.

٢- أم نسى الشريف الإدريسى، وابن رشد، والرازى، وابن سينا، وابن زهر، وابن النفيس..؟.

٣- أم تراه نسى جابر بن حيان وموسى بن شاكر وأولاده، وعبد الرحمن الخازن، وبديع الزمان الجزرى..؟.

٤- أنسى لوغاريتمات الخوارزمى، وأبحاث إبراهيم الزرقالى التى اقتبس منها كوبرنيكس؟.

٥- أنسى ابن الهيثم رائد علم البصريات بلا منازع، وأبا المنهج العلمى، إذ لولاه لما سمع الناس قط بروجر بيكن الذى لا يكاد يخطو خطوة فى علم البصريات دون أن يشير إلى ابن الهيثم، أو ينقل عنه، حتى قال: والجزء السادس من هذا المؤلف يكاد كله يعتمد على كشوف هذا العالم الطبيعى ابن الهيثم.

٦- أنسيت أوربا هذا، فى الوقت الذى كانت ترسم فيه المصورات لجهنم، وأين تقع تحت سطح الأرض، وتمنع العلماء أن يقولوا بكروية الأرض، وما محاكمة جاليليو عنا بغائبة! فأية عقيدة بحاجة إلى (عقلنة) الإسلام أم مسيحية شاؤول؟ ولكنه.. الإسقاط. (أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين د. شوقى أبو خليل، ص ١٠٧-١١٧).

فضل الإسلام على أوربا وأمريكا

يقول الإمام أبو العزائم عليه السلام فى كتابه (وسائل نيل المجد الإسلامى) ص ١٨٠، ١٨٢:

[لم تنحصر خيرات الإسلام على المسلمين، بل تعدتهم إلى جميع الأمم، وكان أكثر

الناس انتفاعا بعلوم الإسلام، أوربا الحديثة وأمريكا، فـإنهم انتفعـوا بعلـوم الأنـدلس واكتشافاتهم التى أسعدت بنى الإنسان، وبالعلوم التى سلبوها من المكاتـب الإسـلامية فى الحروب الصليبية، وما أخذه نابليون من خزائن الأزهر الشريف، وقد أهمل المسـلمون فى تحصيل تلك العلوم المفيدة، وقضت سياسة الملوك منهم أن يشغلوا العلماء بدرس الأحكام مجردة عن الحكمة، وعن العلوم التى فرضها القرآن من النظر والتدبر والفكـر، وعلـوم الأخلاق، وعلوم النفس، ومعرفة الله تعالى، وعلوم تدبير الفرد والمترل والمدينة، والمجتمـع العام، والعلوم العقلية التى بها فتح كنوز المادة، ومعرفة خواص كل نوع منها، وأنها خزائن للنعم، يفتحها العلم والعمل، وقد فرض الله كل تلك العلوم وأوجبها على كل مسـلم فى القرآن، قال سبحانه: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (سورة يـونس: ١٠١). وقال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ (سورة الملك: ١٥). ﴿وَقُلِ اعْمَلُـوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ (سورة التوبة: ١٠). ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الزمر: ٩).

فكان المسلم المتمسك بالدين يحيط بكل أنواع العلوم، ويعتقد أنه يجهل مـن كمـال ربـه، وقدرته وحكمته بقدر ما يجهل من أى علم من العلوم، وكانوا يولون أهـل العلـم الولايات، فيكون الوالى إماما وقائد الجيش، وطبيبا وعالما بسير الأفلاك وتغيير الفصـول، وقد نظر وال من الولاة مد البحر، وكان يجهل المد والجزر، فقال: هذه تكفينا صيفتنا، ظنا أنه ماء عذب، فبلغ الخليفة فعزله لجهله بتأثير الكواكب على البحر.. لم يبلغ الإنسان مقام الشرف والمجد إلا بالإسلام، وقد ترك المسلمون العمل بوصايا الإسلام فذلوا لمـن كـانوا أتباعا لهم، وترك غيرهم دينهم فعزوا ورقوا فى الأرض لأخذهم بأعمال المسلمين الكونيـة. وإنى على يقين أن تلك الأمم قريبا يظهر لها الحق جليا فتسارع إلى الإسـلام، وكيـف لا؟ والإنسان مفطور على حب الحرية والمساواة، ومجبول أن يحكم على الأشياء بعقله، وكلمـا أظهرت الصناعات والفنون ما كتره الله للخلق فى المادة كلما فكت الأغلال من عنق العقل فحكم أن الدين الإسلامى هو الدين الحق، وأن ما سواه لا يقبله العقل.

ومن حكم أن الدين الإسلامى لا يحث على تحصيل العلوم كذبته الحقائق، والواجب على المسلمين فى هذا العصر بعد أن شهد أعداء الدين بأحقيته، وسارع فيه كثيرون من أمريكا وأوربا، أن يسارعوا إلى الحق والعمل به، ليكونوا أئمة لمن ستنكشف لهم أنوار الإسلام قريبا، بل وليكونوا متمتعين بالحياة الإسلامية الفاضلة، مسارعين إلى نيل السعادة الباقية فى جوار الأخيار ممن عملوا بالإسلام ونشروا فضائله وأصوله بين الأمم، والأمر سهل، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

هذا وما هى العلوم التى عاداها الإسلام؟

هل هى ما حصلته أوربا من العلوم التى جعلتهم يتفننون فى استعباد الخلق وإهراق الدماء، وحرمان الأمم من مرافق الحياة، وسياسة ظاهرها إصلاح وفرح، وباطنها إفساد وترح، مما حكم بوحشيته كثير منهم، وقامت أحزاب تقبح هذا العمل وتثبت أنه نهاية الظلم والطغيان؟ إن كان القائل بمعاداة الإسلام العلم يرى أن الإسلام عدو تلك السياسة فصدق، لأن الإسلام أسس مع الرحمة، فإن لم تتيسر فعلى العدل والإيثار والتعاون على الخير، بعد توحيد الله وشكره على نعماه، والمسارعة إلى تحسين الفضائل النفسانية، ومن ظن أن الإسلام عادى علما من العلوم النافعة، أو فنا من الفنون المفيدة للعامة، أو صناعة تجعل الإنسان يعيش مستريحا، فقد جهل الإسلام، أو كذب على الحقائق، والجاهل إذا حكم فحكمه عائد عليه، والعدو إذا حكم فشره راجع إليه، قال تعالى: ﴿وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر: ٤٣)].

أركان الإسلام أساسها العلم

ويضيف الإمام أبو العزائم ﷺ: القرآن حث على العمل للدنيا والآخرة، وجعل نيل الملكوت متوقفا على العمل فى الدنيا، وجعل العبادات لا تؤدى بوجه كامل إلا بالدنيا، بل أكثر أركان الإسلام لا تقام إلا بالدنيا.

الركن الأول: توحيد الله وتنزيهه سبحانه عن الشريك والنظير والوالد والوالدة

والحلول. واعتقاد أن سيدنا ومولانا محمدا عبد الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه، المبين لطريقه المستقيم، الموصل إليه الدال على كمال توحيده وتنزيهه.

الركن الثانى: الصلاة. وهى العبادة الجسمانية الروحانية ولا تكون كاملة إلا بالمال، لأنه اشترط فيها ستر العورة، واشترط فيها العلم الذى لا يتحصل عليه إلا بالنفقة، وقد جمعت جميع العلوم لأجل أن تقع كاملة: فيجب على المسلم أن يتعلم علوم الفلك ليعلم المواقيت، وعلم تخطيط الأرض من جهة القبلة، وعلوم النفس لتكون كاملة، وعلم الطب ليعلم الطهارة والنجاسة والقوة التى تجب عليه فيها قائما أو قاعدا أو مضطجعا. وعلوم الأخلاق ليحسن اجتماعه بإخوانه. وعلوم الهندسة ليبنى المسجد ويوقع محرابه على جهة القبلة.. والقراءة والكتابة ليحفظ من القرآن ما لا تصح الصلاة إلا به. وفنون الغزل والنسج لعمل ما يستر به عورته، ويلزم على ذلك فنون الزراعة.

الركن الثالث: الزكاة. وهى توجب على كل مسلم أن يتعلم فنون التجارة والصناعة ويتقن العمل ليكتسب المال. ويتعلم علوم البيوع ليكون كسبه من حلال. ويتعلم الحساب الذى يحسن به إخراج الزكاة. ويتعلم طبقات الناس ليضع الزكاة فى مواضعها. ويتعلم فنون شروق الأهلة حتى يخرج الزكاة فى أوقاتها الشرعية.

الركن الرابع: الصيام. ولا يكون كاملا إلا إذا علم دورة الأرض اليومية التى يتبين منها الفجر الصادق والغروب الصادق. ويعلم مقادير المسافات الأرضية حتى يفطر فى السفر الشرعى. ويعلم حقيقة الرحمة عملا بالفقراء والمساكين. ويعلم القدر الذى لا يضر من الجوع والعطش، حتى إذا بلغ ما يضر أفطر.

الركن الخامس: الحج. وهو ركن مالى بدنى روحانى لا يقوم به إلا من عمل فى الدنيا، حتى جمع ما لابد له منه من وجه حلال، ولا يقوم به إلا من علم أخلاق الأمم وعوائدهم بدرس علوم التاريخ. وعلم ما يضر وينفع من الأطعمة والأشربة مما هو متعود عليه وهو علم الكيمياء، وعلم ما يضر وعلم أماكن الأمن والخوف وأوقات هبوب الرياح، ليسرع

فى مكان ويبطئ فى مكان ويسير فى وقت ويقف فى آخر، وهو العلم بالآثار الجوية.

وفى تلك الأركان من العلوم التى يكتسبها القائم بها من مكاشفه: آيات ومشاهدة أسرار ورياضة روحانية بدنية، وتبادل أفكار واكتساب علوم ومعرفة رجال، واطلاع على غرائب القدرة فى بر وبحر، وأنواع الحكمة من أنواع الناس ما لا يخفى.

فهذه هى أركان الإسلام! فما هى أركان النصرانية ؟.

والأولى بعد هذا البيان أن نعمل بوصايا الإسلام ونصائحه عملا بالحق، فإن الإنسان لا رغبة له إلا فى الخير لنفسه، ولا قصد له إلا سعادة نفسه، ومتى ظهر الخير له أقبل عليه إن كان عاقلا وترك ما كان عليه رغبة فى سعادة نفسه وخيرها. وإن كان جاهلا أحمق تمسك بما كان عليه ولو كان فيه هلاك نفسه. كأنواع البعوض من الطيور التى لا تكتفى بضوء النار، ولكن يقودها الطمع حتى تقتحم جمرها فتحترق، ولو وضعت سراجا فى الليل فى وسط زراعة لوجدت حواليه تراب تلك الأجسام التى سعت فى هلاك نفسها لجهلها وضلالتها (وسائل إظهار الحق، للإمام أبى العزائم عليه السلام، ص ١٠٩-١١١).

رابعا: الإسلام والمرأة

يعترف فولتير المؤلف الفرنسى بالتالى: لقد نسبنا إلى القرآن الكريم كثيراً من الأباطيل، ولكنه فى الحقيقة براء منها، فالقسس صنفوا كتبا كثيرة فى ذم المسلمين، وكتب كتابنا -وهم لا يحصرهم العد- مؤلفات واسعة، استطاعوا بها أن يجعلوا النساء من حزبهم، ذلك بأنهم نقلوا إليهن بأن محمداً يعتبرهن حيوانات ذات ذكاء، وأن الشريعة الإسلامية لا تراهن إلا إماء لا يملكن من دنياهن شيئا، ولاحظ لهن فى الحياة الآخرة (الهلال والصليب، خليل خالد أفندى ص ٨٩).

ويقرر فولتير: وبديهى إن هذا الكلام باطل، ومع ذلك فقد كان النـــاس يصـــدقونه، ويقول: (إن الذين عزوا إلى القرآن أنه يخفض من مقام المرأة، إنما يعزون إليه ذلــك بهتانــا وكذبا) (المرجع السابق، ص ٩٠).

ومن الذين عزوا– زورا وبهتانا– إلى الإسلام (إسقاطا) ما ليس منه، اللورد (كرومــر) الذى قال: (إن لفشل الإسلام كنظام اجتماعى أسبابا، منها أنه جعل المرأة فى مركز منحط كثيرا عن الرجل) (الإسلام روح المدنية، ص ٢٥٧).

والسير (وليم مور) فى كتابه (حياة محمد)، عندما ادعى أن المســلمين يجهلــون معــنى الارتباط الزوجى جهلا كبيرا (الهلال والصليب، ص ١١٨)، وحال المسلمين ترتقى عندما يتبعون سنة النصارى فى مجال الرابطة الزوجية!!.

ويكرر رجال الكهنوت فى مواعظهم ونشراتهم قولهم: (إن الكنيسة دون سواها، هــى التى حررت ورعت حقوق المرأة).

إسقاط، ودعوى باطلة بطلان ما يتهمون به القرآن الكريم، من أنه يحط من منزلة المرأة.

ونحن هنا لسنا فى صدد إيراد بحث شامل عن مكانة المرأة وحقوقها فى الإسلام، ومــن أراد المزيد فعليه بكتابنا (مؤتمرات المرأة بين الجهالة والعمالة)، فالموضوع موضوع (إسقاط) ليس غير، لكننا مضطرون إلى إيراد ومضات من القرآن الكريم تلقى شعاعا مــن الحقيقــة على جوانب مكانة المرأة فى الإسلام.

جاء فى كتاب الله المجيد:

١– ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّــوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).

٢- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (النساء: ١).

٣- ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ* وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ٧١-٧٢).

٤- ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

٥- ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (غافر: ٤٠).

٦- ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾ (النساء: ١٩).

وقال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾:

١- (إنما النساء شقائق الرجال) (رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى).

٢- (إن من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله) (رواه الترمذى والحاكم).

٣- (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى) (رواه ابن عساكر).

٤- (وما أكرم النساء إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم) (رواه ابن عساكر).

٥- ومن آخر ما وصى به ﴿ﷺ وآله﴾، (الله الله فى النساء) (أخرجه النسائى وابن ماجة).

مكانة المرأة عند غير المسلمين

ابتليت المرأة بطريقتين فى التعامل معها، كانتا أساساً لمختلف الشرور والآلام والمظالم

التى شهدها عبر التاريخ.

إحداها: تدور حول اعتبار المرأة شيئاً حقيراً يملكه الرجال ليحققوا لذاتهم الجنسية من خلاله، كما أن المرأة فى ذات الوقت (مصنع) لإنتاج ذرية الرجال لا غير، وهى فى الشق الثانى من التصور (وعاء) لحمل الأجنة فحسب، فكانت تعامل على أنها سلعة تعامل معاملة ما يباع وما يشترى، وإذا أضيفت التصورات الأخرى عن المرأة إلى هذه الصورة من اعتبارها شيطاناً ارتدى لباس إنسان، إلى التصور بأن المرأة أصل المعصية فى الوجود إلى غير ذلك، فإن النتائج الطبيعية لهذه النظرة كانت الإذلال للمرأة واستعبادها وسلب حريتها، وفرض عملية حجبها عن المشاركة فى الحياة العامة مطلقاً.

وثانيتها: اعتبار المرأة (أداة) للجنس والمتعة والكسب المادى، وهذه النظرة إلى المرأة ولدت مع الحضارة الأوربية الحديثة، فإذا كانت قديماً تعامل على أنها سلعة، فحديثا تعامل على أنها متعة، لها كثير من الاحترام الظاهرى فقد يقبل الرجل يديها فى أول الليل ولكنه يعبث بها وبكرامتها وعفتها وفضيلتها، بعد سهرة حمراء أو سوداء كما يقولون.

فالجاهلية الحديثة انطلقت من محور إطلاق العنان لحرية الناس الجنسية بشكل عارم حيث سخرت أجهزة الإعلام- التى يسيطر عليها اليهود- والثقافة، والتعليم، وبعض الفلسفات الداخلية للأحزاب السياسية فى أوربا لتكريس هذه النظرة وتعميقها حتى قطعت أشواطا على طريق إشاعة الفوضى الجنسية مما دمر شخصية المرأة، وحطم الأسر، وأضاع القيم الإنسانية فى تلك المجتمعات.

وكان من ظواهر تلك المأساة تعرى النساء وانطلاقهن باتجاه الشهوات دون حاجز أخلاقى أو قانونى.. بل وزاد الطين بلة استغناء المرأة بالمرأة والرجل بالرجل.

إن كل المظالم والآلام والتدمير لشخصية المرأة عبر التاريخ البشرى إنما جاءت من خلال هذين المنهجين فى التعامل مع المرأة: المنهج الجاهلى القديم (سلعة)، والمنهج الجاهلى

الحديث (متعة).

على أن المرأة لم تحظ عبر تاريخها الطويل برسالة تحفظ لها الكرامة والتوازن والمكانة المرموقة فى الحياة فى غير الإسلام الحنيف، رسالة رب العالمين سبحانه وتعالى. ولنبدأ بشيء من التفصيل.

مكانة المرأة فى الكتاب المقدس

صورة المرأة فى التوراة والإنجيل حقيرة وخسيسة، ومشوهة ودنيئة، وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

١- الرجل سيد المرأة: جاء فى سفر التكوين الإصحاح ٣ الآية ١٦: (وقال للمرأة تكثيرا أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولادا وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك).

٢- تباع وتشترى: جاء فى سفر الخروج الإصحاح ٢١ الآيات ٧-١١: (وإذا باع رجل ابنته أمة لا تخرج كما يخرج العبيد* إن قبحت فى عينى سيدها الذى خطبها لنفسه يدعها تفك وليس له سلطان أن يبيعها لقوم أجانب لغدره بها * وإن خطبها لابنه فبحسب حق البنات يفعل لها * وإن اتخذ لنفسه أخرى لا ينقص طعامها وكسوتها ومعاشرتها* وإن لم يفعل لها هذه الثلاث تخرج مجانا بلا ثمن).

٣- نجسة إذا حاضت أو ولدت: جاء فى سفر اللاويين الإصحاح ١٢ الآيات ١-١٤: أن المرأة إذا ولدت ذكراً تكون نجسة (٧) أيام، وإذا مست شيئا تنجسه لمدة (٣٣) يوما، وإذا ولدت أنثى تكون نجسة (١٤) يوما، ولا تمس أى شيء لمدة (٦٦) يوماً حتى لا تنجسه.

وفى نفس السفر الإصحاح (١٥) الآيات ١٩- ٢٣: إنها إذا مست أى شيء وهى حائض تنجسه.

٤- إذلال الأسيرة: جاء فى سفر التثنية الإصحاح ٢١ الآيات ١٠- ١٤: (إذا

خرجت لمحاربة أعدائك ودفعهم الرب إلهك إلى يدك وسبيت منهم سبياً* ورأيت فى السبى امرأة جميلة الصورة والتصقت بها واتخذتها لك زوجة* فحين تدخلها إلى بيتك تحلق رأسها وتقلم أظفارها* وتنزع ثياب سبيها عنها وتقعد فى بيتك وتبكى أباها وأمها شهراً من الزمان ثم بعد ذلك تدخل عليها وتتزوج بها فتكون لك زوجة* وإن لم تسر بها فأطلقها لنفسها لا تبعها بيعا بفضة ولا تسترقها من أجل أنك قد أذللتها).

٥- الزوجة غير العذراء ترجم أمام الناس: جاء فى سفر التثنية الإصحاح ٢٢ الآيات ٢٠-٢١: (ولكن إن كان هذا الأمر صحيحا ولم توجد عذرة للفتاة* يخرجون الفتاة إلى باب بيت أبيها ويرجمها رجال مدينتها بالحجارة حتى تموت لأنها عملت قباحة فى إسرائيل بزناها فى بيت أبيها. فتنتزع الشر من وسطك).

ملحوظة: الإسلام يخير الزوج بين إمساكها وتسريحها، إذا كانت قد أقرت فى عقد الزواج أنها بكر، أما إذا لم تقر بذلك ولم يبين فى العقد، فلا يجب أن يسأل عن بكارتها.

٦- قطع يد المرأة التى أمسكت عورة ضارب زوجها: جاء فى سفر التثنية الإصحاح ٢٥ الآيات ١١،١٢: (إذا تخاصم رجلان بعضهما بعضا رجل وأخوه وتقدمت امرأة أحدهما لكى تخلص رجلها من يد ضاربه ومدت يدها وأمسكت بعورته* فاقطع يدها ولا تشفق عينك).

٧-حرق البنت وفاء للنذر: جاء فى سفر القضاة الإصحاح ١١ الآيات ٣٠-٤٠: (ونذر يفتاح نذراً للرب قائلاً: إن دفعت بنى عمون ليدى* فالخارج الذى يخرج من أبواب بيتى للقائى عند رجوعى بالسلامة من عند بنى عمون يكون للرب وأصعده محرقة.

.. إلى أن قال: ثم أتى يفتاح إلى المصفاة إلى بيته وإذا ببنته خارجة للقائه بدفوف ورقص وهى وحيدة لم يكن له ابن ولا ابنة غيرها.

إلى أن قال: وكان عند نهاية الشهرين أنها رجعت إلى أبيها ففعل بها نذره الذى نذر وهى لم تعرف رجلاً).

٨- التمتع الجماعى بالمرأة ثم تمزيقها: جاء فى سفر القضاة الإصحاح ١٩ الآيات ٢٥-٢٩: (فأمسك الرجل سريته وأخرجها إليهم خارجاً فعرفوها وتعللوا بها الليل كله إلى الصباح وعند طلوع الفجر أطلقوها* فجاءت المرأة عند إقبال الصباح وسقطت عند باب

بيت الرجل حيث سيدها هناك إلى الضوء* فقام سيدها فى الصباح وفتح أبواب البيت وخرج للذهاب إلى طريقه وإذا بالمرأة سريته ساقطة على باب البيت ويداها على العتبة* فقال لها قومى نذهب فلم يكن مجيب فأخذها على الحمار وقام الرجل وذهب إلى مكانه* ودخل بيته وأخذ السكين وأمسك سريته وقطعها مع عظمها إلى اثنتى عشرة قطعة وأرسلها إلى جميع تخوم إسرائيل).

٩- خضوع المرأة للرجل فى كل شيء: جاء فى رسالة بولس إلى أهل أفسس الإصحاح ٥ الآيات ٢٢- ٢٤: (أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب * لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضا رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد * لكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن فى كل شيء).

١٠- المرأة سبب إغواء الرجل فيجب ألا ترفع صوتها أمامه: جاء فى رسالة بولس إلى تيموثاوس الإصحاح الثانى الآيات ١٢- ١٤: (ولكن لست آذن للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل بل تكون فى سكوت * لأن آدم جبل أولاً قبل حواء* وآدم لم يغو لكن المرأة أغويت فحصلت فى التعدى).

الإسقاط فى موضوع المرأة:

أولا: جاء فى العهد القديم: (درت أنا وقلبى لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلا، ولأعرف الشر أنه جهالة والحماقة أنها جنون* فوجدت أمر من الموت المرأة التى هى شباك وقلبها أشراك ويداها قيود، الصالح قدام الله ينجو منها..) (سفر الجامعة، الإصحاح ٧، الآيات ٢٥، ٢٦).

وكبلت النصرانية المرأة فى أغلال الرق، وقالت عنها:

أما تعلمن أن كل واحدة منكن حواء؟ أنتن باب الشيطان، أنتن الآكلات من الشجرة.

إن المرأة هى مطية الشيطان، والعقرب الذى لا يتردد قط عن لدغ أى إنسان، وهى

الأفعى التى تنفث السم الزعاف، وهى اللعاب الذى يسيل من فم الأفعوان..

يقول خواجه كمال الدين معلقا فى كتاب (المثل الأعلى للأنبياء) ص ١٦٣،١٦٢: هذه بعض البركات التى فاضت على المرأة من رجال لهم شأن كبير فى الكنيسة، كالقديس برنار، والقديس أنتونى، والقديس جيروم، والقديس سبريان، والقديس بولس الذى يعد فى نظرى أبا عذر هذا القول، ولعل السبب فى حقده على المرأة أنه خطب فتاة يهودية، فأبت أن تتزوجه، وكانت هذه الفتاة بنت الكاهن الأكبر.

قال القديس (جون كريسوستم) فى كتابه القديس بولس: (ماذا تقولين أيتها المرأة؟ إنك قد أصبحت لا تملكين لذاتك بدنا، فهل يبقى لك مال تملكينه) (الهلال والصليب، ص ٩٤).

مكانة المرأة فى الإسلام

إن الإسلام قد أتى بمبدأ لم يسبق إليه، ولعله إلى الآن لم يلحق به، وهو ما يتعلق بالمرأة، لأن المرأة فى الإسلام نالت حقوقا لم تنلها فى الشرائع السابقة على الإسلام، خصوصا الشرائع غير الدينية، وما نالته من هذه الحقوق لم تصل المرأة الأوربية إلى الكثير منها حتى الآن.

ونلخص ذلك فيما يلى:

(أ) كانت المرأة هملا فى بيت الزوجية، ولم تكن لها أية شخصية قبل الزواج، فكان أبوها أو وليها لا إرادة لها بجوار إرادته، وإذا تزوجت انتقلت السلطة المطلقة من الولى إلى الزوج، فجاء الإسلام وجعل لها من الحقوق مثل ما عليها من واجبات، وكانت قبلا عليها واجبات وليس لها حقوق، كما كان الأمر بالنسبة للرقيق عند الرومان والفرس، فجاء القرآن وقرر تلك القضية العادلة التى تربط بين الحق والواجب برباط وثيق، لأنه يتفق مع البديهة العقلية فقال تعالى: ﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله

عزيز حكيم﴾ (البقرة: ٢٢٨).

(ب) ولم تكن المرأة ذات ولاية على نفسها مادامت لم تتزوج، فإذا تزوجت كانت الولاية عليها لزوجها، ولم تكن لها شخصية منفردة عن شخصية زوجها، فجاء الإسلام وقرر أن للمرأة ولاية على نفسها، وإذا كان للولى شأن فى زواجها فليس له أن يجبرها، وإنما الأمر إليها أولاً وبالذات، ولذلك قال ﴿ﷺ وآله﴾: (الأيم أحق بنفسها من وليها)، وصلته بها صلة أدبية لصيانتها ومنعها من السقوط ومعاونتها فى اختيار الزوج، وإن اختارت الكفء ولم يرض هو لا يلتفت لاعتراضه ويزوجها القاضى، وبعد الزواج ليس للزوج ولاية عليها إلا بمقدار ما يتضمنه عقد المرأة من حقوق بين الزوجين.

(جـ) والمرأة إذا كانت بالغة عاقلة رشيدة لها الولاية الكاملة على مالها من غير تدخل من قبل أبيها أو غيره من قرابتها، وإذا تزوجت كانت ذمتها المالية منفصلة عن ذمة زوجها، فلها أموالها وله أمواله، كل يدبر ماله من غير تدخل من الآخر، لها أن تتبرع من مالها بما تشاء كما يتبرع الرجل، وما يكون من قيود للرجال فى تصرفاتها تكون لها أيضا فى تصرفاتهم هذه القيود، وفى الجملة المرأة والرجل على سواء بالنسبة لإدارة كل واحد منهما ماله، ولا يكون للزوج أية قدرة على التصرف فى مال زوجته إلا بتوكيل حر يكون لها الاختيار الكامل والرضا التام فيه، ويكون مبناه الثقة بلا ريب، وإن أساء الإدارة كان لها عزله فى أى وقت تريد، وعقد الزواج فى الشريعة الإسلامية لا يقتضى ولاية مالية، ولا شركة فى المال، ولا وكالة إجبارية.

والإسلام شرع للمرأة الوصية والإرث كالرجال، وزادهن ما فرض لهن على الرجال من مهر الزوجية والنفقة على المرأة وأولادها وإن كانت غنية، وأعطاها حق البيع والشراء والإجارة والهبة والصدقة وغير ذلك، ويتبع ذلك حقوق الدفاع عن مالها كالدفاع عن نفسها بالتقاضى وغيره من الأعمال المشروعة.. وازن بين هذا وبين القوانين الأوربية فيما يتعلق بالزواج والتى ذكرناها فى كتابنا (مؤتمرات المرأة) !!.

(د) والمرأة كانت فى نظر النظم القديمة كالشيطان، ينظر إليها على أنها شئ مقيت، حتى إنه ورد فى بعض عبارات التوراة (سفر الجامعة) تلك الكلمة (المرأة أَمَرُّ من الموت). فلما

جاء الإسلام أكرمها وبالغ فى إكرامها بمقدار مبالغة العرب والرومان والفرس والهندوس فى مقتها، كانت المتزوجة تورث من ابن زوجها، له هو أن يتزوجها أو يزوجها من غـيره إن شاء، فلما جاء الإسلام منع ذلك منعا باتا، وسماه المسلمون تبعا للقرآن نكاح المقت، فقـد قال تعالى: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا﴾ (النساء:٢٢). وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها﴾ (النساء:١٩).

والإسلام اعتبر المرأة الصالحة كنزا من كنوز الدنيا هو السعادة كلها، فقـد قال ﴿ ﷺ وآله﴾: (ألا إن خير ما يكتز المرء المرأة الصالحة: إذا نظر إليها سـرته، وإن غـاب عنـها حفظته، وإذا أمرها أطاعته). كان يوصى ﴿ ﷺ وآله﴾ بالنساء دائما، ويعتبر من أعظـم الفضائل الإنسانية معاملة الرجل لامرأته معاملة حسنة ويقول ﴿ ﷺ وآلـه﴾: (خيركـم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى) (رواه ابن عساكر).

ولنترك الكلمة لكاتب أوربى هو (جوستاف لوبون)، فهو يقول: (تعامل المرأة المسـلمة باحترام عظيم)، وينقل فى ذلك عن (مسيو دى أمسيس) الذى لم يكـن مناصـراً لمبـادئ الإسلام فى أقواله: (إن المرأة فى الشرق تعامل بنبل وكرم على العموم، فلا أحد يستطيع أن يرفع يده عليها فى الطريق، ولا يجرؤ جندى أن يسئ إلى أشد نساء الشعب بـذاءة لسـان حتى فى أثناء الشغب، وفى الشرق يشمل البعل زوجته بعين رعايتـه، وفى الشـرق بلـغ الاهتمام بالأم درجة العبادة، وفى الشرق لا تجد رجلا يقدم على الاستفادة مـن كسـب زوجته، والزوج هو الذى يدفع المهر، وإذا طلقت الزوجة فى الشرق أو هجرت أعطاهـا الرجل نفقة لتعيش عن سعة، وإن حمل الزوج بعد الفراق على القيام بهذا الإنفاق يمنعه من إساءة معاملتها حذر مطالبته بالفراق) [حضارة العرب لجوستاف لوبون– ترجمة الأسـتاذ عادل زعيتر].

وما نقلنا هذا الكلام لنتخذ منه حجة، لأن الحقائق الإسلامية براهين قوتها مستمدة من

ذاتها لا من أمر خارج عنها، ولكننا نقدمها لأعداء الإسلام، لأنهم لا يعتمدون على المنطق المجرد، ولكن يعتمدون على التقليد فقط، ولو كان التقليد عن غير بينة .

ولعل أبلغ كلام سيق فى تقدير المرأة فى الإسلام، ما روى منسوبا إلى الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ أنه قال: (الجنة تحت أقدام الأمهات)، وقد استرعت هذه الكلمة الكتاب المنصفين من الغرب فعلقوا على معناها تعليقاً يدل على تمجيدها.

(هـ) أما عن إنصاف المرأة فى الإسلام فى قضايا: الميراث، والطلاق، والخلع، وقوامة الرجال، وتعدد الزوجات، وعمل المرأة و غيرها، فقد تحدثنا عنها باستفاضة كاملة فى كتابنا: (مؤتمرات المرأة بين الجهالة والعمالة). فليرجع إليها من شاء.

المرأة فى الإسلام.. مودة، ورحمة، وسكن، ولباس الطمأنينة والهناءة، وحصن الفضيلة، ومنار العفاف.. وليست مصدرا للشر والآثام مطلقا.

وهى فى المسيحية.. باب الشيطان، والأفعى، والعقرب، واللعاب الذى يسيل من فم الأفعوان.. ومصدر الشرور والآثام.

فمن ظلمها؟!! ومن عدوها؟!!.

إنه الإسقاط بكل معانيه النفسية والواقعية.

خامساً: الإسلام دين للعرب

يدعى (مور **Muir**) أن فكرة عموم الرسالة الإسلامية جاءت فيما بعد، وإن هذه الفكرة على الرغم من كثرة الآيات والأحاديث التى تؤيدها، لم يفكر فيها سيدنا محمد

نفسه، وعلى فرض أنه فكر فيها، فقد كان تفكيره تفكيرا غامضا، فإن عالمه الــذى كــان يفكر فيه إنما كان بلاد العرب، كما أن هذا الدين الجديد لم يهيأ إلا لها، وأن سيدنا محمداً لم يوجه منذ بعث إلى أن انتقل إلا للعرب دون غيرهم، وهكذا نرى أن نواة عالمية الإسلام قد غرست، ولكنها إذا كانت قد اختمرت ونمت بعد ذلك، فإنما يرجع هــذا إلى الظــروف والأحوال أكثر منه إلى الخطط والمناهج.(**Muir. The caliphate, p.34-44**).

وأوضح (جاك س. ريسلر) فى كتابه (الحضارة العربية): أن الإسلام للعرب فقط (ترجمة غنيم عبدون، نشر الدار المصرية، ص٢٧).

ويقول (جيتانى **Caetani**): (ولم يتخط محمد بفكره حدود الجزيرة العربية ليدعو أمم العالم فى ذلك الوقت إلى هذا الدين).

(وليس من الميسور أن نقرر، على وجه الدقة، ما إذا كان النبى نفسه قد استشعر أنــه مدعو لمثل هذه الرسالة العالمية) (تاريخ الشعوب الإسلامية، كــارل بروكلمــان، ص٧٠، ٧١).

فالإسلام فى رأيهم (دين للعرب فقط)، وليس لغيرهم، وفكرة عالمية الإســلام فكــرة لاحقة، وبهذا الرأى وقعوا عن قصد وعلم بالإسقاط. وهذا بيان ذلك..

عالمية الإسلام

الإسلام دين عالمى، بعكس الرسالات السابقة التى كانت ترتبط بقوم الرسول وبزمنه، وقد وضحنا ذلك عند حديثنا فى الباب الثالث عن عالمية الإسلام، والآيات القرآنية المكية تؤكد ذلك، فيقول سبحانه:﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نــذيرا﴾ (الفرقان:١)، ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ (سبأ: ٢٨)، ﴿وما أرســلناك

إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، ﴿قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا﴾ (الأعراف: ١٨٥)، ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب﴾ (إبراهيم: ٥٢)، ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين﴾ (الأنعام: ٩٠)، ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين* ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ (ص: ٨٨،٨٧).

وابتداء من العام السادس حتى انتقال الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ إلى الرفيق الأعلى قام ﴿ﷺ وآله﴾ بتوجيه الرسائل إلى مختلف شعوب ودول العالم المعروفة فى ذلك الزمان، يدعو الجميع إلى الإسلام، فقد بعث برسائل ومبعوثين إلى نجاشى الحبشة، وإلى هوزة بن على الحنفى أمير اليمامة، وإلى صاحب البحرين، وإلى كسرى بلاد الفرس، وإلى قيصر الروم، وإلى المقوقس كبير مصر، وقد أحصى المؤرخون للرسول ﴿ﷺ وآله﴾ أكثر من ثلاثمائة رسالة وجهها إلى الحكام والملوك والأباطرة والأمراء المعروفين فى العالم آنذاك. (د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ط١٩٧٣).

وتنبأ ﴿ﷺ وآله﴾ عند هجرته إلى المدينة، وهو فى أشد ساعات الحرج والخطر، بأن سراقة بن مالك سيلبس سوارى كسرى ونطاقه، عندما قال له: كيف بك يا سراقة إذا سورت بسوارى كسرى؟ قال سراقة: كسرى بن هرمز؟ قال ﴿ﷺ وآله﴾: نعم. (الكامل فى التاريخ، ٧٤/٢. والبداية والنهاية لابن كثير، ١٨٥/٣).

وتنبأ ﴿ﷺ وآله﴾ لأم حرام الرميصاء بنت ملحان، زوجة عبادة بن الصامت، أنها ستركب البحر عندما نام فى بيتها، ثم استيقظ يضحك، فقالت: ما أضحكك يا رسول الله؟ فقال: (ناس من أمتى عرضوا على يركبون ثبج هذا البحر، مثل الملوك على الأسرة)، قالت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم، قال ﴿ﷺ وآله﴾: (أنت معهم).

ثم نام فاستيقظ وهو يضحك، فقال مثل ذلك، فقالت: ادع الله أن يجعلنى منهم، قال ﴿ﷺ وآله﴾: (أنت من الأولين). فكانت أم حرام فى فتح قبرص، وماتت بها، وكانت الثانية

عبارة عن غزو القسطنطينية (البداية والنهاية لابن كثير، ١٥٣/٧).

وجاء فى وصية النبى ﴿ﷺ وآله﴾ لصحابته بأن يستوصوا بأهل مصر خيراً عندما قال: (إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر، فاستوصوا بقبطها خيرا، فإن لهم فيكم صهرا وذمة) (الطبرى:٢٢٨/٤).

ومن أحاديثه ﴿ﷺ وآله﴾: (إنى بعثت رحمة وكافة، فأدوا عنى يرحمكم الله) (الطبرى:٦٤٥/٢).

وقال لرسولى باذان عامل اليمن من قبل كسرى : (إن دينى وسلطانى سيبلغ ما بلغ ملك كسرى) (الكامل فى التاريخ: ١٤٦/٢)

فهل يطلبون تصريحا أبلغ من هذا؟!.

خصوصية المسيحية

أرسل يسوع المسيح إلى بنى إسرائيل فقط، كما جاء فى إنجيل متى على لسان يسوع: (لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة) (متى: ٢٤/١٥).

وجاء فيه أيضا: (هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا: إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة) (متى: ٥/١٠ و٦).

وجاء فى (ينابيع المسيحية): لم يكن الدين غير القومى معروفا لدى عيسى، وكان كل عمله خاصا ببنى إسرائيل، وظل عمله بينهم كل زمن حياته، إلا أننا قرأنا ما يناقض ذلك فى إنجيل مرقس، حيث روى أنه قد قال لتلاميذه الأحد عشر، عندما جلسوا إلى اللحم: (اذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها) (مرقس: ١٥/١٦)، وأنبئنا أن ذلك

حصل بعد قيامه من الموت، لأنه قبل وفاته لم يفكر إلا فى عشيرته فقط، وقد منحهم أيضا القدرة على إتيان المعجزات: (يخرجون الشياطين باسمى، ويتكلمون بألسنة جديدة، يحملون حياة وإن شربوا شيئا مميتا لا يضرهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون) (مرقس: ١٦/١٨).

وترى إرساليات التبشير المسيحية، أن الآيات الإنجيلية الماضية تخولهم حقا يبرر استمرارهم فى تبشيرهم فى سائر الجهات، إلا أنه يظهر أن هؤلاء المرسلين الحديثين لا يستطيعون إحداث المعجزات التى يجب أن يحدثها من يرسل لنشر الدين المسيحى، ولعل السبب فى عدم قدرهم على إحداث هذه المعجزات راجع إلى قول عيسى فى الإنجيل: (وهذه الآيات تتبع المؤمنين) (مرقس: ١٦/١٧). فمن المؤكد أن مركزهم والحالة هذه ليست مما يشتهى أو يرغب فيه، إذ كيف يمكن لقوم أن ينشروا الإيمان وهم ليسوا بمؤمنين؟(ينابيع المسيحية خواجه أفندى كمال الدين، ص١٦٦).

إن الإحدى عشرة آية الختامية لإنجيل مرقس التى أخبرت عن قيام المسيح بعد الموت، والمرسلين ومعجزاهم، والحكم المتوقع على غير المسيحيين، ذلك الحكم غير اللائق وغير الخليق بنفس وديعة، كنفس سيدنا عيسى، قد برهن على أنها حشو وإضافة مزيفة، وليس لها وجود فى الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس، ولا فى الأصول اليونانية القديمة.

إن ناقلى الكتاب المقدس إلى اللغة الإنجليزية الأول فى عهد جيمس الأول (ملك اسكتلندا)، وجدوه كذلك، وأشاروا إلى ذلك فى الهامش بملاحظة عن تلك الإحدى عشرة آية التى لم تكن موجودة فى الأصل اللاتينى، وتعلم ذلك جمعية الكتاب المقدس البريطانية علم اليقين، ومع ذلك فهم لا يهتمون بحذفها من كتابهم المقدس، ولا يجدون هناك حاجة لأن يضعوا ملاحظة على الهامش كما فعل المترجمون الإنجليز الأول، إن تركهم للناس يتخبطون فى الظلام من هذه الوجهة، موضوع يجب عليهم أن يعتبروه ويمنحوه عنايتهم، ولو لخدمة الحقيقة وأداء الأمانة فقط ؟(ينابيع المسيحية: ص ١٦٧-١٦٨).

والجزء اللغزى فى هذا الإسقاط: ما أضيف إلى تعاليم يسوع فيما بعد، وما (حشيت) الأناجيل به على مر العصور، فما جاء فى إنجيل مرقس (١٦/١٥): (اذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها) ليس له وجود فى الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس، ولا فى الأصول اليونانية القديمة، والأصل فى المسيحية: أرسل يسوع إلى خراف بيت إسرائيل الضالة فقط، ومن هنا جاء الإسقاط، فاتهم الإسلام أنه للعرب فقط.

قال تعالى فى محكم التنزيل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣)
فالناس– جميعا– فى نظر الإسلام سواسية كأسنان المشط، ولا فضل لعربى على أعجمى، ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى، وهذه العمومية والمساواة بين الناس جميعا، كانتا من أهم عوامل انتشار الإسلام بين شعوب الأرض.

سادساً: ينكرون الحج ويعتبرونه وثنية

سأترك الإمام أبا العزائم ﷺ ليرد على هذه الفرية كما ورد بكتابه (وسائل إظهار الحق ص (٩٢–١٠٠) حيث يقول: (ولولا أنى أحب الخير لبنى نوعى وأغار عليهم غيرة الأخ للأخ فى الإنسانية، ما اعتنيت بهم ولا التفت إليهم. يظن السوء الإنسان، فيرى الحق باطلا والنور ظلمة والهدى ظلالا. قبل أن أشرح فضيلة الحج العمرانية وخيراته الاجتماعية، أفهمك أيها الإنسان الجاهل بالكتب السماوية المدعى أنك من أهلها.

الحكمة فى إنزال كتب الشرائع السماوية

إن كتب الشرائع السماوية أنزلها الله تعالى لتكميل النفس الروحانية وسعادة الجسم الإنسانى، ولا كمال للنفس إلا بالجسم، ولا سعادة للجسم إلا بالنفس. ولما كان الناموس أنزله الله تعالى لكمال النفس والجسم، كان ولابد أن تكون فيه إشارات نفسانية، ورموز

روحانية، وتصريحات حسية، حتى يتحصل الإنسان على كماله الحقيقى، ويفوز بالسعادتين بصورته هذه وحقيقته هذه. ولما كان الرسل عليهم الصلاة والسلام إنما بعثوا من عند الله تعالى خالق الخلق، وكانت بعثتهم لغرض واحد هو تذكير الخلق بما لله على عباده من الفضل العظيم، والنعمة ليشكروه بالعبادة التى فرضها عليهم، وماله من القوة والقدرة، ليستعينوا به سبحانه فيما لابد لهم منه، وإنه واحد أحد لا شريك له فيقبلوا عليه بكليتهم ملتفتين عمن سواه وما سواه، وكان لابد للإنسان – الذى هو مجموع النفس بأنواعها والجسم المركب من العناصر المختلفة – من توجه روحانى بإخلاص وصدق، إلى عظيم كبير لا تدركه الأبصار ولا تحيزه الأفكار، ولا تمثله الخيالات ولا تحيط به العقول، ولابد للجسم من وجهة تناسبه تحيزا يشعر بها قلبه أنه توجه لها بجسمه إطاعة لأمر ربه، واقتداء بعمل رسله وتعظيما لشعائره. وما قرب تتريه عن المكان والكيف، قرب حب وود وتعظيم وإجلال. هذه هى سنة الله تعالى التى أنزل بها الناموس، وعادته سبحانه وتعالى التى أظهرها لرسله وكلفهم بالعمل بها. لعلك أيها السائل تنكر علىَّ تلك السنة الإلهية، ولكن لا تعجل.

أسرار النواميس الإلهية عند الجاهل أعمال صنمية

ما هو التابوت الذى كان يحمله موسى عند الجهاد وعند الشدائد، وعند الاستغاثة والنجدة، وذاك موسى كليم الله؟ لم يكن إلا صندوقا من الخشب، فيه قطع بالية من سفينة نوح عليه السلام. وماذا قال اليهود فيه وقد أمر الرب كليمه أن يحمله أمامهم وهو كليم الله، ويستنصر به ويستسقى به ويستفتح به، قالوا: إنه أنزل مع آدم من الجنة.

أنا لا أنكر عليهم قولهم ولا أسلمه لهم، فإن الرب الذى أنزل الناموس بمشيئته يقدس ما يتزله من الجنة، وبمشيئته يقدس ما شاء من الأرض من طين أو ماء أو شجر أو مدر. فحمل التابوت هذا عند من لا يعقل أسرار النواميس عمل صنمى، وعند من يعقل النواميس يقول: الرب يحكم على خلقه بما شاء، ويأمرهم بما شاء، ويختبرهم بما شاء. هذا التابوت بعد موسى رفع إلى السماء كما بين فى التوراة خصوصا عندما فشا الزنا والفسوق فى بنى

إسرائيل. ولما قام العمالقة لهلاك شعب إسرائيل بشرهم الرب فى التوراة أن التابوت يترل مع الملائكة. هذه أسرار الناموس وغرائب آياته، تحجب العقل المكسوف نوره عن أن يدرك حقائق الحكمة وغرائب الآيات.

نزل التابوت تحمله الملائكة ما الذى كان فيه؟ كان فيه: نعلا موسى وثيابه وعمامة هارون وعصا موسى. سبحان الله! نعلان لرسول الله يبلغ بهما التعظيم إلى درجة أن يكونا فى التابوت، ويكون هذا التابوت به النصرة وبه الفتح وعود المجد لشعب إسرائيل، وتترل به الملائكة، تلك مرموزات الناموس لا تكشف إلا لمن جاهد نفسه مجاهدة يطهرها به من خبث الضلالة وظلمة الجهالة، ودخان العناد ونار العصبية للآباء، ويخرجها من هوة الطمع فيما يفنى.

انتقل بنا إلى عصا موسى، ما هى عصا موسى؟ غصن من شجرة ربما زرعها كافر، وسقاها كافر، وقطعها من الشجرة كافر، وإذا أراد الله أن يظهر الآية يظهرها كيف شاء، وبما شاء وفيما شاء. كانت تلك العصا عند شعيب ﷺ، ثم أعطيت لموسى، فقدسها الله وبارك فيها حتى صارت كأنها كلمة الله، وصار موسى كليم الله بدونها إنسانا لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعا، فالقادر على أن يجعل العصا كلمة كن فى يد موسى قادر أن يجعل هذا كله بكلمة من موسى وبحركة يده وبأى عصا من العصى، ولكنه سبحانه يقدس ما شاء، ويظهر سره فيما شاء وفيمن شاء. وهذا أيضا رمز من مرموزات الناموس الأعظم.

انتقل بنا إلى الخليل أصل الرسل عليهم الصلاة والسلام، ووالدهم الأوسط ومبدأ الفيض الأقدس. ثبت بالتواتر وبالأثر أنه عليه الصلاة والسلام هو وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، رفعا قواعد البيت ووضعا هذا الحجر بيدهما عليهما السلام وأخبرا أنه كان مع أبيهما آدم أنزله معه من الجنة. فما للإنسان ينحنى رأسه إذا ذكر التابوت ويصدق أن صندوقا من الخشب نزل من الجنة ولا ينكر على موسى الكليم أن يحمله عند الشدائد، ثم إذا سمع أن التابوت نزلت به الملائكة تحمله إلى طالوت عند قتال العمالقة، وأن التابوت

كان فيه نعلا موسى عليه السلام ينحنى تعظيما للتابوت وما فيه، ويعترف أن التابوت باركـــه الله وجعل فيه سر الفتح والنصر، ولا يخطر على قلبه أنه كالصنم لبنى إسرائيل. ومن موســـى عليه السلام فى جانب الخليل عليه السلام فى جانب آثاره العلية وآياته الجلية، وهو عليه السلام عند خروجه من مصر لبنى إسرائيل أمسك عليه مسالك الخروج حتى حمل معه الصندوق الذى بـــه جثـــة يوسف الصديق بن يعقوب عليهما السلام، فهل كانت تلك الجثة صنما لموسى عليه السلام؟ مـــا للإنسان ينسى عيوبه وينظر الحسن فى أخيه قبيحا؟ كان التابوت صندوقا من الخشب فيـــه رضاض من سفينة نوح عليه السلام باركه الرب، حتى أمر كليمه أن يحمله وجعله وجهة للأجسام حتى لا تقع الأعين عليه إلا اطمأنت القلوب، ولا تمسه الأيدى إلا سرت فى القلوب روح يقين وإقدام، ولا يفتح إلا حصل الفتح والنصر وانشرحت الصدور. ســبحان الله، ألأنـــه صندوق خشب داخله نعلان؟ لا. ولكن الرب يبارك فيما شاء ويبارك فيمن يشاء.

فكذلك الكعبة التى هى حجرة بناها الخليل إبراهيم وابنه إسماعيـــل عليهمـــا الصــــلاة والسلام. وهذا الحجر الأسود هو الحجر الذى وضعه إبراهيم وإسماعيل عليهمـــا الصــــلاة والسلام، ورفعا هذا البيت بأمر الرب جلت قدرته، وبشرهم الرب أن هذا البيت مبارك، وبشر إبراهيم بأنه سيكون من ولده إسماعيل أمة مباركة يظهر فيها خير رسول. فكان هذا البيت هو الذى بناه الخليل وابنه، وباركه الرب كما بارك فى التابوت، وبـــارك فى عصـــا موسى، وبارك فى الحجر الذى كانت تتفجر منه الأنهار، وبارك فى الطينة التى خلق منها آدم وأسجد له الملائكة بنص التوراة. وهذا الحجر هو الحجر الذى لمسته يد الخليل ويد ابنـــه، وأخبر أنه نزل مع آدم عليه السلام. وإنى لمصدق أن الرب باركه ولو لم يكن من الجنة فإن الــــرب كما تقدم يبارك فيما شاء وفيمن شاء، والعرش والأرض سواء فى نظر الرب، ولا فرق بين الأرض السفلى والعرش الأعلى بالنسبة للرب، ولكنه سبحانه يرفع ما شاء على ما شـــاء، والرب على عظيم عن القرب المكانى من العرش أو الأرض والعرش، والأرض فى قبضـــته سبحانه، وفى حيطة علمه وفى تدبير قدرته ومشيئته، ولو شاء أن يجعل قطعة من طين الأرض ترتفع حتى تكون فوق العرش لفعل سبحانه، وقد فعل فإن الإنسان من طين وبعض أفراده من الرسل الكرام والصديقين والشهداء يكونون فى جوار الرب يوم القيامة فوق عرشـــه.

فمنزل الناموس سبحانه وتعالى بارك فى هذا البيت وبارك فى هذا الحجر وجعله رمزا من مرموزات الناموس، لا يسعنى أن أكشف تلك الأسرار العلية الغامضة عن العقول المحجوبة بالحظ والهوى، فى مقام أدعو فيه أخى فى النوع إلى نجاته من هاوية العذاب إلا بقدر معلوم.

حكمة الحج وتقبيل الحجر الأسود

هو أن المسلم يقبل الحجر مستحضرا اليد التى وضعته، وكأنه يبايع تلك اليد على اتباع الإسلام الذى هو ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، لأن الله تعالى أكرم خليله عليه الصلاة والسلام وجعل من ولده إسحاق أمة إسرائيل وأكرمها بالرسل والأنبياء حتى أنجز ما قدر سبحانه وأراده، وأكرمه عليه الصلاة والسلام، فجعل من ولده إسماعيل عليه السلام الأمة العربية، وأكمل نعمه على جميع خلقه، وأتم فضله عليهم بأن جعل من الأمة العربية خاتم رسله الذى بعثه لكافة الناس بشيرا ونذيرا، واستجاب لخليله دعوته التى دعاها لإسماعيل وبنيه بأن يجعل منه أمة عظيمة بقوله: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ (البقرة: ١٢٩). إلى آخر الدعاء الذى دعاه، وهو معنى قول موسى عليه السلام: يكون من بنى عمنا، إلى آخر البشرى، وبنو عمهم بنو إسماعيل. فكان الإسلام هو ملة إبراهيم الحقيقية التى كان عليها هو وأولاد عليهم السلام.

وبرهان ذلك: جعل بيته كعبة للمسلمين.

البرهان الثانى: أن الله فرض حجه على المسلمين بشروطه المخصوصة ولم يكن عملا صنميا وإنما هو عمل للتقرب إلى الله تعالى، وللقيام بحقوق عباد الله ولإطاعة أمر الله والاقتداء بسنن رسل الله. وكأن المسلم بلمس الحجر الأسود يعاهد الخليل عليه السلام على العمل بإخلاص، معتقدا أنه نفذ أمر الله تعالى وقلد رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، وتقرب إلى الله تعالى بأكمل العبادات التى بذل فيها ماله، فوسع على خلق الله فى السفر إلى مكة، وبذل فيها نفسه بمفارقة الأهل والمال والوطن، وشهد من عجائب قدرة الله وغرائب حكمته سبحانه وآثار رحمته ما جعل قلبه يطمئن بالقدرة وصدره ينشرح بالحكمة، وجعل

الإيمان ينمو فى قلبه حتى يبلغ درجة اليقين، ثم قابل إخوته المؤمنين فانتفع بعلم العالم وحكمة الحكيم وحلم الحليم وأخلاق الكريم وعمل الموفقين، وشهد من أنواع العادات واختلاف الألوان والأشكال واللغات، ما جعله يحب الله سبحانه وتعالى ويعظم جنابه العلى. وبالحج تتجدد العافية بعد فقدها والصحة بعد زوالها ويتعلم التدبير والحكمة والمداراة والترتيب، وينشط بعد الكسل، ويشجع بعد الجبن، ويسخو بعد البخل. بالحج يمكنه أن يجمع بين الحج والتجارة فيتجر تجارتين للدين والدنيا، فيأخذ ما يحتاج إليه أهل الحجاز ويجلب إليه أهل مصره. حكمة لا تنكشف إلا لمن فهم أسرار الكتب السماوية وذاق حلاوة الإيمان بها والتسليم لها.

سؤال لمن أنكر حكمة الحج وأسراره

أسألك أيها المنكر حكمة الحج وأسراره – على جهل منك بفوائدها الجلية وخيراته المحسوسة– ما هو هيكل الرب؟ وما هو المذبح الذى كانت تذبح عليه الأنفس أمام هيكل الرب، وما هو القربان الذى كانت تأكله النار؟ أكوشفت بأسراره أم ظهر لقلبك خفيه؟

ما لك والإنكار على الحج ونوره ساطع، وسره باهر، وخيره وافر، وبركاته مفاضة.

وما هو الدهن المقدس الذى كان لا يدهن به إلا نبى! أمن الجنة نزل؟ أم ذلك دهن لبن النعجة التى كانت نعجة الخروف المذكور فى رؤيا يوحنا الذى له قرون من ذهب ونعال من ذهب، وأنه هو الرب، وأنه ذبح؟ أنا معتقد أن يوحنا نفسه لو سمع أنه نسب إليه هذا لصعق فضلا عن أن يقوله بنفسه، وليس جعل خروف له قرون من ذهب ونعال من ذهب إلها يتنزل به الناموس، فإن كل مرموزات الناموس نزهت الجناب العلى عن التشبيه والتحديد وعن المثيل والنظير والولد والوالدة، وكل مرموزات الكتب السماوية لإظهار آيات دالة على أنه واحد مريد فاعل لما يشاء، يأمر بما شاء، وينهى عما شاء، له الخلق والأمر، وهو على كل شئ قدير.

آثار الرسل السابقين بركات حسية

فالتابوت وعصا موسى، وحجره الذى تفجرت منه ينابيع الماء، وصنع السفينة قبل الطوفان، وناقة صالح ﵇، وحمل سارة بإسحاق بعد اليأس، وبناء بيت للرب، وعمل مذبح يذبح عليه أمام الرب، وماء المعمودية، كل تلك إشارات من إشارات الكتب السماوية تنكشف غوامضها للمقربين المحبوبين، وكذلك الأرض المقدسة والصخرة المقدسة. فالله سبحانه وتعالى بارك فى النار التى ألقى فيها سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأبقى فيها الإشراق وأبطل منها الإحراق، وبارك فى ناقة صالح فكانت وجهة أمته، وبارك فى حمار العزير فكان آية كبرى، وبارك فى كلب أهل الكهف، فكان عجيبة للعقول، وبارك فى عصا موسى ﵇ فكانت ككلمة كن. وكم بارك لأنبيائه ورسله. فمنهم من جعله يقبض الحديد محميا بيده، ومنهم من جعل له بساطه يحمله ويمشى به فى الهواء، ومنهم من بارك له فى يده فكان لا يمس بها ميتا إلا أحياه الله، ولا مريضا إلا شفاه الله. وكل تلك آثار رسله عليهم الصلاة والسلام.

معجزة خير الرسل نور حكمة وبيان

وقد رفع الله تعالى خاتم رسله وأمته عن كل تلك البركات الحسية التى هى قاصرة على الأجسام وربما أطفأت نور العقول السليمة، لأن العقل إذا شهد آية يجهل سببها يعجز عن التصرف فيها، ويقوم الوهم والخيال يقضيان بلا ميزان، ولكن الله تعالى جعل معجزة خاتم رسله وبرهان خير خلقه المبشر به كل رسله السابقين، نور حكمه وبيان، وأسرار موعظة وفصل خطاب. فثبتت العقول على الحق وقبلته بتسليم فكمل التوحيد بكمال التتريه عن التشبيه والتحديد والإدراك. وصار المسلم عندما يتوجه إلى الكعبة يعلم أنه إنما يسعى قياما بأمر ربه وزيارة لبيت رفع قواعده الخليل وابنه، لأن الله تعالى بارك موضعه وأمر خليله أن يرفع قواعده. ثم يقرب من الحجر معتقدا أنه لا ينفع ولا يضر، وضعه خليل الله بيده وبارك الله تعالى فيه، فيقبله اقتداء برسل الله واتباعا لسننهم عليهم الصلاة والسلام. وكيف يظن

الجاهل بالعقيدة الإسلامية وأصل العقيدة أن سيدنا محمداً ﴿ﷺ وآله﴾ عبد الله ورسوله، وأن الصحابة رضوان الله عنهم كانوا إذا أمرهم ﴿ﷺ وآله﴾ بأمر يتعلق بالجهاد، سألوه أذلك أمر من عند الله أم من عندك يا رسول الله؟ فإن قال: أمر من عند الله، سمعوا وأطاعوا، وإن قال: إنما هو الرأى، قالوا: الرأى كذا وكذا يا رسول الله، ذلك لأن الله تعالى ملأ قلوبهم عزة بالتوحيد ورفع نفوسهم بالتوحيد، فإذا كان سيدنا ومولانا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ أمره الله تعالى أن يشاورنا فى الأمر – وهو النور المبين والسراج المنير– فكيف يتصور عاقل فقه العقيدة الإسلامية أن مسلماً لا يعلم من الدين إلا لا إله إلا الله محمد عبد الله ورسوله يعتقد أن الحجر صنم؟ وهو إنما يقبله لأن يد الخليل وضعته، ولأن الله بارك فيه وبارك فى البيت.

ذلك الإنكار إنما جاء من دين أسس على أن رجلا حل فيه الرب، أو أن الرب حل فى فرج امرأة وتجسم إنساناً، أو أن الرب مجهول فى ثلاث، ثم أسسوا دينهم بعد ذلك على أن الذى يترك أكل اللحم والسمن ويترك الزواج يحل فيه الرب. والحقيقة أن الذى يترك أكل اللحم والسمن يكون حماراً يأكل النباتات أو فرسا أو جملا، والذى يترك الزواج يكون نباتا يتغذى وينمو، والحقيقة أن النبات له عضو ذكورة وأنوثة. فإذا كان الإنسان ينحط عن رتبة الإنسانية إلى الرتبة البهيمية، ومن الرتبة البهيمية إلى الرتبة النباتية يحل فيه الرب، ويكون منزها مقدسا يخلو بالنساء الجميلات ويغفر السيئات ويعفو عن الخطايا ويبيع الملكوت ويحل ويحرم: من كانت هذه عقيدته لا شك أن أعماله جميعها تكون صنمية.

وإلا من كانت عقيدته التوحيد، والرسول الذى بعثه الله بالتوحيد للناس جاء بالمعجزات التى سجدت العقول لها، وعجز الخيال عن تمثيل كمالاتها، كشف للعقل الحجاب حتى أشهده أنه عبد الله ورسول الله، وأنه لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا إلا أن يشاء الله، وأنه لا يعلم الغيب، وأنه إنما هو بشر مثلنا أوحى الله إليه أنه لا إله إلا الله، وأنزل عليه الوصايا والتعاليم التى استقبلها العقل بتسليم وإخلاص وتصديق، لا شك أن أعماله تكون مؤسسة على تنزيه الحق جلت قدرته عن النظير والضد والمثيل، كل أعماله

تكون موجهة للواحد الأحد المتره عن أن يكون محلا للأشياء وعن أن تكون الأشياء محلا له سبحانه، هو المنفرد بنفسه المتوحد بأوصافه، لا يمتزج ولا يزدوج إلى شئ. بائن من جميع خلقه لا يحل الأجسام ولا تحله الأعراض، ليس فى ذاته سواه، ولا فى سواه من ذاته شئ، ليس فى الخلق إلا الخلق، ولا فى ذات الله إلا الخالق، فتبارك الله أحسن الخالقين، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

أفمن كان هذا أصل دينه يعمل عملا صنميا؟

هذه العقيدة التى يجب أن يعقد عليها قلبه الصبى المسلم من فطامه، وتنمو معه فى كل يوم جديد عندما يبتدئ فى حفظ كلام الله القديم، وعندما يسمع قوله سبحانه وتعالى لنبيه ﴿ ﷺ وآله﴾: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ (الكهف: ١١٠) وقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَراًّ﴾ (الأعراف: ١٨٨).

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٦٣).
وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء: ٢٢).

فلا يحفظ آية من القرآن المجيد إلا وتنمو العزة فى نفسه، وتعظيم الله وحده فى قلبه. أفمن كان هذا أصل أصول دينه يقال إنه يعمل عملا صنميا؟ إنما الذى يعمل عملا صنميا، من اتخذ إنسانا يأكل ويشرب ويبول ويتغوط وينام ويجوع ويمرض ويفرح ويحزن، ويخاف من الهوام ومن الوحوش، ومن إنسان يعاديه. وبعد تلك النقائص التى يتتره عنها الرب ويتره جنابه العلى عنها عقل الأطفال إذا ما نظر ما حوله من الآيات وما فوقه، ثم يقول بعد تلك الخسة والنقائص: هو الله الذى خلق السموات والأرض.

والله لو أن إنسانا وقف أمامى فقال: لتكن السماء أرضا والأرض سماء فكانا كما يقول وشهدت ذلك بالحس، وقال: إنى لست إنسانا ولكنى ملك من السماء لكذبته فى دعواه أنه

من الملائكة، وحكمت أنه إنسان له تأثير نفسانى على الخيال الإنسانى، فكيف بإنسان أتـــى بمعجزة لم تخرج عن القدر الذى أهل الله الإنسان لنيله من الطب، فإن كثيرا مـــن الأطبـــاء برعوا فى علم الرمد حتى يمكنهم أن يزيلوا ما على العين من الغشاوة والماء الذى حجـــب نورها. ومن الحكماء من يعلم أن يعالج من حصلت له السكتة بطريق التنفس الصـــناعى، ويعالج من أصابته النقطة بالاستفراغات والدلك. تلك الأمور التى فى العالم الطبيعـــى لهـــا نظائر، تجعل أهل العقول السخيفة يجعلون من اتصف بها إلها يعبد من دون الله، أو ابـــن الله أو حل فيه الإله، وتنسى تلك الأعمال الموجبة للفضائح أمام العقول، وتنكر الحق الصريح البين على أهله. ملك وللجولان فى ميدان وقف العقل دونه خاشعا؟.

الشمس مشرقة أيتها الحيوانات الليلية، لم يخل الأفق من الشمس العلية. وإنى أسأل الله أن يحفظ بنى الإنسان من شر أكابر المجرمين، الذين أفسدت عليهم السيادة والرياسة الدين والدنيا، وأنستهم يوم الحساب وشديد عذاب الهاوية، وأن يمن على وعليهم بنور يبين لنـــا الحق والباطل، فنتبع الحق ولو لم يكن عليه آباؤنا، ونجتنب الباطل ولو كان عليه آباؤنـــا، ويمنحنا السعادة الحقيقية والخير إنه مجيب الدعاء. ويعيذنا من الضلال والضـــلال لنعمـــل بالكتاب والسنة، وأن يحفظنى بحفظه من الشر وأهله، ويكرمنى وأهلى وأولادى وإخـــوانى والمسلمين.

الحج من مرموزات الكتب السماوية، وقد بينت لك ما ظهر لأصغر مسلم يعتقـــد أن الله فرض عليه الحج، ولو أنك أسلمت لله رب العالمين، وتوجهت إلى الحج تأدية لما أوجبـــه الله عليك، لانكشفت لك أسرار تلك المرموزات بما يجعل عقلك يعقلها عن قلبك الـــذى جعل الله له نورا يفقه به أحكامه، ويقوى به يقينك.. والسلام على من اتبع الهدى).أ.هـــ.

الفصل الثانى:

ما يقال عن الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾

أولاً: طفولته غامضة

يقول: د. شوقى خليل: مما يلفت النظر فى مدرسة الاستشراق، ثلاثة من مستشرقيها، هم أهم أعلامها: تيودور نولدكه، وكارل بروكلمان، وريسكه، وهذا الأخير مع سعة علمه، وإتقانه للنحو العربى، وإطلاعه على الكتب العربية المطبوعة حتى سنة ١٧٣٦م، كان كلما أمعن فى دراسة الكتب العربية ازداد بالعربية ولوعا، فاطلع على المخطوطات العربية فى جامعة ليدن.

لقد أبغض اللاهوتيون ريسكه أشد البغض، وحاربوه فتحطمت آماله فى الحصول على وظيفة أستاذ بإحدى الجامعات الألمانية، وكان عليه أن يقبل وظيفة فى مدرسة ثانوية، واعترض رجال الدين على تعيينه مديراً لمدرسة، لولا أنه لفت إليه انتباه الوزير الكونت فاكربرت، ووعده بإزالة ما عسى يثيره رجال الدين ضد تعيينه مديراً من اعتراضات.

ولم يجد ريسكه ناشراً واحدا يقبل أن ينشر له كتبه فى ميدان الدراسات العربية، فاضطر أن ينشر ما نشر من ذلك على نفقته الخاصة، وهو الفقير المعدم.

وتساءلت: لِمَ لَمْ يلقَ ريسكه، ما لقيه نولدكه وبروكلمان من شهرة؟

فعدت إلى ترجماهم ونتاجهم، فوجدت أن نولدكه وبروكلمان لم يقدما حقائق تثير رجال الدين فى أوربا بل قدم الرجلان ما يرضيهم تماما، فرُوِّج لما قدَّما، ونشر ما ألفا، فاغتنى الرجلان، وعمت شهرهما الآفاق، وبلغت عنان السماء.

بينما نطق ريسكه بما اقتنع، وكتب ما أملاه عليه ضميره، ونشر ما اعتقده بعيداً عن رأى رجال الدين وسطوتهم، فقال– مثلا–: (إن ظهور محمد وانتصار دينه، هما من أحداث التاريخ التى لا يستطيع العقل الإنسانى إدراك مداها)، ويرى فى ذلك (برهانا على تدبير قوة إلهية قديرة).

لقد أبغض اللاهوتيون ريسكه أشد البغض، لأنه مجّد الإسلام، ولم يوافقهم على أكاذيبهم وافتراءاتهم حول سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ خصوصاً، وحول الإسلام وتاريخه عموما، وفى ذلك يقول (فوك): (لقد كان متهما عند اللاهوتيين بأنه حر التفكير، ولم يسايرهم فى ادعائهم أن محمداً كان نبياً زائفا وغشاشا، وأن ديانته خرافات مضحكة)، لذلك لم يحصل على منصب جامعى، وعين مدرسا فى إحدى الثانويات، وثارت ثائرة رجال الدين عندما اقْتِرح لإدارة ثانوية، فنقل إلى متحف للنقود، لا يرى أحداً، ولا يراه أحداً، لا يتصل بأحد، ولا يتصل به أحد (كارل بروكلمان فى الميزان، ص٦،٥).

سقت ما سبق، تمهيداً لما قال كارل بروكلمان فى كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية ص٣٣– وهو الذى لم يقدم ما يثير رجال الكنيسة:–

(ولسنا نملك بينة موثوقا بها عن حياة النبى الأولى، إلا هذه الآيات القرآنية من سورة الضحى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى* وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى* وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى* فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى: ٦–١١).

حياة نبى الإسلام ناصعة

لم أجد سبباً يدعو بعض المستشرقين أو المبشرين إلى القول المغاير للحقيقة والعلم، حين قالوا (حياة النبى الأولى) لا نعرف عنها شيئا، فكيف أجازوا لأنفسهم أن يقولوا ذلك، وهم يعلمون كما يعلم كل إنسان أتيح له شئ من الثقافة والدراسة التاريخية أنه لم تعرف ترجمة

لحياة إنسان فى التاريخ، كما عرفت ترجمة حياة نبى الإسلام ﴿ﷺ وآله﴾، فلم يكن من أسرة مغمورة أو مجهولة، فهو حفيد سيد قريش وعظيمها عبد المطلب، وهو من تحدثت عنه مكة ويثرب، لما أحاط ولادته من ظروف، حيث توفى أبوه عبد الله فى دار الغربة، فى يثرب، تاركا ابنا لم تلده أمه بعد، وما أعقب ذلك من رضاعه فى ديار بنى سعد بن بكر، وفى حياته فى حجر جده عبد المطلب، ومتابعة أخباره وهو فى رعاية عمه أبي طالب، وما رافق ذلك من مشاركته فى أحداث مكة، إلى تجارته إلى الشام بمال السيدة خديجة بنت خويلد، ثم زواجه منها، وقد أصبح ذلك حديث مكة، كما كان موقفه من خلاف بطون قريش حول إعادة الحجر الأسود إلى مكانه فى الكعبة حديث مكة أيضا.

فهل يقال بعد ذلك إن هذه الفترة من حياته ﴿ﷺ وآله﴾ كانت مجهولة؟!!.

إن من هو أقل بكثير من الرسول ﴿ﷺ وآله﴾، كشاعر، أو خطيب، أو وجيه فى قبيلة، يذكر الرواة عن نشأته ومراحل حياته الشيء الكثير، فكيف بسيدنا محمد، وهو حفيد عبد المطلب زعيم قومه؟.

يقول هندى مسلم: (إن سيرته ﴿ﷺ وآله﴾ معروفة منذ نعومة أظفاره إلى أن اختاره الله لجواره، ولاسيما الفترة التى أدى فيها الرسالة، ولست أغالى إذا قلت: إننى أعرفه أكثر مما أعرف أبوى، ثم أليس من العجيب أننا لا نجد فيما أثر عنه- على كثرته- إلا كل ما يدعو إلى الاحترام والإعجاب؟!.

غيره من الأنبياء مضروب عليه حجاب من الغموض والأساطير، ولا نعرف من حياتهم اليومية إلا القليل، وما يحكى عنهم يشبه كلام الكهان) (خواجة كمال الدين فى كتابه (المثل الأعلى فى الأنبياء ص: ٤٥).

السنوات المفقودة فى حياة المسيح!!

إنه الإسقاط، لقد أراد من قال: (لا نملك بينة موثوقا بها عن حياة النبى الأولى)، ومن

جاراه فى قوله هذا، أن يشككوا فى فترة حياة نبى الإسلام (ﷺ وآله)، ليبعدوا الأنظار عن فترة غامضة فى حياة المسيح (عليه السلام)، التى قيل بأنه قضاها فى منطقة الربوة فى الهند.

إنه الإسقاط، وهذا دليله:

١- إن ثمانى عشرة سنة ضائعة من حياة يسوع، لا يدرى عنها إنسان قديما وحاضرا ومستقبلا، كلمة واحدة، أو خبراً واحداً، حتى ألف (تشارلز فرانسيس بوتر) كتاباً عنوانه: (الكشف عن السنين المفقودة من حياة يسوع).

٢- لننظر فى الأناجيل الأربعة واحداً إثر آخر فماذا نجد؟.

الإنجيل الأول: إنجيل متى، نراه فى الإصحاح الثانى ينتهى ويسوع رضيع: (وأتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة، لكى يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصريا) (متى : ٢٣/٢)، ليبدأ الإصحاح الثالث مباشرة بتعميد يسوع وهو ابن الثلاثين عاما: (فى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية.. حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه..) (متى: ١٣/٣).

والإنجيل الثانى: إنجيل مرقس، بدأ بتعميد يسوع مباشرة، فلا طفولة فيه أبداً، وهذه هى السنوات الضائعة الغامضة من حياة يسوع، ففى الإصحاح الأول مباشرة: (.. وفى تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل اعتمد من يوحنا فى الأردن) (مرقس: ٩/١).

والإنجيل الثالث: إنجيل لوقا، ينتهى كلامه عن يسوع وهو ابن اثنتى عشرة سنة، فى الإصحاح الثانى، ليبدأ الحديث عنه وهو ابن الثلاثين من عمره فى الإصحاح الثالث:

(وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم فى عيد الفصح، ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد) (لوقا: ٤١/٢).

ونريد أن نضع علامة استفهام أمام كلمة (أبواه)، هل يقصدون بها السيدة مريم والله، أم يقصدون بها السيدة مريم ويوسف النجار- كما تقول الأناجيل- فيثبتون على أمه الطاهرة تهمة الزنا، كما يقول اليهود؟!!.

وفى الإصحاح الثالث مباشرة يتكلم عن يسوع وهو ابن الثلاثين: (ولما اعتمد جميع الشعوب، اعتمد يسوع أيضا) (لوقا: ٢١/٣).

والإنجيل الرابع: إنجيل يوحنا، يتحدث مباشرة منذ إصحاحه الأول عن حياة يسوع فى سنواته الأخيرة.

من الذى لا يملك بينة؟

فمن الذى لا يملك بينة موثوقا بها؟ المسلمون أم النصارى؟

المسلمون أولا، وكل الدارسين لتاريخ الإسلام ورسوله ثانيا، يعرفون كل التفاصيل عن حياة سيدنا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾، منذ ولادته وحتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى، ما فاتهم منها قليل أو كثير، ولا يغير من حقائق هذه المعرفة (إسقاط) حاقد أو متعصب أو موتور، أراد أن يرمى بدائه وينسل!!.

يقول (ول ديورانت) فى قصة الحضارة: ١١/٢٠٢: (هل وجد المسيح حقا؟ أو أن قصة حياة مؤسس المسيحية وثمرة أحزان البشرية، وخيالاتها، وآمالها، أسطورة من الأساطير شبيهة بخرافات كرشنا، وأوزوريس، وأتيس، وأدنيس، وديونسيس، ومثراس؟ لقد كان (بولنجبرك) والملتفون حوله، وهم جماعة ارتاح لأفكارهم فلتير نفسه، يقول فى مجالسهم الخاصة: إن المسيح قد لا يكون له وجود على الإطلاق، وجهر فلنى (**Volney**) بهذا الشك نفسه فى كتابه خرائب الإمبراطورية، الذى نشره فى عام ١٧٩١م، ولما التقى نابليون فى عام ١٨٠٨م بفيلاند (**Wieland**) العالم الألمانى، لم يسأله القائد الفاتح سؤالا تافها فى السياسة أو الحرب، بل سأله هل يؤمن بتاريخية المسيح؟).

ويتابع (ول ديورانت) قائلا: (وبلغت المدرسة الفلسفية صاحبة البحوث الدينية ذروتها فى أواخر القرن التاسع عشر على يد الأب لوازى (**Loisy**) الذى حلل نصوص العهد الجديد تحليلا بلغ من الصرامة حدا اضطرت معه الكنيسة الكاثوليكية إلى إصدار قرار بحرمانه، هو وغيره من (المحدثين)، وفى هذه الأثناء وصلت المدرسة الهولندية، مدرسة بيرسن (**Pierson**)، ونابر (**Naber**)، وميثاس (**Metthas**) بالحركة إلى أبعد حدودها، إذ أنكرت بعد بحوث مضنية حقيقة المسيح التاريخية، وفى ألمانيا عرض آرثر

دروز(**Arthur Drews**) هذه النتيجة السالبة عرضا واضـحا محـددا ١٩٠٦م، وفى إنجلتـرا أدلـى و. ب. اسمـث (**W.B. Smith**)، وج. م ربرتسـن (**J.M Robertson**)، بحجج مـن هذا النوع أنكر فيها وجود المسيح، وهكذا بدا أن الجدل الذى دام مائتى عام، سينتهى إلى إفناء شخصية المسيح إفناء تاماً).

ومع أن المسلم لا يقول عن المسيح ﷺ ما قاله هؤلاء العلماء، ولا يرى مـا رأوا، لم تحفظ الكنيسة ذلك، بل راحت (تسقط) على المسلمين ما فيها.

حتى ولادة السيد المسيح ﷺ بطريقة لا يقبلها عقل أو منطق، قبلها المسلم عن الإيمان والتسليم، وبقيت أمه مريم (الطاهرة البتول)، فهل حفظت الكنيسـة للمسـلمين هـذا المعتقد؟.

لقد كان من المفروض أن تطبع الكنيسة القرآن الكريم مع إنجيلها، وهى التى طبعـت التوراة التى لم تذكر السيد المسيح وأمه ولو مرة واحدة، أما القرآن، فبين دفتيه الكثير عن حياة مريم والمسيح.

جاء فى القرآن الكريم سورة باسم عائلة السيد المسيح (آل عمـران)، و(آل) كلمـة تخاطب بها العائلات الكريمة الطيبة الشريفة، وسورة باسم معجزة السيد المسيح (المائـدة)، وفيها ثلاث معجزات للسيد المسيح لم تذكرها الأناجيل، وهى: نزول المائدة، وإحياء الطير، والتكلم بالمهد، وسورة باسم والدته البتول (مريم)، وسورة باسم الأتباع (الكهف). وكلها من السور طوال.

أو بعد هذا، تسقط الكنيسة زوراً أو بهتاناً– ما فيها– على الإسلام ونبيه؟.

السنوات المفقودة فى حياة سيدنا موسى!!

الأيام الأولى المفقودة عند سيدنا موسى لا تختلف كثيراً عن ما ذكرناه عن السيد المسيح، فقد ذكرت التوراة ولادة موسى وإلقاءه فى النهر، وعثور ابنة فرعون عليه– فى القرآن زوجته– ورده لأمه لإرضاعه، ثم تنتقل مباشرة إلى موسى وهو رجل يقتل مصريا، ويهرب إلى أرض مدين، فقد جاء فى سفر الخروج الإصحاح الثانى الآيات ٩–١٤: (فأخذت المرأة الولد وأرضعته* ولما كبر جاءت به إلى ابنة فرعون فصار لها ابنا* ودعت اسمه موسى وقالت إنى انتشلته من الماء* وحدث فى تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج إلى إخوته لينظر فى أثقالهم فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من إخوته* فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد فقتل المصرى وطمره فى الرمل.. إلى أن قالت: فهرب موسى من وجه فرعون وسكن فى أرض مديان وجلس عند البئر).

فمن الذى لا نملك بينة موثوقا بها عن حياته الأولى سيدنا.. محمد.. أم المسيح.. أم سيدنا موسى؟!!.

ثانياً: لم يرد ذكره فى التوراة والإنجيل

معلوم أن التوراة التى بين أيدى اليهود والنصارى لم تتنبأ عن السيد المسيح مطلقاً، بل بالعكس أنكرت المسيح بالمرة، ونحن المسلمين لا نعترف ولا نؤمن بالحرف من هذا الكتاب المقدس ، ولا نحتاج فى إثبات صدق النبى ﴿ﷺ وآله﴾ إلى هذا الكتاب، ولكن سنستدل على ما فيه من نبوءات بسيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ لنلزم به الذين لا يؤمنون به، ونحن لا نقول إن كل ما فى التوراة والإنجيل محرف.. والآيات التى سنذكرها من التوراة والإنجيل لصدق رسالة سيدنا محمد هى من عند الله حقاً، وهى قسمان:

١– قسم صريح لا خفاء فيه، وذلك قد امتدت إليه يد المفسدين الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله.

٢– قسم لم يفقهوه فتركوه على حاله، ولم يحذفوا منه شيئا.

والإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم ﷺ، قد ذكر تسع نبوءات فى التـــوراة، وست بشارات فى الإنجيل فى كتابه (النجاة فى سيرة رسول الله) ص١٨-٤٥، للدلالة على نبوءة التوراة وبشارة الإنجيل على هذا السيد الكريم ﴿ﷺ وآله﴾، فقال ﷺ:

النبوءات الواردة بالتوراة

ولقد ذكر ﴿ﷺ وآله﴾ فى التوراة فى مواضع شتى تعتبر فى غاية القوة والوضوح، فمنها تسع نبوءات هى كالآتى:

النبوءة الأولى:

١) ما جاء فى الإصحـــاح الثامن عشر من سفر التثنية.. [١٧- فقال الرب لى نعـــم جميع ما قالوا، ١٨- وسوف أقيم لهم نبياً مثلك من وسط إخوتهم وأجعل كلامى فى فمـــه، ويكلمهم بكل شئ آمره به، ١٩- ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم به باسمى فأنـــا أكـــون المنتقم من ذلك، ٢٠- فأما النبى الذى يجترئ بالكبرياء ويتكلم فى اسمى ما لم آمره بأنه يقوله أو الذى يتكلم باسم آلهة غيرى فليقتل، ٢١- فإن أجبت وقلت فى قلبك كيف أستطيع أن أميز الكلام الذى لم يتكلم به الرب، ٢٢- فهذه تكون لك آية أن ما قاله ذلك الـــنبى فى اسم الرب ولم يحدث فالرب لم يكن يتكلم به بل ذلك النبى صوره فى تعظيم نفسه ولـــذلك لا تخشاه].

وفى قوله: من إخوتهم رد على النصارى الزاعمين أن الرسول المذكور فى التوراة هـــو المسيح ؑ. ووجه الرد أن المسيح ليس من إخوتهم بل منهم لأنه من نسل داود، بمثل هذا يرد على بعض اليهود الزاعمين أن النبى المذكور فى التوراة هو يوشع بن نون ؑ.

هذا ولفظ مثلك فى هذا الجزء، فإن هذا النبى لا يجب أن يكون من بنى إسرائيل بـــنص الآية العاشرة من الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية:

[ولم يقم بعد ذلك فى بنى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجهاً لوجه].

النبوءة الثانية:

٢) الآية الحادية والعشرون من الإصحاح الثانى والثلاثين من سفر التثنية: [هم أغارونى بما ليس إلهاً أغاظونى بأباطيلهم فأنا أغيرهم بما ليس شعباً، بأمة غبية أغيظهم].

والمراد بالأمة الغبية عرب الجاهلية لأنهم كانوا فى غاية الجهل والضلال، وما كان عندهم علم لا من العلوم الشرعية. ولا من العلوم العقلية، وما كانوا يعرفون سوى عبادة الأوثان والأصنام وكانوا محقرين عند اليهود لكونهم من أولاد هاجر الجارية.

فمقصود الآية أن بنى إسرائيل أغارونى بعبادة المعبودات الباطلة، فأغيرهم باصطفاء الذين هم عندهم محقرون وجاهلون.

فوفى بما وعد، فبعث الله فى العرب النبى ﴿ﷺ وآله﴾ فهداهم إلى الصراط المستقيم كما قال تعالى فى سورة الجمعة: ﴿هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾ (الجمعة: ٢).

النبوءة الثالثة:

٣) الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية، الآية الثانية فقال: [جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من ساعير وتلألأ من جبل فاران.. وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم].

فمجيئه من سيناء إعطاؤه التوراة لموسى عليه السلام، وإشراقه من ساعير إعطاؤه الإنجيل لعيسى عليه السلام، وتلألأ من جبل فاران إنزاله القرآن الكريم على سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾، لأن فاران جبل من جبال مكة.

ففى الإصحاح الحادى والعشرين من سفر التكوين الآية العشرون يتحدث عن إسماعيل.. [وكان الله مع الغلام، فكبر، وسكن فى البرية وكان رامياً بالقوس، وسكن فى برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر].

ولا شك أن إسماعيل عليه السلام كانت إقامته بمكة.

النبوءة الرابعة:

٤) الآية العشرين من الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين وعد الله فى حق إسماعيل عليه السلام لإبراهيم عليه السلام: [وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً، اثنى عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة].

وقوله : أجعله أمة كبيرة يشير إلى سيدنا محمد ﴿صلى الله عليه وسلم وآله﴾، لأنه لم يكن من ولد إسماعيل من كان له أمة كبيرة غيره ﴿صلى الله عليه وسلم وآله﴾.

وقد قال الله تعالى ناقلاً دعاء إبراهيم فى حقه فى قرآنه المجيد: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ (البقرة: ١٢٩).

النبوءة الخامسة:

٥) الآية العاشرة من الإصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين: [لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب].

وكلمة (شيلون) بمعنى الذى له الكل أو الذى هو له، وفى هذه الآية دلالة على أن مجئ

سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ بعد تمام حكم موسى عليه السلام، لأن المراد من قضيب يهوذا هو سلطة شريعة موسى لأنه بعد يعقوب عليه السلام ما جاء صاحب شريعة إلى زمان موسى إلا هو عليه السلام.

والمراد بمشترع هنا هو عيسى عليه السلام، فليس هناك بعد سيدنا موسى من أكمل شريعة موسى إلا عيسى، وبعدهما ما جاء صاحب شريعة إلا سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾.

النبوءة السادسة:

٦) المزمور الخامس والأربعون:

[١- فاض قلبي بكلام صالح، متكلم أنا بإنشائي للملك، لساني قلم كاتب ماهر. ٢- أنت أبرع جمالاً من بني البشر، انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الأبد. ٣- تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك. ٤- وبجلالك اقتحم اركب من أجل الحق والدعة والبر فتريك يمينك مخاوف. ٥- نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك، شعوب تحتك يسقطون. ٦- كرسيك يا الله إلى دهر الدهور قضيب استقامة قضيب ملكك. ٧- أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك.٨- كل ثيابك مرٌّ وعود وسليخة من قصور العاج سرتك الأوتار. ٩- بنات ملوك بين حظياتك جُعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير. ١٠- اسمعي يا بنت وانظري وأميلي أذنك وانسي شعبك وبيت أبيك. ١١- فيشتهي الملك حسنك لأنه هو سيدك فاسجدي له. ١٢- وبنت صور أغنى الشعوب تترضى وجهك بهدية. ١٣- كلها مجد ابنة الملك في خدرها. منسوجة بذهب ملابسها. ١٤ - بملابس مطرزة تحضر إلى الملك في إثرها عذارى صاحباتها مقدمات إليك. ١٥- يحضرن بفرح وابتهاج. يدخلن إلى قصر الملك. ١٦- عوضاً عن آبائك يكون بنوك تقيمهم رؤساء في كل الأرض. ١٧- أذكر اسمك من جيل إلى جيل. من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد].

يبشر داود ﷺ فى هذا المزمور بنبى يكون ظهوره بعد زمانه، ولم يظهر عند اليهود نبى موصوف بهذه الصفات وهى:

* كونه أفضل البشر.
* كون النعمة منسكبة على شفتيه.
* كونه متلقداً سيفه.
* كونه قوياً.
* كونه ذا حق ودعة وصدق.
* كونه هداية تتوهج بالعجب.
* كون نبله مسنونة.
* سقوط الشعوب تحته.
* كونه محباً للبر ومبغضاً للإثم.
* خدمة بنات الملوك إياه.
* إتيان الهدايا له.
* انقياد كل أغنياء الشعب له.
* كون أبنائه رؤساء الأرض بدل آبائهم.
* كون اسمه مذكوراً من جيل إلى جيل.
* مدح الشعوب إياه إلى دهر الداهرين.

وهذه الأوصاف كلها تجتمع فى سيدنا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ للآتى :

أ- قال أبو هريرة ﷺ: ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ كأن الشمس تجرى فى وجهه، وإذا ضحك يتلألأ كالشمس فى الجدار.

وعن أم معبد رضى الله عنها قالت فى بعض ما وصفته به: (أجمل الناس من بعيد، وأحلاهم وأحسنهم من قريب).

ب- وقال ﴿ﷺ وآله﴾ : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر) أى: لا أقول ذلك فخراً بل تحدثاً بنعمة ربى.

جـ- أنه لا خلاف على أن الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ كان أفصح الناس.

د- قال الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ (الأحزاب: ٥٦).

هـ- قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ : (أنا رسول الله بالسيف).

و- كانت قوته الجسمانية على الكمال، وقال ابن عمر رضى الله عنهما: ما رأيت أشجع ولا أجود من رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾.

وقال الإمام علىّ كرّم الله وجهه: (كنا إذا حمى الوطيس- البأس- واحمرت الحدق، اتقينا برسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً).

ز- كانت الأمانة والصدق من الصفات الأصيلة له ﴿ﷺ وآله﴾، كما قال النضر بن الحارث لقريش: (قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم إنه ساحر، لا والله ما هو بساحر).

رمى يوم بدر وكذا يوم حنين وجوه الكفار بقبضة تراب. فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه فانهزموا، فأمثال هذه من عجيب هداية يمينه.. وكان رسول ﴿ﷺ وآله﴾ يقول: (ارموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان رامياً).

ط- إن الناس دخلوا فى دين الله أفواجاً فى حياته.. وهكذا سائر الصفات الباقية تنطبق على هذا السيد الكريم المبعوث رحمة للعالمين ﴿ﷺ وآله﴾.

النبوءة السابعة:

٧) الإصحاح الثانى والأربعين من أشعياء: [٨- أنا الرب هذا اسمى ومجدى لا أعطيه لآخر ولا تسبيحى للمنحوتات. ٩- هو ذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها، قبل أن تنبت أعلمكم بها.

١٠- غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحة من أقصى الأرض أيها المنحدرون فى البحر وكل ما فيه والجزائر وسكانه.

١١- لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التى سكنها قيدار، لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا.
١٢- ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر. ١٣- الرب كالجبار يخرج. كرجل حروب ينهض غيرته. يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه.

١٤- قد صمُّت منذ الدهر سكت تجلدت. كالوالدة أصيح. أنفخ وأنخر معاً. ١٥- أخرب الجبال والآكام وأجفف كل عشبها وأجعل الأنهار يبساً وأنشف الآجام. ١٦- وأسير العمى فى طريق لم يعرفوها، فى مسالك لم يدروها، أمشيهم، أجعل الظلمة أمامهم نوراً، والمعوجات مستقيمة، هذه الأمور أفعلها ولا أتركهم. ١٧- قد ارتدوا إلى الوراء. يخزى خزياً المتكلون على المنحوتات القائلون للمسبوكات أنتن آلهتنا].

تبدأ الآية التاسعة من الإصحاح فى الإخبار عن المستجدات فى المستقبل ولذلك جاء فى الآية الثالثة والعشرين: [من منكم يسمع هذا، يصغى ويسمع لما بعد].

والترنيمة الجديدة عبارة عن العبادة على نهج جديد والتى هى فى الشريعة الإسلامية. وتعميمها على سكان أقاصى الأرض وأهل الجزائر وأهل المدن والبرارى إشارة إلى عموم

نبوته ﴿ﷺ وآله﴾. ولفظ (قيدار) أقوى إشارة إليه ﴿ﷺ وآله﴾ لأن سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ من أبناء قيدار بن إسماعيل، وقوله: (من رؤوس الجبال ليهتفوا) إشارة إلى العبادة المخصوصة ألا وهى الحج حيث يهتف الألوف (لبيك اللهم لبيك). وقوله: الرب كجبار يخرج كرجل حروب، يشير إلى مضمون الجهاد إشارة حسنة بأن جهاده وجهاد تابعيه يكون لله وبأمره.

وفى الآية السابعة عشر إشارة إلى حال العرب، لأنهم كانوا يعبدون الأصنام.

النبوءة الثامنة:

٨) الإصحاح الرابع والخمسون من أشعياء: [١- ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد أشيدى بالترنم أيتها التى لم تمخض لأن بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل، قال الرب. ٢- أوسعى مكان خيمتك ولتبسط شقق مساكنك، لا تمسكى. أطيلى أطنابك وشدى أوتادك. ٣- لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار ويرث نسلك أمماً ويعمر مدناً خربة. ٤- لا تخافى لأنك لا تخزين ولا تخجلى لأنك لا تستحين فإنك تنسين خزى صباك وعار ترملك لا تذكرينه بعد.

٥- لأن بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه ووليك قدوس إسرائيل إله كل الأرض يدعى. ٦- لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاك الرب وكزوجة الصبا إذا رذلت قال إلهك. ٧- لحيظة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك.

٨- بفيضان الغضب حجبت وجهى عنك لحظة وبإحسان يدى أرحمك قال وليك الرب. ٩- لأنه كمياه نوح هذا لى. كما حلفت أن لا تعبر بعد مياه نوح على الأرض هكذا حلفت أن لا أغضب عليك ولا أزجرك. ١٠- فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع أما إحسانى فلا يزول عنك وعهد سلامى لا يتزعزع قال راحمك الرب. ١١- أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية ها أنذا أبنى بالأثمد حجارتك وبالياقوت الأزرق أؤسسك. ١٢-

وأجعل شرفك ياقوتاً وأبوابك حجارة بهرمانية وكل تخومك حجارة كريمة. ١٣- وكل بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثيراً.

١٤- بالبر تثبتين بعيداً عن الظلم فلا تخافين، وعن الارتعاب فلا يدنو منك. ١٥- ها إنهم يجتمعون اجتماعاً ليس من عندى، من اجتمع عليك فإليك يسقط.

١٦- ها أنا ذا قد خلقت الحداد الذى ينفخ الفحم فى النار ويخرج آلة لعمله وأنا خلقت المهلك ليخرب. ١٧- كل آلة صوبّت ضدك لا تنجح، وكل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكمين عليه، هذا هو ميراث عبيد الرب وبرهم من عندى يقول الرب].

المراد بالعاقر مكة المعظمة، لأنها لم يظهر منها نبى بعد إسماعيل عليه السلام، ولم ينزل فيها وحى، بخلاف أورشليم لأنه ظهر فيها الأنبياء الكثيرون وكثر فيها نزول الوحى.

وبنو المستوحشة هم أولاد هاجر لأنها كانت بمنزلة مخرجة عن البيت ساكنة فى البرية.

ولذلك وقع فى حق إسماعيل فى وعد الله لهاجر فى الإصحاح السادس عشر الآية الثانية من سفر التكوين: [يكون إنساناً وحشياً]، وبنو ذات البعل هم أولاد سارة، فالخطاب هنا من الله إلى مكة آمراً لها بالتسبيح والتهليل وإنشاد الشكر، لأن كثيراً من أولاد هاجر صاروا أفضل من أولاد سارة، فحصلت الفضيلة لها، بفضلية أهلها.

وقد وفّ الله بما وعد بأن بعث سيدنا محمداً ﴿ﷺ وآله﴾ أفضل البشر خاتم الأنبياء من أهلها ومن أولاد هاجر، وهو المراد بالحدّاد الذى ينفخ فى النار، وهو المهلك الذى خلق لإهلاك المشركين.

النبوءة التاسعة:

٩ - فى الإصحاح الخامس والستين من أشعيا:

[١- أصغيت إلى الذين لم يسألوا وجدت من الذين لم يطلبونى فقلت ها أنا ذا لأمــة لم تسمّ باسم الرب. ٢- بسطت يدى طول النهار إلى شعب متمرد سائر فى طريق غير صالح وراء أفكاره. ٣- شعب يغيظنى بوجهى دائماً يذبح فى الجنات ويبخر علــى الآجُــرّ. ٤- يجلس فى القبور ويبيت فى المدافن يأكل لحم الخنزير فى آنيته مــرق لحــــوم نجــــــسة. ٥- يقول قف عندك لا تدْنُ منى لأنى أقدس منك هؤلاء دخان فى أنفى نار متقــدة كــل النهار. ٦- ها قد كتب أمامى لا أسكت بل أجازى، أجازى فى حضنهم].

فالمراد فى الآية الأولى بالذين لم يسألوا والذين لم يطلبونى العرب لأنهم كانوا غير واقفين على ذات الله وصفاته وشرائعه.

فما كانوا سائلين عن الله، وطالبين له، قال الله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ (آل عمران: ١٦٤).

البشارات الواردة بالإنجيل

ذُكر الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ فى الإنجيل فى عدة مواضع أختار منها ستة بشارات كالآتى:

البشارة الأولى:

١ – فى الإصحاح الثالث من إنجيل متى: [١ – وفى تلك الأيــام جــــاء يوحـــنا المعـــمـــدان يكـــرز فى برية اليهودية. ٢ – قائلاً: توبوا لأنــه قــد اقتــرب ملكــوت السموات].

وفى الإصحاح الرابع من إنجيل متى هكذا: [١٢ – ولما سمع يسوع أن يوحنــا أســلم انصرف إلى الجليل... ١٧ – من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنــه قــد

اقترب ملكوت السموات... ٢٣ - وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلــم فى مجــامعهم ويكرز ببشارة الملكوت].

وفى الإصحاح السادس من إنجيل متى فى بيان الصلاة التى علمها عيسى ﷺ تلاميــذه هكذا: [ليأت ملكوتك]، ولما أرسل الحواريين إلى البلاد الإسرائيلية للــدعوة والــوعظ وصاهم بوصايا منها هذه الوصية: [وفيم أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السموات]، كما هو مصرح به فى الإصحاح العاشر من إنجيل متى.

ووقع فى الإصحاح التاسع من إنجيل لوقا هكذا: [١ - ودعا تلاميذه الاثــنى عشــر وأعطاهم قوة وسلطاناً على جميع الشياطين وشفاء أمــراض. ٢ - وأرســلهم ليكــرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى].

وفى الإصحاح العاشر من إنجيل لوقا هكذا: [٨ - وأية مدينة دخلتموهــا وقبلــوكم فكلوا مما يقدم لكم. ٩- واشفوا المرضى الذين فيها وقولوا لهم قد اقترب منكم ملكــوت الله. ١٠- وأية مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم فاخرجوا إلى شوارعها وقولوا ١١ - حــتى الغبار الذى لصق بنا من مدينتكم ننفضه لكم، ولكن اعلموا هذا أنه قد اقتــرب مــنكم ملكوت الله].

فظهر أن كلاً من يحيى وعيسى والحواريين والتلاميذ السبعين بشروا بملكوت الله، وبشر عيسى ﷺ بالألفاظ التى بشر بها يحيى ﷺ، فعلم أن هذا الملكوت كما لم يظهر فى عهــد يحيى ﷺ، فكذلك لم يظهر فى عهد عيسى ولا فى عهد الحواريين السبعين بل كــل منــهم مبشر به ومخبر عن فضله ومترج لمجيئه، فلا يكون المراد بملكوت الله طريقة النجــاة الــتى ظهرت بشريعة عيسى ﷺ، وإلا لما قال عيسى ﷺ والحواريون والسبعون أن ملكــوت الله قد اقترب.

وما علم التلاميذ أن يقولوا فى الصلاة: وليأت ملكوتك. لأن هذه طريقة قد ظهــرت

بعد ادعاء عيسى عليه السلام النبوة بشريعته فهو (أى ملكوت الله) عبارة عن طريق النجاة التى ظهرت بشريعة سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾، فهؤلاء كانوا يبشرون بهذه الطريقة الجليلة.

ولفظ ملكوت السموات بحسب الظاهر يدل على أن هذا الملكوت يكون فى صورة السلطنة، لا فى صورة المسكنة، وأن المحاربة والجدال فيه مع المخالفين يكونان لأجله، وأن مبنى قوانينه لابد أن يكون كتاباً سماوياً، وكل من هذه الأمور يصدق على الشريعة المحمدية.

وأما القول بأن المراد بهذا الملكوت شيوع الملة المسيحية فى جميع العالم، وإحاطتها كل الدنيا بعد نزول عيسى عليه السلام، فتأويل ضعيف خلاف الظاهر، ويرده التمثيلات المنقولة عن عيسى عليه السلام فى الإصحاح الثالث عشر من إنجيل متى، مثلاً قال: [يشبه ملكوت السموات إنساناً زرع زرعاً جيداً فى حقله]. ثم قال: [يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها فى حقله]، ثم قال: [يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وعبأتها فى ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع]. فشبه ملكوت السموات بإنسان زارع لا لينمو الزراعة وحصادها، وكذلك شبهه بحبة الخردل لا بصيرورتها شجرة عظيمة، وشبهه بخميرة لا باختمار جميع الدقيق.

وكذا يرد هذا التأويل قول عيسى عليه السلام بعد بيان التمثيل المنقول فى الإصحاح الحادى والعشرين من إنجيل متى هكذا: [لذلك أقول إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره]، فإن هذا القول يدل على أن المراد بملكوت السموات طريقة النجاة نفسها، لا شيوعها فى جميع العالم وإحاطتها كل العالم، وإلا لا معنى لنزع الشيوع والإحاطة من قوم وإعطائهما لقوم آخرين.

فالحق أن المراد بهذا الملكوت هى المملكة التى أخبر عنها دانيال عليه السلام فى الباب الثانى من كتابه، فمصداق هذا الملكوت وتلك المملكة نبوة سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾، والله أعلم

وعلمه أتم.

البشارة الثانية:

٢ – فى الإصحاح الثالث عشر من إنجيل متى هكذا: [٣١– قدم لهم مثلاً آخر قائلاً يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها فى حقله. وهى أصغر جميع البذور ولكن متى نمت فهى أكبر البقول وتصير شجرة حتى إن طيور السماء تأتى وتأوى فى أغصانها].

فملكوت السموات طريقة النجاة التى ظهرت بشريعة سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ لأنه نشأ فى قوم كانوا حقراء عند العالم لكونهم أهل البوادى غالباً، وغير واقفين على العلوم والصناعات، محرومين من اللذات الجسمانية، والتكلفات الدنيوية سيما عند اليهود لكونهم من أولاد هاجر، فبعث الله منهم سيدنا محمداً ﴿ﷺ وآله﴾، فكانت شريعته فى ابتداء الأمر بمنزلة حبة خردل أصغر الشرائع بحسب الظاهر، ولكنها لعمومها نمت فى مدة قليلة وصارت أكبرها وأحاطت شرقاً وغرباً، حتى أن الذين لم يكونوا مطيعين لشريعة من الشرائع تشبثوا بذيل شريعته ﴿ﷺ وآله﴾.

البشارة الثالثة:

٣ – فى الإصحاح العشرين من إنجيل متى هكذا: [١– فإن ملكوت السموات يشبه رجلاً رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فعلة لكرمه . ٢– فاتفق مع الفعلة على دينار فى اليوم وأرسلهم إلى كرمه. ٣– ثم خرج نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين قياماً فى السوق بطالين. ٤ – فقال لهم اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فأعطيكم ما يحق لكم فمضوا. ٥– وخرج أيضاً نحو الساعة السادسة والتاسعة وفعل ذلك. ٦ – ثم نحو الساعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين قياماً بطالين فقال لهم لماذا وقفتم هاهنا كل النهار بطالين؟.

٧– قالوا له: لأنه لم يستأجرنا أحد، قال لهم: اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم. ٨– فلما كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله ادع الفعلة وأعطهم الأجرة مبتدءًا من الآخرين إلى الأولين. ٩– فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة وأخذوا ديناراً ديناراً. ١٠– فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر فأخذوا هم أيضاً ديناراً. ١١– وفيما هم يأخذون تذمروا على رب البيت. ١٢– قائلين هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر. ١٣– فأجاب وقال لواحد منهم: يا صاحب ما ظلمتك أما اتفقت معى على دينار. ١٤– فخذ الذى لك واذهب فإنى أريد أن أعطى هذا الأخير مثلك. ١٥– أوما يحل لى أن أفعل ما أريد بمالى أم عينك شريرة لأنى أنا صالح. ١٦– هكذا يكون الآخرون أولين والأولون آخرين، لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون].

فالآخرون أمة سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ فهم يقدمون فى الأجر، وهم الآخرون الأولون كما قال النبى ﴿ﷺ وآله﴾: (نحن الآخرون السابقون) وقال: (إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتى).

البشارة الرابعة:

٤ – فى الإصحاح الحادى والعشرين من إنجيل متى هكذا: [٣٣– اسمعوا مثلاً آخر، كان إنسان رب بيت غرس كرماً وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجاً وسلمه إلى كرّامين وسافر. ٣٤– ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبيده إلى الكرامين وسافر ليأخذ أثماره. ٣٥– فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً. ٣٦– ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك. ٣٧– فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً: يهابون ابنى. ٣٨– وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو

الوارث هلموا نقتله ونأخذ ميراثه. ٣٩- فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه. ٤٠- فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين. ٤١- قالوا له: أولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً ردياً ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار فى أوقاتها. ٤٢ – قال لهم يسوع أما قرأتم قط فى الكتب الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كل هذا وهو عجيب فى أعيننا. ٤٣- لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره. ٤٤- ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه. ٤٥- ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم].

أقول: إن رب بيت كناية عن الله، والكَرْمُ كناية عن الشريعة، وإحاطته بسياج وحفر المعصرة فيه وبناء البرج كنايات عن بيان المحرمات والمباحات والأوامر والنواهى، وأن الكرامين الطاغين كناية عن اليهود كما فهم رؤساء الكهنة والفريسيون أنه تكلم عليهم، والعبيد المرسلين كناية عن الأنبياء عليهم السلام، والابن كناية عن عيسى عليه السلام وقد قتله اليهود أيضاً على حد قولهم.

والحجر الذى رفضه البناءون كناية عن سيدنا محمد ﴿ صلى الله عليه وسلم وآله﴾، والأمة التى تعمل أثماره كناية عن أمته ﴿ صلى الله عليه وسلم وآله﴾، وهذا هو الحجر الذى كل من سقط عليه ترضض، وكل من سقط هو عليه سحقه، والقول أن هذا الحجر عبارة عن عيسى عليه السلام غير صحيح لوجوه:

الوجه الأول: أن داود عليه السلام قال فى المزمور المائة والثامن عشر هكذا: [الحجر الذى رفضه البناءون هو صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا]. فلو كان هذا الحجر هو عيسى عليه السلام وهو من اليهود من آل يهوذا من آل داود عليه السلام رأس الزاوية فأى عجب فى أعين اليهود عموماً لكون عيسى عليه السلام رأس الزاوية سيّما فى عين داود عليه السلام خصوصاً لأن داود عليه السلام يعظم عيسى عليه السلام فى مزاميره تعظيماً بليغاً، بخلاف آل إسماعيل، لأن اليهود كانوا يحقرون أولاد إسماعيل غاية التحقير وكان كون أحد منهم رأس

الزاوية عجيب فى أعينهم.

الثانى: أنه وقع فى وصف هذا الحجر كل من سقط على هذا الحجر يترضض وكل من سقط هو عليه سحقه. ولا يصدق هذا الوصف على عيسى عليه السلام لأنه قال: [وإن سمع أحد كلامى ولم يؤمن فأنا لا أدينه لأنى لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم] كما هو فى الإصحاح الثانى عشر من إنجيل يوحنا، وصدقه على سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ غير محتاج إلى البيان، لأنه كان مأموراً بتنبيه الفجار الأشرار فإن سقطوا عليه ترضضوا وإن سقط هو عليهم سحقهم.

الثالث: قال النبى ﴿ﷺ وآله﴾: (مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل قصر أحسن بنيانه وترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه إلى موضع تلك اللبنة. فأنا اللبنة ختم بى البنيان وختم بى الرسل).

الرابع: أن المتبادر من كلام المسيح عليه السلام أن هذا الحجر غير الابن لوجوه: أن المسيح عليه السلام من بنى إسرائيل ومن سبط الأنبياء عليهم السلام، وكونه يكون حجر الزاوية لا يخزن داود عليه السلام ولا يجعله يعجب ولا يكون عجيباً عند بنى إسرائيل جميعاً.

فلابد وأن يكون هذا الحجر من نسل هاجر التى كان أبناؤها مسترذلين عند بنى إسرائيل، ولأن المسيح عليه السلام صلب كما اعترف به النصارى واليهود، والمصلوب سحقه اليهود، فظهر أن من وقعوا عليه لم يسحقهم ولكنه انسحق بهم فى نظرهم، ومن المقرر أنه عليه السلام لم يقع على شئ فيسحقه. وأما الحجر المسترذل من البنائين فإنه إنما هو رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ لأنه من نسل إسماعيل عليه السلام من هاجر وهو الذى كان حجر الزاوية ووقع عليه العرب أجمعين فرضضهم، ووقع على العرب والعجم جميعاً ممن خالفه فسحقهم، ولا يزال ولله الحمد من وقع عليه ﴿ﷺ وآله﴾ رضضه، وإذا وقع هو ﴿ﷺ وآله﴾ على غيره محقه، ولن يزال إن شاء الله حتى تقوم الساعة.

هذا وكيف يتصور أن المسيح يبشر بنفسه أو سأل الله مجئ نفسه وهو موجود بين

الناس، أو يقول: (يسلب الكرم منكم لغيركم) ويريدنفسه وأتباعه وهو منهم وليس من غيرهم.. لعل القارئ يتأمل، ولو أن المسيح عليه السلام بشر بمجئ نفسه وصلى لله ليجئ المسيح نفسه لأقام الحجة على أنه ليس هو المسيح، أو دل ذلك على أنه هو جاهل بنفسه وبمن هو نبيهم، أعوذ بالله من فهم يؤدى إلى نقص رسول كريم على الله.

أما قولى: وأنا أعتقد أنه لم يصلب.. فإن الذين وقعوا عليه تمكنوا منه حتى رفعه الله إليه ولم يمحققهم، فنجا بفقده من بينهم، والمبشر به يرضض من وقعوا عليه لأنه ليس هو رأس الزاوية، ولو قيل: إن ملك الروم غزا اليهود بعد أربعين سنة من المسيح فذلك انتقام الله، ينتقم الله به من الظالمين ولو ظلموا غير نبى، بل ولو غير ولى، والمثل صريح فى أمة يمحق الله بنفسه من سقط عليهم، ويرضض هو بنفسه من سقطوا عليه، وقبَّح الله عمى البصيرة، ولعن الله حظاً يقود صاحبه إلى محاربة الحق والصد عنه.

البشارة الخامسة :

٥- الإصلاح الثانى من رؤيا يوحنا اللا هوتى هكذا: [٢٦- ومن يغلب ويحفظ أعمالى إلى النهاية فسأعطيه سلطاناً على الأمم. ٢٧- فيرعاهم بقضيب من حديد كما تكسر آنية من خرف كما أخذت أنا أيضاً من عند أبى. ٢٨- وأعطيه كوكب الصبح. ٢٩- ومن له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس].

فهذا الغالب الذى أعطى سلطاناً على الأمم ويرعاهم بالقضيب من حديد هو سيدنا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾، كما قال الله تعالى فى حقه: ﴿وينصرك الله نصراً عزيزا﴾ (الفتح: ٣)، وقد سمّاه سطيح الكاهن: (صاحب الهراوة).

فقد روى أن ليلة ولادته ﴿ ﷺ وآله﴾ انشق إيوان كسرى أنوشروان وسقط منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغارت بحيرة ساوة بحيث

صارت يابسة، ورأى المربذان فى نومه أن إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً فقطعت دجلة فانتشرت فى بلادها، فخاف كسرى من حدوث هذه الأمور، وأرسل عبد المسيح إلى سطيح الكاهن الذى كان فى الشام، ولما وصل عبد المسيح إليه وجده فى سكرات الموت، فذكر هذه الأمور عنده فأجاب سطيح: إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحب الهراوة، وغاضت بحيرة ساوة، وخمدت نار فارس، فليست بابل للفرس مقاماً، ولا الشام لسطيح مناماً، يملك منهم ملوك وملكات، على عدد الشرفات، وكل ما هو آت آت، ثم مات سطيح من ساعته.

ورجع عبد المسيح فأخبر أنوشروان بما قاله سطيح، قال كسرى: إلى أن يملك أربعة عشر ملكاً كانت أمور وأمور، فملك منهم عشرة فى أربع سنين، وملك الباقون إلى خلافة عثمان رضي الله عنه ، فهلك آخرهم يزدجر فى خلافته. والهراوة العصا الضخمة.. وكوكب الصبح عبارة عن القرآن، قال الله تعالى فى سورة النساء: ﴿وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾. وفى سورة التغابن: ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا﴾.

البشارة السادسة:

٦ – وفى الإصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا: [١٥– إن كنتم تحبونى فاحفظوا وصاياى. ١٦– وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد. ١٧– روح الحق الذى لن يطيق العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم. ٢٦– وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الأب باسمى فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم. ٢٩– وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون].

وفى الإصحاح الخامس عشر من إنجيل يوحنا: [٢٦– ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من عند الأب روح الحق الذى من الأب ينبثق فهو يشهد لى، وتشهدون أنتم

أيضاً لأنكم معى من الابتداء].

وفى الإصحاح السادس عشر من إنجيل يوحنا: [٧- لكنى أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى. ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. ٨- ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة.

٩- أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى. ١٠- وأما على بر فلأنى ذاهب إلى أبى ولا ترونى أيضاً. ١١- وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد أدين. ١٢- إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. ١٣- وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية. ١٤- ذاك يمجد لأنه يأخذ مما لى ويخبركم].

وقبل أن نبين وجه الاستدلال بهذه العبارات يجب أن نتبين أمرين:

الأول: أن الترجمة العربية للإنجيل والمطبوعة فى لندن سنة ١٨٢١، ١٨٣١، ١٨٤٤ كانت تترجم اسم المعزى بلفظة فارقليط.

والثانى: أن عيسى عليه السلام كان يتكلم العبرانية، وكان من عادة أهل الكتاب أن يترجموا الأسماء فإنه لا شك أن الاسم المبشر قد ترجم من العبرانية لليونانية ثم عرّبه مترجمو العربية مرة أخرى بفارقليط ومرة بالمعزى.

هذا وإن اللفظ العبرانى الذى قاله عيسى عليه السلام مفقود، واللفظ اليونانى الموجود هو ترجمة له، فإن قلنا: إن اللفظ اليونانى هو (باراكلى طوس) فإن معناه المعزى والمعين والوكيل أو الشافع، كما يوجد فى ترجمة الإنجيل المطبوعة بلندن ١٨٧٦.

وهذه المعانى تصدق على سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ .

وإن قلنا: إن اللفظ اليونانى الأصلى (بيركلوطوس) فالأمر ظاهر، وتكون بشارة المسيح فى حـــق ســـيدنا محمـــد ﴿ﷺ وآله﴾ بلفظ هو قريب من محمد وأحمد، وإن كان قريب القياس بلحاظ مادهم.

فى كل سفرٍ من الأســـفار آيتـه   تتلـــى من الأنبياء ولنا لقد تقـرا
قد أعجزت آيه الألبـاب كـثرتهـا   لـــم تحص عدا وتلك الآى تستقرى
لا تعجبوا فهو خير الرسل قاطبـة   وهـــو الشفيع وفضل الله والبشرى

ضرورة الإيمان برسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ :

هنا.. بعد أن اتضح الحق جلياً، وانكشف الحجاب عن القلـوب وظهـرت أسـرار الغيوب، لا أرانى مغالياً إن حكمت بأن من غض بصره عن هذا السيد الكريم ﴿ﷺ وآله﴾ ، أو أنكر رسالته كافر بالله سبحانه وبموسى والمسيح عليهما السلام. عـدو لله ولرسـله عليهم الصلاة والسلام.

وكيف لا، والتواتر الذى نقل إلينا أخبار المسيح وآياته وكتابه أثبتت أنه يأتى رسـول من بعده بالبشائر المتقدمة، وقد بعث الله هذا الرسول داعياً إلى ما دعا إليه الكليم والمسيح عليهما الصلاة والسلام، مبيناً للناس ما أُبهم عليهم من الكتب السماوية، مفصلاً ما أجمـل منها، مكملاً العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، أنزل الله عليه الكتاب معجزة وتبياناً لكل شئ فدعا الناس إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأقام الحجة بـالمعجزة البـاهرة، فسارع أهل العلم من اليهود والنصارى واتبعوه خاضعين لما ظهر لهم من الحق، واتضح لهم من الحجة.

وأبى أكابر مجرميهم ممن خاف زوال ملكه وضياع عزه، فرضوا بالحياة الدنيا واطمـأنوا بها، والذين هم عن آياتنا غافلون، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون.

وقد سجلت سورة البينة الإجماع الذى وقع بين اليهود والمشركين على الإيمان بالسيد الكريم ﴿ﷺ وآله﴾، ثم تفرق اليهود كافرين وسبق الأوس والخزرج للإيمان، قال الله تعالى:﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ البَيِّنَةُ* رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفاً مُّطَهَّرَةً* فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ* وَمَا تَفَرَّقَ الَذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَةُ* وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ﴾ (البينة: ١–٥).

وسر سبق الأوس والخزرج للإيمان والتصديق سماعهم البشائر بالنبى المنتظر ﴿ﷺ وآله﴾، والاستفتاح به فى المعارك، والنصر به ﴿ﷺ وآله﴾.

٣ - شبهة تعدد الزوجات

من المطاعن التى يتغنى بها أعداء الإسلام فى كل واد مسألة تعدد زوجات النبى ﴿ﷺ وآله﴾، فإنهم لا يتركون فرصة تمر بدون أن يصوروها للعامة فى صورة منكرة تتنافى مع مقام النبوة، وتتعارض مع الوحى الإلهى، وتناقض تعاليم القرآن الذى ينهى عن إيتاء الشهوات، والواقع أن هؤلاء كانوا شراً ووبالاً على دينهم وعلى كتابهم وعلى عقائدهم، فإنهم أرادوا أن يبنوها فهدموها، وأرادوا أن يقوموها فأسقطوها، وأرادوا أن يرفعوها فخفضوها، وأرادوا أن يؤيدوها فخذلوها.

إن هؤلاء ذكروا مسألة تعدد زوجات النبى ﴿ﷺ وآله﴾ فى غير موضع من كتبهم، وفى كل مرة يسبوا خير الأنبياء، ويعرضوا به تعريضاً يستفز غضب الحليم.

وإنى لا أريد أن أجارى هؤلاء ولا أنقل عنهم ما يقولونه فى سيد الرسل الكرام، ولكننى

أريد أن أعرض على العقلاء هذا الموضوع، وأبين للناس حقيقة أمره، وأترك لهم الحكم على هؤلاء الذين لا يكادون يفقهون حديثاً.

إنهم يعيبون على النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ أنه عدَّد زوجاته، وأحل لنفسه من النساء أكثر مما أحله لأمته، ثم يقولون: إن حبه للنساء دفعه إلى أن يتزوج بزوجة ابنه زيد.. وهم فى هذا المقام يهولون تهويلاً عظيماً، ويقولون كيف تجتمع الرسالة مع هذا العمل، حتى قالوا: إنها وصمة تدل على أن القرآن من عند محمد، وأن المحققين اجتنبوا دينه من أجلها، وقالوا: إن القرآن قد تناقض مع نفسه لأنه قال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى﴾(النازعات:٤٠،٤١). ثم أباح تعدد الزوجات لمحمد أكثر من سائر المؤمنين... إلخ.

أما أنا فأقول: إن أعداء الإسلام لبسوا فى هذه المسألة ثياب الملائكة والقديسين، ووقفوا موقف النزاهة والعفة، فهم يعتبرون تعدد الزوجات بالطرق المشروعة المناسبة للبيئات المختلفة نقيصة تنافى النبوة وتنافى الكتب المقدسة.

حسناً.. فلنمش مع هؤلاء الأطهار المزيفين، ولننظر فيما يزعمون نظراً نزيهاً لنمحص الحق فى هذه المسألة تمحيصاً دقيقاً، بحيث لا يبقى فى نفس أحد منها شيء.. ويمكن حصر الكلام فى هذا الموضوع فى أمرين:

الأمر الأول: هو أن نثبت بالبرهان القاطع الذى لا يرتاب فيه عاقل أن أعداء الإسلام مضللون فى هذا المقام، متناقضون مع كتبهم تناقضاً صريحاً، وأنهم إما أن يكونوا ملحدين يريدون أن يطعنوا على كتبهم المقدسة عندهم وعلى أنبيائهم قبل أن يطعنوا فى كتاب المسلمين ونبيهم، وإما أن يكونوا كاذبين فى طعنهم على سيدنا محمد رسول الله وعلى كتابه وهم يعلمون أنهم كاذبون، وإنما هم يحاولون بذلك أن يصطادوا من جهلاء المسلمين وضعاف القول أحداً ليبرروا ما يبتزونه من الأموال التى يظفرون بها أجراً على ذلك، وجزاء الحالين عند الله نار السعير.

الأمر الثانى: إثبات أن النبى ﴿ﷺ وآله﴾ كان من أنزه البشر وأعف بنى الإنسان، وأن تعدد زوجاته كان غرضاً لازما لا بد منه، لأن الدعوة إلى الله يومئذ كانت تقتضى ذلك، كما أنه ﴿ﷺ وآله﴾ كان مبرءاً من كل نقيصة تخل بمقام النبوة، وكل ما خالف ذلك فهو كذب، ولكنا سنورد ما ذكرته الكتب المقدسة لإظهار تضليلهم، وأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم فهم من شرار المنافقين.

إنهم يكفرون بكتبهم:

فلنتكلم فى الأمر الأول: إنهم يزعمون أن تعدد الزوجات عيب يخل بمقام النبوة، وبديهى أن الزنا الصريح أشد عيباً وفظاعة من تعدد الزوجات (على فرض أن الزواج عيب). وأن الزنا بامرأة القائد المخلص وقتله للاستيلاء على امرأته أشد فظاعة ونكراً من الزنا العادى (كما يكذبون على سيدنا داود). وأن الزنا بالبنات والمحارم أشد فظاعة وجرماً من الزنا بامرأة القائد (كما يكذبون على سيدنا لوط). وأن خيانة الله تعالى وخداعه فى أمر الرسالة (كما يكذبون على سيدنا موسى وهارون وسليمان) أشد جرماً من الزنا فى ذاته، وهذه الأمور كلها قد ذكرتها التوراة صريحاً، وألصقتها بأنبيائهم العظام، الذين يعبرون عن بعضهم بأنهم أولاد الله الأبكار. وهم مع ذلك يؤمنون بالتوراة، ويؤمنون بأن هؤلاء الأنبياء الذين ارتكبوا هذه الموبقات والجرائم من كبار الأنبياء الذين ورث عنهم عيسى مجده، لأن من بين هؤلاء يعقوب وداود. على أن تعدد الأزواج قد وجد فى الأنبياء العظام كإبراهيم وداود ويعقوب وغيرهم. فكيف يصح لعاقل (يؤمن بالتوراة المشتملة على ذلك، ويؤمن بالأنبياء الذين وصفتهم التوراة بذلك) أن يعيب القرآن الكريم الذى أباح تعدد الزوجات، ويطعن على سيدنا محمد الذى جمع بين عدد من النساء. ألم يفقه هؤلاء أن طعنهم على كتاب الله ونبى الله بهذه الحالة هو فى الحقيقة طعن على كتابهم المقدس عندهم طعناً مراً، لأن البداهة تقضى بأن يقول الناس إذا كان تعدد الأزواج عيباً ينافى النبوة، فالزنا الصريح والخيانة الواضحة، بل الشرك بالله تعالى ينافى النبوة من باب أولى، فالتوراة التى قالت إن هؤلاء الجناة أنبياء كاذبة فيما تقوله من نبوتهم. ذلك أمر بديهى لا يخفى على أحد من

الناس.

والنتيجة المنطقية البديهية لهذا الكلام هى أنهم يكفرون بـــالتوراة وبالأنبيـــاء الـــذين وصفتهم بأقبح الصفات كفراناً صريحاً، أشد من كفرانهم بسيدنا محمد وكتابه الحكيم، لأن الموبقات التى رمتهم بها لا يذكر إلى جانبها زواج رجل أجنبى بامرأة آخر طلقها باختياره لا رابطة بينهما إلا أن أحدهما كان يخدم الآخر خدمة خالصة، حتى قال له إننى ابنك فـــدعاه الناس بابنه. فإذا فرضنا أن العقول الإنسانية قد ألغيت واعتبرت هذا عيباً، فهل يصـــح أن يكون هذا العيب مماثلا لعيب الرجل الذى يزنى بابنتيه وهو لوط الـــنبى بعـــد أن يســـكر فيحبلهما وتأتى كل واحدة منهما بولد يكون رأس قبيلة كبيرة منها جدة إلههم؟ أظـــن أن الذى يقيس هذا بذلك يكون متعسفاً، لأننا حتى لو فرضنا أن زيداً ابن حقيقى لسيدنا محمد وكانت شريعته تبيح زواج امراة الابن، كان زواج امرأته زينب حسناً، ما كـــان لهـــم أن يعترضوا عليه وهم يعلمون أن التوراة قالت إن يعقوب نبيهم العظيم جمع بين بنتى خالـــه، وإبراهيم أبو الأنبياء تزوج أخته لأبيه.

إذ لا شك فى أن زواج امرأة الابن بعد طلاقها أهون من زواج الأخت لـــلأب، ومـــن الجمع بين الأختين.

أظن أن هذا ظاهر لا يخفى على هؤلاء المنصرين ولكنهم يكتمون الحق وهم يعلمون.

ولعل العقلاء يريدون أن يعرفوا تفاصيل الفضائح التى نسبتها توراتهم إلى الأنبياء، وإننى أؤكد لهم أننى أخجل من ذكرها، وأعتقد أن الأنبياء متزهون عنها كل التتزيه ومبرؤون منها براءة تامة، وقد أدخلها فى التوراة المفسدون المحرفون، حملهم عليها الجهل الفاضح، لأنه قد يقع من الأنبياء بعض الأمور التى لا نقص فيها فى الواقع، ولكن يتخيلـــها بعـــض الجهلـــة نقائص، فيشيعونها بينهم على وجه مشوه، ثم ينقلها أعداء الأنبياء فى صورة مكبرة قبيحـــة، ويحشرونها فى الكتب المقدسة لتكون وصمة عار أبد الآبدين.

نزاهة النبى ﴿ﷺ وآله﴾ وبراءته من كل عيب:

وأما الأمر الثانى: وهو نزاهة النبى ﴿ﷺ وآله﴾ وبراءته من كل عيب، فهى معروفة لأعدائه قبل أتباعه وأحبابه، فلم يجمع ﴿ﷺ وآله﴾ بين الزوجات لشهوة فاسدة أو لغرض خسيس، وحاشاه أن تتحكم فيه شهوة وهو المربى العظيم للعالم أجمع، الذى أسس للبشر قواعد الفضائل التى ينبنى عليها إصلاح المجتمع، حاشاه أن ينقاد لشهوة أو يخضع للذة جسمانية، وهو الذى كان يهجر كل اللذات الدنيوية إلى حد أنه يصوم صوم الوصال، بينما كانت الأموال توضع أمامه أكواماً، فيوزعها على الناس، ولا يأخذ منها لا قليلاً ولا كثيراً. أنا لا أريد بذلك أن أقول إنه ﴿ﷺ وآله﴾ كان مجرداً من الشهوة الطبيعية. كلا فإنه كان أكمل الناس خَلقا وخُلقاً، وأحسنهم صحة وقوة، بل أريد أن أقول إنه كان يتصرف فى شهواته تصرف الحاكم الحازم الذى لا يسمح لها أن تطغى عليه فى أى حال من الأحوال. فلم يجمع ﴿ﷺ وآله﴾ بين نساء كثيرات إلا لمصلحة اقتضتها ضرورة الدعوة إلى الله تعالى.

كيف لا، وهو الذى سن لأمته مراقبة الله فى كل حركة وسكون، وعلمهم أن هذه اللذات التى هى فى الواقع من لوازم الأجسام الحساسة، يجب أن يراعى فيها ما يسمو بالإنسان إلى الروحانيات، فلا يصح لهم أن يقصدوها لذاتها مطلقاً، وقد ثبت فى الصحيح أن النبى ﴿ﷺ وآله﴾ قال: (تنكح المرأة لمالها وحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) متفق عليه. وقال ﴿ﷺ وآله﴾ : (لا تنكحوا النساء لحسنهن فلعله يرديهن، ولا لمالهن فلعله يطغيهن، وانكحوهن للدين، ولأمة سوداء خرقاء ذات دين أفضل) من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً.

فمن يتأمل فى هذين الحديثين يستطيع أن يحكم على غرض الشريعة الإسلامية من الزواج حكماً جازماً، وهو أنه لا غرض للإسلام من الزواج إلا تكوين أسرة صالحة تنفع المجتمع، فليس الغرض مجرد قضاء الشهوات البهيمية، كلا، فإن الذى يتبع مقتضى شهوته

لا مناص له من التعرض لما عساه أن يترتب عليها من مفاسد وشرور، ألا ترى أن الرجل الذى يجعل همه منحصراً فى البحث عن امرأة حسناء لا يعنيه غير ذلك قد يقع فى شباك امرأة حسناء تذيقه مر العذاب، وتستعمل حسنها فى إذلاله إلى حد أن يخنع لها فى أعز شيء لديه، فيفرط فى عرضه ويكون بذلك ديوثاً لا قيمه له فى الوجود. ومثلها المرأة ذات المال فإن مالها يطغيها فتتسلط عليه وتستذله، وتنقلب حاكمة تتصرف فيه كما تهوى، بل ربما تسخره لقضاء شهوتها الفاسدة من حيث لا يدرى، فلا بد للرجل من أن يجعل همه منحصراً فى البحث عن خلق المرأة واستقامتها، ويتأكد من تمسكها بدينها الذى يفرض عليها حقوقاً لزوجها تقتضيها البشرية، كما يفرض لها عليه حقوقاً فإذا توفرت فى المرأة ذلك المعنى، كانت هى الزوجة الصالحة فى نظر الشريعة الإسلامية. أما ما وراء ذلك من جمال ومال فهو وإن كان من المرغبات التى تبعث الرجل إلى الاقتران بها، ولكن ينبغى أن يكون الأساس الأول هو الخلق الفاضل بما فرضه الله على الأزواج من الحقوق والواجبات.

فهل الذى يضع للناس ذلك النظام الخلقى الكامل تتغلب عليه شهوته فتدفعه إلى أن يجمع بين زوجات كثيرات لمجرد قضاء شهوة؟ كلا، إن ذلك ضرب من ضروب المحال، فلم يتزوج ﴿ﷺ وآله﴾ إلا لضرورة اقتضتها الدعوة إلى الله تعالى وهذه الضرورة تتنوع إلى أنواع:

١- منها: إيجاد لحمة نسب بين كبار أصحابه الذين بذلوا مهجهم وأموالهم فى سبيل الله تعالى، ومنهم أبو بكر وعمر، وقد كان لرابطة النسب قيمتها عند قبائل العرب، وأقل ما يترتب عليها من الفوائد تخفيف وطأة العداء الشديد بين النبى ﴿ﷺ وآله﴾ وبين من لم يؤمن من أقارب أصحابه المقربين منه، وفى ذلك من الفوائد ما لا يخفى. على أن المصاهرة قد يترتب عليها ترك العناد والنظر فى البراهين نظراً صادقاً فيؤمنون، والدليل على ذلك كما تقول إحدى الروايات أن النبى ﴿ﷺ وآله﴾ عقد على عائشة وهى بنت ست سنين وبنى بها وهى بنت تسع، فأية شهوة تتصور مع فتاة وهى فى هذه السن؟، خصوصاً أنه قد ثبت أنها يومئذ كانت نحيفة. وقد ثبت فى الصحيح أيضاً أن عمر قال لحفصة: إنى أعلم أن رسول الله ما تزوج بك إلا لأجلى، إذ ليس بك من الجمال ما يبعثه للتزوج بك.

٢- ومنها: تزوجه بعض النسوة لضرورة نشر الدعـوة إلى الله تعـالى، لأن الشـريعة الإسلامية قد أبانت كل ما يتعلق بحقوق الاستمتاع وآدابه، كما أبانت مسـائل الحـيض والنفاس وغيرهما من أحوال النساء، ولا ريب فى أن الأحكام المتعلقة بهذا تحتاج إلى عـدد من النساء يباشرها عملياً، فلا مناص للنبى ﴿ ﷺ وآله﴾ من أن يعاشر عددا منهن معاشرة الأزواج لينقلوا عنه شريعته كاملة.

ومنهن أم سلمة وسودة بنت زمعة رضى الله عنهما. وقد تزوجهما ﴿ ﷺ وآله﴾ وهمـا فى سن الشيخوخة تقريباً لا رمق فيهن حتى أن سودة لم تكن صالحة للرجال.

٣- ومنها: تزوجه ﴿ ﷺ وآله﴾ بعض النسوة لغرض هداية قومها للإسلام كما وقـع مع جويرية بنت الحارث فإنه لما تزوج بها أسلم قومها.

زواجه ﴿ ﷺ وآله﴾ من السيدة زينب رضى الله عنها

٤- ومنها تزوجه بعض النسوة لضرورة التشريع. وهو ما وقع له مـع زينـب بنـت جحش مطلقة زيد رضى الله عنهما، وأعداء الإسلام يعتبرون هذه القصة سبة وعاراً، وقـد أعانهم على ذلك بعض المحدثين الذين لا همَّ لهم إلا البحث عن صدق الراوى مع الغفلة عن حاله، فقد نظروا إلى بشريته ﴿ ﷺ وآله﴾ ولم ينظروا إلى عظمة وجلال مقام النبوة. ومـع ذلك فإن هذه القصة قد ذكرها الله فى القرآن الكريم، فكل معنى زائـد علـى القـرآن ويتعارض معه لا قيمة له أيضاً، وإليك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ (الأحزاب:٣٧).

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾(الأحزاب:٤٠).

الرد على شبهة المستشرقين:

بمقدورنا أن نجبه هذه الأقوال بأن ما حدث هو سمو من الخضوع لقانون المجتمع يسمح به لكل عظيم، ويسمح به للملوك ورؤساء الدول الذين تقدسهم الدساتير، وتجعل ذاتهم مصونةً لا تمس.. لكننا فى هذا نجنى على التاريخ، وعلى عظمة سيدنا محمد وجلال رسالته.

ويكفينا فى هذا المقام أن ندحض هذه الشبهة بما ذكره الإمام أبو العزائم عليه السلام فى كتابه (النجاة فى سيرة رسول الله) حيث يقول:

أولاً: إن زعم بعض القدامى والمحدثين أن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ رأى السيدة زينب فوقع حبها فى قلبه، روايات لا تعدو أن تكون من دس القصاصين ونسج الإسرائيليين الذين ينسبون ما هو أشنع من ذلك لأنبيائهم، ومهما قيل فى ناقليها من صدق وضبط كالطبرى والزمخشرى، فإن القواعد المقررة التى تثبت العصمة للرسل تؤكد بُعد هذه الأقاصيص عن الحقيقة، وما من شك أن عشق النبى لزوجة رجل آخر يتنافى مع العصمة التى تعنى الطهارة، طهارة ظاهرهم وباطنهم من الإثم بل ومن شبه الإثم، ولو قيل عن واحد منا – يتكرم فى نفسه –: إنه عشق امرأة صديقه لعامة الناس لتجنبوه فكيف لو كان نبياً ورسولاً؟.. وما معنى حفظ الله له إذا تركه يقع فى مثل هذا؟ وكيف وقد أمره الله بعكس ذلك: ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ﴾ (الحجر:٨٨). وهذه الفرية وضعها أعداء الرسل بقصد التطاول على مقام العصمة الواجب لهم.

ثانياً: وقع بعض المخلصين فى إيمانهم فى وهم تأكيد بشرية الرسول بإثبات أمثال هذه الأقاصيص، ونسوا أن الرسل مع أنهم بشر إلا أن لهم خصوصية ليست لسائر البشر، وهى العصمة التى تنافى كل ما يرذلون به ويعابون، فضلاً عن منافاتها لما به يأثمون، وقصتهم هذه حول السيدة زينب تكاد تتفق مع ما زعموه وردده كثير من المفسرين حول نبى الله داود

زاعمين أنه رأى زوجة أوريا فأعجبته، وكيف احتال ليتزوجها مع كثرة ما عنده من الزوجات، وكل موقف من أحداث القصة المزعومة يخرق العصمة، ويهدم طهارة النبوة، وليس إثبات بشرية الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ فى حاجة إلى مثل هذه الأقاويل.

ثالثاً: ليست السيدة زينب بالتى لم يرها النبى ﴿ﷺ وآله﴾ مرات عديدة قبل زواجها حتى يفاجأ بعد زواجها بهذا الجمال الباهر، ولو كان الأمر كما يزعمون لتزوجها بكراً، وقد كانت زينب طامعة بهذا الزواج، حريصةً عليه، بعد أن وهبت نفسها لرسول الله ﴿ﷺ وآله﴾.

رابعاً: أكشف لك حكمة تزويجه ﴿ﷺ وآله﴾ بالسيدة زينب بنت جحش رضى الله عنها، لتعلم أنه ﴿ﷺ وآله﴾ نور الله المشرق لعباده أجمعين فى عمله الشخصى، والاجتماعى، وقوله، وحاله، ومعاملاته.. قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ (الأحزاب:٣٧). صرح الله سبحانه وتعالى لحكمة تزويجه ﴿ﷺ وآله﴾ بزينب بنت جحش رضى الله عنها تصريحاً لا يحتاج إلى تأويل، مبيناً أن ذلك العمل حكم من أحكام الله تعالى، تبين به سنة الله التى لا تبديل لها، وذلك لرفع الحرج عن المؤمن إذا تبنى لنفسه أجنبياً من أن يتزوج زوجة من تبناه إذا طلقها، وكان هذا من العار عند الجاهلية، ومما يُسب به الرجل إذا فعله، وجاء القرآن المجيد فحرم زوجة الابن على الأب وأشكل الأمر، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ﴾ إلى أن قال سبحانه وتعالى: ﴿وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ﴾ (النساء:٢٣).

فاقتضت حكمة الله أن يترع من قلوب المسلمين عادةً لصقت بها، وبدعةً استحكمت فيها، وهى إنزالهم المتبنى مترلة الابن للصلب حكماً، قال الله تعالى ماحياً تلك الضلالة، مثبتاً حكمه وسننه سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ * ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ

فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ (الأحزاب:٥،٤). ولو أنها نسخت علماً مع استحكامها عملاً لما تخلت النفوس عن عادتها. ومعلوم أنه ﴿ﷺ وآله﴾ خاتم الرسل وعمله بنفسه فى نفسه هو الفضيلة العظمى عند كل مسلم، والحق الصراح بلا شك ولا ريب، وأكمل الله لنا ديننا بأن أمر رسوله ﴿ﷺ وآله﴾ بزواج السيدة زينب لتتم النعمة علينا بعمله ﴿ﷺ وآله﴾، ولتزول من القلوب ما أشربته من العوائد الجاهلية، وينمحى من النفوس ما اعتادته من السنة المضلة.

خامساً: يقولون: نظر رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ إلى زينب فمال قلبه إليها، وهى زوجة مولاه وابنه، وتتره قلب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ أن يميل لغير ذات الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وإنما كان ﴿ﷺ وآله﴾ بعد أن أمره الله تعالى بتقرير هذا الحكم فى نفسه إذا نظر إلى زينب يتأثر تأثر من أكبر الأمر، ويرجو أن يقرر الله الحكم علماً لا عملاً بذاته ﴿ﷺ وآله﴾، رحمة بقلوب المسلمين، ومحبة لحبه زيد بن حارثة رضي الله عنه، وما كان يتأثر ﴿ﷺ وآله﴾ تأثراً بشرياً.. أعوذ بالله من الجهل بمكانة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾.

سادساً: أنت تعلم أن زيداً مملوك من موالى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وأن زينب من أشرف بيوتات قريش، وقد بلغت من المجد والشرف أن لها نسباً مع رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، فزوجها زيداً ليمحى ظلمات الجهالة عن نفوس المسلمين، فيعلموا حق العلم أن العبد المملوك فى مستوى واحد مع الهاشمى المالك، وأنه كفء لأشرف امرأة من قريش، حتى يكون الفخر بالتقوى لا بالأنساب، وبالنفوس الزكية الطاهرة لا بالعصبية والأموال.. لو أنك أيها المنتقد أدركت سر زواج زيد لزينب وما أنتجه فى المجتمع الإسلامى من المساواة بين أفراد المسلمين، حتى صار العبد المسلم مع الشريف القرشى المسلم، لذقت من رحيق الكمالات الإسلامية شراباً طهوراً، يجعل قلبك يدرك حكم الأحكام الإسلامية، فتتنبه من نومة الغفلة ورقدة الجهالة.أ.هـ.

حكمة تعدد الزوجات لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾

اعتقد معى أنه رسول لجميع الخلق، وأنه خاتم الأنبياء، وأنه أرسله الله على فترة من الرسل بين جاهلية عمياء، وأمم ظالمة، ومدن فاسقة، وملوك جبابرة، وهو الذى يضع الحرب كما بشر به المسيح الذى قال: ما جئت لأضع حرباً ولكنى جئت لأضع سلاماً، والذى يأتى من بعدى يحصدهم بالسيف، أو كقوله عليه السلام.

وكان الرسل قبل رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يبعثون لأممهم فقط، وأرسله الله تعالى للناس كافة، فكان لابد أن يكون له ﴿ ﷺ وآله﴾ حزب قوى متماسك متحد اتحاداً بكل معنى الكلمة من أوجه الاتحاد كلها: من جهة الدين، ومن جهة الألفة، ومن جهة القرابة، ومن جهة النسب.

فحقق الله تلك الرابطة بالدين وباللغة، فكان يتكلم مع كل قبيلة بلغتها، ثم أكمل الله تلك الرابطة بما أباحه له ﴿ ﷺ وآله﴾ من تعدد الزوجات بوسعة، فتزوج ابنة أبى بكر الصديق وابنة عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، وزينب بنت جحش للحكمة التى سبقت، وابنة أبي سفيان، وغيرهن ممن كن سبباً فى تقوية الروابط الدينية بسبب النسب واتصاله. ومن نظر بعين المفكر العالم الحكيم يتحقق أن تعدد الزوجات للنبى ﴿ ﷺ وآله﴾ من علامات النبوة، وأكمل دليل على أنه خاتم الرسل، وأنه المبعوث للناس كافة بشيراً ونذيراً، وكيف يخفى على إنسان يعقل البديهى حكمة هذا الحكم؟.

وقد مكث ﴿ ﷺ وآله﴾ راضياً بزوجة واحدة مدة عشرين سنة تقريباً وهو فى ريعان الشباب وراحة البدن وصفاء الوقت، ولم يتزوج السيدة عائشة رضى الله عنها والسيدة حفصة وغيرهما، إلا بعد بضع وخمسين سنة من عمره الشريف، وهو فى أعظم أوقات العمل وأصعب آنات الصعوبة، وهو بين جهاد بالسيف أو باليد أو باللسان، وبين تقرير أصول الدين وبيان فروعه، وبين تنظيم الجيوش وتزكية النفوس، حيث إن أنفاسه ﴿ ﷺ وآله﴾

كانت أنفس من النفائس. ومن قرأ تاريخه ﴿ﷺ وآله﴾ بعد الهجـــرة يتحقـــق أنــه ﴿ﷺ وآله﴾، لم يتزوج واحدة من أمهات المؤمنين بعد الهجرة لشهوة أو رغبة فى لذة، ولم يتزوج قبل الهجرة على التحقيق إلا السيدة خديجة عليها السلام قبل البعثة، ومكث معــه ﴿ﷺ وآله﴾ راضيا بها وراضية به ﴿ﷺ وآله﴾ منذ كان عمره الشريف سبعا وعشرين سنة إلى حوالى الخمسين، فهل القائم بعظائم الأمور الذى يدعو الخلق أجمعين إلى نجـــاتهم بالرحمـــة والرأفة والحريص عليهم، المنصب بكليته على الحق، المجاهد بنفسه منفـــرداً فى ســـبيل الله إظهاراً لدين الله ومحواً للضلال والكفر يتلذذ بغير الحق أو يشتغل نفساً بغـــيره؟ حاشـــا أن يخطر على قلب رسول من غير أولى العزم هذا الخاطر، فكيف يخطر على قلب أفضـــل أولى العزم؟.. إنما هى أعمال لحكمة عالية هى من أكمل الجهاد فى الله سبحانه وتعالى. والعاقـــل يكتفى بأقل الإشارة فكيف لا يكتفى بالعبارة؟!

وأرى أن ألحق بهذه المقدمة الحديث عن ظروف زواجه من بعض زوجاته ﴿ﷺ وآله﴾ ورضى الله عنهن.

زوجاته ﴿ﷺ وآله﴾ :

ما بنى ﴿ﷺ وآله﴾ بواحدة من أمهات المؤمنين لما وصفت به عنده من جمال ونضـــارة، وإنما كانت صلة الرحم والضن بهن على المهانة هى الباعث الأكبر فى نفسه الشريفة علـــى التفكير فى الزواج بهن. ومعظمهن كن أرامل مؤيمات فقدن الأزواج أو الأولياء، وليس من يتقدم لخطبتهن من الأكفاء لهن إن لم يفكر فيهن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾.

وقد كانت كل سيدة من أمهات المؤمنين عندما تأوى إلى البيت الطاهر، فإنما تأوى إليه اعتصاماً من الارتداد والوقوع فى أيدى الحاقدين عليها من ذويها، أو تأوى إليه لإكرامهـــا عن منزلة دون منزلتها، أو عن عرضها على من يضارع أهلها ممن لا يرغبون فيها، وكـــان فيهن النصف (الكهلة)، والعاقر، ومن لا مآل لها غير التأيم، أو العرض المســـتكره علـــى أشراف القوم من أندادها، ولا يخلو ذلك العرض من غضاضة عليها، لما يساورها من الظن

بقبوله حياء من النبى وطاعة لأمره، وليس لإيثار البناء بالسيدة على عرضها للزواج بين أصحابه غير سبب واحد يعقله المنصف والمكابر، لأنه لا يقبل الفهم المعقول على وجه آخر: وذلك هو جبر الخاطر، والبر بالمرأة المؤمنة أن ينتهى بها إيمانها إلى الحطة والهوان، ويكفى أن تسرد أسماؤهن وتذكر أحوالهن عند بناء النبى بهن، لتنقطع الظنة فى أسباب كل زواج شملته الخصوصية النبوية.

١- السيدة سودة بنت زمعة: مات ابن عمها المتزوج بها بعد عودتها من الهجرة إلى الحبشة، ولا مأوى لها بعد موته إلا أن تعود إلى أهلها، فيكرهوها على الردة، أو تتزوج بغير كفء لها لا يريدها.

٢- السيدة هند بنت أبي أمية – أم سلمة – : مات زوجها عبد الله المخزومى، وكان أخاً للنبى ﴿ﷺ وآله﴾ من الرضاع، وكان أيضاً ابن عمها، أصابه جرح فى غزوة أحد فقضى عليه، وكانت كهلة مسنة فاعتذرت إلى الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ بسنها، لتعفيه من خطبتها، فواساها قائلاً: (سلى الله أن يؤجرك فى مصيبتك، وأن يخلفك خيراً) فقالت: ومن يكون خيراً لى من أبى سلمة؟. وكان الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ يعلم أن أبا بكر وعمر قد خطباها فاعتذرت بمثل ما اعتذرت به إليه، فطيب خاطرها، وأعاد عليها الخطبة حتى قبلتها.

٣- السيدة رملة بنت أبي سفيان: تركت أباها وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة، فتنصر زوجها وفارقها فى غربتها بغير عائل يكفلها، فأرسل النبى ﴿ﷺ وآله﴾ إلى النجاشى يطلبها من هذه الغربة المهلكة، وينقذها من أهلها إذا عادت إليهم راغمة من هجرتها فى سبيل دينها، ولعل فى الزواج بها سبباً يصل بينه وبين أبى سفيان بوشيجة النسب، فتميل به جفاء العداوة إلى مودة تخرجه من ظلمات الشرك إلى هداية الإسلام.

٤- السيدة جويرية بنت الحارث سيد قومه: كانت بين السبايا فى غزوة بنى المصطلق، فأكرمها النبى ﴿ﷺ وآله﴾ أن تذل ذلة السباء، فتزوجها وأعتقها وحض المسلمين على

إعتاق سباياهم، فأسلموا جميعاً وحسن إسلامهم، وخيرها أبوها بين العودة إليه والبقاء عند رسول الله ، فاختارت البقاء فى حرم رسول الله.

٥- السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب: مات زوجها، فعرضها أبوها على أبى بكر فسكت، وعرضها على عثمان فسكت، وبث عمر أسفه للنبى، فلم يشأ أن يضن عليه بالمصاهرة التى شرف بها أبا بكر قبله، وقال له: (يتزوج حفصة من هو خير لها من أبى بكر وعثمان).

٦- السيدة صفية الإسرائيلية بنت سيد بنى النضير: خيرها النبى بين أن يردها إلى أهلها، أو يعتقها ويتزوجها، فاختارت البقاء عنده على العودة إلى ذويها. ولولا الخلق الرفيع الذى جبلت عليه نفسه الشريفة، لما علمنا أن السيدة صفية قصيرة يعيبها صواحبها بالقصِر، ولكنه سمع إحدى صواحبها تعيبها بقصرها، فقال لها ما معناه من روايات لا تخرج عن هذا المعنى: (إنك قد نطقت بكلمة لو ألقيت فى البحر لكدرته)، جبر خاطر الأسيرة الغريبة أن تسمع فى بيته ما يكدرها ويغض منها.

٧- السيدة زينب بنت جحش - ابنة عمته -: زوجها من مولاه ومتبناه زيد ابن حارثة فنفرت منه، وعز على زيد أن يروضها على طاعته، فأذن له النبى فى طلاقها، فتزوجها ﴿ﷺ وآله﴾ لأنه هو المسؤول عن زواجها، وسيبطل بهذا الزواج حكماً تشريعياً خاطئاً عند أهل الجاهلية، وما كان جمالها خفياً عليه قبل تزويجها بمولاه، لأنها كانت بنت عمته، يراها من طفولتها، ولم تفاجئه بروعة لم يعهدها كما بينا.

٨- السيدة زينب بنت خزيمة: مات زوجها عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب شهيداً فى غزوة بدر، ولم يكن بين المسلمين القلائل فى صحبته من تقدم لخطبتها، فتكفل بها ﴿ﷺ وآله﴾ إذ لا كفيل لها من قومها.

هذا هو الحريم المشهور فى أباطيل أعداء الإسلام، وهذه هى بواعث النفس التى استعصى على المبطلين أن يفهموها على جليتها، فلم يفهموا منها إلا أنها بواعث إنسان غارق فى لذات الحس، ولقد أقام هؤلاء الزوجات فى بيت لا يجدن فيه من الرغد ما يجده الزوجات فى بيوت الكثيرين من الرجال، مسلمين كانوا أو مشركين.

خصوصية الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾

لقد تزوج الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ نساءه قبل أن يترل القرآن بتحديد الزواج بأربع، فلما نزل لم يؤمر بتطليق، بل نزل القرآن الكريم بالنص على حلهن له بلا حرج: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ (الأحزاب: ٥٠).

إن بقاء أزواجه التسع خصوصية من خصوصياته، وخصوصية لنسائه، كخصوصية وجوب قيام الليل عليه، وخصوصية تحريم الصدقة عليه وعلى آل بيته، وخصوصية نسائه فى مضاعفة العذاب على الفاحشة، ومضاعفة أعمالهن الصالحة بنص القرآن الكريم: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً﴾(الأحزاب: ٣١، ٣٠).

ثم نزل القرآن بتحريم زواجه بغيرهن: ﴿لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلاَ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيباً﴾(الأحزاب: ٥٢).

وحكمة تحليل أزواجه له فى غاية الكمال والجمال والرحمة والإحسان، لأنه لو كلف بتطليق بعض نسائه لوقع هذا الطلاق على النسوة المهاجرات اللاتى ترملن وهن غير مشهورات بجمال، ويكون ذلك خلاف ما كان قد قصد إليه النبى ﴿ﷺ وآله﴾ حين تزوجهن، كما يكون حطاً لأقدارهن، وخدشاً لكرامتهن بعد أن شرفهن الله بالانتساب إلى أشرف بيت عرفته البشرية، والاقتران بأشرف المرسلين، وخاتم النبيين، ولو وقع منه تطليق لكان ذلك منافياً لخلقه العظيم، ورحمته ورأفته التى شملت العالمين – عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم – وحاشا لرسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ أن يكون من المطلقين!!

إلى جانب أن الله عز وجل قد أنشأ صلة الأمومة الشعورية بين أزواج النبى ﴿ﷺ وآله﴾ وجميع المؤمنين: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾(الأحزاب:٦).

ثم حرم زوجاته من بعده على المؤمنين، وعد ذلك إيذاء للرسول ﴿ﷺ وآله﴾ واعتداء على شرف النبوة العظيم، وجعل ذلك أمراً عظيماً: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً)(الأحزاب:٥٤).

مع النبى ﴿ﷺ وآله﴾ فى بيته

ومما يجمل ذكره فى هذا السياق أسلوب حياته، ونمط عيشه فى بيته مع أهله ﴿ﷺ وآله﴾، فقد كان أزهد الناس بمتع الحياة ولذائذ العيش، لا يأخذ من ذلك إلا ما لا بد منه ولا غنى عنه، وبمقدار ما تدعو إليه الضرورة، وهو أمر قد ذاعت شهرته، وعرف عنه لدرجة تدعو إلى العجب والتأمل!!.

عن عروة عن عائشة أنها كانت تقول: (والله يا ابن أختى إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال ثلاثة أهله فى شهرين، وما أوقد فى أبيات رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ نار.

قلت: يا خالة فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان، التمر والماء، إلا أنه كان لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح، وكانوا يرسلون إلى رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ من ألبانها فيسقينا) (متفق عليه).

وقول السيدة عائشة أمر بديهى، يقبله العقل السليم، إذ كيف يترك الصحابة الكرام رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يوقد فى بيته نارا؟ فكانوا رضى الله يجهزون الطعام فى بيوقم ويقدمونه لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ أدباً معه، وطمعاً فى رضا الله تعالى ورسوله عنهم.

ولعل ذلك كان أمراً خاصاً ببيت السيدة عائشة رضى الله عنها دون سائر نسائه ﴿ ﷺ وآله﴾ ، مصداقاً لما أخرجه البخارى ومسلم والنسائى والترمذى عن عروة قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة. قالت: فاجتمع صواحبى إلى بيت أم سلمة فقالوا: يا أم سلمة إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريد عائشة، فمرى رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان.

قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبى ﴿ ﷺ وآله﴾. قالت: فأعرض عنى. فلما كان فى الثالثة ذكرت له ذلك فقال: يا أم سلمة لا تؤذينى فى عائشة فإنه والله ما نزل علىَّ الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها.

ولم يكن تقشفه ﴿ ﷺ وآله﴾ عن فقر وقلة مال، فقد فتح له من الأرض، وجاءته الغنائم وكثرت لديه الأموال، وأشبع أفقر الناس، وفاضت يداه بالعطاء السخى.

عن جابر ﷺ : (ما سئل رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ شيئاً قط فقال لا) (متفق عليه).

وعن أنس ﷺ قال: (ما سئل رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجل يسلم ما يريد إلا الدنيا فما يلبث إلا

يسيراً حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها) [أخرجه مسلم].

لقد اختار «ﷺ وآله» لنفسه ولأهله هذا النمط الفريد من الحياة زهـداً فى الـدنيا وزينتها، وإيماناً بأن متاعها قليل، وأن الآخرة خير لمن اتقى، ورغبة فيما أعـده الله لعبـاده المتقين، وليكون بيته «ﷺ وآله» منارة يهتدى بها المسلمون إلى يوم القيامة، يجـد فيهـا الفقراء عزاء لما يواجهون من ضيق وحرمان، ويجد فيها الأغنيـاء والمنعمـون داعيـاً إلى التخفيف من المغريات والتقليل من الانغماس فى الملذات، وعدم الاغتـرار بالشـهوات، وليكـون النـبى «ﷺ وآله» الأسوة لأمته فى الغنى والفقر، وفى السراء والضراء، كما أراد الله له سبحانه أن يكون: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِـرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾(الأحزاب: ٢١).

وبلغ من زهده وتقشفه أن أزواجه رضى الله عنهن لم يطقن فى بداية الأمر ما تعرضن له من مشقة وضيق، فأجـمعن على مطالبته أن يوسع عليهن فى النفقة، فأبى، واعتزلهن شهراً.

وحين علم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما بما كان من مطالبهن، قام أبو بكر إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة، كلاهما يقولان: لا تسألان النبى «ﷺ وآله» مـا لـيس عنده؟! فنهاهما الرسول «ﷺ وآله»، فقلن: والله لا نسأل رسول الله «ﷺ وآله» بعـد هذا المجلس ما ليس عنده.

ثم أنزل الله عز وجل الخيار: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الـدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالـدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾(الأحزاب: ٢٩،٢٨).

وبدأ رسول الله «ﷺ وآله» بعائشة رضى الله عنها – وكانت أحب أزواجه إليه بعـد

السيدة خديجة – فقال: إنى أذكر لك أمراً ما أحب أن تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويـــك، قالت: وما هو؟ فتلا عليها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ...﴾ قالت: أفيك أستأمر أبـــوى؟ بل أختار الله ورسوله!.

ثم عرض مثل ذلك على سائر نسائه، فما اختارت منهن واحدة الدنيا وزينتـــها، بـــل اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، واستقام الأمر بعد ذلك على هذا، فمـــا رغـــبن عـــن الآخـــــرة، ولا أســــفن علـــــى الـــدنيا حـــــتى لحـــــق رســـــول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بالرفيق الأعلى، رضى الله عنهن.

ذلك أهم ما عنى به أعداء الإسلام من المطاعن فى الـــدين الحنيـــف وصـــاحبه خـــاتم الأنبيـــاء والمرسلين وسيد ولد آدم أجمعين، فلننظر فيمـــا بقى من مطاعنهم فى حق القرآن الكريم.

الفصل الثالث

ما يقال عن القرآن الكريم

القرآن هو كلام الله حقا الذى أعجز العلماء البلغاء وحير الفصحاء. وهـل بعـد أن سجد فحول العرب الذين كانت السيادة فيهم بالفصاحة والبلاغة، يـأتى قـوم أعجـام ينكرون، وإنما مثلهم وما هم فيه كما قال الشاعر:

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

عجبا! أبعد أن يعاديه أهل الفصاحة والبلاغة عداوة أدت إلى سفك الدماء، والاجتهاد فى إثبات نقيصة له، فلم يتمكنوا من ذلك وعجزوا، يقوم الأعجام يثبتون نقائصه؟ إنما ذلك من فساد المزاج الذى يجعل الحلو مراً فى الذوق . والجاهل يرى العصا فى الماء كأنها معوجة، ويرى الأرض تجرى أمامه وهو راكب على القطار، فيتيقن أنه سـاكن والأرض ماشـية. وهكذا مريض القلب فاقد العقل المحروم من نور الحكمة يقول وهو جاهل: إنى يمكـننى أن أعيب عصا موسى، وأنقص يد عيسى ابن مريم عليهما السلام، وأنتقـد كـلام الرسـول العظيم الذى بشر به كل رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، وأعجز كلامه فصحاء العالم بأجمعه، وبلغاء بنى الإنسان بأكملهم، حتى بلغ من سجود العقل له أنه لا يزال منذ أنـزل على قلبه ﴿ﷺ وآله﴾ ونطق به لسانه صلوات الله وسلامه عليه غضا نضرا طريا، تجـدد أسراره وتشرق أنواره فى كل مكان وزمان، تغترف العلماء من فيضـه الهاطـل، ونـوره المتلألىء أسرار حكم، لم تكن تظهر من قبل، وينكشف لهم دقائق علوم وغـوامض فهـوم وأنوار شموس، لم تكن تلوح من قبل، ولا يزال غيثا هاطلا وموردا عذبا لكـل ذى قلـب سليم.

لا تظهر خواص الكائنات فى أى زمان إلا وقد أشار إليها، ولا تخترع مخترعات فى أى مكان إلا وقد نبه عنها. ولا يترقى الإنسان فى مراقى الحضارة والعمران إلا وكان به الرقى. ولا يسعد الإنسان بالإنسان إلا وكانت به السعادة.

يجهلون مغازى أساليب العرب ومدلول ألفاظهم، وأنواع البديع فى تعبيرهم، وما يدل عليه اللفظ بالمطابقة أو بالالتزام، أو بالتضمين، بل ويجهلون مراجع الضمائر، بل ويجهلون مقامات الكلام فيما يدل على التكلم أو على الخطاب أو الغيبة، بل ويجهلون استعمال الفصاحة والتفنن فى التعبير والتوسعة فى الإفادة والبيان والتجوز بأنواعه من الكناية والمجاز والتشبيه والاستعارة، كل ذلك يجهلونه. فمن يجهل كل تلك المفاهيم والمعالم وهو عجمى الأصل بعيد عن اللغة وأهلها، كيف يدنس هذا الشرف العلى والمجد الرفيع بأن يدعى أنه يفهمه، وأنه يمكنه أن ينتقد عليه أو ينكره.. لا حول ولا قوة إلا بالله.

يتخرص أعداء الإسلام بإسقاط آخر فيقولون عن القرآن الكريم ما يلى:

١- تأليف سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾

١- (القرآن ليس من عند الله) (دائرة المعارف الإسلامية، فى بحث التعريف بكلمة الله، قدمه المستشرق ماكدونالد، ٤/٤٤٢).

٢- (محمد هو الذى صنع القرآن) (المستشرق ه- ج . ويلز فى كتابه (معالم تاريخ الإنسانية) ٣/٦٢٦).

٣- (القرآن من عند محمد، من تأليفه) (يوليوس فلهاوزن فى كتابه (تاريخ الدول العربية) ص٨ ترجمة عن الألمانية د. محمد عبد الهادى أبو ريدة، الألف الأولى (١٣٦) لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة ١٩٥٨).

يمكننا القول هنا: إن القرآن هو الإعجاز الغيبى والعلمى فى الكون والحياة والطب.. واللغوى الذى جاء لقوم يباهون بالفصاحة والبلاغة والأدب والشعر والخطابة، فبزهم

وسبقهم فى مضمار تنافسهم.. فكيف يكون من تأليف بشر، والتحدى قائم باق فى أن يقلد ولو بسورة واحدة منه؟.

لو كان القرآن الكريم من صنع البشر، لاستجاب العرب للتحدى القائم: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَداءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ* فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٣-٢٤).

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ* فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (الطور: ٣٣-٣٤).

وحكمة هذا التحدى، وذكره فى القرآن، إنما هى أن يشهد التاريخ فى كل عصر بعجز العرب عنه وهم الخطباء اللُّدّ، والفصحاء اللُّسن.. حتى لا يجئ بعد ذلك فيما يجئ من الزمن مولدٌ (عربى محض)، أو أعجمى كاذب، أو منافق، أو ذو غفلة فيزعم أن العرب كانوا قادرين على مثله، وأنه غير معجز.

إن القرآن ليس نثرا، كما أنه ليس بشعر، إنما هو قرآن، ولا يمكن أن يسمى بغير هذا الاسم، ليس شعرا وهذا واضح، فهو لم يقيد بقيود الشعر، وليس نثرا لأنه مقيد بقيود خاصة به لا توجد فى غيره، وهذه هى القيود التى يتصل بعضها بأواخر الآيات، وبعضها بتلك النغمة الموسيقية الخاصة.

وإن خروج القرآن عن أساليب العرب دليل على إعجازه، وعلى أنه ليس من كلام الناس، ولا من كلام سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ ولولا هذا الأسلوب ما أفحم العرب، لأنهم رأوا جنسا من الكلام غير ما تؤديه طباعهم، ولما حاول بعضهم معارضته (كمسيلمة) الذى أخذ يقلده، فجاء بشىء لا يشبهه، ولا يشبه كلام نفسه، فأخطأ الفصاحة من كل جهاتها.

من هنا جاء الإسقاط

إن الأناجيل المعتبرة عند النصارى أربعة: إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا، ومكان الأناجيل فى النصرانية مكان القطب والعماد، وإذا كانت شخصية المسيح وما أحاطوها به من أفكار هى شعار المسيحية، فإن هذه الأناجيل هى المشتملة على أخبار تلك الشخصية، من وقت الحمل إلى وقت صلبه فى اعتقادهم، وقيامته من قبره بعد ثلاث ليال، ثم رفعه بعد أربعين ليلة، وهى بهذا تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح فى زعمهم، والصلب والفداء، أى أنها تشتمل على لب المسيحية بعد المسيح ومعناها.

يذكر الدكتور محمد أبو زهرة فى (محاضرات فى النصرانية) دار الكتاب العربى، مصر، ط٣، سنة ١٩٦١: وهذه الأناجيل الأربعة هى التى تعترف بها الكنائس، وتقرها الفرق المسيحية، وتأخذ بها، ولكن التاريخ يروى لنا أنه كانت فى العصور الغابرة أناجيل أخرى، قد أخذت بها فرق قديمة، وراجت عندها، ولم تعتنق كل فرقة إلا أنجيلها، فعند كل من أصحاب مرقيون، وأصحاب ديصان إنجيل يخالف بعضه هذه الأناجيل، ولأصحاب مانى إنجيل يخالف هذه الأربعة، وهو الصحيح فى زعمهم، وهناك إنجيل يقال له: إنجيل السبعين ينسب إلى تلامس، والنصارى ينكرونه، وهناك إنجيل برنابا، وهناك إنجيل اشتهر باسم التذكرة، وإنجيل سرن تمس، ولقد كثرت الأناجيل كثرة عظيمة، وأجمع على ذلك مؤرخو النصرانية، ثم أرادت الكنيسة فى آخر القرن الثانى الميلادى، أو أوائل القرن الثالث أن تحافظ على الأناجيل الصادقة فى اعتقادها، فاختارت هذه الأناجيل الأربعة من الأناجيل الرائجة إبان ذاك، ويذكر بعض المؤرخين أنه لم توجد عبارة تشير إلى وجود إنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا قبل آخر القرن الثانى، وأول من ذكر هذه الأناجيل الأربعة أرينيوس فى سنة ٢٠٩م، ثم جاء من بعده كليمنس اسكندريانوس فى سنة ٢١٦م، وأظهر أن هذه الأناجيل الأربعة واجبة التسليم، ولم تكتف الكنيسة باختيار هذه الأناجيل الأربعة، بل حملت الناس على قبولها لاعتقادها صحتها، ورفض غيرها، وتم لها ما أرادت، فصارت هذه الأناجيل هى المعتبرة دون سواها، ولقد كنا نود ونحن ندرس المسيحية وأدوارها فى

التاريخ، أن نعرف هذه الأناجيل التى أهملت، وما كانت تشتمل عليه، مما كان سببا فى رفضها، وحمل الناس على تركها، وخصوصا، أنها كانت رائجة، ويأخذ بها طوائف من المسيحيين، ويتدينون هذه الديانة على مقتضاها، فإن الاطلاع عليها يمكننا من معرفة اعتقاد الناس فى المسيح، وكيف كان، خصوصا بين أولئك الذين قاربوا عصره، وأدركوا زمانه، ولقوا تلاميذه، ونهلوا من مناهلهم، وإذا ضن التاريخ بحفظ نسخ منها فى سجله- إن النسخ وقد تجاوزت السبعين عدا، محفوظة بمكتبة الفاتيكان، وممنوع على أى باحث أن يطلع عليها- فقد كنا نود أن تطلعنا الكنيسة على ما اشتملت عليه مما يخالفها، وكان سبب رفضها، وترينا حجة الرفض، لتكون دليلا منيرا لها على أنها بهذا أقامت ديانة المسيح، ولم تغيرها، ولكن ضن التاريخ- الحقيقة الفاتيكان- علينا فطوى تلك الأناجيل، وضنت الكنيسة فطوت تلك البيانات، فلم يبق لنا إلا أن نكتفى من الدراسة بما بين أيدينا، ولعل فيه عناء إن أمعنا النظر، وأمعنا فى الاستنباط، وجعلنا من العقل سلطانا، ومن بدهياته برهانا.

وهذه الأناجيل الأربعة لم يُملها المسيح، ولم تنزل عليه هو بوحى أوحى إليه، ولكن كتبت من بعده.. وهى تشتمل على أخبار المسيح وصلواته وأقواله وعجائبه، من بدايته إلى نهايته فى هذا العالم.

متى كتبت هذه الأناجيل، ومن المؤلف؟

(١) إنجيل متى: كتبه متى، وهو أحد تلاميذ المسيح الاثنى عشر، مات ببلاد الحبشة سنة ٧٠م، ولقد اتفق جمهور النصارى على أنه كتب إنجيله بالعبرية أو السريانية، ما بين سنة ٣٧ وسنة ٦٤م، ولكن موضع الخلاف تاريخ تدوينه، ومن الذى ترجمه إلى اليونانية.. ولا شك أن جهل تاريخ التدوين، وجهل النسخة الأصلية التى كانت بالعبرية، وجهل المترجم وحاله من صلاح أو غيره، وعلم بالدين واللغتين التى ترجم عنها، والتى ترجم فيها، كل هذا يؤدى إلى فقد حلقات فى البحث العلمى، ولئن تسامح الباحث فى تاريخ التدوين وتاريخ الترجمة وملابساتها، ليمنعه العلم من الاسترسال فى التسامح، حتى لا يرى أن

السلسلة تكون كاملة إذا لم يعرف الأصل الذى ترجم، فلقد وددنا أن نعرف ذلك الأصل، لنعرف أكانت الترجمة طبق الأصل، أم فيها انحراف، ولنعرف أفهم المترجم مرامى العبارات ومعانيها، سواء أكانت هذه المعانى تفهم بظاهر القول أو بإشاراته، أم بلحن القول وتلويحاته، أم بروح المؤلف وغرضه، ومرماه الكلى من الكلام، ولكن عز علينا العلم بالأصل، ولقد كنا نتعزى عن ذلك لو عرفنا المترجم، وأنه ثبت ثقة أمين فى النقل عالم، لا يتزيد على العلماء، فقيه فى النصرانية، حجة فيها، عارف باللغتين، فاهم لهما، مجيد فى التعبير بهما، فعندئذ كنا نقول: ثقة روى عن ثقة بترجمته، ونسد الخلة بتلك الرواية، ونرأب الثلمة بتلك النظرة، ولكن قد امتنع هذا أيضا، فقال جمهرة علمائهم: إن المترجم لم يعرف، فبقيت الثلمة من غير ما يرأبها.

(٢) إنجيل مرقس: ألف باليونانية، كتبه بطرس عن مرقس سنة ٦١م ونسبه إليه، فكأن بطرس راوى مرقس، مع أن الأول رئيس الحواريين، والثانى من تلاميذه كما جاء فى كتاب: (مروج الأخبار فى تراجم الأبرار)، وإذا كان ذلك الإنجيل خلاصة علمه بالنصرانية، فإذا رواه عنه أستاذه، فقد روى هذا عن مرقس ما ألقاه عليه وعلمه، وإن ذلك لغريب!، لذلك رأى الكاتب القديم أرينيوس: (إن مرقس كتب إنجيله بعد موت بطرس وبولس).

وفى الحق أن ذلك الاختلاف، وإن كان زمنيا فى ظاهره، هو فى معناه ولبه اختلاف فى شخص المحرر لهذا الإنجيل، يقول هورن: (ألف الإنجيل الثانى سنة ٥٦ وما بعدها إلى سنة ٦٥، والأغلب أنه ألف سنة ٦٠ أو سنة ٦٣).

(٣) إنجيل لوقا: يبتدئ هذا الإنجيل فى إصحاحه الأول، والفقرة الأولى: (إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة، رأيت أنا أيضا إذ تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى عُلِّمتَ به).

قال هورن: (ألف الإنجيل الثالث (لوقا) سنة ٥٣ أو سنة ٦٣ أو سنة ٦٤)، وقد اختلف الباحثون في شخصية كاتبه، وفى القوم الذين كتب لهم، وفى تاريخ تأليفه، ولم يتفقوا إلا على أنه ليس من تلاميذ المسيح، ولا تلاميذ تلاميذه، إلا على أنه كُتِبَ باليونانية.

(٤) إنجيل يوحنا: (لهذا الإنجيل خطر وشأن أكثر من غيره، لأنه الإنجيل الذى تضمنت فقراته ذكرا صريحا لألوهية المسيح، فهذه الألوهية يعتبر هو نص إثباها، وركن الاستدلال فيها، لذلك كان لابد من العناية به، إذ كان التثليث هو شعار النصرانية، وهو موضع مخالفتها لديانات التوحيد، وأساس التباين بين هذه الديانة وتلك الديانات).

وهذا الإنجيل (تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية)، كما يرى (استادلن)، أما فى دائرة المعارف البريطانية التى اشترك فى تأليفها خمسمائة من علماء النصارى، ما نصه: (أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض، وهما القديسان يوحنا ومتى، وقد ادعى هذا الكاتب المزور فى متن الكتاب أنه هو الحوارى الذى يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاقا، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى، ووضعت اسمه على الكتاب نصا، مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لا رابطة بينها، وبين من نسبت إليه، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا – ولو بأوهى رابطة– ذلك الرجل الفلسفى الذى ألف هذا الكتاب فى الجيل الثانى، بالحوارى يوحنا الصياد الجليل، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى).

ولقد اختلف النصرانيون فى تاريخ تدوين هذا الإنجيل اختلافا بيناً، يقول هورن: (ألف الإنجيل الرابع (يوحنا) سنة ٦٨ أو سنة ٦٩ أو سنة ٧٠ أو سنة ٨٩ أو سنة ٩٨ من الميلاد)، وكتب لغرض خاص، وهو أن الأناجيل الثلاثة الأولى ليس فيها ما يدل على ألوهية المسيح، فكتب الإنجيل المنسوب إلى يوحنا لإثبات ألوهية المسيح التى اختلفوا فى شأنها، لعدم وجود نص فى الأناجيل الثلاثة يعينها، وهذا يدل أيضا على أن الأساقفة اعتنقوا ألوهية

المسيح قبل وجود الإنجيل الذى يدل عليها، ويصرح بها، ولما أرادوا أن يحتجوا على خصومهم، ويدفعوا هرطقتهم فى زعمهم، لم يجدوا مناصا من أن يلتمسوا دليلا ناطقا يثبت ذلك، فاتجهوا إلى يوحنا، فكتب- كما يقولون- إنجيله الذى يشتمل على الحجة، وبرهان القضية، والبينة فيها على زعمهم، وهذا ينبئ عن أن الاعتقاد بألوهية المسيح سابق لوجود نص فى الكتب عليه، وإلا ما اضطروا اضطرارا إلى إنجيل طلبوه، فافتقدوه، فلما لم يجدوه طلبوا من يوحنا أن يكتبه.. أ. هـ.

هذه هى الأناجيل، فهى ليست نازلة على عيسى عليه السلام فى نظرهم، وليست منسوبة له، ولكنها منسوبة لبعض تلاميذه، ومن ينتمى إليهم.

هذه هى الأناجيل، المصدر الأول التاريخى للديانة النصرانية، يلاحظ عليها وفيها ما يلى:

١- أنها ليست من إملاء السيد المسيح، بل إنه لم يشهدها.

٢- كاتبوها ليسوا على مستوى الأهلية ليكونوا علماء دين، لأنهم مجهولون، إما مجهولو النسب أو الصنعة، أو العلاقة بالكتاب المدون.

٣- أنها لرغبات خاصة أملتها عدة بيئات مختلفة، وهذه الرغبات الخاصة مجهولة الأفراد والهيئات.

٤- أن أصولها معترف بضياعها من أهلها، وأن ترجمة بعضها غير موثوق فيه، لضياع الأصل، أو لجهل المترجم.

٥- أنها لا تحمل صفة الرواية حتى فى أقل صورها التى يجب أن تتوفر لكتاب سماوى، أو تعاليم نبى.

مؤتمرات لتنقيحات وإضافات وتغييرات

ورجال الكهنوت لا يؤمنون علنا بأن كل أسفار الكتاب المقدس(التوراة والإنجيل)

نقلت بطريق الوحى.

وفى كنتربرى- مركز رئيس أساقفة الأنجليكان فى بريطانية- يقرر رسميا أن الكتاب المقدس لم يكن خاليا من تزييف البشر.

وهذه الأناجيل الأربعة- المعترف بها- لم يملها المسيح، ولم تنزل عليه بوحى، ولكنها كتبت من بعده، وهى تشمل على أخبار المسيح فقط.

ولن نناقش هنا (أعمال الرسل) لانقطاع السند فى نسبتها لكاتبها، ولعدم معرفة أسماء مؤلفيها.

وشتان ما بين كتاب سماوى مقدس، نزل وحيا على الرسول المختار من الله تعالى، تم تدوين آياته فى عهده ﴿ﷺ وآله﴾ وبقى بين أيدى المؤمنين به قرآنا يتلونه فى صلواتهم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبين كتاب اختلفت نسخه، فأخفى بعضها، وترجم بعضها مع غياب الأصل، فكثر فيها الاختلاف نتيجة حذف وإضافة وتزوير وتحريف، ومرد ذلك كله عدم تدوينه فى عهد صاحبه.

وبعدها يقولون ويشيعون: إن القرآن من تأليف سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾، من منطلق (رمتنى بدائها وانسلت).

إنه (الإسقاط) ليس غير، بكل معانيه.

أما عن أسفار التوراة فقد أثبتنا فى الباب الأول من هذا الكتاب أنها ليست هى التوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام، فليراجعها القارئ الكريم إن شاء.

ثانياً: منطق ورؤى رآها النبى ﷺ آله

قال جولد تسيهر فى بحثه (نمو العقيدة الإسلامية وتطورها) - ويشاركه كثيرون منهم لوسيان كليموفتش فى كتابه (المسلمون تحت الحكم الشيوعى) :-

(من العسير أن نستخلص من القرآن نفسه مذهبا عقيدياً موحداً متجانساً وخاليا من التناقضات، ولم يصلنا من المعارف الدينية، الأكثر أهمية وخطراً، إلا آثار عامة نجد فيها- إذا بحثناها فى تفاصيلها- أحيانا تعاليم متناقضة).

لن ندافع هنا عن القرآن الكريم، وسموه عن التناقض، فقد تناولنا ذلك عند حديثنا عن التعريف بالإسلام، ولكننا نقول بملء فمنا، وبأعلى صوتنا، لو نزل القرآن الكريم فى هذا العصر، حيث التقدم العلمى وازدهاره العظيم، لما اختلفت نظرته للكون، ولا اختلفت وصاياه التربوية والروحية للإنسان، فهو الحجة على صدق ما جاء به الوحى الإلهى.

وإذا أردنا أن نبين هذا (الإسقاط) بشكل موسع، فعلينا إيراد- وبشكل كامل- الفصل الثالث من الباب الأول من كتاب (إظهار الحق) للشيخ رحمة الله خليل الرحمن الهندى، ولكن سنكتفى ببعض ما أورده (موريس بوكاى) فى كتابه: (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم)، دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة، طبعة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، الجماهيرية:

كثيرون من قراء الأناجيل يشعرون بالحرج، بل بالحيرة، عندما يتأملون فى معنى بعض الروايات، أو عندما يقارنون روايات مختلفة لحدث واحد مروى فى كثير من الأناجيل، تلك هى الملاحظة التى يقدمها الأب روجى فى كتابه مقدمة إلى الإنجيل.

تناقضات الإنجيل

١- فترة زمن بعثة المسيح

من الاختلافات التي هي على جانب كبير من الأهمية بين إنجيل يوحنا والأناجيل الأخرى، الاختلاف الخاص بالفترة الزمنية لبعثة المسيح، إذ يحددها مرقس ومتى ولوقا بعام واحد، أما بالنسبة ليوحنا فهي تمتد على أكثر من عامين، ويشير (أ. كولمان) إلى هذا الأمر، وأما الترجمة المسكونية فهي تصرح عن هذا الموضوع بما يلي: [على حين تحدثنا الأناجيل المتوافقة عن فترة طويلة بالجليل، تتبعها مسيرة نحو الناصرة تمتد قليلا أو قد تقصر، ثم يليها أخيراً المكوث فترة قصيرة بالقدس، فإن يوحنا على العكس، يسرد انتقالات عدة للمسيح من منطقة إلى أخرى، ويتحدث عن مكوثه فترة طويلة بأرض الناصرة وبالقدس على وجه خاص (١-١٩:٥١، ٢-١٣، ٥-١: ٧٤، ١٤-٢٠:٣١)، ويشير إلى احتفالات فصحية متعددة (٢-١٣، ٥-١، ٦-٤، ١١-٥٥)، وهو بهذا يوحي بأن بعثة المسيح قد دامت أكثر من عامين]. إذن فمن يجب أن يصدق؟ أنصدق متى أم مرقس أم لوقا أم يوحنا؟.

٢- شجرتا نسب المسيح

إن دراسة نقدية لنصوص الأناجيل، تقود إلى اكتساب مفهوم أدب (مفكك تفتقر خطته إلى الاستمرار)، و(تبدو تناقضاته غير قابلة للحل). ومنها (شجرتا نسب المسيح).

تطرح شجرتا النسب اللتان يحتوى عليهما إنجيلا متى ولوقا، مشاكل تتعلق بالمعقولية، وبالاتفاق مع المعطيات العلمية، ومن هنا فهي مشاكل تتعلق بالصحة.. وبادئ ذى بدء يجب ملاحظة أن هذين النسبين من جهة الرجال معدوما المعنى فيما يتعلق بالمسيح، ولو كان

من الضرورى إعطاء المسيح نسبا، وهو وحيد مريم (أمه) وليس له أب بيولوجى فيجب أن يكون ذلك النسب من جهة مريم فقط.

إن إنجيل متى يجعل نسب المسيح: عيسى بن يوسف بن يعقوب..

وإن إنجيل لوقا يجعل نسب المسيح: عيسى بن يوسف بن هالى..

ويعلم من إنجيل متى أن عيسى من أولاد سليمان بن داود، ويعلم إنجيل من لوقا أنه من أولاد ناثان بن داود.

وفى إنجيل متى من داود إلى المسيح ستة وعشرون جيلا، وفى إنجيل لوقا واحد وأربعون جيلا.

هذه أوجه اختلاف فى نسب المسيح، وهو نسب يوسف النجار الذى كان رجل مريم كما تذكر الأناجيل، وكونهم ينسبونه ليوسف النجار إنما هو اعتراف منهم بتهمة اليهود للسيدة مريم بالزنا!!. وهذا هو الاختلاف الذى يعترف به المسيحيون، ولا يجدون مناصا من الإقرار به.

٣- الآلام وعيد الفصح

ومن الروايات المتضاربة أو المتناقضة، الأحداث الأخيرة التى طبعت حياة المسيح والتى تلت آلامه، ويلاحظ الأب (روجى) نفسه، أن عيد الفصح معين بشكل مختلف زمنيا بالنسبة إلى عشاء المسيح الأخير مع الحواريين فى الأناجيل الثلاثة المتوافقة، وفى الإنجيل الرابع، فيوحنا يقول بوقوع هذا العشاء (قبل عيد الفصح)، أما الأناجيل الأخرى فتقول إنه حدث فى أثناء عيد الفصح نفسه، ويؤدى هذا التضارب فضلا عن ذلك إلى أمور واضحة فى عدم معقوليتها، إذ يستحيل تصور هذا الحدث أو ذاك بسبب موقع عيد الفصح الذى تحدد بهذا الشكل وبالنسبة إلى هذا الحدث، وعندما ندرك أهمية عيد الفصح فى الطقوس اليهودية والأهمية التى اكتسبها هذا العشاء الذى ودع فيه المسيح حوارييه، فكيف يمكن

تصور أن التراث الذى نقله المنصرون فيما بعد قد نسى زمن هذا العشاء بالنسبة إلى عيد الفصح؟

وبشكل أكثر عمومية، تختلف روايات الآلام بحسب الأناجيل، وهى تختلف بشكل خاص بين الأناجيل الثلاثة الأولى وبين إنجيل يوحنا، فالعشاء الأخير للمسيح والآلام يحتلان فى إنجيل يوحنا مساحة كبيرة، تبلغ ضعف المساحة عند كل من مرقس ولوقا، ويزيد نص يوحنا بمقدار مرة ونصف المرة على نص متى، ويسرد يوحنا خطبة طويلة للمسيح نحو تلامذته، ويحتل سرد هذه الخطبة أربعة إصحاحات (من ١٤إلى ١٧) فى إنجيله، وعبر هذا الحديث الأعظم، يعطى المسيح آخر إرشاداته لتلامذته الذين سيتركهم كما يسلمهم وصيته الروحية، وليس هناك أى آثر من هذا فى الأناجيل الأخرى، وعلى العكس، يسرد متى ولوقا ومرقس صلاة المسيح فى ضيعة يقال لها جيتسمانى، ولا يشير يوحنا إليها.

وأهم ما يلفت قارئ الآلام فى إنجيل يوحنا، هو أنه لا يشير أية إشارة إلى تأسيس القربان المقدس فى أثناء عشاء المسيح الأخير مع الحواريين.

وليس هناك مسيحى لا يعرف إيقونة العشاء الأخير، حيث يجلس المسيح بين حوارييه للمرة الأخيرة، لقد صور أعظم المصورين هذا الاجتماع وفيه يجلس يوحنا إلى جانب المسيح، يوحنا.. هذا الذى اعتدنا اعتباره مؤلف الإنجيل الذى يحمل اسمه.

ومهما كان فى ذلك دهشة للكثيرين، فإن غالبية المتخصصين لا يعتبرون أن يوحنا الحوارى هو مؤلف الإنجيل الرابع، وهذا الأخير لا يشير إلى تأسيس القربان المقدس، هذا على حين أن تقديس الخبز والخمر اللذين يصبحان جسد المسيح ودمه، هو الفعل الطقسى الكنسى الجوهرى للمسيحية، إن الأناجيل الثلاثة الأخرى تتحدث عن هذا الفعل، وإن كان ذلك بألفاظ مختلفة.. أما يوحنا فهو لا يقول عنه كلمة واحدة، روايات الأناجيل الأربعة تحتوى فقط على نقطتين مشتركتين: التنبؤ بإنكار بطرس وخيانة أحد الحواريين (ولا يشار إلى يهوذا الأسخريوطى باسمه إلا فى إنجيلى متى ويوحنا)، إن إنجيل يوحنا وحده هو

الذى يسرد غسل المسيح لأقدام تلامذته فى بداية العشاء.

كيف يمكن تفسير هذه الثغرة فى إنجيل يوحنا؟

إذا أردنا التفكير بموضوعية، فإن أول ما يرد على الخاطر، علـى افتـراض أن روايـة الأناجيل الثلاثة الأولى صحيحة، هو فرصة ضياع هذه الفقرة من إنجيل يوحنا الذى يسرد نفس الحدث، ولكن هذا ما لم يتوقف عنده المعلقون النصارى.

هذه الثغرة الكبيرة فى إنجيل يوحنا، يعترف بها المعلقون على الترجمة المسكونية للعهـد الجديد، ولكنهم يقدمون التبرير التالى لعدم سرد يوحنا لتأسيس القربان المقدس، يقولـون: (إن يوحنا– عموما– لا يكن أى اهتمام إزاء تقاليد ومؤسسات إسرائيل القديمة، وربما كان هذا هو الذى جعله يحيد عن الإشارة إلى تأصل القربان المقدس فى طقوس عيد الفصـح)، كيف يريدون أن نصدق أن عدم الاهتمام بالطقوس الفصحية اليهودية هو الذى قاد يوحنا إلى أن لا يتحدث عن تأسيس المنسك الرئيس فى طقوس الدين الجديد؟

إن المشكلة تحرج المفسرين إلى درجة أن علماء اللاهوت يحتالون فى البحث عن صـور أولية أو معادلات للقربان المقدس فى أحداث حياة المسيح التى يسردها يوحنا، فهكذا يرى أ. كولمان فى كتابه (العهد الجديد) أن معجزة قانا – قرية فى الجليل– وتكاثر الخبـز، همـا بمثابة صور مسبقة لسر العشاء المقدس (تناول القربان المقدس)، ولنذكر بأن ما حدث بقانا هو تحويل الماء إلى خمر نفدت فى أحد الأعراس (وهى أول معجزة للمسيح، ويذكرها يوحنا وحده من بين كل الأناجيل، فى الإصحاح الثانى من إنجيله، الآيات مـن ١ إلى ١٢)، أمـا فيمال يختص بتكاثر الأرغفة (يوحنا، الإصحاح السادس، الآيات من ١إلى ١٣)، فقد أدى ذلك إلى إطعام خمسة آلاف شخص بخمسة أرغفة تكاثرت بمعجزة، وعندما سرد يوحنا هذه الأحداث فإنه لم يضف أى تعليق خاص. إن عملية تقريب هذه المعجـزات مـن تأسـيس القربان المقدس هى من وحى خيال المفسر الصرف، ولا يرى القارئ سبب هذا التقريـب،

كما يظل مبلبلا جدا عندما يكتشف أن هذا الكتاب نفسه، يرى أن شفاء المشلول والأعمى يبشران بالتعميد، وأن (الماء والدم الخارجين من صدر المسيح بعد موته يجمعان فى حدث واحد إحالة إلى التعميد والقربان المقدس).

٤- قيامة المسيح وصعوده

ويعطى الأب روجى فى كتابه (مقدمة الإنجيل، ص: ١٨٢) أمثلة على الاختلاط والفوضى والتناقض التى تسود روايات (ظهور المسيح بعد قيامته)، فيقول:

(لا تطابق تماما فى الأناجيل الثلاثة المتوافقة فى قائمة النساء الآتين إلى القبر، فليس هناك إلا امرأة واحدة فى إنجيل يوحنا، وهى مريم المجدلية، ولكنها تتحدث بضمير الجماعة كما لو كانت لها رفيقات فهى تقول: (لا نعرف أين وضعوه)، أما فى إنجيل متى فملاك هو الذى يعلن للنساء أنهن سيرين المسيح بالجليل، ولكن المسيح بعد لحظة يقابلهن على مقربة من القبر، ولا شك أن لوقا قد شعر بهذه الصعوبة وعدل فى مصدره، يقول الملاك: (تذكرون كيف تحدث إليكن عندما كان بالجليل..)، والواقع أن لوقا لا يشير إلا إلى ظهور المسيح ثلاث مرات بعد قيامه..، أما يوحنا فيقول إنه ظهر مرتين على ثمانية أيام بمجمع بيت المقدس، ثم فى المرة الثالثة يظهر بالقرب من البحيرة.. إذن بالجليل، وأما متى فإنه يتحدث عن مرة واحدة لظهور المسيح بالجليل، ويستبعد (روجى) من هذه الدراسة خاتمة إنجيل مرقس التى تتحدث عن ظهور المسيح، لأنه يعتقد أنها (قد كتبت بقلم آخر).

وكل هذه الأمور تتناقض مع الإشارات إلى ظهور المسيح المحتواة فى رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس (١٥: ٥-٧)، إذ يقول إنه قد ظهر لأكثر من خمسمائة شخص فى وقت واحد، ولجاك ولكل الحواريين دون أن ينسى نفسه.

وإنه لمما يثير الدهشة بعد ذلك أن يندد الأب روجى فى هذا الكتاب نفسه بالخوارق الطنانة والطفولية فى بعض الأناجيل المزورة، فيما يتعلق بقيامة المسيح، ألا تصلح هذه

الأوصاف بشكل كامل لمتى وبولس نفسه الذى يتناقض تماما مع المبشرين الآخرين فيما يختص بظهور المسيح بعد قيامته؟.

وتمتد المتناقضات حتى نهاية الروايات، لأنه ليس يوحنا، ولا متى يشيران إلى صعود المسيح، فمرقس ولوقا فقط يتحدثان عن هذا.

وبالنسبة لمرقس (١٦:١٩) فإن المسيح (قد رفع إلى السماء وجلس على يمين الله)، وهذا دون تحديد تاريخى بالنسبة لقيامته، ولكن لابد من ملاحظة أن نهاية إنجيل مرقس التى تحتوى على هذه الجملة، ليست نصا صحيحا، وهى نص كتب وأضيف بعد ذلك فى رأى الأب روجى، حتى وإن كانت الكنيسة تعتبره قانونيا.

يتبقى إنجيل لوقا، فهو الوحيد الذى يذكر حدث الصعود، وذلك فى نص لا يناقشه أحد (٢٤:٥١) يقول: (انفصل المسيح عنهم وحمل إلى السماء)، ويضع لوقا الحدث فى نهاية رواية قيامة المسيح وظهوره للأحد عشر، حواريا – لأن الثانى عشر (يهوذا) قد مات– وتتضمن تفاصيل الرواية الإنجيلية أن الصعود قد حدث يوم القيامة، ولكن لوقا يصف فى (أعمال الرسل)– والكل يعتقد أنه كاتبها– مرات ظهور المسيح للحواريين بين الآلام والصعود بالألفاظ التالية: (وقد حصلوا منه على أكثر من آية على حين أظهر نفسه لهم، طيلة أربعين يوما، عن ملكوت الله) (١: ٢–٣)، إن هذه الفقرة من (أعمال الرسل) هى الأصل فى تحديد العيد المسيحى للصعود بأربعين يوما بعد الفصح وحيث يحتفل بالقيامة، التاريخ إذن محدد على عكس إنجيل لوقا، ويضاف إلى ذلك أن ليس هناك أى نص آخر يبرر هذا التحديد التاريخى.

إن النصرانى وقد عرف هذا الموقف يشعر بالحيرة، فالتناقض واضح، ومع ذلك فالترجمة المسكونية للعهد الجديد تعترف بهذا الواقع، ولكنها لا تفيض فى الحديث عن التناقض، بل هى تكتفى بالإشارة إلى احتمال أهمية هذه الأربعين يوما بالنسبة لرسالة المسيح.

وإن المعلقين الذين يريدون شرح كل شيء، والتوفيق بين ما لا يقبل التوفيق يعطوننا فى هذا الشأن تفسيرات شاذة.

٥- مشهد الوداع الأخير

وإنجيل يوحنا هو الوحيد الذى سرد ما حدث فى نهاية العشاء الأخير للمسيح وقبل القبض عليه، أى آخر أحاديثه مع الحواريين، وينتهى هذا الحدث بخطبة طويلة، فإنجيل يوحنا يفرد أربع إصحاحات (من ١٤ إلى ١٧) لتلك الرواية التى لا نجد لها أثراً فى الأناجيل الأخرى، ومع ذلك فهذه الإصحاحات من إنجيل يوحنا تعالج مسألة أساسية وآفاق مستقبل ذات أهمية بالغة، وهى معروضة بكامل العظمة والجلال اللذين يميزان هذا المشهد لوداع السيد لتلامذته.

كيف يمكن أن نشرح الغياب التام فى أناجيل متى ومرقس ولوقا للوداع المؤثر الذى يحتوى على الوصية الروحية للمسيح؟ يمكن أن نطرح السؤال التالى: هل كان النص موجودا أولا عند الثلاثة الأولين؟ ألم يحذف فيما بعد؟ لماذا؟ ولنقل فوراً إنه لا يمكن الإتيان بأية إجابة، فاللغز مستغلق تماما بالنسبة لهذه الثغرة الكبيرة فى رواية الثلاثة الأولين.

إن ما يسود الرواية هو مستقبل البشر الذى يتحدث عنه المسيح، واهتمام السيد بالتوجه إلى تلامذته وإلى الإنسانية برمتها عبرهم، معطيا إرشاداته وأوامره ومحددا بشكل نهائى المرشد الذى على الإنسانية أن تتبعه بعد اختفائه، إن نص إنجيل يوحنا- وهذا النص وحده- يسمى بشكل صريح هذا المرشد باسم يونانى هو **parakletos** الذى أصبح فى الفرنسية **paraclet**، وها هى ذى الفقرات الجوهرية من هذه الخطبة حسب الترجمة المسكونية للعهد الجديد: (إذا كنتم تحبوننى فستعملون على اتباع أوامرى، وسأصلى للأب الذى سيعطيكم **paraclet** آخر) (١٤: ١٥-١٦).

وبعد شرح لغوى يقول موريس بوكاى: وعندما يقول المسيح حسب إنجيل يوحنا (١٦:١٤): سأصلى (سأصلى لله وسيرسل لكم **paraclet** آخر)، فهو يريد بالفعل أن يقول إنه سيرسل إلى البشر وسيطا (آخر)، كما كان هو وسيطا لدى الله، وفى صالح البشر فى أثناء حياته على الأرض.

ذلك يقودنا بمنتهى المنطق إلى أن نرى فى ال- **paraclet** عند يوحنا كائنا بشريا مثل المسيح يتمتع بحاستى السمع والكلام، وهما الحاستان اللتان يتضمنهما يوحنا بشكل قاطع، إذن فالمسيح يصرح بأن الله سيرسل فيما بعد كائنا بشريا على هذه الأرض ليؤدى الدور الذى عرفه يوحنا، ولنقل باختصار إنه دور نبى يسمع صوت الله، ويكرر على مسامع البشر رسالته، ذلك هو التفسير المنطقى لنص يوحنا إذا أعطينا الكلمات معناها الفعلى.

إن وجود كلمتى (روح القدس) فى النص الذى نملك اليوم، قد يكون نابعا من إضافة لاحقة إرادية تماما إلى تعديل المعنى الأول لفقرة تتناقض- بإعلانها بمجىء نبى بعد المسيح- مع تعاليم الكنائس المسيحية الوليدة التى أرادت أن يكون المسيح هو خاتم الأنبياء.

ويختم موريس بوكاى بقوله: هناك العبارات المذكورة فى الأناجيل فهى نفسها تثبت تناقضات جلية.. فخيالات متى، والمتناقضات الصارخة بين الأناجيل والأمور غير المعقولة، وعدم التوافق مع معطيات العلم الحديث، والتحريفات المتوالية للنصوص، كل هذا يجعل الأناجيل تحتوى على إصحاحات وفقرات تنبع من الخيال الإنسانى وحده.

ألم نقل إنه (الإسقاط) ليس غير؟ وإن كل ما يقال بشأن القرآن الكريم من قبيل: (رمتنى بدائها وانسلت)؟.

القرآن رؤى رآها محمد ﴿ﷺ وآله﴾

يذكر فيليب حتى، فى كتابه (تاريخ العرب المطول) ص ١٥٧ فى معرض حديثه عن سيرة سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾: (فيما هو نائم ﴿ﷺ وآله﴾ يوما فى الغار (غار حراء)، سمع صوتا يأمره قائلا: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾ .. إلخ سورة العلق، فكان هذا أول الوحى وبدء الرسالة).

ويذكر نولدكه: (إن سبب الوحى النازل على محمد ﴿ﷺ وآله﴾، والدعوة التى قام بها، هو ما كان ينتابه من داء الصرع) (حاضر العالم الإسلام، لوثروب ستودارد: ١/٣٤).

احتار (المسقطون) من أعداء الإسلام فى اختيار طرق الدس والكيد والكذب، حتى أوقعوا أنفسهم فى كثير من الأحيان بالتناقض.

والغريب فيهم أنهم يقبلون أن تكون التوراة وحيا من الله، وتنزيلا منه على موسى عليه السلام، ويقبلون أن تكون أقوال الحواريين وتلامذة المسيح عليه السلام، رواية عنه كما سمعوها، أو كما وصلت إليهم على أنها وحى من الله، ثابت فى نصه وحروفه: (فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل)، (متى: ٥/١٨)، لا يزول واحد أو نقطة واحدة من الناموس على ما بين رواياته من اختلاف وتناقض.

أما ما أنزل على سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾، فهو - بزعمهم وإسقاطهم- رؤى ومنامات، ومتى كان الإنسان يرى فى أحلامه كتابا محكما، لا تناقض فيه، ولا يخالف عقلا أو علما، وفيه تشريع متكامل للجميع، ينظم له قواعد حياته السياسية والاجتماعية والاقتصادية؟.

يا للعجب العجاب.. الروايات المتناقضة، والأقوال التى يخجل الإنسان أن تنسب إليه، فينسبها أولئك المتعصبون إلى الله– تعالى وجل عما يقولون– تلك كلها آيات أوحى بها إلى رسل وأنبياء، والكتاب المتكامل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، رؤى ومنامات؟!.

إذا كان علماء النفس قد قالوا: إن الهوى يعمى ويصم، فإنى أقول: إن التعصب يعمى ويصم، ويقلب الباطل حقا، والحق باطلا.

وعلى كل، أين الإسقاط فى الرؤى والصرع؟.

أولا: (الرؤى)

يعلم الباحثون أن أول إشارة لإنجيل كانت سنة ١٥٠م، فى كتابات ببياس الذى كتب فى عام ١٣٥م: (إن يوحنا الأكبر– وهو شخصية لم يستطع الاستدلال على صاحبها– قال إن مرقس ألف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس) (قصة الحضارة: ول ديورانت، دار الجيل – بيروت، ٢٠٧/١١).

(ولا يدعى الإنجيل الرابع (إنجيل يوحنا) أنه ترجمة ليسوع، بل هو عرض للمسيح من وجهة النظر اللاهوتية بوصفه كلمة الله، وخالق العالم، ومنقذ البشرية، وهو يناقض الأناجيل الأخرى فى كثير من التفاصيل وفى الصورة العامة التى يرسمها للمسيح) (قصة الحضارة: ول ديورانت، دار الجيل– بيروت، ٢٠٩/١١).

(وملاك القول أن ثمة تناقضا كثيرا بين بعض الأناجيل والبعض الآخر، وأن فيها نقطا تاريخية مشكوكا فى صحتها، وكثيرا من القصص الباعثة على الريبة والشبهة بما يروى عن آلهة الوثنيين) (قصة الحضارة: ٢١٠/١١).

– أول إشارة لإنجيل سنة ١٥٠م.

– ذكريات بطرس التى نقلها إلى مرقس.

– عرض لحياة يسوع من وجهة النظر اللاهوتية.

– تناقض كثير بين الأناجيل.

– نقاط تاريخية مشكوك فى صحتها، وقصص كثيرة باعثة على الريبة..

ثم يلى الأناجيل الأربعة المعتمدة (متى، مرقس، لوقا، ويوحنا): أعمال الرسل، ورسائل إلى أهل: رومية، وكورنثوس، وغلاطية، وأفسس، وفيلبى، وكولوسى، وتسالونيكى، وتيموثاوس، وتيطس، وفليمون، والعبرانيين، ثم رسالة: يعقوب، وبطرس، ويوحنا، ويهوذا.

ثم توج هذا كله ب– (رؤيا يوحنا).

ومن هنا جاء إسقاط (الرؤى)، لتغطية (رؤيا يوحنا) التى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من (كتابهم المقدس).

ثانيا: (نوبات الصرع)

أما نوبات الصرع، فلن نتكلم عنها مطولا، فالعالم النصرانى كله يعلم أن شاؤول (بولس الرسول)، الذى تحول فجأة من ألد أعداء يسوع وأتباعه، إلى رسول مبشر بما جاء به يسوع، كان مصابا بداء الصرع، وهذه حقيقة يعلمها كل نصرانى مطلع، ومن هنا جاء إسقاط (الصرع).

والعاقل يعلم، أن المصابين بالصرع، حافظتهم معطلة فى نوبات صرعهم، وسيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ حافظته أجود ما تكون عند هبوط الوحى، والنصارى لا ينكرون الوحى ظاهرة، ويعترفون به للأنبياء، ولكنهم ينكرونه لسيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾، وكما قلنا لو نزل عليه القرآن الكريم اليوم، بعد كل اكتشافات العلم المذهلة، مع سبر أغوار الأرض والمحيطات، والتحليق فى أعماق الكون، لما اختلفت نظرته إلى الكون، أو الحياة، أو الإنسان، والمكابرة فى هذه الحقيقة، هى مكابرة فى المحسوس الملموس.

ثالثاً: النسخ في السنة الإلهية

إن أعداء الإسلام قد اتخذوا من النسخ فى الشريعة الإسلامية أسلحة مسمومة، طعنوا بها فى صدق الدين الحنيف، ونالوا من قدسية القرآن الكريم، ولقد أحكموا شبهاتهم، واجتهدوا فى ترويج مطاعنهم، عن طريق القنوات الفضائية التنصيرية، حتى سحروا عقول بعض المنتسبين إلى العلم والدين من المسلمين، فجحدوا وقوع النسخ وهو واقع، وأمعنوا فى هذا الجحود الذى رَكَبُوا له أحسن المراكب، من تمحلات (حيل) ساقطة، وتأويلات غير سائغة.

وبداية نقول: إن الله تبارك وتعالى حين ينسخ شريعة بشريعة أخرى، أو حكماً بحكم آخر، فإنما يكشف لنا بهذا النسخ عن شيء من علمه السابق الأزلى، ويدل ذلك على الحكمة الإلهية من التدرج فى تشريع الأحكام شيئاً فشيئاً، حتى يذعن الناس لدين الله تعالى، وتتقبله نفوسهم دون غضاضة.

وينبغى أن يفهم أن السنة الإلهية التى اقتضت رسوخ الدين وثباته وعدم تبدله، كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ (الشورى:١٣). هى السنة التى اقتضت نسخ شريعة سابقة بشريعة لاحقة، رعاية لحكم الضرورة، أو مسايرة لسنة الترقى، ومضياً مع نضج العقل الإنسانى، وبهذا يتبين أن نسخ شريعة سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ لجميع الشرائع السابقة هو إيذان بأن هذه الشريعة صالحة لهداية البشرية فى كل زمان ومكان.

الحكمة من النسخ

كما نتقبل النسخ ولا نستنكره حين يقع بين القوانين الوضعية، يجب أن نتقبله ولا نستنكره، عندما ينقل إلينا أنه قد وقع بين الشرائع السماوية وفيها، لأن الله تعالى حين

ينسخ شريعة، أو حكماً فى شريعة إنما يكشف لنا بهذا النسخ عن شىء من علمه السابق، ومن ثم يعتبر النسخ نوعاً من أنواع البيان، ولا يعنى بأى حال وصف الله سبحانه بالبداء، فالحكمة فى نسخ بعض الأحكام ترجع إلى سياسة الأمة وتعهدها بما يرقيها ويمحصها. وبيان ذلك أن الأمة الإسلامية فى بدايتها حين صدعها الرسول بدعوته، كانت تعانى فترة انتقال شاق، بل كان أشق ما يكون عليها فى ترك عقائدها وموروثاتها وعاداتها خصوصاً مع ما هو معروف عن العرب الذين شوفهوا بالإسلام، من التحمس لما يعتقدون أنه من مفاخرهم وأمجادهم، فلو أخذوا بهذا الدين الجديد مرة واحدة، لأدى ذلك إلى نقيض المقصود، ومات الإسلام فى مهده، ولم يجد أنصاراً يعتنقونه ويدافعون عنه، لأن الطفرة من نوع المستحيل الذى لا يطيقه الإنسان.

من هنا جاءت الشريعة إلى الناس تمشى على مهل، متألفة لهم، متلطفة فى دعوتهم، متدرجة بهم إلى الكمال رويداً رويداً، صاعدةً بهم فى مدارج الرقى شيئاً فشيئاً.

منتهزة فرصة الإلف والمران والأحداث الجادة عليهم، لتسير بهم من الأسهل إلى السهل، ومن السهل إلى الصعب، ومن الصعب إلى الأصعب، حتى تم الأمر ونجح الإسلام نجاحاً لم يعرف مثله فى سرعته وامتزاج النفوس به، ونهضة البشرية بسببه.

تلك الحكمة على هذا الوجه، تتجلى فيما إذا كان الحكم الناسخ أصعب من المنسوخ، كموقف الإسلام فى سموه ونبله من مشكلة الخمر فى عرب الجاهلية بالأمس، وقد كانت مشكلة معقدة كل التعقيد، يحتسونها بصورة تكاد تكون إجماعية، ويأتونها لا على أنها عادة مجردة. بل على أنها أمارة القوة، ومظهر الفتوة، وعنوان الشهامة.

فقل لى – بربك – هل كان معقولاً أن ينجح الإسلام فى فطامهم عنها. لو لم يتألفهم ويتلطف بهم، إلى درجة أن يمتن عليهم بها أول الأمر، كأنه يشاركهم فى شعورهم، وإلى حد أنه أبى أن يحرمها عليهم فى وقت استعدت فيه بعض الأفكار لتسمع كلمة تحريمه، حين

سألوه ﴿ﷺ وآله﴾: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾؟ (البقرة: ٢١٩).

أما الحكمة فى نسخ الحكم الأصعب بما هو أسهل منه، فالتخفيف على الناس ترفيهاً عنهم، وإظهاراً لفضل الله عليهم ورحمته بهم، وفى ذلك إغراء لهم على المبالغة فى شكره وتمجيده، وتحبيبه لهم فيه وفى دينه.

وأما الحكمة فى نسخ الحكم بمساويه فى صعوبته أو سهولته، فالابتلاء والاختبار، ليظهر المؤمن فيفوز، والمنافق فيهلك، ليميز الله الخبيث من الطيب.

شبهات النسخ

شبهات النسخ عند اليهود

إن فرق اليهود يرون استحالة النسخ عقلاً، فإذا أبطلنا ما أثاروه من شبه على الجواز العقلى، وأثبتنا بواقع لا ينكرونه أنه قد وقع فى شريعتهم وفى الشرائع السابقة عليهم كان ذلك رداً على الشمعونية والعنانية الذين ينكرون وقوع النسخ. وهذه هى الشبه التى تعلقوا بها:

الشبهة الأولى:

يقولون: لو جاز على الله تعالى أن ينسخ حكماً من أحكامه لكان ذلك إما لحكمة ظهرت له كانت خافية عليه، وإما لغير حكمة، وكل هذين باطل. أما الأول فلأنه يستلزم

تجويز البداء والجهل بالعواقب على علام الغيوب، وأما الثانى فلأنه يستلزم تجويز العبث على الحكيم العليم اللطيف الخبير، والبداء والعبث مستحيلان عليه سبحانه بالأدلة العقلية والنقلية، فما أدى إليهما وهو جواز النسخ محال.

والجواب على هذه الشبهة:

بأن نسخ الله تعالى ما شاء من أحكامه، مبنى على حكمة كانت معلومة له أولاً، ظاهرة لم تخف عليه ولن تخفى عليه أبداً، غاية الأمر أن مصالح العباد تتجدد بتجدد الزمان، وتختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، وأسراره وحكمه سبحانه لا تتناهى، ولا يحيط به سواه، فإذا نسخ حكماً بحكم، لم يخل هذا الحكم الثانى من حكمة جديدة غير حكمة الحكم الأول، هى مصلحة جديدة للعباد فى الحكم الجديد، أو هى غير تلك. وسبحان من أحاط بكل شيء علماً. وإذن فلا يستلزم نسخ الله لأحكامه بداء ولا عبثاً.

ولكن هؤلاء غفلوا أو تغافلوا عن هذا، حتى جاء الترديد فى شبهتهم ناقصاً لم يستوف وجوه الاحتمالات كما ترى، ولو استوفوه لقالوا: النسخ إما أن يكون لحكمة ظهرت لله كانت خافية، أو لحكمة كانت معلومة له لم تكن خافية عليه، أو لغير حكمة. وأكبر الظن أنهم لم يفطنوا إلى هذا، ولو فطنوا له ما اشتبهوا، ولو اشتبهوا بعد فطنتهم له لاخترنا الشق الثانى من هذا الترديد، ثم أيدنا بتوافر أدلة العقل والنقل عليه كما قررنا.

الشبهة الثانية:

يقولون: لو جاز على الله تعالى أن ينسخ حكماً بحكم، للزم على ذلك أحد باطلين: جهله جل وعلا، وتحصيل الحاصل. وبيان ذلك أن الله تعالى إما يكون قد علم الحكم الأول المنسوخ على أنه مؤبد، وإما أن يكون قد علمه على أنه مؤقت. فإن كان قد علمه على أنه مستمر إلى الأبد ثم نسخه وصيره غير مستمر، انقلب علمه جهلاً، والجهل عليه تعالى محال. وإن كان قد علمه على أنه مؤقت بوقت معين ثم نسخه عند ذلك الوقت، ورد عليه أن

المؤقت ينتهي بمجرد انتهاء وقته، فإنهاؤه بالنسخ تحصيل للحاصل، وهو باطل.

والجواب على ذلك:

بأن الله تعالى قد سبق علمه أن الحكم المنسوخ مؤقت لا مؤبد، ولكنه علم بجانب ذلك أن تأقيته إنما هو بورود الناسخ لا بشيء آخر كالتقييد بغاية فى دليل الحكم الأول، إذن فعلمه بانتهائه بالناسخ لا يمنع النسخ بل يوجبه، وورود الناسخ محقق لما فى علمه لا مخالف له.

شأنه تعالى فى الأسباب ومسبباتها، وقد تعلق علمه بها كلها، ولا تنس ما قررناه ثمة من أن النسخ بيان بالنسبة إلى الله ، رفع بالنسبة إلينا.

الشبهة الثالثة:

يقولون: لو جاز النسخ للزم أحد باطلين، تحصيل الحاصل، أو ما هو فى معناه.

وبيان ذلك أن الحكم المنسوخ إما أن يكون دليله قد غياه بغاية ينتهي عندها، أو يكون قد أبده نصاً: فإن كان قد غياه بغاية فإنه ينتهي بمجرد وجود هذه الغاية، وإذن لا سبيل إلى إنهائه بالنسخ، وإلا لزم تحصيل الحاصل. وإن كان دليل الحكم الأول قد نص على تأبيده ثم جاء الناسخ على رغم هذا التأبيد، لزم المحال من وجوه ثلاثة:

أولها: التناقض، لأن التأبيد يقتضى بقاء الحكم. ولا ريب أن النسخ ينافيه.

ثانيها: تعذر إفادة التأبيد من الله للناس، لأن كل نص يمكن أن يفيده تبطل إفادته باحتمال نسخه، وذلك يفضى إلى القول بعجز الله وعيه عن بيان التأبيد لعباده فيما أبده لهم، تعالى الله عن ذلك.

ثالثها: استلزم ذلك جواز نسخ الشريعة الإسلامية مع أنها باقية إلى يوم القيامة عند القائلين بالنسخ.

والجواب عن هذه الشبهة:

أولاً: بأن حصر الحكم المنسوخ فى هذين الوجهين اللذين ذكرهما المانع، غير صحيح، لأن الحكم المنسوخ يجوز ألا يكون مؤقتاً ولا مؤبداً، بل يجىء مطلقاً عن التأقيت وعن التأبيد كليهما. وعليه فلا يستلزم طرو (خلط) النسخ عليه شيئاً من المحالات التى ذكروها. وإطلاق هذا الحكم كافٍ فى صحة نسخه، لأنه يدل على الاستمرار بحسب الظاهر، وإن لم يعرض له النص.

ثانياً: أن ما ذكروه من امتناع نسخ الحكم المؤبد غير صحيح أيضاً، وما استندوا إليه منقوض بوجوه ثلاثة:

(أولها) أن استدلالهم بأنه يؤدى إلى التناقض، مدفوع بأن الخطابات الشرعية مقيدة من أول الأمر بألا يرد ناسخ، كما أنها مقيدة بأهلية المكلف للتكليف وألا يطرأ عليه جنون أو غفلة أو موت. وإذن فمجىء الناسخ لا يفضى إلى تناقض بينه وبين المنسوخ بحال.

(ثانيها) أن استدلالهم بأنه يؤدى إلى أن يتعذر على الله بيان التأبيد لعباده، مدفوع بأن التأبيد يفهمه الناس بسهولة من مجرد خطابات الله الشرعية المشتملة على التأبيد، وهو ما يشعر به كل واحد منا، وذلك لأن الأصل بقاء الحكم الأول وما اتصل به من تأقيت أو تأبيد، وطرو (خلط) الناسخ احتمال مرجوح، واستصحاب الأصل أمر يميل إليه الطبع، كما يؤيده العقل والشرع.

(ثالثها) أن جواز نسخ الشريعة الإسلامية إن لزمنا– معاشر القائلين بالنسخ – فإنه يلزمنا على اعتبار أنه احتمال عقلى لا شرعى، بدليل أننا نتكلم فى الجواز العقلى لا الشرعى. أما نسخ الشريعة الإسلامية بغيرها من الناحية الشرعية فهو من المحالات الظاهرة، لتضافر الأدلة على أن الإسلام دين عام خالد. ولا يضير الحال فى حكم الشرع، أن يكون

من قبيل الجائز فى حكم العقل.

الشبهة الرابعة :

يقولون: إن النسخ يستلزم اجتماع الضدين، واجتماعهما محال. وبيان ذلك أن الأمر بالشئ يقتضى أنه حسن وطاعة ومحبوب لله، والنهى عنه يقتضى أنه قبيح ومعصية ومكروه له تعالى، فلو أمر الله بالشئ ثم نهى عنه، أو نهى عن الشئ ثم أمر به، لاجتمعت هذه الصفات المتضادة فى الفعل الواحد الذى تعلق به الأمر والنهى.

والجواب على هذه الشبهة:

أن الحسن والقبح وما اتصل بهما، ليست من صفات الفعل الذاتية، حتى تكون ثابتة فيها لا تتغير؛ بل هى تابعة لتعلق أمر الله ونهيه بالفعل، وعلى هذا يكون الفعل حسناً وطاعة ومحبوباً لله ما دام مأموراً به من الله، ثم يكون هذا الفعل نفسه قبيحاً ومعصية ومكروهاً له تعالى ما دام منهياً عنه منه تعالى.

والقائلون بالحسن والقبح العقليين من المعتزلة، يقرون بأنهما يختلفان باختلاف الأشخاص والأوقات والأحوال، وبهذا التوجيه ينتفى اجتماع الضدين، لأن الوقت الذى يكون فيه الفعل حسناً، غير الوقت الذى يكون فيه الفعل قبيحاً، فلم يجتمع الحسن والقبح فى وقت واحد على فعل واحد.

الشبهة الخامسة:

تقول فرقة العيسوية اليهودية أتباع عيسى الأصفهانى: لا سبيل إلى إنكار نبوة محمد ﴿ﷺ وآله﴾، لأن الله تعالى قد أيده بالمعجزات الكثيرة القاهرة، ولأن التوراة قد بشرت

بمجيئه، ولا سبيل أيضاً إلى القول بعموم رسالته، لأن ذلك يؤدى إلى انتساخ شريعة إسرائيل بشريعته، وشريعة إسرائيل مؤبدة، بدليل ما جاء فى التوراة من مثل: (هذه شريعة مؤبدة عليكم ما دامت السموات والأرض)، وإنما هو رسول إلى العرب خاصة.

والجواب على هذه الشبهة من وجهين:

(أولهما) أن اعترافهم بأن سيدنا محمداً ﴿ﷺ وآله﴾ أيده الله بالمعجزات، وجاءت البشارة به فى التوراة، يقضى عليهم لا محالة أن يصدقوه فى كل ما جاء به، ومن ذلك أن رسالته عامة، وأنها ناسخة للشرائع قبله، حتى شريعة موسى نفسه عليه السلام.. الذى قال فيه ﴿ﷺ وآله﴾ فيما رواه الإمام أحمد: (لو أدركنى موسى ابن عمران ما وسعه إلا اتباعى). أما أن يؤمنوا برسالته، ثم لا يصدقوه فى عموم دعوته، فذلك تناقض منهم لأنفسهم، ومكابرة للحجة الظاهرة لهم.

(ثانيهما) أن لفظ التأبيد الذى اعتمدوا عليه فيما نقلوه- إن سلمنا بصحة هذا القول- لا يصلح حجة لهم، لأنه يستعمل كثيراً عند اليهود معدولاً به عن حقيقته، والأمثلة على ذلك كثيرة سنذكرها فى الصفحات القادمة، ومن ذلك ما جاء فى البقرة التى أمروا بذبحها: (هذه سنة لكم أبدا)، وما جاء فى القربان (قربوا كل يوم خروفين قرباناً دائماً) مع أن هذين الحكمين منسوخان باعتراف اليهود أنفسهم، على رغم التصريح فيهما بما يفيد التأبيد كما ترى.

شبهات النسخ عند النصارى

يقولون: إن المسيح عليه السلام قال: (السماء والأرض تزولان، وكلامى لا يزول) وهذا يدل على امتناع النسخ سمعاً.

والجواب على هذه الشبهة:

أولاً: بأنا لا نسلم أن الكتاب الذى بأيديهم هو الإنجيل الذى نزل على عيسى ﷺ، إن هو إلا قصة تاريخية أو سيرة ذاتية وضعها بعض النصارى، يبين فيها حياة المسيح وولادته ونشأته ودعوته، والأماكن التى تنقل فيها، والآيات التى ظهرت على يديه، ومواعظه ومناظراته، كما يتحدث فيها عن عقائد الوثنيين، ومنها ذلك الحادث الذى أثبتنا أنه وثنى الأصل وهو حادث الصلب.

وعلى رغم أنها قصة فقد عجزوا عن إقامة الدليل على صحتها وعدالة كاتبها وأمانته وضبطه، كما أعياهم اتصال السند وسلامته من الشذوذ والعلة؛ بل ثبت علمياً تناقض نسخ هذه القصة التى أسموها الإنجيل، مما يدل على أنها ليست من عند الله ولو كانت من عند الله ما أتاها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، وصدق الله فى قوله عن القرآن: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ (النساء: ٨٢).

ثانياً: أن سياق هذه الكلمة فى إنجيلهم، يدل على أن مراده بها تأييد تنبؤاته، وتأكيد أنها ستقع لا محالة، أما النسخ فلا صلة لها به نفياً ولا إثباتاً، وذلك لأن المسيح حدث أصحابه بأمور مستقبلة، وبعد أن انتهى من حديثه هذا أتى بهذه الجملة التى تشبثوا بها: (السماء والأرض تزولان وكلامى لا يزول)، ولا ريب أن لسياق الكلام تأثيره فى المراد منه، وهكذا شرحها المفسرون منهم للإنجيل وقالوا: إن فهمها على عمومها لا يتفق وتصريح المسيح بأحكام، ثم تصريحه بما يخالفها، من ذلك أنه قال لأصحابه– كما جاء فى إنجيل متى–: (إلى طريق أمم لا تمضوا، ومدينة للسامرين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة).

وهذا اعتراف بخصوص رسالته لبنى إسرائيل، ثم قال مرة أخرى– كما جاء فى إنجيل مرقس–: (اذهبوا إلى العالم أجمع. واكرزوا بالإنجيل للخليقة). فهذا القول ناسخ للأول.

ثالثاً: إن هذه الجملة– على تسليم صحتها وصحة رواتها وكتابها الذى جاءت فيه– لا تدل على امتناع النسخ مطلقاً، إنما تدل على امتناع نسخ شئ من شريعة المسيح فقط، فشبهتهم على ما فيها قاصرة قصوراً بيناً عن مدعاهم.

وقوع النسخ فى الشرائع السابقة

والمفاجأة لكلا الفريقين (اليهود والنصارى) أن النسخ ليس قاصراً على الشريعة الإسلامية، وإنما وقع– أيضاً– فى الشرائع السابقة على شريعة الإسلام بكلا نوعيه: أى فى شريعة لاحقة لشريعة سابقة، وفى الشريعة الواحدة نفسها.

وأمثلة ذلك كثيرة، نقتصر منها على بعض ما ورد فى العهد القديم (التوراة) والعهد الجديد (الإنجيل) حتى يكون ذلك حجة على ما ندعيه.

النسخ فى شريعة لاحقة لشريعة سابقة

المثال الأول: الزواج من الأخت

تزوجت الإخوة بالأخوات فى عهد آدم ، و(سارة) زوجة (إبراهيم) عليه السلام كانت أختاً علانية له كما يفهم من قوله فى حقها، المندرج فى الآية الثانية عشر من الباب العشرين فى سفر التكوين ترجمة عربية سنة ١٦٢٥ وسنة ١٦٤٨م: (إنها أختى بالحقيقة ابنة أبى وليست ابنة أمى وقد تزوجت بها). والنكاح بالأخت حرام مطلقا فى الشريعة الموسوية علانية كانت

الأخت أو خفية ومساو للزنا، والناكح ملعون وقتل الزوجين واجب، الآية السابعة عشر من الباب العشرين سفر اللاويين هكذا: (أى رجل تزوج أخته ابنة أبيه أو أخته ابنة أمه ورأى عورتها ورأت عورته فهما عار شديد فيقتلان أمام شعبهما).

المثال الثانى: تحليل جميع الحيوانات

قول الله فى خطاب نوح وأولاده فى الآية الثالثة من الباب التاسع من سفر التكوين هكذا ترجمة عربية سنة ١٦٢٥ وسنة ١٦٤٨م: (وكل ما يتحرك على الأرض وهو حى يكون لكم مأكولا كالبقل الأخضر) فكان جميع الحيوانات حلالا فى شريعة نوح كالبقولات. وحرمت فى الشريعة الموسوية الحيوانات الكثيرة، منها: الخنزير، كما هو مصرح فى الباب الحادى عشر من سفر اللاويين، والباب الرابع عشر من سفر التثنية.

المثال الثالث: الجمع بين الأختين

جمع يعقوب بين الأختين ليا وراحيل إبنتى خاله كما هو مصرح به فى الباب التاسع والعشرين من سفر التكوين، وهذا الجمع حرام فى الشريعة الموسوية الآية الثامنة عشرة من الباب الثامن عشر فى سفر اللاويين هكذا: (ولا تتزوج أخت امرأتك فى حياتها فتحزنها، ولا تكشف عورتهما جميعا فتحزنهما) فلو لم يكن الجمع بين الأختين جائزاً فى شريعة يعقوب يلزم أن يكون أولادهما أولاد الزنا والعياذ بالله، وأكثر الأنبياء الإسرائيليين فى أولادهما.

المثال الرابع: الزواج من العمَّة

معلوم أن يوخابذ زوجة عمران كانت عمته، وقد حرف المترجمون للترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٣٥ وسنة ١٨٤٨ تحريفا قصديا لإخفاء العيب، فكان أبو موسى تزوج عمته، وهذا النكاح حرام فى الشريعة الموسوية، الآية الثانية عشر الباب الثامن عشر من

سفر اللاويين هكذا: (لا تكشف عورة عمتك لأنها قرابة أبيك)، وكذا فى الآية التاسعة عشر من الباب العشرين من السفر المذكور، فلو لم يكن هذا النكاح جائزا قبل شريعة موسى لزم أن يكون موسى وهارون ومريم أختهما من أولاد الزنا والعياذ بالله، ولزم أن لا يدخلوا جماعة الرب إلى عشرة أحقاب كما هو مصرح به فى الآية الثالثة من الباب الثالث والعشرين من سفر التثنية، ولو كانوا هم قابلين للإخراج عن جماعة الرب فمن يكون صالحا لدخولها؟!!.

المثال الخامس: العهد الجديد

فى الباب الحادى والثلاثين من كتاب أرمياء هكذا: **٣١** (ستأتى أيام، يقول الرب وأعاهد بيت إسرائيل وبيت يهوذا عهدا جديداً) **٣٢** (وليس مثل العهد الذى عاهدت آباءهم فى اليوم الذى أخذت بأيديهم لأخرجهم من أرض مصر عهدا نقضوه وأنا تسلطت عليهم بقول الرب).

والمراد من العهد الجديد الشريعة الجديدة، فيفهم أن هذه الشريعة الجديدة تكون ناسخة للشريعة الموسوية، وادعى مقدسهم بولس فى الباب الثامن من رسالته إلى العبرانيين، أن هذه الشريعة شريعة عيسى، فعلى اعترافه شريعة عيسى عليه السلام ناسخة لشريعة موسى عليه السلام، وهذه الأمثلة الخمسة السابقة لإلزام اليهود والنصارى جميعا، ولإلزام النصارى أمثلة أخرى.

المثال السادس: الزواج بمطلقة

يجوز فى الشريعة الموسوية أن يطلق الرجل امرأته بكل علة، وأن تتزوج رجلاً آخر بتلك الطلقة بعد ما خرجت من بيت الأول، كما هو مصرح به فى الباب الرابع والعشرين من كتاب التثنية، ولا يجوز الطلاق فى الشريعة العيسوية إلا بعلة الزنا، وكذلك لا يجوز لرجل

آخر نكاح المطلقة بل هو بمنزلة الزنا، كما صرح به فى الباب الخامس والتاسع عشر من إنجيل متى، ولما اعترض الفريسيون على عيسى عليه السلام فى هذه المسألة قال فى جوابهم: (إن موسى ما جوز لكم طلاق نسائكم إلا لقساوة قلوبكم وأما من قبل فإنه لم يكن كذلك، وأنا أقول لكم إن كل من طلق زوجته لغير علة الزنا وتزوج بأخرى فقد زنى، ومن يتزوج بتلك المطلقة يزنى) نعلم من جوابه أنه ثبت النسخ فى هذا الحكم مرتين، مرة فى الشريعة الموسوية ومرة فى شريعته، وأنه قد ينزل الحكم تارة موافقا لحال المكلفين وإن لم يكن حسنا فى نفس الأمر.

المثال السابع: الختان

حكم الختان كان أبديا فى شريعة إبراهيم عليه السلام، كما هو مصرح به فى الباب السابع عشر من سفر التكوين، ولذلك بقى هذا الحكم فى أولاد إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، وبقى فى شريعة موسى عليه السلام أيضا، الآية الثالثة من الباب الثانى عشر فى سفر اللاويين هكذا: (وفى اليوم الثامن يختن الصبى)، وختن عيسى عليه السلام أيضا كما هو مصرح به فى الآية الحادية والعشرين من الباب الثانى من إنجيل لوقا، وفى النصارى إلى هذا الحين صلاة معينة يؤدونها فى يوم ختان عيسى عليه السلام تذكرة لهذا اليوم، وكان هذا الحكم باقيا إلى رفع عيسى عليه السلام، وما نسخ بل نسخه الحواريون فى عهدهم كما هو مشروح فى الباب الخامس عشر من أعمال الرسل، ويشدد مقدسهم بولس فى نسخ هذا الحكم تشديدا بليغا فى الباب الخامس من رسالته إلى أهل غلاطية هكذا: (وها أنا بولس أقول لكم إنكم إن اختتنتم لن ينفعكم المسيح بشيء (٣) لأنى أشهد أن كل مختون ملزم بإقامة جميع أعمال الناموس (٤) إنكم إن تزكيتم بالناموس فلا فائدة لكم من المسيح وسقطتم عن نيل النعمة.. (٦) فإن الختانة لا منفعة لها فى المسيح ولا للقلفة بل الإيمان الذى يعمل بالمحبة)، والآية الخامسة عشر من الباب السادس من الرسالة المذكورة هكذا: (لا منفعة للختان فى المسيح عيسى ولا للقلفة بل الخلق الجديد).

المثال الثامن: الأعمال العملية فى التوراة

نسخ الحواريون بعد المشاورة التامة جميع الأحكام العملية للتوراة إلا أربعة: ذبيحة الصنم، والدم، والمخنوق، والزنا.. فأبقوا حرمتها وأرسلوا كتابا إلى الكنائس، وهو منقول فى الباب الخامس عشر من أعمال الرسل وبعض آياته هكذا: ٢٤ (ثم إنا قد سمعنا أن نفراً من الذين خرجوا من عندنا يضطربونكم بكلامهم، ويزعجون أنفسكم ويقولون إنه يجب عليكم أن تختتنوا وتحافظوا على الناموس، ونحن لم نأمرهم بذلك.. ٢٨ لأنه قد حسن للروح القدس، ولنا أن لا نحملكم غير هذه الأشياء الضرورية ٢٩ وهى أن تجتنبوا من قرابين الأوثان والدم والمخنوق والزنا التى إن تجنبتم عنها فقد أحسنتم والسلام) وإنما أبقوا حرمة هذه الأربعة لئلا يتنفر اليهود الذين دخلوا فى الملة المسيحية عن قريب، وكانوا يحبون أحكام التوراة ورسومها تنفراً تاما، ثم لما رأى مقدسهم بولس بعد هذا الزمان، أن هذه الرعاية ليست بضرورة، نسخ حرمة الثلاثة الأولى بفتوى الإباحة العامة وعليه اتفاق جمهور البروتستانت، فما بقى من أحكام التوراة العملية إلا الزنا، ولما لم يكن فيه حد فى الشريعة العيسوية، فهو منسوخ من هذا الوجه، أيضاً فقد حصل الفراغ من هذه الشريعة من نسخ جميع الأحكام العملية التى كانت فى الشريعة الموسوية أبدية كانت أو غير أبدية.

المثال التاسع: الإمامة والشريعة

الآية الثانية عشر من الباب السابع من الرسالة العبرانية هكذا: (لأن الكهانة لما بدلت بدل الناموس أيضا بالضرورة) ففى هذه الآية إثبات التلازم بين تبدل الإمامة وتبدل الشريعة، فإن قال المسلمون أيضا نظرا إلى هذا التلازم بنسخ الشريعة العيسوية فهم مصيبون فى قولهم لا مخطئون، فقد جاء فى تفسير دوالى ورجرد مينت ذيل شرح هذه الآية قول داكتر سيكنائت هكذا: (بدلت الشريعة قطعا بالنسبة إلى أحكام الذبائح والطهارة وغيرها) يعنى رفعت.

المثال العاشر: النسخ لضعف الشريعة

الآية الثامنة عشر من الباب السابع المذكور هنا: (لأن نسخ ما تقدم من الحكم قد عرض لما فيه من الضعف وعدم الفائدة) ففى هذه الآية تصريح بأن نسخ أحكام التوراة لأجل أنها كانت ضعيفة بلا فائدة، جاء فى تفسير هنرى واسكات: (رفعت الشريعة والكهانة اللتان لا يحصل منهما التكميل، وقام كاهن وعفو جديد يكمل منهما المصدقون الصادقون).

المثال الحادى عشر: النسخ لقدم الشريعة

فى الباب الثامن من العبرانية: ٧(فلو كان العهد الأول غير معترض عليه لم يوجد للثانى موضع.. ١٣ فبقوله عهداً جديداً صير الأول عتيقا، والشىء العتيق والبالى قريب من الفناء) ففى هذا القول تصريح بأن أحكام التوراة كانت معيبة وقابلة للنسخ لكونها عتيقة بالية، جاء فى تفسير دوالى ورجرد مينت فى ذيل شرح الآية الثالثة عشرة قول يايل هكذا: (هذا ظاهر جدا لأن الله تعالى يريد أن ينسخ العتيق بالرسالة الجديدة الحسنى، فلذلك يرفع المذهب اليهودى ويقوم المذهب المسيحى مقامه).

المثال الثانى عشر: النسخ حق للجديد

فى الآية التاسعة من الباب العاشر من العبرانية: (فبنسخ الأول حق يثبت الثانى) جاء فى تفسير دوالى ورجرد مينت فى شرح الآية الثامنة والتاسعة قول يايل هكذا: (استدل الحوارى فى هاتين الآيتين وفيهما إشعار بكون ذبائح اليهود غير كافية ولذا تحمل المسيح على نفسه الموت ليجبر نقصانها، ونسخ بفعل أحدهما استعمال الآخر).

الخلاصـــة:

ظهر على اللبيب من الأمثلة المذكورة أمور: (الأول) نسخ بعض الأحكام فى الشـــريعة اللاحقة ليس بمختص بشريعة الإسلام بل وجد فى الشرائع السابقة أيضا.

(والثانى) أن الأحكام العملية للتوراة كلها أبدية أو غير أبديـــة نســـخت فى الشـــريعة العيسوية. (والثالث) أن لفظ النسخ أيضا موجود فى كلام بـــولس بالنســـبة إلى التـــوراة وأحكامها.

(والرابع) أن بولس أثبت الملازمة بين تبدل الإمامة وتبدل الشريعة.

(والخامس) أن بولس يدعى أن الشئ العتيق البالى قريب من الفناء.

وأقول: لما كانت الشريعة العيسوية بالنسبة إلى الشريعة المحمدية عتيقة فلا اســـتبعاد فى نسخها، بل هو ضرورى على وفق الأمر الرابع.

(السادس) يحق للمسلمين القول: أنه لا إشكال فى نسخ أحكام التوراة بالمعنى المصطلح عندنا إلا فى الأحكام التى صرح فيها أنها أبدية، أو يجب رعايتها دائما طبقة بعد طبقة، لكن هذا الإشكال لا يرد علينا، لأنا لا نسلم أولا أن هذه التوراة هى التوراة المنزلة أو تصنيف موسى– كما ثبت ذلك فى الباب الأول– ونسلم ثانيا أنها غير مصونة عن التحريف كمـــا عرفت مبرهنا، ونقول ثالثا: إلزاماً بأن الله قد يظهر له بدءاً وندامة عما أمر أو فعل فيرجع عنه، كذلك يعد وعداً دائميا ثم يخلف وعده، وهذا الأمر الثالث أقوله إلزاما فقط لأنه يفهم من كتب العهد العتيق هكذا من مواضع، وإنى وجميع علماء أهل الإسلام بريئون ومتبرئون من هذه العقيدة الفاسدة، نعم يرد هذا الإشكال عن النصارى الذين يعترفون بـــأن هـــذه التوراة كلام الله، ومن تصنيف موسى ولم تحرف، والندامة والبـــدء محـــالان فى حـــق الله، والتأويل الذى يذكرونه فى الألفاظ المذكورة بعيد عن الإنصاف وركيك جداً، لأن المـــراد بهذه الألفاظ فى كل شيء يكون بالمعنى الذى يناسبه، مثلا: إذا قيل لشخص معين إنه دائما يكون كذا، فلا يكون المراد بالدوام ههنا إلا المدة الممتدة إلى آخر عمره، لأنا نعلم بديهـــة

أنه لا يبقى إلى فناء العالم، وقيام القيامة، وإذا قيل لقوم عظيم يبقى إلى فناء العالم ولو تبدلت أشخاصه فى كل طبقة بعد طبقة أهم لابد أن يفعلوا كذا دائما طبقة بعد طبقة أو إلى الأبد وإلى آخر الدهر، فيفهم منه الدوام إلى فناء العالم بلا شبهة، وقياس أحدهما على الآخر مستبعد جدا، ولذلك علماء اليهود يستبعدون تأويلهم سلفا وخلفا، وينسبون الاعتساف والغواية إليهم.

النسخ فى الشريعة نفسها

المثال الأول: الذبيح

إن الله أمر إبراهيم عليه السلام بذبح إسحاق عليه السلام – الذبيح هو إسماعيل عند المسلمين– ثم نسخ هذا الحكم قبل العمل.

كما هو مصرح به فى الباب الثانى والعشرين من سفر التكوين.

المثال الثانى: نقل الكهانة

أنه نقل قول نبى من الأنبياء فى حق عالى الكاهن فى الباب الثانى من سفر صموئيل الأول هكذا: ٣٠ (فالله إله إسرائيل يقول: إنى قلت إن بيتك وبيت أبيك يخدمون بين يدى دائما لكن يقول الله الآن حاشا لى لا يكون الأمر كذلك بل أكرم من يكرمنى ومن يحقرنى يصير ذليلا.. ٣٤ وأنا أقيم لنفسى كاهنا متدينا.. إلخ).

فكان وعد الله أن منصب الكهانة يبقى فى بيت عالى الكاهن وبيت ابنه ثم أخلف وعده ونسخه وأقام كاهنا آخر.

المثال الثالث: زبل البقر

فى الباب الرابع من كتاب حزقيال هكذا ترجمة عربية سنة ١٨٤٤ (الآية) ١٠

(وطعامك الذى تأكله يكون بالوزن عشرين مثقالا فى كل يوم من وقت إلى وقت تأكله.. (١٢) وكخبز من شعير تأكله وتلطخه بزبل يخرج من الإنسان فى عيونهم.. (١٤) فقلت آه آه آه يا رب الإله ها هو ذا نفس لم تتنجس، والميت والفريسة من السبع لم آكل منه منذ صباى حتى الآن، ولم يدخل فى فمى كل لحم نجس (١٥) فقال لى ها أعطيك زبل البقر عوض رجيع الناس وتصنع خبزك فيه) أمر الله أولا بأن (تلطخه بزبل يخرج من الإنسان) ثم لما استغاث حزقيال عليه السلام نسخ هذا الحكم قبل العمل فقال: (أعطيتك زبل البقر عوض رجيع الناس).

المثال الرابع: الذبح

فى الباب السابع عشر من سفر اللاويين هكذا: ٣(أيما رجل من بنى إسرائيل ذبح ثورا أو خروفا فى المحلة أو خارجا عن المحلة ٤ ولا يأتى بقربانه إلى باب قبة الزمان ليقربه قربانا فليحتسب على ذلك الرجل دم من أنه أراق دماً ويهلك ذلك الرجل من شعبه). وفى الباب الثانى عشر من كتاب التثنية هكذا: ١٥ (فأما إن شئت أن تأكل وتستلذ بأكل اللحم فاذبح وكل بالبركة التى أعطاك الرب إلهاك فى قراك.. إلخ.. ٢٠ وإذا أوسع الرب إلهك تخوفك مثل ما قال لك وأردت أن تأكل اللحم ما تشتهيه نفسك ٢١ وكان بعيد المكان الذى اصطفاك الرب إلهاك ليكون اسمه هناك فاذبح من البقر والغنم الذى لك كما أمرتك وكل فى قراك كما تريد ٢٢ كما يؤكل من الظبى والأيل هكذا فتأكلون منها جميعا طاهرا أو غير طاهر) فنسخ حكم سفر اللاويين بحكم سفر التثنية، قال هورن فى الصفحة ٦١٩ من المجلد الأول فى تفسيره بعد نقل هذه الآيات هكذا: (فى هذين الموضعين تناقض من الظاهر، لكن إذا لوحظ أن الشريعة الموسوية كانت تزاد وتنقص على وفق حال بنى إسرائيل وما كانت بحيث لا يمكن تبديلها فالتوجيه فى غاية السهولة).

ثم قال: (نسخ موسى فى السنة الأربعين من هجرهم قبل دخول فلسطين ذلك الحكم) أى حكم سفر اللاويين (بحكم سفر التثنية نسخا صريحا، وأمر أنه يجوز لهم بعد دخول

فلسطين أن يذبحوا البقر والغنم فى أى موضع شاؤوا ويأكلوا) انتهى ملخصا.

فاعترف بنسخ الحكم المذكور، وأن الشريعة الموسوية كانت تزاد وتنقص على وفق حال بنى إسرائيل، فالعجب من أهل الكتاب أنهم يعترضون على مثل هذه الزيادة والنقصان فى شريعة أخرى ويقولون: إنه مستلزم لجهل الله!!.

المثال الخامس: خدام قبة العهد

الآية ٣، ٤٦،٤٣،٣٩،٣٥،٣٠،٢٣، من الباب الرابع من سفر العدد أن خدام قبة العهد لابد أن يكونوا أنقص من ثلاثين، وأزيد من خمسين سنة، وفى الآية ٢٤، ٢٥ من الباب الثامن من السفر المذكور أن لا يكونوا أنقص من خمس وعشرين وأزيد من خمسين سنة.

المثال السادس: فداء خطأ الجماعة

فى الباب الرابع من سفر اللاويين أن فداء خطأ الجماعة ثور واحد، وفى الباب الخامس عشر من سفر العدد أن لابد أن يكون ثورا مع لوازمه وجديا، فنسخ الأول.

المثال السابع: ركاب سفينة نوح

يعلم أمر الله من الباب السادس من سفر التكوين أن يدخل فى الفلك اثنان اثنان من كل جنس الحيوانات طيرا كان أو بهيمة مع نوح عليه السلام، ويعلم من الباب السابع من السفر المذكور أن يدخل سبعة سبعة ذكراً وأنثى من البهائم الطاهرة ومن الطيور مطلقا، ومن البهائم الغير طاهرة اثنان اثنان، ثم يعلم من الباب المذكور أنه دخل من كل جنس اثنان اثنان، فنسخ هذا الحكم مرتين.

المثال الثامن : خصوصية دعوة المسيح

فى الباب العاشر من إنجيل متى هكذا: (هؤلاء الإثنى عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا: إلى طريق أمم لا تمضوا، إلى مدينة للسامريين لا تدخلوا (٦) ولكن انطلقوا خاصة إلى الخراف التى هلكت من بنى إسرائيل).

وفى الباب الخامس عشر من إنجيل متى قول المسيح فى حقه هكذا: (لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة) فعلى وفق هذه الآيات كان عيسى عليه السلام يخصص رسالته إلى بنى إسرائيل، ونقل قوله فى الآية الخامسة عشرة من الباب السادس عشر من إنجيل مرقس هكذا: (اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها) فالحكم الأول منسوخ، وقد أثبتنا فى صفحات سابقة أن دعوة المسيح خاصة وليست عامة.

المثال التاسع: تعظيم يوم السبت

فى الباب الثالث والعشرين من إنجيل متى هكذا: (حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه (٢) قائلا جلس الكتبة والفريسيون على كرسى موسى (٣) فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه) فحكم بأن كل ما قالوه لكم أو فعلوه ولا شك أنهم يقولون بحفظ جميع الأحكام العملية للتوراة سيما الأبدية على زعمهم وكلها منسوخة فى الشريعة العيسوية، كما علمت مفصلة فى أمثلة القسم الأول، فهذا الحكم منسوخ البتة، والعجب من علماء البروتستانت أنهم يوردون فى رسائلهم هذه الآيات تغليطا لعوام أهل الإسلام مستدلين بها على بطلان النسخ فى التوراة، فيلزم أن يكونوا واجبى القتل لأنهم لا يعظمون السبت، وناقض تعظيمه على حكم التوراة واجب القتل (الباب الحادى والثلاثين من سفر الخروج الآيات ١٤،١٣).

المثال العاشر: الخلاص

فى الآية السادسة والخمسين من الباب التاسع من إنجيل لوقا قول المسيح عليه السلام هكذا: (إن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص) ومثله فى إنجيل يوحنا فى الآية السابعة عشر من الباب الثالث، وفى الآية السابعة والأربعين من الباب الثانى عشر، ووقع فى الآية الثامنة من الباب الثانى من الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكى هكذا: (وحينئذ سيستلعن الأثيم الذى الرب يبيده بنفخة فمه ويبطله بظهوره) فالقول الثانى ناسخ للأول.

الخلاصة

قد علم من هذه الأمثلة الثلاثة الأخيرة – أعنى من الثامن إلى العاشر– أن نسخ أحكام الإنجيل واقع بالفعل فضلا عن الإمكان، حيث نسخ عيسى عليه السلام بعض حكمه بحكمه الآخر، ونسخ الحواريون بعض أحكامه بأحكامهم، ونسخ بولس بعض أحكام الحواريين، بل بعض قول عيسى عليه السلام بأحكامه وقوله، وظهر لك أن ما نقل عن المسيح عليه السلام فى الآية الخامسة والثلاثين من الباب الرابع والعشرين من إنجيل متى، والآية الثالثة والثلاثين من الباب الحادى والعشرين من إنجيل لوقا، ليس المراد به أن قولا من أقوالى وحكما من أحكامى لا ينسخ وألا يلزم تكذيب إنجيلهم، بل المراد بقوله كلامى هو الكلام المعهود الذى أخبر عن الحادثات التى تقع بعده، وهى مذكورة قبل هذا القول فى الإنجيلين، فالإضافة فى قوله: كلامى للعهد لا للاستغراق، وحمل مفسروهم أيضا هذا القول على ما قلت فى تفسير دوالى ورجرد مينت فى ذيل شرح عبارة إنجيل متى هكذا: (قال القسيس بيروس: مراده أنه تقع الأمور التى أخبرت بها يقينا، وقال دين استاين هوب: إن السماء والأرض وإن كانتا غير قابلتين للتبديل بالنسبة إلى الأشياء الأخر لكنهما ليستا بمحكمتين مثل إحكام إخبارى بالأمور التى أخبرت بها، فتلك كلها تزول وإخبارى بالأمور التى أخبرت بها لا تزول، بل القول الذى قلته الآن لا يتجاوز شيء عن مطلبه) فالاستدلال بهذا القول ضعيف جدا، والقول المذكور هكذا: (السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا

تزول).

وإذا عرفت أمثلة القسمين ما بقى لك شك من وقوع النسخ بكلا قسميه فى الشريعة الموسوية والعيسوية، وظهر أن ما يدعيه أهل الكتاب من امتناع النسخ باطل لا ريب فيه، فكيف لا وإن المصالح قد تختلف باختلاف الزمان والمكان والمكلفين، فبعض الأحكام يكون مقدورا للمكلفين فى بعض الأوقات ولا يكون مقدورا فى بعض آخر، ويكون البعض مناسبا لبعض المكلفين دون بعض، ألا ترى أن المسيح عليه السلام قال مخاطبا للحواريين: (إن لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم لا تستطيعون الآن أن تحتملوا، وأما متى جاء ذلك، روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق) كما هو مصرح به فى الباب السادس عشر من إنجيل يوحنا، وقال للأبرص الذى شفاه: (لا تخبر عن هذا الحال أحدا عما كان)، كما هو مصرح به فى الباب الثامن من إنجيل لوقا، وأمر اللذين فتح أعينهما: (لا تخبرا أحدا عن هذا الحال)، كما هو مصرح به فى الباب التاسع من إنجيل متى، وقال لأبوى الصبية التى أحياها: (لا تخبرا أحدا عما كان)، كما هو مصرح به فى الباب الثامن من إنجيل لوقا، وأمر الذى أخرج الشياطين منه بأن (ارجع إلى بيتك وأخبر بما صنع الله بك)، كما هو مصرح به فى الباب المذكور، وقد علمت فى المثال السادس والثامن من أمثلة القسم الأول، وفى المثال الرابع من أمثلة القسم الثانى ما يناسب هذا المقام، وكذلك ما أُمر بنو إسرائيل بالجهاد على الكفار ماداموا فى مصر وأُمروا بعد ما خرجوا.

وختاماً أقول لجهلاء الفضائيات: ليس بعد الحق إلا الضلال.

أنواع النسخ فى القرآن الكريم

النسخ فى القرآن الكريم، يتنوع إلى أنواع ثلاثة: نسخ التلاوة والحكم معاً، ونسخ الحكم دون التلاوة، ونسخ التلاوة دون الحكم.

١- أما نسخ الحكم والتلاوة جميعاً، فقد أجمع عليه القائلون بالنسخ من المسلمين ويدل

على وقوعه سمعا ما ورد عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت: (كان فيما أنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات، وتوفى ﴿ﷺ وآله﴾ وهن فيما يقرأ من القرآن) [أخرجه مسلم، كتاب الرضاع ٤/١٦٧].

وإذا كان موقوفا على عائشة رضى الله عنها فإن له حكم مرفوع، لأن مثله لا يقال بالرأى، بل لابد فيه من توقيف، وأنت خبير بأن جملة: عشر رضعات معلومات يحرمن، ليس لها وجود فى المصحف حتى تتلى، وليس بالعمل بما تفيده من الحكم باقيا، وإذن يثبت وقوع نسخ التلاوة والحكم جميعاً. وإذا ثبت وقوعه ثبت جوازه، لأن الوقوع أول دليل على الجواز. وبطل مذهب المانعين لجوازه شرعا.

٢- وأما نسخ الحكم دون التلاوة فيدل على وقوعه آيات كثيرة:

- منه أن آية تقديم الصدقة أمام مناجاة الرسول ﴿ﷺ وآله﴾، وهى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ (المجادلة: ١٢). منسوخة بقوله تعالى: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (المجادلة: ١٣).. على معنى أن حكم الآية الأولى منسوخ بحكم الآية الثانية، مع أن تلاوة كلتيهما باقية.

- ومنها أن قوله سبحانه: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ (البقرة: ١٨٤). منسوخ بقوله سبحانه: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة: ١٨٥). على معنى أن حكم تلك منسوخ بحكم هذه، مع بقاء التلاوة فى كلتيهما كما ترى

٣- وأما نسخ التلاوة دون الحكم، فيدل على وقوعه ما صحت روايته عن عمر بن الخطاب وأبى بن كعب أنهما قالا: (كان فيما أنزل من القرآن: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) أهـ. وأنت تعلم أن هذه الآية لم يعد لها وجود بين دفتى المصحف ولا على ألسنة القراء، مع أن حكمها باق على أحكامه لم ينسخ.

ويدل على وقوعه أيضا ما صح عن أبى بن كعب أنه قال: (كانت سورة الأحزاب توازى سورة البقرة أو أكثر) مع أن هذا القدر الكبير الذى نسخت تلاوته لا يخلو فى الغالب من أحكام اعتقادية لا تقبل النسخ.

ويدل على وقوعه أيضا الآية الناسخة فى الرضاع، وقد سبق ذكرها فى النوع الأول.

ويدل على وقوعه أيضا، ما صح عن أبي موسى الأشعرى أنهم كانوا يقرءون سورة على عهد رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فى طول سورة براءة، وأنها نسيت إلا آية منها، وهى: (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. ويتوب الله على من تاب) [أخرجه البخارى ومسلم والترمذى وأحمد (الجامع الصغير ٢/١٢١)].

وإذا ثبت وقوع هذين النوعين كما ترى، ثبت جوازهما، لأن الوقوع أعظم دليل على الجواز كما هو مقرر، وإذن بطل ما ذهب إليه المانعون من ناحية الشرع.

ويبطل كذلك ما ذهب إليه المانعون له من ناحية العقل، وهم فريق من المعتزلة شذ عن الجماعة، فزعم أن هذين النوعين الآخرين مستحيلان عقلا.

ويمكنك أن تفحم هؤلاء بدليل على الجواز العقلى الصرف لهذين النوعين فتقول: إن ما يتعلق بالنصوص القرآنية، من التعبد بلفظها، وجواز الصلاة بها، وحرمتها على الجنب فى قراءتها ومسها، شبيه كل الشبه بما يتعلق بها من دلالتها على الوجوب والحرمة ونحوهما، فى أن كلا من هذه المذكورات حكم شرعى يتعلق بالنص الكريم وقد تقتضى المصلحة نسخ الجميع، وقد تقتضى نسخ بعض هذه المذكورات دون بعض، وإذن يجوز أن تنسخ الآية تلاوة وحكما، ويجوز أن تنسخ تلاوة لا حكما، ويجوز أن تنسخ حكما لا تلاوة. وإذا ثبت هذا بطل ما ذهب إليه أولئك الشذاذ من الاستحالة العقلية للنوعين الأخيرين.

أركان النسخ

١- الناسخ

٢- المنسوخ.

٣- المنسوخ به.

٤-المنسوخ عنه.

* فالناسخ: هو الله تعالى فى الحقيقة، وقد سمى الدليل ناسخا فيكون مجازا فيه.

* والمنسوخ: هو الحكم الذى رفع أو الذى انتهى العمل به.

* والمنسوخ به: هو قول الله تعالى الدال على رفع الحكم، أو دل على بيان انتهاء الحكم الأول. ومثله قول الرسول ﴿ﷺ وآله﴾.

* والمنسوخ عنه: هو المكلف الذى رفع عنه التكليف بالحكم.

شروط النسخ

أما شروط النسخ، فمنها ما هو متفق عليه، ومنها ما هو مختلف فيه.

الشروط المتفق عليها :

١- أن يكون المنسوخ حكما شرعيا، لأن الأمور العقلية التى مستندها البراءة الأصلية لم تنسخ، وإنما ارتفعت بإيجاب العبادات.

٢- أن يكون النسخ بخطاب شرعى لا بموت المكلف، لأن الموت مزيل للحكم لا ناسخ له.

٣- أن يكون الحكم السابق مقيداً بزمان مخصوص، نحو قوله عليه الصلاة والسلام: (لا صلاة فى الصبح حتى تطلع الشمس، ولا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس). فإن الوقت الذى يجوز فيه أداء النوافل التى لا سبب لها مؤقت، فلا يكون نهيه فى الوقت المخصوص نسخا لما قبل ذلك من الجواز لأن التوقيت يمنع النسخ.

٤- أن يكون الناسخ متراخيا عن المنسوخ.

الشروط المختلف فيها :

١- أن يكون الناسخ مثل المنسوخ فى القوة، أو أقوى منه، لا دونه، لأن الضعيف لا ينسخ القوى.

٢- أن يكون ناسخ القرآن قرآنا، وناسخ السنة سنة.

٣- أن يكون قد ورد الخطاب الدال على بيان انتهاء الحكم بعد التمكن من الفعل.

٤- أن يكون الناسخ مقابلا للمنسوخ، مقابلة الأمر للنهى، والمضيق للموسع.

٥- أن يكون الناسخ والمنسوخ نصين قاطعين.

٦- أن يكون الناسخ ببدل مساو أو مما هو أخف منه.

٧-أن يكون الخطاب المنسوخ حكمه مما لا يدخله الاستثناء والتخصيص.

والراجح أنه لا داعى لهذه الشروط (الأحكام للآمدى ١٠٦/٣، مناهل العرفان ٧٦/٢).

النسخ ببدل أو بدون بدل

اختلف العلماء فى النسخ، هل لابد فيه من بدل، أو يجوز نسخه بلا بدل.

والخلاف فى هذه المسألة خلاف لفظى، مرجعه الخلاف فى المراد بالبدل، فالجمهور يفسرون البدل بالحكم الشرعى الناسخ للدليل السابق، والمخالفون لعلهم يقصدون بالبدل مطلق البدل، وهو يشمل البراءة الأصلية، وهو بدل أيضا، لأنه حاش لله تعالى أن يترك عباده سدى من غير تشريع حكيم.

على أن الناظر فى أدلة الطرفين يجد أن المانع للنسخ بلا بدل قد استدل بأدلة شرعية، والمجوز لذلك قد استدل بالدليل العقلى، وهذا يجعلنا نحكم بأن المانع مراده أنه لم يقع شرعا النسخ بلا بدل، والمجوِّز يرى أن ذلك جائز عقلا وإن كان غير واقع، وبذلك يكون النفى والإثبات لم يتواردا على محل واحد، فارتفع النزاع بين الطرفين فى هذه المسألة.

نسخ الحكم ببدل أخف أو مساو أو أثقل

النسخ يتنوع إلى ثلاثة أنواع:

١- النسخ إلى بدل أخف من المنسوخ.

٢- النسخ إلى بدل مساو للمنسوخ.

٣- النسخ إلى حكم أثقل من الحكم المنسوخ.

مثال الأول:

نسخ تحريم الأكل والشرب والجماع بعد النوم فى ليل رمضان بإباحة ذلك، إذ قال سبحانه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ﴾ (البقرة: ١٨٧).

مثال الثاني:

نسخ وجوب استقبال بيت المقدس بوجوب استقبال الكعبة فى قوله سبحانه: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (البقرة: ١٤٤).

وهذان النوعان لا خلاف فى جوازهما عقلا، ووقوعهما سمعا عند القائلين بالنسخ كافة.

النوع الثالث:

النسخ إلى حكم أثقل من الحكم المنسوخ.

وفى هذا النوع خلاف بين العلماء..

فجمهور العلماء يذهبون إلى جوازه عقلا وسمعا، كالنوعين السابقين، ويستدلون على هذا بأمثلة كثيرة تثبت الوقوع السمعى، وهو أدل دليل على الجواز العقلى كما علمت، من تلك الأمثلة أن الله تعالى نسخ إباحة الخمر بتحريمها. ومنها أنه تعالى نسخ ما فرض من مسالمة الكفار المحاربين بما فرض من قتالهم: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة: ٢١٦). ومنها أن حد الزانى كان فى فجر الإسلام لا يعدو التعنيف والحبس فى البيوت، ثم نسخ ذلك بالجلد والنفى فى حق البكر، والرجم فى حق الثيب. ومنها أن الله تعالى فرض على المسلمين أولا صوم يوم عاشوراء، ثم نسخه بفرض شهر رمضان كله مع تخيير الصحيح المقيم بين صيامه والفدية، ثم نسخ سبحانه هذا التخيير بتعيين الصوم على هذا الصحيح المقيم.

أقسام الناسخ والمنسوخ

الحكم المنسوخ قد يكون ثابتا بالكتاب، وقد يكون ثابتا بالسنة، وقد يكون ثابتا بالقياس، فنسخ الكتاب بالكتاب، والسنة المتواترة بالسنة المتواترة، والآحاد بالآحاد لا خلاف فى جوازه بين القائلين بجواز النسخ، وإنما الخلاف بينهم فيما يأتى:

١- نسخ الكتاب بالسنة المتواترة .

٢- نسخ السنة المتواترة أو الآحاد بالكتاب.

٣- نسخ المتواتر (سواء كان قرآنا أو سنة) بالآحاد.

الخاتمة

فى النتائج الكبرى لقضية النسخ

بعد هذه الدراسة المستفيضة لنظرية النسخ فى الشرائع السماوية نستطيع أن نستخلص

النتائج التالية:

١- أن النسخ قد وقع فى كل شريعة، وبين الشرائع بعضها مع بعض، وأنه ما من شريعة إلا ونسخت ما قبلها: إما كليا أو جزئيا، وأن الدين الإسلامى قد نسخ جميع الشرائع السابقة، وأن ما كان منها صالحا قد قرره الإسلام ونص عليه بعينه كما فى قوله - حكاية عن التوراة-: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ (المائدة: ٤٥).

٢- بطل ما ذهب إليه اليهود من الربط بين النسخ والبداء، وأن دعوى الشمعونية والعنانية من اليهود عدم وقوع النسخ دعوة باطلة بما أوردناه من الوقائع المتعددة من النسخ فى التوراة نفسها، وبطل ما ذهب إليه العيسوية من اليهود من أن سيدنا ومولانا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ قد أرسل إلى العرب خاصة، فإن مقتضى تسليمهم برسالته إلى العرب أن يصدقوه فى كل ما جاء به، ومن بين ما جاء به قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبأ: ٢٨). ويترتب على ذلك أن تكون شريعته ﴿ ﷺ وآله﴾ ناسخة لشريعة اليهود، ضرورة أنه مرسل إليهم كما هو مرسل إلى غيرهم، وتبين أن الغاية من إنكار اليهود للنسخ- على اختلاف فرقهم وآرائهم- إنما الهدف تقرير الدوام لشريعتهم وأن ينفوا نسخ شريعة الإسلام لها

٣- والنتيجة الثالثة التى توصلنا إليها هى إبطال كلام المتأخرين من النصارى بإنكار النسخ، وذلك بما نقلناه من الأناجيل المختلفة.

٤- بينا أن النسخ يتمشى مع العقل البشرى، وأنه لا معارضة بينهما أصلا، فإن الشرائع السماوية ما هى إلا كالقوانين التى يضعها الناس لأنفسهم لتحقيق المصلحة العامة والخاصة للناس، وأن هذه القوانين تعدَّل وتغيَّر حسب مقتضيات الزمن والتقدم البشرى.

كذلك الخالق جل وعلا يضع لعباده من الشرائع والأحكام ما يحقق لهم المصلحة، حسب علمه الأزلى، الذى أحاط بكل شىء علما، فهو سبحانه حينما ينسخ شريعة بشريعة يكشف لنا بذلك عن هذا العلم الأزلى الذى يدل على أن ما يصلح لقوم قد لا يصلح لغيرهم.

فمثل الشريعة كمثل الطبيب الحاذق، يعطى كل مريض ما يصلح له، وقد يغير له

الدواء تدريجيا تمشيا مع حال المريض.

٥- كما بينا أن وقوع النسخ إنما يحقق مصالح جمة، وأن الله قد شرعه لحكم سامية، أهمها التدرج فى سياسة الأمة حتى تألف الدين الجديد وتذعن له، وقد تكون الحكمة فى النسخ إنما هى التخفيف عن الأمة، رحمة بها.

٦- لا خلاف بين العلماء فى نسخ الكتاب بالكتاب، والسنة المتواترة بالسنة المتواترة، والآحاد بالآحاد، وإنما الخلاف فى نسخ الكتاب بالسنة المتواترة، وفى نسخ السنة المتواترة أو الآحاد بالكتاب، وفى نسخ المتواتر بالآحاد، والجمهور على جواز ذلك ووقوعه، ولم يخالف فى ذلك إلا الإمام الشافعى رضي الله عنه.

ونحن مع الجمهور فى هذه المسألة ودليلنا فى ذلك الوقوع، وأمثلة ذلك:

(أ) أوجب الله تعالى الوصية للوالدين والأقربين لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ (البقرة: ١٨٠). نسخ ذلك بقوله ﴿ﷺ وآله﴾: (لا وصية لوارث).

(ب) إن الله تعالى أوجب جلد الزانى أو الزانية، سواء كان بكرا أو ثيباً مائة جلدة لقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (النور: ٢). ثم نسخ الجلد عن الثيب بالرجم، وهذا ثابت فى السنة المتواترة.

(ج) لقد كان التوجه إلى بيت المقدس فى الصلاة ثابتا بالسنة، ثم نسخ ذلك بالتوجه إلى المسجد الحرام بقوله تعالى: ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام.﴾ فثبت بذلك أن السنة تنسخ القرآن، وأن القرآن ينسخ السنة، لأن الكل من عند الله تعالى، والرسول ﴿ﷺ وآله﴾ ما هو إلا مبلغ عن ربه، كما قال عز من قائل: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى* إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم: ٣،٤).

٧- تبين أن النسخ فى القرآن ثلاثة: نسخ التلاوة والحكم معاً، ونسخ الحكم دون التلاوة، ونسخ التلاوة دون الحكم، وأمثلة ذلك كثيرة ومشهورة، ولم يخالف فى ذلك أحد ممن قال بجواز النسخ.

ومحل الخلاف فى نسخ التلاوة مع بقاء الحكم، لكن لا ينبغى المخالفة فى هذا النوع أيضا، مادام قد وقع، وإذا خفيت الحكمة فى ذلك فهذا لا يرفع ما وقع، ويدل على ذلك

ما صحت روايته عن عمر بن الخطاب وأبى بن كعب أنهما قالا: (كان فيما أنزل من القرآن: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) والوقوع أعظم دليل على الجواز.

٨- أن النسخ إما أن يكون ببدل أو بدون بدل، كما هو رأى الجمهور، والمخالفون تمسكوا بظاهر قوله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾ (البقرة: ١٠٦) فإنها تفيد بظاهرها أنه لابد أن يؤتى مكان الحكم المنسوخ بحكم آخر، لكن هذا ليس بمسلم، فقد يكون عدم البدل خيرا من الحكم السابق، على أنا نستدل أيضا بالوقوع وهو أعظم دليل على الجواز، وذلك فى تقديم الصدقة عند إرادة مناجاة الرسول ﴿ﷺ وآله﴾، فقد نسخ هذا الحكم بدون بدل، سواء كان هذا البدل أخف أو مساو أو أثقل من الحكم المنسوخ. والنسخ هنا قد يشمل الكونيات أيضا كنسخ الشمس للظل.

٩- تبين أنه يجوز النسخ قبل التمكين من الفعل، أى: قبل مضى وقت يسع الفعل المكلف به، أنه قد يكون على سبيل الاختبار والبلاء، ويدل لذلك الوقوع أيضا، فإن إبراهيم عليه السلام أمر بالذبح ثم نسخ ذلك قبل أن يتمكن من الفعل.

١٠- ما تقدم فى تعريف النسخ يدل على أن النسخ لا يكون إلا فى الأحكام، وهذا موضع اتفاق بين العلماء القائلة بالنسخ، لكن ذلك مخصوص بفروع العبادات والمعاملات، أما الأصول من العقائد وأمهات الأخلاق وأصول العبادات والمعاملات ومدلولات الأخبار المحضة فلا نسخ فيها على الرأى السديد.

١١- زيادة عبادة مستقلة ليست من جنس المزيد عليه ليست بنسخ، كزيادة صوم يوم الخميس وجوبا من كل أسبوع، على ما شرعه الله من العبادات من صلاة وزكاة وحج وصوم رمضان.

وأما زيادة عبادة مستقلة من جنس المزيد عليه كزيادة صلاة على الصلوات الخمس، فهذا ليس بنسخ على رأى الجمهور أيضا.

١٢- نسخ الإجماع والنسخ به لا يجوز، لأن الإجماع لا ينعقد إلا بعد الرسول ﴿ﷺ وآله﴾، والنسخ لا يكون إلا فى زمن الرسول ﴿ﷺ وآله﴾، وأن القياس إنما ينسخ بقياس أجلى منه.

٤رابعاً: القرآن الكريم به أخطاء نحوية

قال أعداء الإسلام: فى القرآن أغلاطا نحوية وبيانية، فقد صرحوا أن القرآن اشتمل على تراكيب لو وردت فى غيره من الكتب لعدها علماء النحو والبيان غلطات لا محالة.. وهى كالآتى:

١- قالوا فى سورة البقرة الآية ١٩٦ قوله: ﴿تلك عشرة كاملة﴾، والصواب تلك عشر كاملة.

٢- قالوا فى سورة الأعراف الآية ١٦٠: ﴿وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطاً﴾ فأنث العدد وجمع المعدود، والصواب التذكير فى الأول والإفراد فى الثانى.

٣- قالوا فى سورة النساء آية ١٦٢: ﴿لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر﴾، والصواب والمقيمون الصلاة.

٤- قالوا فى سورة المائدة آية ٦٩: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾، والصواب والصابئين.

٥- قالوا فى سورة المنافقون آية ١٠:﴿ وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين﴾، والصواب وأكون بالنصب.

٦- قالوا فى سورة آل عمران آية ٥٩: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ والصواب فكان.

٧- قالوا أنه أخطأ فيه مراعاة للروى قوله: ﴿سلام على الياسين﴾ الصافات: ١٣٠) والوجه الياس. وقوله: ﴿وطور سينين﴾ (التين: ٤)، والوجه سيناء.

٨- من أخطائه فى الضمائر قوله فى سورة الحج آية ١٩:﴿خصمان اختصموا فى ربهم﴾، والوجه اختصما فى ربهما.

٩- قالوا فى سورة الأنبياء آية ٣: ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾، والصواب وأسر

النجوى.

١٠- قالوا فى سورة الحجرات آية ٩: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾، والوجه اقتتلتا أو بينهم.

هذا ما وقف عليه أعداء الإسلام من الأغلاط النحوية والبيانية فى القرآن، ولكن إشفاقى عليهم فى هذا المقام لا يمكننى أن أعبر عنه بأية عبارة، وذلك لأن قواعد النحو والبيان التى يقول عنها هؤلاء إنما هى موضوعة على أساس القرآن، لأنه هو الأصل العربى الذى تواتر عن سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ العربى، وتحدى به أفصح العرب نطقاً وأبلغهم قولا، فعجزوا عن الإتيان بمثله فكل ما يخالفه من العبارات يكون غير عربى بدون نزاع، فهل يظن هؤلاء أن قواعد سيبويه والخليل أصل يطبق عليها القرآن فيقال لما خالف هذه القواعد إنه لحن؟ إن كانوا يظنون ذلك فقد بلغ بهم الجهل غايته، لأن الواقع أن قواعد الخليل وسيبويه وغيرهما من واضعى العلوم العربية إنما تكون صحيحة إذا وافقت القرآن الكريم، أما إذا خالفته فى شىء لا يمكن تأويله فإنه يكون غلطاً بلا نزاع. فهل يصح لعاقل يعرف الخطأ من الصواب أن يقول بعد ذلك: إن فى القرآن لحنا يخالف تلك القواعد؟ كلا إنما يصح أن يقال: إن قواعد العربية كلها يجب أن يكون مرجعها القرآن الذى ثبتت نسبته بالتواتر إلى سيدنا محمد، كما ثبت أن أفصح العرب اعترفوا بأنه فى أعلى مراتب البلاغة والفصاحة.

وبعد.. فهل ظفر أعداء الإسلام حقا بآية فى القرآن تخالف قاعدة من قواعد العربية؟ ألا فليعلم القراء أن هؤلاء لو استعانوا بكل المفكرين وظلوا يبحثون ألف سنة كاملة أو أكثر من ذلك فى القرآن الكريم لعلهم أن يظفروا بكلمة تخالف القواعد العربية البليغة لما وجدوا إلى ذلك سبيلا.

إنهم يرجعون إلى كتب المفسرين ويأخذون من أبحاثهم ما يسرقونه فى صورة اعتراض، وينسبونه إلى انفسهم، مع أنهم يعلمون أن المعترض قد أجاب عن اعتراضه بعدة أجوبة، ومن أجل ذلك ترى كثيراً من أعداء الإسلام لا يحسن نقل الاعتراض فيظهر جهله فى

صورة مكبرة مضحكة، ولا نريد أن نذهب بعيدا بل نقول لهم: إن الأمثلة التى اعترضتم بها شاهدة أكبر شهادة على ما نقول.. وإليك البيان:

الرد على شبهاتهم

الشبهة الأولى:

يقولون فى سورة البقرة الآية ١٩٦ قوله: ﴿تلك عشرة كاملة﴾ والصواب تلك عشر كاملة.

وأنا أقول: إن الرد أوضح من الشمس فى رابعة النهار، لأن المعدود هو الأيام وهى جمع يوم واليوم مذكرة، والقاعدة فى ذلك تأنيث العدد، فالآية منطبقة على القواعد النحوية فى ظاهرها وباطنها، فماذا تخيله هؤلاء حتى حكموا على الصواب بأنه ليس بصواب؟!.

الشبهة الثانية:

وقالوا فى الآية ١٦٠ من سورة الأعراف: ﴿وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطاً﴾ فأنث العدد وجمع المعدود (والصواب التذكير فى الأول والإفراد فى الثانى). والذى يلفت النظر فى هذا المقام جرأة هؤلاء المدهشة، فإنهم مع جهلهم الشائن بأساليب اللغة العربية وأغراضها لا يبالون أن يحكموا حكم العلماء والواثقين فيقولون: إن عبارة القرآن الكريم ليست بصواب.

ونحن نقول: ليس الأمر كما تفهمون لأن تمييز اثنتى عشرة ليس هو (أسباطاً) بل هو مفهوم من قوله تعالى: ﴿وقطعناهم﴾ ومعناه وقطعناهم اثنتى عشرة قطعة، أى: فرقناهم اثنتى عشرة فرقة، فاسم العدد مؤنث والمعدود مؤنث طبقاً للقاعدة النحوية، ومن القواعد القياسية التى لا خلاف فيها جواز حذف ما يدل عليه الكلام.

ولكنهم ظنوا أن التمييز قوله تعالى: (أسباطاً) فقالوا: إن الصواب أن يكون التمييز مفرداً فيقول سبطاً، وأن يكون اسم العدد مذكراً فيقول: اثنا عشر. على أن هذا التركيب فى الذروة العليا من البلاغة، لأنه حذف التمييز لدلالة قوله: ﴿وقطعناهم﴾ عليه دلالة بديهية لا تخفى إلا على الجهلاء، ثم ذكر الوصف الملازم لفرق بنى إسرائيل وهم الأسباط بدلا من التمييز. فمعنى الآية أن الله فرق أسباط يعقوب اثنتى عشرة فرقة، وجعل كل فرقة جماعة كثيرة.

الشبهة الثالثة:

وقالوا فى سورة النساء آية ١٦٢: ﴿ لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ والصواب المقيمون.

ونحن نقول لهم: إن الصواب هو ذكر الآية الكريمة، وذلك لأن القرآن الكريم هو عمدتنا فى اللغة وحجتنا فى البيان العربى، وهو هنا يعلمنا أنه إذا وجدت متعاطفات وأراد المتكلم أن يعنى بأحدها مزيد عناية، فينبغى له أن يغير أسلوب العطف ليدل على غرضه بنصه على المدح، فمعنى قوله تعالى: ﴿والمقيمين الصلاة﴾ وأمدح المقيمين الصلاة، ذلك لأن الصلاة قد اشتملت على عمل القلب وهو الخشوع لله تعالى، وعمل الجوارح من ركوع وسجود ونحوهما من أمارات الخضوع، وعمل اللسان من نطق بالشهادتين وتلاوة كلام الله تعالى، وهى إذا أقيمت فى وقتها على وجهها فإنها تنهى فاعلها عن الفحشاء والمنكر، فكل ذلك من الأسباب التى تجعل للمقيمين الصلاة ميزة يمتازون بها، فلهذا جاء القرآن الكريم بنصب المقيمين.

الشبهة الرابعة:

وقالوا: إنه ورد فى سورة المائدة آية ٦٩: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ والصواب الصابئين.

ونحن نقول: ما الحيلة فى جماعة لا غرض لهم إلا تضليل العقول بالجهل المبين، وإلا فهل يعلم أن واضعى اللغة العربية أنفسهم يستدلون بهذه الآية على أوجه مختلفة تزيد عن تسع؟ وهل يظن أن الذين نقلوا هذا الاعتراض لم يطلعوا على ذلك؟ إننى لا أظن ذلك، بل أقول: إنهم إما أن يكون قد اطلعوا ولم يفهموا شيئاً، أو فهموا ولكنهم يريدون التضليل، وكلاهما معيب لا يليق أن يصدر عن الذين يكتبون فى فلسفة الأديان. ولولا أن المقام ليس مقام نحو وإعراب لذكرت أوجه الإعراب فى الآية جميعاً، ولكنى اكتفى منها بوجهين:

أحدهما: أن لفظ (إن) وإن كان ينصب المبتدأ لفظا ولكنه لا يزال مرفوعا محلا، فيصح لغة أن يعطف (الصابئون) على محل اسم إن، سواء كان ذلك قبل مجىء الخبر أو بعده. والآية الكريمة شاهدة على ذلك فهى جارية على القواعد العربية لفظا ومعنى.

ثانيهما: أن المراد من الآية ذكر أصناف اليهود والنصارى، فمن اليهود والنصارى المنافقون وهم الذين آمنوا فى الظاهر. ومن اليهود الصابئون فذكر الله تعالى المنافقين واليهود وقال لهم إن آمنتم بالله حقا وعملتم صالحاً فلكم أجركم عند الله ولا خوف عليكم، ثم ذكر الصابئين والنصارى وقال لهم ذلك القول، وبذلك يكون قد ذكر الأصناف الموجودة فى شبه جزيرة العرب من أهل الكتاب.

فإفراد الصابئين بالذكر كإفراد المؤمنين فى الظاهر للإشارة إلى أنهم كغيرهم من اليهود النصارى، وعلى هذا يكون خبر إن محذوفاً وهو من آمن منهم بالله.. إلخ، لدلالة من آمن الموجود عليه، فكأنه قال: إن الذين آمنوا إيماناً ظاهراً وهم المنافقون والذين هادوا وهم

اليهود. من آمن منهم إيماناً حقيقياً فلهم أجرهم.. إلخ، والصابئون والنصارى من آمن منهم بالله فلهم أجرهم.. إلخ، فالصابئون مبتدأ والنصارى معطوف عليه، ومن آمن.. إلخ، خبر المبتدأ، وهو يدل على خبر إن المحذوف كما قلناه.

الشبهة الخامسة:

ومن أقوال أعداء الإسلام: إنه مما أخطأ فيه القرآن مراعاة للروى قوله: ﴿سلام على الياسين﴾ والوجه الياس.

ونحن نقول لهم: إنه لا روى فى القرآن لأنه ليس بقول شاعر، وإنما هو نثر بلغ النهاية القصوى فى البلاغة والبيان، فلم تضطره الروى إلى أن يقول الياسين، فلو قال سلام على الياس لم يخل بحسنه، ولكنى قد ذكرت غير مرة أن كنز اللغة العربية الذى لا ينفد، وحارسها الذى لا يغفل هو القرآن الكريم، وقد علمنا القرآن هنا أن الياس اسم لفينحاس بن العازر بن هارون عليهما السلام، ويقال له أيضاً إلياهو ومعناه بالعبرانية (قادر أزلى) فنقله العرب إلى لغتهم وتصرفوا ذلك التصرف، فمرة نطقوا به إلياس، ومرة نطقوا به الياسين، فمن التطفل المخزى أن يعترض على أرباب اللغة الذين اصطلحوا على أن ينطقوا باسم من الأسماء على وجهين فأكثر لأنهم أصحاب الحق فى ذلك. وبديهى أن بعض العبارات المنقولة من لغة إلى أخرى إنما يعول فيها على اللغة التى نقلتها لأنها أصبحت هى صاحبتها، فكما يقال لفينحاس هذا (إلياس بن العازر بن هارون) كذلك يقال له فى اللغة العربية أنه الياسين بن ياسين بن عيزار بن هارون. وقد ذكر كل هذا فى خطط المقريزى ونص عبارته (إلياس هو فينحاس بن العازر بن هارون عليه السلام) ويقال الياسين بن ياسين بن عيزار بن هارون، ويقال إلياهو. وهى عبرانية معناها قادر أزلى، وعرب فقيل الياس.. إلخ.

الشبهة السادسة:

ومثل ذلك من جميع الوجوه ما ذكروه هؤلاء من أن قوله تعالى:﴿وطور سينين﴾ خطأ

وصوابه سيناءبكسر السين .. لعلهم يظنون أن اللغة العربية يجب أن تكون تحت سلطالهم فلا يصح لها أن تخرج عما يرسموه، فكل ما لا يوافق أهواءهم يكون خطأ. الواقع أن جرأة هؤلاء الناس لا يمكن وصفها، وإلا فأهل اللغة العربية نقلوا أسماء أعجمية وأدخلوها فى لغتهم فغيروها بحسب ما يلائم ذوقهم، فمنهم من نطق به سيناء، ومنهم من نطق به سيناء بفتح السين، ومنهم من نطق به سينين بفتح السين وهم بكر وتميم من العرب الخلص، ومنهم من نطق سينين بكسر السين. والقرآن الكريم عبر عنه مرة بسيناء فى سورة (المؤمنون)، ومرة عبر عنه بسينين كما فى سورة التين، وكل ذلك ليجيز للناس قراءة القرآن باللهجات العربية المختلفة.

فعلىأى وجه من الوجوه يعترض على أهل هذه اللغة ويقال لهم إنكم غيرتم العبارة التى أدخلتموها فى لغتكم. ولنفرض أن وجوه المعترضين التى لا تخجل تساعدهم على التدخل فيما ليس من شؤوهم ويقولون لأهل اللغة العربية إنكم أخطاتم فى تغيير الاسم الأعجمى الذى عربتموه. فكيف يصح الاعتراض على القرآن الذى جاء بما يوافق لغة العرب. وهو قرآن عربى مبين؟!!.

الشبهة السابعة:

ومن مطاعنهم قولهم أن الآية ١٩ من سورة الحج: ﴿خصمان اختصموا فى ربهم﴾ لحن، والصواب أن يقول اختصما فى ربهما.

ونحن نقول لهم: كلا إنه لو قال اختصما لكان خطأ عند البلغاء الذين يدركون معانى الكلم وأساليبها البليغة، وذلك لأن الفريقين اللذين اختصما هما أهل الكتاب الذين آمنوا بسيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ ومشركوا العرب الذين آمنوا قبلهم. فأهل الكتاب يقولون: إنهم أفضل لأنهم آمنوا بكتابهم ثم آمنوا بمحمد، فانتقلوا من كتاب إلى كتاب، أما الذين آمنوا من الوثنيين فإنهم انتقلوا من الوثنية، والآخرون يقولون: إنهم أفضل لأنهم سبقوهم إلى

الإيمان، والله سبحانه وتعالى اعتبر خصومتهم هذه فى الطمع فى زيادة الأجر عند الله تعالى، وهو قادر على أن يرضيهم جميعا، ولا ريب فى أن كل فريق منهم جماعة كثيرون، فينبغى للبليغ أن يأتى فى العبارة بما يفيد أنهم جماعة، فقال:﴿اختصموا﴾ ولو أنه قال اختصما لم يقم دليل على أنهم جماعة، فينصرف الذهن إلى التثنية الحقيقية، وذلك يتتره عنه كلام الله تعالى. ومن القواعد المقررة فى اللغة العربية التى لا جدال فيها أن مرجع الضمير يصح أن يلاحظ فيه لفظه، ويصح أن يلاحظ فيه معناه.

الشبهة الثامنة:

ومثل هذه الآية من جميع الوجوه قوله تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما﴾ (الحجرات: ٩).

الشبهة التاسعة:

ومما نقله هؤلاء عن المفسرين مع الإغضاء عن الجواب الذى ذكره المفسرون، ما ذكروه بالنسبة لآية المنافقون، فإنهم قالوا فى سورة المنافقون آية ١٠: ﴿وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصَّدَّق وأكن من الصالحين﴾ والصواب أكون بالنصب.

وقد ذكر المفسرون فى بيان ذلك أن النبى ﴿ﷺ وآله﴾ بلَّغ هذه الآية بالنصب والجزم، فقد تواتر أنه قرأها وأكون من الصالحين بالنصب، وبذلك قرأ كثير من رواة القراءات السبع. وإعراب الآية على هذه الرواية ظاهر لأنها معطوفة على أصدق المنصوب لفظاً فى جواب لولا التى هى هناك للتمنى بمعنى هلا.

كما أنه تواتر عنه أنه قرأ وأكن بالجزم، ووجهها فى الإعراب أن أصدق وإن كان

منصوبا لفظا، ولكنه مجزوم محلا بشرط مفهوم من قوله: ﴿لولا أخرتنى﴾ لأن قوله فأصدق، مترتب على قوله إن أخرتنى أصدق وأكن، وهذه قاعدة من القواعد التى وضعها علماء اللغة العربية، فإنهم قالوا: إن العطف على المحل المجزوم بالشرط المفهوم مما قبله جائز عند العرب، وقد ذكر ذلك سيبويه عن الخليل. فالقرآن الكريم هو مرجعية اللغة الذى يرجع إليه واضعوها ويبنون عليه قواعدهم كما قلت لك آنفا.

الشبهة العاشرة:

وكذلك مانقلوه عن المفسرين فى قوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ فالمفسرون قالوا: أى فكان، فظن هؤلاء أن المفسرين يصلحون بذلك الخطأ الواقع فى القرآن، فقالوا: إن الصواب كان. وإذا سألت المعترضين ما هو وجه الصواب وما هو وجه الخطأ فى ذلك، تجدهم بعيدين عن معرفة شيء من ذلك بُعد الأطفال الذين لا يحسنون النطق. ولكن ما الحيلة والمفسرون قد مهدوا لهم طريق النقل عنهم، كما تنقل الببغاء الكلام الذى لا تفقه له معنى.

ولكن المفسرين قد ذكروا السبب الذى عبر عنه الله بهذه العبارة. فقالوا: إنما عبر بالمضارع لنكتة بديعة تقتضيها بلاغة القول وهى أن الله تعالى يريد أن ينبه الناس إلى أن قدرته على إيجاد ممكن وإعدامه لم تنقض بل هى مستمرة فى الحال والاستقبال، وواقعة فى كل زمان ومكان بطريق الحس والمشاهدة، بحيث لا ينكرها إلا المبطلون المعاندون، فالذى خلق آدم من تراب ثم قال له كن فكان فى الماضى، قادر على أن يخلق غيره فى المستقبل بأن يقول له كن فيكون، فكيف تستبعدون إيجاد عيسى من غير أب؟ هذا هو الغرض من التعبير بالمستقبل. فهل يستطيع هؤلاء أن يفهموا هذا المعنى الذى ذكره المفسرون وهم أصحاب النظريات التى يخجل من تدوينها صغار الطلبة؟ كلا، ولكنهم يستطيعون أن ينقلوا قول المفسرين أى (فكان) ويقولون: إن التعبير بـ(يكون) خطأ. ولم يعلموا أن اللغة العربية تستعمل الماضى فى المضارع وبالعكس لأغراض معنوية سامية تقتضيها بلاغة الكلام كما

بينا.

الشبهة الحادية عشر:

قالوا: ومن خطأ القرآن فى الضمائر أنه قال فى سورة الأنبياء: ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ والوجه وأسر النجوى.

إن هذا التركيب مطابق لقواعد اللغة العربية باتفاق، ولكن علماء الفقه اختلفوا فى الفاعل الذى أسند إليه الفعل فى مثل هذا التركيب، فالجمهور يقولون: إنه مسند لنفس الضمير، والاسم الظاهر بدل منه، فإذا قلت: جاؤوا الصالحون، فإنه ينبغى أن تعرب جاء فعل ماض، وواو الضمير فاعل، والصالحون بدل، وبعضهم يقول: إن ذلك ليس بلازم إذ يصح أن يعرب جاء فعل، والواو علامة الجمع، والصالحون فاعل، ولكن العمل بهذا الرأى قليل، ويعبر عنه علماء اللغة العربية بلغة أكلونى البراغيث. وقد استدل للرأى القليل بشواهد كثيرة من كلام العرب منها:

يلوموننى فى اشتراء النخـــيل أهلى فكلهم يعزل

الشبهة الثانية عشر:

يقولون: إن القرآن يناقض بعضه بعضا، وذلك لأنه قال: ﴿ فيه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾ (آل عمران:٧). وقال فى مواضع كثيرة: إنه قرآن عربى مبين، فكيف يكون عربيا مبينا مع أن فيه المتشابهات؟. وهذا الاعتراض نقلوه من كتب التفاسير، وكتب علماء الكلام وقد أجابوا عنه بأجوبة كثيرة أحسنها وأقربها أن المراد بالمتشابهات الحقائق التى لا يمكن للعقول البشرية جميعها أن تدركها، كمعرفة حقيقة ذات الإله الروح، أو حقيقة الأمور المادية البسيطة التى لا يمكن تحليلها، ومثل ذلك الأمور الغيبية كأحوال

الآخرة ونحو ذلك، فهذه الأمور قد وردت فى القرآن الكريم بعبارة عربية فصيحة لا يتوقف أحد فى إدراك الغرض المطلوب منها. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى﴾ (الإسراء: ٨٥).. وقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ (الشورى: ١١). وقوله تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث﴾ (لقمان: ٣٤) .. إلخ. ولكن لا يمكن للعقول إدراك هذه الحقائق، فالعلماء المفكرون لا يحاولون معرفة هذه الحقائق، ولا يطالبون الرسول ببيانها لأنهم يدركون أن للعقل الإنسانى حدا يقف عنده، وأما الجهلة والمعاندون فإنهم يقولون بين لنا معنى الروح، أو اطلب من الإله يأتينا جهرة، أو بين لنا متى تكون الساعة بالتحديد، أو غير ذلك، فليس فى القرآن الكريم كلمة واحدة أو مشكلة لا يمكن إدراكها ذلك هو الصحيح، وأما الذين يقولون: إن المتشابه هو نحو قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (طه: ٥). وقوله: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ (الفتح: ١٠). لا ينكرون أن هذه العبارات لها مدلولات ظاهرة تنطبق على اللغة العربية، ولكنهم يقولون: إن ظاهرها غير مراد، ولا نعرف مراد الله منها على التحقيق، فنقف عندها احتياطا وتأدبا مع الله تعالى، فالفريقان يقولون: إن مدلولات الآيات فى غاية الظهور والوضوح.

هذا كل ما زعمه أعداء الإسلام وما تخيلوه من أخطاء نحوية فى القرآن الكريم، ومنه يتضح صدق ما ذكرناه غير مرة من جرأة هؤلاء على الحقائق العلمية، ونزولهم إلى ميادين الحجة والمنطق السليم، وهم عزل من كل سلاح، مجردين من كل دليل، لا هم لهم إلا التشويش والتضليل، ظنا منهم أن ذلك يؤثر على نفوس الضعاف، فيقعون فى حبائلهم التى يصطادون بها الجهلة والأحداث، ليبرروا ما يبتزونه من أموال باسم الإصلاح الدينى، والله يعلم أنهم لا هم لهم إلا إشباع بطونهم، وقضاء ملاذهم الفاسدة، وشهواتهم القاتلة.

خامساً: القرآن به أخطاء تاريخية

ظهر أعداء الإسلام فى هذا المبحث بمظهر المؤرخين العظماء والفلاسفة الخطرين الذين

وقفوا على أسرار التاريخ وفلسفته.

فتعالوا نسرح فى خيالات أعداء الإسلام فى هذا المقام تفصيلاً.

عاد وثمود:

١- قالوا: إنهم علموا بوجود عاد وثمود، وهما قبيلتان من العرب ذكرهما القرآن من كاتبين من قدماء اليونان وهما بطليموس وديودس سيسلوس، وأن القرآن زاد عما ذكراه شيئا يسيرا فى قصة هاتين القبيلتين، وأن كثيرين من المكتشفين أثبتوا ما رواه الكتاب المقدس، أما عاد وثمود فلم يثبت أحد ما حكاه القرآن عنهما، حتى ظن كثير من العلماء والباحثين أن محمداً نقل خبرهما من كتب الصابئين التى دعاها فى قرآنه صحف إبراهيم، ويظهر أنه فيما بعد علم أن هذه الصحف مزورة، فلم يعد يذكرها مدة أربع سنين بعد ادعائه الرسالة.

هكذا يقول هؤلاء.. وقالوا بعد ذلك: أما من جهة هود وصالح وشعيب فمن المحتمل أن يكونوا منصرين مسيحيين جاؤوا بلاد العرب يكرزون لها بالإنجيل، ومن المحتمل أن يكونوا غير ذلك.

فلننظر فيما يزعمون:

أولا: إن أعداء الإسلام لم يستطيعوا أن ينكروا وجود هاتين القبيلتين رأساً، ولكنهم يقولون: إن التوراة لم تذكر عنهما شيئا، وكفى بذلك حجة على عدم وجودهما عندهم، ومن المفارقة أن هؤلاء يقرون أن كثيراً من أسفار التوراة الموجودة فيها الآن زائدة عن الوحى.

وإذا كانت التوراة عرضة للزيادة والنقص إلى هذا الحد، فكيف يمكن اتخاذها حجة

تاريخية جازمة لكل أخبار العالم، خصوصا أنهم قد اعترفوا بالتحريف الذى عرض لها فى كثير من مواضعها؟!. وهب أن التوراة لم تحرف وأنها حجة تاريخية، ولكن من الذى يستطيع أن يقول: إنه يجب أن تكون التوراة مشتملة على كل أخبار العالم فلم تترك منها شيئا أبداً .

ثانيا: قالوا: إن هاتين القبيلتين ذكرهما كاتبان من قدماء اليونان، ولا أدرى ماذا يتخيلون فى هذا؟!. فلنفرض أن ذلك صحيح، ولكن ماذا يترتب على صحته؟ إنه يكون وثيقة تاريخية تؤيد القرآن الكريم، لأنها تدل على أن أمر هاتين القبيلتين كان معروفا شائعا بين العرب وغيرهم من مؤرخى اليونان، وهل يظن المنصرون أن سيدنا محمدا ﴿ﷺ وآله﴾ تعلم اللغة اليونانية أيضا، وبحث فى كتب اليونان بحثا عميقا حتى عثر على هاتين الوثيقتين فنقلهما، أو أرسل المسيح روح هذين المؤرخين فأوحت إلى سيدنا محمد بما قالاه؟ أو ماذا يريد هؤلاء؟ أليس من المضحك أن يسوق المنصرون دليلا ليقطعوا به خصومهم، فإذا هو دليل عليهم يقصم ظهورهم قصما.

ثالثا: ما هى كتب الصابئين التى نقل عنها سيدنا محمد خبر هاتين القبيلتين؟ إن أعداء الإسلام يكتبون وهم غافلون لاهون ليرضوا شهواتهم بدون زيادة ولا نقصان، وإلا فهذا اعتراف بوجود وثيقة تاريخية ثانية تقص نبأ هاتين القبيلتين، وأن أمرهما كان شائعا بين العرب وغيرهم من يونان ويهود. وهل يظن هؤلاء أن المخالف فى العقيدة لا يأتى بشىء صحيح؟ كلا، فإن القرآن من عند الله حقا، وقد جاء بكل الفضائل الإنسانية والحقائق العلمية والتاريخية، سواء أكانت فى التوراة أو فى الإنجيل أو كتب الصابئين أو اليونان أو غيرهم، إنما الذى يحاربه القرآن هو ما ينافى تتريه الإله وما يضر بالمجتمع، وما يقضى على الفضيلة، أما كل ما يوافق ذلك فهو يؤيده جزما مهما كان قائله، وأى فرق فى نظر القرآن بين التوراة والإنجيل وبين كتب الصابئة واليونان، إنه لا فرق مطلقا، فإذا كان فى أحدها شىء صحيح أقره، وإلا نبه عليه وحذر الناس من شره، ذلك هو الواقع الذى قررناه غير مرة فليفهم أتباع المنصرين ذلك وليريحوا الناس إن كانوا ينصفون.

رابعا: أى دليل يدل على أن سيدنا محمداً سمى كتب الصابئين صحف إبــراهيم؟ هــل يستطيع أتباع هؤلاء أن يبينوا لنا دليلا يدل على ذلك؟ إن القرآن الكريم قد أخبرنا بأن الله أنزل على إبراهيم صحفا كما أنزل على موسى وغيره، وقد ورد فى حــديث رواه ابــن عساكر عن أبى ذر عن النبى أن صحف إبراهيم كلها أمثال وعظات، فليس فيها تاريخ ولا أحكام، فكيف نقل عنها تاريخ عاد وثمود؟

ومن العجيب أن يقول هؤلاء: إن محمدا عرف أن هذه الصحف قد زورها الصــابئون فلم يذكرها بعد رسالته بأربع سنين، ما شاء الله كان، إنه لمنطق ســاحر وخيــال بــديع، المنصرون تخيلوا أن كتب الصابئة قد اشتملت على أحكام وتاريخ، وتخيلوا أن سيدنا محمدا نقل عنها تاريخ عاد وثمود، وتخيلوا أنه سماها صحف إبراهيم، ولم يكن ذلك خيال إنســان مستيقظ، كلا بل هو خيال نائم يحلم أحلاما خرافية ليرد بها على خصمه.

فلما استيقظ من نومه وجد نفسه أمام من يتعجب من حلمه، ومن يسخر من أوهامه.

ومن الجرأة النادرة على الحقائق التاريخية والعلمية أن هؤلاء يقولون: إن محمدا علم بأن كتب الصابئين مزورة فلم يذكرها مدة أربع سنين، ولا أدرى من أين لهم ذلك، أليس من تضييع الوقت أن يرد الإنسان على هؤلاء الذين يفترون الكذب إلى هذا الحد؟!.

وإلا فليجتمع المنصرون وأنصارهم فى صعيد واحد ليقولوا لنا فى أى آية من القرآن، أو فى أى حديث من الأحاديث، أو خبر من الأخبار أن صحف إبراهيم هى كتب الصــابئة؟ وإذا كانت هى كتب الصابئة وذكرت فى القرآن الكريم على أنها وحى من عند الله، فكيف تكون مزورة. ومن ذا الذى يستطيع أن يقول عنها إنها مزورة بعد ذلك؟ ولنفــرض أنهــا مزورة كيف لا يذكرها سيدنا محمد أربع سنين بعد أن ذكرها القــرآن.. إن ذلــك لمــن عجائب الأمور!!.

وبعد.. فلعل القراء يريدون أن يعرفوا مجمل تاريخ عاد وثمود، فليسمعوا ما تقصه كتب التاريخ الصحيحة كابن الأثير والطبرى:

إن عاداً وثمود من ولد إرم بن سام بن نوح.

فأما عاد، فهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وعاد هذا وقبيلته يقال لهم عادا الأولى، وكانت مساكنهم ما بين عمان وحضرموت بالأحقاف، فكانوا جبارين طوال القامة، كما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الخَلْقِ بَسْطَةً﴾ (الأعراف: ٦٩). فأرسل الله إليهم هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص، فنبيهم هود عليه السلام من أحفاد عاد أبي القبيلة، وكانوا يعبدون أوثانا ثلاثة: أحدها يسمى ضراء، والثاني ضمور، والثالث الهباء، فدعاهم هود إلى توحيد الله تعالى ونبذ عبادة الأوثان وترك المظالم والآثام، فكذبوه وتباهوا بقوتهم، فقالوا: من أشد منا قوة، ولم يؤمن به منهم إلا قليل فابتلاهم الله بالقحط، فأرسلوا منهم وفدا إلى مكة يستسقون فنزلوا على معاوية بن بكر- وكان بينهم وبينه مصاهرة، لأن أحد رجال الوفد كان متزوجا بأخت معاوية، وقد جاءت منه بأولاد- فلما نزلوا على معاوية أكرم وفادتهم، فمكثوا مدة وانتهى بهم الأمر إلى أن رأوا ثلاث سحائب: بيضاء وحمراء وسوداء، وسمعوا مناديا يقول لهم: اختاروا لأنفسكم ولقومكم فاختاروا السوداء. وإذا بها مملوءة مدرا ونارا فسارت إليهم وأمطرتهم فأهلكتهم بذنوبهم.

وأما ثمود، فهم أولاد ثمود بن جابر بن إرم بن سام، وكانت مساكن ثمود بالحجر بين الحجاز والشام، وكانوا بعد عاد، وكانوا كثيرى العدد فكفروا بربهم، فبعث الله إليهم صالح بن عبيد بن أسف بن ماثج بن عبيد بن جادر بن ثمود، فصالح رسولهم من أحفاد ثمود رأس القبيلة، فدعاهم إلى توحيد الإله فلم يؤمن منهم إلا قليل، ثم طلبوا منه آية فأرسل الله لهم الناقة.. إلخ ما قصه الله فى القرآن عنه.

ذلك هو ملخص تاريخ هاتين القبيلتين، ومما لا شك فيه أن العرب قد نبغوا فى حفظ الأنساب ومعرفة تاريخ بعضهم بعضا، فكان منهم أخصائيون فى ذلك يقال لهم النسابة، فكان الواحد منهم ينقل أخبار القبائل الحاضرة والبائدة، مع معرفة نسبها وحسبها، فكان عاد وثمود وصالح وهود عند العرب مشهورين كشهرة إبراهيم وإسماعيل من جميع الوجوه،

ولهذا نقل ابن الأثير عن ابن إسحاق ما نصه: وأما أهل التوراة فإنهم يزعمون ألا ذكر لعاد وهود وثمود وصالح فى التوراة، وأن أمرهم عند العرب فى الجاهلية والإسلام كشهرة إبراهيم الخليل عليه السلام، ثم قال ابن الأثير: وليس إنكارهم لهذا بأعجب من إنكارهم لحال المسيح عليه السلام.

يريد أن يقول أن الذى ينكر كون المسيح بشر يأكل ويشرب وينام ويتلذذ ويتألم، ويزعم أن الإله حل فيه لا يبعد عليه إنكار البديهيات، فهم قوم لا قيمة لإنكارهم على أى حال.

والواقع أن المؤرخين المسلمين معذورون مع هؤلاء، لأن القرآن الكريم لا غرض له من ذكر تاريخ الأمم القديمة إلا ضرب الأمثال، وتحذير المخاطبين من الكفر بخالقهم، وتخويفهم من بطشه، فلو لم يكن العرب الذين يعبدون الأوثان يومئذ عالمين بتاريخ هؤلاء القوم حافظين له، لم يكن لذكر عاد وثمود فى هذا المقام كبير فائدة، على أنه لو لم يكن تاريخ عاد وثمود مشهورا عند العرب، معروفا لهم، لأنكروا على رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم وآله﴾ ذكرهم، وقالوا له: إنه لا يوجد فى القبائل العربية عاد وثمود، واعتبروا ذلك مطعناً يطعنون به عليه، بل هم كانوا أحق وأولى من المنصرين بذلك، لأنهم أقرب منهم بأجيال كثيرة إلى تاريخ عاد وثمود، وأقرب إلى أماكنهم وهم من القبائل العربية، فلماذا لم ينكروا أمرهما ويقولون لسيدنا محمد: إنك تخترع قصصا غير معروفة لنا، ذلك بديهى لا يرتاب فيه عاقل سوى الجهلة الذين لا يكادون يفقهون حديثا.

نار الخليل إبراهيم:

٢- قالوا: إن القرآن أخطأ فى سرد أخبار إبراهيم عليه السلام، فإنه روى عنه كثيرا مما لا يوافق ما جاءت به التوراة التى يشهد لها أنها أنزلت من عند الله، مثل حكاية طرحه فى النار وخروجه منها سالما، التى هى خرافة يهودية أخذها عنهم بغير تثبت.

عجباً عجباً!! إن القوم لا يقرون قضية إلا وينقضونها بأخرى، إن سيدنا محمـــدا نقـــل معجزة إبراهيم عن اليهود ولم ينقلها عن التوراة، فلهذا كانت خرافة.. فلنقل للمنصرين ألم تقولوا غير مرة أنكم تفخرون على الكاثوليك لأنكم نقلتم التوراة عن اليهود كاملة، أمـــا هم فزادوا عليها؟ ألم تقولوا غير مرة أن اليهود أمناء على توراتهم وديانتهم؟ فمـــا بـــالهم أصبحوا مخرفين فى هذا المقام، لقد قلنا لكم إنهم مخرفون قد حرفوا التوراة تحريفا شائنا فلم تصدقوا، وها أنتم ذا تقولون إنهم مخرفون، وأن محمدا ينقل عنهم، ونحن نقول لكم: أما إنهم مخرفون فصحيح، وأما أن سيدنا محمدا ينقل عنهم خرافاتهم فذلك باطل بطلانا واضـــحا، لأن الذى ينقل عنهم ويعول عليهم إنما هم أنتم الذين تصدقون كل ما يقال لكم من محال.

أما إنكم تعتبرون معجزة إبراهيم خرافة فذلك شطط فى الحكم، وجهـــل بمـــا تقولـــه أناجيلكم من المعجزات والخيالات، وهل هذه المعجزة أبعد عن العقل من معجزة إخـــراج الشياطين من أجسام الجماهير إلى أجسام الخنازير ورقص الخنازير وسقوطها فى البحر؟ هل هى أبعد من مشى المسيح على البحر الأبيض وهو هائج؟ وإذا كنتم يا معاشـــر المنصـــرين تنكرون معجزة كهذه بالنسبة لسيدنا إبراهيم، فإنكم بذلك تنكرون نبوته وقـــد أنكرهـــا بعضكم، وإذا كان كذلك فلتكفروا بتوراتكم المملوءة من ذكر كلام الله لإبراهيم وإعطائه عهد النبوة هو وبنيه.

إذا كنتم تنكرون معجزة كهذه ذكرها القرآن لسيدنا إبراهيم وتعتبرونها خرافة، فمـــا بالكم تقولون أن المعجزات التى ذكرها القرآن فى عيسى حقائق ثابتة لا تدل على رســـالته فحسب بل تدل على أنه إله قدير، أليس من الذوق والأدب وحسن السياسة أن تغضـــوا عن معجزة صغيرة ذكرها الله لإبراهيم ولا تطعنوا فيها حتى لا تزلزلوا الثقة بالكتاب الذى ذكر معجزات معبودكم عيسى.

إن الواجب هو ذلك، ولكن أين العقول التى لا تدرك وتتصور؟!.

(وبعد) فلماذا يحسب المنصرون هذه المعجزة خرافة؟ أليس الله قادرا على تبريد النـــار؟

إن القرآن قال: ﴿قلنا يا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء: ٦٩). فهل الإله القادر الذى قال للنار كونى بردا وسلاما لا ينفذ أمره؟ وإذا كان أمر الله خالق السماء والأرض لا ينفذ فى مثل هذا، فيا لخسارة العالم أجمع، ويالضيعة النجوم والكواكب والأفلاك، فإنها لا ترتكز إلى قوة تسير بها ولا تستند إلى إله قدير يصرفها كما يشاء، ألا إن الذى يقول ذلك يكون كافرا من شرار الكافرين، فأعداء الإسلام فى الواقع ملحدون لا موحدون، وإلا فإذا كان بعض الناس يستطيع أن يدهن جسمه بمادة فلا تؤثر النار فيه، فهل يعجز الله تعالى أن يحمى جسم إبراهيم من التأثر بالنار؟!.

تسمية أبى إبراهيم:

٣- قالوا: إن بالقران أخطاء فى تسمية أبي إبراهيم آزر، لأن اسمه تارح كما فى التوراة.

ماذا نقول لهؤلاء الذين وضعوا قواعد سوء الأدب، فلا يبالون أن يهاجموا القرآن الكريم بدون مبالاة، لقد عرفت غير مرة أن التوراة المحرفة ليست حجة على كتاب الله المتواتر المحفوظ من عبث العابثين، فإذا قالت التوراة أن اسم أبي إبراهيم تارح، وقال القرآن الكريم أن اسمه آزر فإن الذى يصدق هو القرآن جزما، لأنه ثبت بالأدلة الجازمة أنه من عند الله، وثبت بالتواتر أنه هو الذى أعجز دول البلاغة والبيان، لأنه هو ذلك القرآن بدون زيادة ولا نقصان، بخلاف غيره كما بيناه فى أبوابه أحسن بيان، على أن المفسرين قالوا: إن آزر عم إبراهيم لا أبوه، ولم يقولوا ذلك، لأن التوراة قالت إنه تارح، كلا إن التوراة المحرفة الموجودة الآن لا تساوى عندهم شيئا إلا ما طابق منها القرآن، وإنما قالوا ذلك لأنهم يقولون أن أجداد النبى ﴿ﷺ وآله﴾ جميعهم إلى آدم حفظهم الله من عبادة الأوثان، ومعلوم أن عم الإنسان يقال له أب لغة وعرفا، فسمى الله تعالى عم إبراهيم أباً لذلك.

الطوفان:

٤- قالوا: إن القرآن أخبر بأن الله أرسل الطوفان على المصريين فى عصر موسى فى سورة الأعراف، وذكر الطوفان محلى بأل التعريف فى هذا الموضع يحملنا على الظن بأنه عنى طوفان نوح، الذى ذكر فى السورة عينها أنظر آية (١٣٣و ٦٤).

ما شاء الله كان، لقد أفاق هؤلاء من غشيتهم ونفضوا تراب الجهل عن رؤوسهم وقاموا يشرحوا لنا القرآن الكريم شرحا يعلمونا به مواقع اللغة ومراميها، فأرهفوا آذانكم وأنصتوا لما يلقون إليكم من بيان ساحر وقول بليغ.

أتدرون ماذا يقول أعداء الإسلام ؟!.

يقولون: إن الله تعالى قد ذكر فى آية ٦٤ فى سورة الأعراف طوفان نوح، ثم ذكر فى آية ١٣٣ فى هذه السورة طوفان موسى، ولما كان القرآن لا يعرف التاريخ، ولا يعرف الفرق بين زمن موسى وزمن نوح ذكر طوفان موسى محلى بأل للتعريف، فيكون غرضه أن يقول أن طوفان موسى هو طوفان نوح ما شاء الله كان.. هكذا وإلا فلا، القرآن الذى قص تاريخ الأمم القديمة على أتم بيان وأكمله لا يفرق بين زمانى نوح وموسى، ويقرر أن طوفان نوح هو طوفان موسى.. وبذلك يكون جاهلا بالتاريخ فى نظرهم.

سبحان الله!! إن الأمر ليس كما تزعمون من خيال، بل القرآن الكريم قد قص علينا فى هذه السورة أنباء كثيرة من الأمم الماضية بعبارة تأخذ بمجامع القلوب، ومن ذلك أنه أخبرنا بأن الله تعالى أرسل على من كفر بموسى طوفانا يناسب حالهم، وقد روى أنه أمطرهم ثمانية أيام فى ظلمة شديدة فأغرق أرضهم وعذبهم، ثم لم يكتف بذلك فأرسل عليهم الجراد ثم القمل ثم الضفادع، فكانت تقع عليهم وفى آنيتهم، ثم الدم فانقلب ماؤهم دما، كل ذلك ليزجرهم عن عبادة الأوثان، قال تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ وهو ما طاف بهم وغلبهم من سيل أو ماء، (والجراد) فأكل زرعهم وسقوفهم، (والقمل) وهو صغار الجراد

أو البراغيث، والضفادع والدم.

أما طوفان نوح فقد أشار إليه فى هذه السورة ولكنه ذكره مفصلا فى سورة هود، ونص آية الأعراف: ﴿فكذبوه فأنجيناه والذين معه فى الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إهمم كانوا قوما عمين﴾ آية ٦٤.

لقد خدع أعداء الإسلام بما ذكره النحاة (رجال النحو) من أن المعرفة إذا أعيدت معرفة تكون عين الأول، فقالوا: إن الطوفان معرفة وقد تقدم ذكره فى السورة فيكون عينه.

حسن إهمم علماء بالعربية، ولكن أين الطوفان فى آية ٦٤؟ إنه لم يذكر مطلقا، بل الذى ذكر أنجينا وأغرقنا، فهؤلاء المساكين لم يساعدهم حظهم فى كلمة واحدة، إننى مشفق عليهم من ذلك.

مريم ابنة عمران:

٥- قالوا: إن من خطأ القرآن الفاضح أن التبست عليه مريم ابنة عمران سورة آل عمران آية ٣٣-٤٤، وأخت هارون سورة مريم آية ٢٨ مع آخره ٢٠١ وعلى ٢٦: ٥٩ بمريم أم المسيح.. أنظر سورة التحريم آية ١٢.

أى عبارة تفى بالرد على هؤلاء الذين يسبون كلام الله بهذه الجرأة النادرة؟ فبالله إننى دهش منهم ومن أتباعهم، وهل تدرى معنى عبارهم التى جاءت فيها برموز وإشارات كى يوهموا القراء أهمم وقفوا على أسرار خطيرة؟ إهمم يريدون أن يقولوا أن الله تعالى قال فى حق مريم أم المسيح: ﴿يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا﴾ (مريم: ٢٨). مع أن مريم أخت هارون هى بنت عمران شقيقة سيدنا موسى، مع أن بين الأولى والثانية زهاء ألف وأربعمائة سنة.

وهذا الكلام قد صال فيه وجال المنصرون، وظنوا أهمم عثروا على مطعن عظيم فى

القرآن الكريم بهذه العبارة، ولكنهم لا يدركون شيئا، وإلا فهل يتصور مخلوق أن القــرآن الذى قص تاريخ الأمم الماضية وبيَّن الصحيح والفاسد منه، وكان فى ذلك مثلا أعلــى فى الدقة وحسن البيان، فسلم من الأخطاء الصريحة الموجودة فى توراتهم باعترافهم، وسلم من جيوش الأغلاط فى الأرقام الموجودة فيها، وعلم الناس فلسفة التاريخ وعظاته، وأرشــدهم إلى منافعه ومضاره، وحذرهم من تصديق المحال، هذا المؤرخ الذى هــو أســتاذ التــاريخ الصحيح المعقول للعالم أجمع، يشتبه عليه زمن موسى بزمن عيسى، فيقول عيسى فى زمــن موسى، ويقول إن أم عيسى هى أخت موسى، أظن أن المؤرخ الذى يكون على هذه الحالة لا يصح له أن يتعرض لتدوين تاريخ أهل زمانه المعاصرين له، لأنه يكون جاهلا ببــديهات التاريخ، فكيف يأتى بدقائق التاريخ وفلسفته وهو منه بهذه المترلة. لا لا أيها المنصرون أنتم لا تحسنون إيراد شيء من القول، ولا تفقهون لأية عبارة من عبارات القرآن، أمــا نحــن فنقول: إن عبارة ﴿يا أخت هارون﴾ فى غاية البلاغة وحسن البيان، لأن الله تعالى قد عــبر عن المعنى الذى قالوه لها بعبارة تنطبق عليه تمام الانطباق.

وذلك لأن مريم أم عيسى كانت منقطعة للعبادة وخدمة التوراة، فكانت فى نظر قومها من حماة التوراة، كما كان هارون أخو موسى الحبر الأعظم عندهم.

فلما رآها قومها حاملة، قالوا لها: أنت يا من تتظاهرين بالعبادة والغيرة على أحكام الله إلى حد أنك توهمين الناس بأنك مثل هارون عضد موسى فى ذلك تحبلين سفاحا، إنك مــن أسرة صالحة لم يؤثر عنها ذلك.

هذا هو الذى قاله قومها، واللغة العربية تؤيد ذلك تأييداً كاملا كما قال تعالى: ﴿إنمــا المؤمنون إخوة﴾ (الحجرات: ١٠). وكثيرا مــا تستعمل اللغة العربية الأخ فى الصــاحب والنظير وذلك واضح لا ريب فيه.

فهؤلاء تخيلوا أن الأخت منحصرة فى أخت النسب. وتخيلوا أن القرآن يخبر بأن مــريم

أخت هارون أخ موسى شقيقه، وعلى ذلك يكون المسيح وموسى فى زمن واحد، ويكون موسى خال المسيح، يا للفضيحة والجهل.

وأيضا فإن مريم من ذرية هارون فيصح أن يقال لها أخت هارون، بمعنى أنها من نسله، كما يقال فلان أخو بنى فلان، أى: من نسله. وذلك معروف لغة، ومع ذلك فقد قررت غير مرة أن التناقض لا يتحقق إلا إذا لم يمكن تأويله كما وقع فى توراتهم، أما الذى يمكن تأويله تأويلاً معقولا واضحا لا يخفى على أحد بحيث يطابق اللغة والعقل والعرف فكيف يكون متناقضا؟.

وهذه الآية تحتمل أمرين ظاهرين أحدهما ما قررناه وهو الذى أختاره. وثانيهما من أن المراد بهارون رجل كان فى زمن مريم مشهورا بالعبادة، والمراد بالأخت نظيرته فى العبادة وهو حسن لا بأس به، لأن التسمية بهارون شائعة، ولا يستطيع المنصرون أن يقولوا: إن هذا الاسم منحصر فى هارون أخى موسى حتى يأتى التناقض، وإنما اخترت الرأى الأول لأننى أريد أن أجارى المنصرين إلى أبعد مدى وأتكلم معهم فى الأشياء التى لا شك فيها، وحيث إن هارون أخا موسى هو الاسم المعروف عندهم يقينا، فأنا أجاريهم فيه، وقد كانت حالة مريم أم عيسى تستدعى أن يقولوا لها يا أخت هارون عضد موسى فى المحافظة على التوراة، فهل يخجل المنصرون بعد ذلك؟!.

ذو القرنين:

٦- يقولون: إن البيضاوى وابن هشام قالا فى تفسير سيرة ذى القرنين، والتى جاءت فى سورة الكهف أنه إسكندر الأكبر المقدونى، فقال البيضاوى: ﴿ويسألونك عن ذى القرنين﴾ يعنى إسكندر الرومى ملك فارس والروم، وقيل: المشرق والمغرب ولذا سمى ذا القرنين، أو لأنه طاف قرنى الدنيا شرقها وغربها. وقيل: لأنه انقرض فى عهده جيلان، وقيل: إنه لقب بذلك لشجاعته كأنه ينطح أقرانه، واختلف فى نبوته، مع الاتفاق على إيمانه وصلاحه.

ويقول المنصرون: إنه إن كان إسكندر، عمِّر جيلين كما زعم البيضاوى، فما كان أقصر أعمار أهل زمانه إذ أنه توفى ابن ثلاث وثلاثين سنة على أثر ارتكابه فسقا بسكر فى مدينة بابل سنة ٣٢٣ ميلادية، ولم يكن نبيا كما زعم القرآن ولا مؤمنا من عامة المسلمين، وإنما كان من عباد الأصنام، وادعى أنه ابن إله المصريين آمون.

وقالوا: إن كل ما قاله القرآن عن ذى القرنين الذى يعنى إسكندر المقدونى لا أثر له فى تاريخ ذلك الملك العظيم الذى دونه كثير من مشاهير المؤرخين، وهذا مما حدا بالعلماء ألا يثقوا بالأخبار التاريخية المنقولة عن القرآن.. ذلك ما يقوله المنصرون فى مهاجمة كلام الله.

وإننى قد قرأت ما كتبوه المرة بعد المرة لعلى أن أظفر بمعنى محدود يريدون أن يعترضوا به على القرآن الكريم فلم أجد، بل عباراتهم من أولها إلى آخرها كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.

وإننى –وأيم الله– كنت شغوفا بأن أقرأ اعتراضا دقيقا يحتاج إلى تأمل ودقة نظر، ولكننى دهشت عندما قرأت عبارة المنصرين فى هذا الموضوع التاريخى الدقيق، وحاولت أن أظفر منها باعتراض على القرآن الكريم، فلم أجد شيئا سوى أنهم يريدون أن يسبوا ويطعنوا فحسب.

إن القرآن الكريم قد أخبرنا بأن اليهود سألوا النبى ﴿ﷺ وآله﴾ عن حالة شخص معين عندهم، ظنوا أنها تخفى على الله ورسوله.

ولا فرق بين أن يكون اليهود قد سألوا بأنفسهم أو أوعزوا إلى بعض مشركى العرب بذلك السؤال.

وحاصله أنهم قالوا له: أخبرنا عن حالة ذى القرنين، فقص عليهم ذلك القصص،

فسمعوه واقتنعوا به وأيقنوا أنه صحيح مطابق لما يعلمونه، ولم يطعن منهم أحد فى هذه القصة بأى طعن، ولو طعنوا لرد عليهم القرآن حتما، إذ لا يتصور أن يقرر الوحى أمرا ثم يعترض عليه الناس وهو ساكت لا يبدى حراكا.

وها نحن أولاء نرى القرآن الكريم يرد على ما يوردونه من شبه ضعيفة أو قوية أحسن رد، وينصب لهم الأدلة والبراهين الجازمة على كل نظرية من نظرياته، ويتحداهم فى كل قضية من قضاياه.

وإذا كان السائلون قد اقتنعوا بالجواب الذى أجابهم به القرآن الكريم، وهم ما سألوا إلا لاختبار سيدنا محمد رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وتعجيزه، لظنهم أن القصة التى يسألون عنها لا يعرفها، فكيف يصح أن يأتى المعترضون الذين لا يكادون يفقهون حديثا، ويقولون: إن هذه القصة لا تنطبق على إسكندر الأكبر ويهاجمون القرآن الكريم بهذه الجرأة التى لا حد لها؟ لو كان السائلون اعترضوا على الجواب وقالوا له إننا نعنى إسكندر الأكبر وإنك قد وصفته بغير أوصافه فأخطأت فى الحقائق التاريخية، لكان لاعتراض المنصرين وجه عظيم من النظر، أما والسائلون قد اقتنعوا ولم يؤثر عن أحد ما، لا من أعداء الإسلام ولا من أصدقائه أنهم طعنوا فى الجواب، وهؤلاء السائلون أعلم بما يسألون عنه من هؤلاء المنصرين وأقرب إلى الحوادث التاريخية التى يسألون عنها بأزمنة طويلة وأجيال كثيرة، فيكون كل اعتراض بعد ذلك لغوا من القول، إذ قد يكون غرض السائل أن يسأل عن ملك من الملائكة نزل فى العالم القديم فى صورة إنسان، وأخذ يطوف المعمور من الأرض ليمهد السبيل للرسل، كما يجوز أن يكون غرضه أن يسأل عن قصة ذكرت فى كتاب عنده لم يطلع عليه أحد، وأنه لا يقتنع إلا إذا أجيب بما عنده، ذلك واضح خصوصا أن القرآن لم يصرح بذكر شخص معين، فلم يقل إنه الإسكندر ولا غيره، فكل ما ذكره المنصرون من ذلك لغو من القول.

على أن المفسرين قد بذلوا مجهودا علميا كعادة المسلمين فى ذلك المقام وغيره، فأرادوا

أن يطبقوا هذه الآيات على الحوادث التاريخية الواقعة فعلا، المشهورة فى العالم، لتكون آيات القرآن الكريم دروس وعظة وتاريخ وتشريع وفلسفة واجتماع كما ذكرت لك: ولهذا جاء ضمن عباراتهم اعتراضات وأجوبة، فأخذ السفهاء اعتراضاتهم من غير أن يفهموها وأخذوا يهوشون بها، وها أنا ذا أذكر لك ما قاله المفسرون فى هذا المقام.

قد اختلفوا فى ذى القرنين على أقوال:

أحدها: أنه إسكندر بن كيلقوس اليونانى الملقب بالإسكندر الأكبر وكان سرير ملكه بمقدونيا، وقد حارب ملوك الفرس فهزمهم واستولى على عاصمة بلادهم، كما هزم ملوك الروم فاستولى على مصر وبنى الإسكندرية ودخل الشام وبيت المقدس وانعطف إلى أرمينية، ودانت له العراقيون والقبط والبربر، وقصد الهند والصين ولولا أن الجيش الذى معه أراد العودة لاستولى عليهما، ورجع إلى خراسان ثم رجع إلى العراق، ومرض ببابل ومات بها. وبعضهم يقول: إنه مات برومية فوضعوه فى تابوت من ذهب وحملوه إلى الإسكندرية ودفن بها وعاش اثنين وثلاثين عاماً، ومدة ملكه اثنتا عشرة سنة، وقيل: عاش ستا وثلاثين سنة وملك ست عشرة سنة، فهذا هو الملك العظيم الذى سأل اليهود عنه وأجابهم القرآن بشرح حاله، ولكن هذا القول أورد أمران:

الأمر الأول: أن الإسكندر الأكبر كان تلميذا لأرسطو الحكيم اليونانى المعروف فقد كان أرسطو مقيما بأثينا، وكان إسكندر ذكى الفؤاد وقاد القريحة إلى أبعد مدى، فسلمه والده إلى أرسطو فتعلم منه الفلسفة فى مدة وجيزة قدرها خمس سنين وبرع فيها، وإذا كان كذلك، فكيف يمدح الله الإسكندر مع أن كثيرا من مذاهب الفلسفة لا يقره الدين الإسلامى.؟.

والجواب عن هذا: أن فلاسفة ذلك الزمان قد اجتهدوا ووحدوا الله تعالى من جميع الوجوه وأقاموا الأدلة على أنه واحد متره عن التركيب وعن النظير وعن الحلول والاتحاد، ومتره عن جميع النقائص والمادة، ومتصف بجميع الصفات اللائقة بمقام الألوهية، من غير أن

يأتيهم رسول أو يتصل بهم وحى فكيف لا يمدحون؟. إنهم يستحقون المدح العظيم بلا نزاع. وإذا كان هؤلاء المفكرون المجتهدون الذين نظروا فى ملكوت السموات والأرض من تلقاء أنفسهم، واهتدوا إلى توحيد الإله ووصفه بما يليق به لا يمدحون، فمن ذا الذى يمدح؟ هل يمدح الذين جاءهم الرسل بالتوحيد الخالص فغيروه وبدلوه وصاروا أسوأ حالاً من الوثنيين؟. كلا.

نعم إنهم أخطأوا فى بعض النظريات، ولكن خطأهم مبنى على حسن قصد، لأنهم إنما كانوا يريدون تتريه الإله على أى حال، والمجتهد له أجر اجتهاده ولو أخطأ، ولا يقال إن الأمور الاعتقادية لا يغتفر فيها الخطأ لأننا نقول إن محل ذلك إذا جاءهم الرسل وأرشدهم إلى أخطائهم فلم يذعنوا وتمادوا عنادا.

ولا يلزم من مدح الأشخاص المجتهدين الذين يعملون الصالحات من تلقاء أنفسهم مدح كل نظرياتهم سواء كانت خطأ أو صوابا، لأن الله لا يكلف الناس إلا بما فى طاقتهم، وقد وعدهم بالأجر سواء أخطأوا بعد ذلك أو أصابوا.

الأمر الثانى: أن بعض الصفات التى ذكرها القرآن الكريم لم يذكرها المؤرخون الذين أرخوا الإسكندر الأكبر ومنها سفره إلى جهة الغرب.

والجواب عن ذلك: أن عدم ذكر بعض الصفات فى كتب التاريخ ليس دليلا على عدم وقوعها، فإن قدماء المؤرخين كانوا يرجعون فى مثل ذلك غالبا إلى التوراة، وهى قد أصيبت بتحريف كثير وحذف لأسفار برمتها وزيادة ونقصان، والقرآن قد أعاد ما أسقطه منها المفسدون، فهو الحجة القاطعة، على أن المؤرخين قد ذكروا معظم الأوصاف وهذا كاف فى الدلالة. هذا هو رأى من يطبق القرآن الكريم على الإسكندر الأكبر المقدونى.

ثانيها: أن القرآن لا يريد إسكندر المقدونى، وإنما يريد شخصا آخر اسمه إسكندر الرومى، ويقال له ذو القرنين الأكبر من ولد يافث بن نوح عليه السلام، وكان أسود اللون اسمه

عبد الله بن الضحاك، وقيل: اسمه مصعب بن عبد الله، وبين الاثـــنين نحـــو ألفـــى ســـنة، فالإسكندر الذى يعنيه القرآن متقدم على المقدونى وقد ملك مدة قرنين.

ثالثها: أن القرآن يريد بذى القرنين (أبا كرب) بن عمير بن أفريقس الحميرى من ملوك اليمن القدماء، وهو الذى افتخر به تبع اليمانى حيث يقول:

قد كـــان ذو القـــرنين جـــدى مسلمـــا ملكـــا عـــلا فى الأرض غـــير مفنـــد
بلـــغ المشـــارق والمغـــارب يبتغـــى أسباب ملك مـــن حكـــيم مرشـــد
فـــرأى مغيـــب الشـــمس عنـــد غروبهـــا فى عـــين ذى خلـــب وتـــأط حرمـــد

وصاحب هذا القول يقول: إن ذا القرنين وذا اليدين وذا يزن ونحو ذلك مـــن ألقـــاب ملوك اليمن ولأنهم هم الذين يلقبون بذى كذا. وأن أبا كرب هذا فى عهد إبراهيم، وقـــد آمن به فسهل الله له وسائل الملك، حتى ظفر بملك كبير وانتصر على كل المعمور يومئـــذ. ولكن أورد على هذا أن الملك الذى كان فى عهد إبراهيم هو النمروذ، والجـــواب: أن ذا القرنين ملك بعد ما هلك النمروذ.

رابعها: أن القرآن يريد بذلك ملكا من الملائكة أرسله الله فى صورة رجـــل فى العـــالم القديم ليمهد للرسل سبيل الدعوة إلى الله تعالى، كما أرشدنا إلى ذلك أولا.

ذلك ما ذكره المفسرون فى هذا المقام، وقد عرفت أن أصل الموضوع أن اليهود يسألون عن شخص معين ذكر فى كتبهم، ويظهر أنه كان فى التوراة ثم حذف منها ولم يكن معروفا، فظنوا أن سيدنا محمدا رسول الله لا يعرفه، فأجابهم عنه بما أقنعهم تماما.. وإلى هنا قد انتهى الكلام.

أما كون ذلك الشخص هو إسكندر الرومى أو المقدونى أو أبا كـــرب أو ملكـــا مـــن الملائكة فتلك مسألة أخرى.

ومن هذا تعلم مقدار العداء الشديد للإسلام من خصومه، فقد هكموا بالبيضاوى لأنه قال: (إنه سمى بذى القرنين لأنه انقرض فى عهده قرنان) وهكمهم هذا لم يكن بحق، لأن البيضاوى لا يريد بذلك إسكندر المقدونى الذى عاش نيفا وثلاثين سنة.. ومن سوء إدراك هؤلاء لعبارة البيضاوى أنهم قالوا: إن البيضاوى جزم بأن ذا القرنين هو إسكندر المقدونى، مع أن البيضاوى أشار فى عبارته إلى كل الأقوال ولكن ما الحيلة؟.

ومما يدل على جهل عميق بالتاريخ قولهم: إن إسكندر المقدونى كان وثنيا، مع أن كتب التاريخ مجمعة على أنه كان من كبار الفلاسفة الموحدين فكيف يكون وثنيا؟. ويستدلون على كونه وثنيا بأنه ادعى أنه ابن إله المصريين آمون، وإننى أطلب من أتباع المنصرين أن يسألوا فى ذلك صغار تلاميذ المدارس ويقولوا لهم هل حقيقة أن إسكندر المقدونى ادعى أنه ابن الإله آمون، وعندها سوف يمزقون كتب هؤلاء المنصرين لأن وجودها فضيحة لهم وعار عليهم، والواقع أن الفيلسوف الذى أول عقائده أن الله واحد من جميع الوجوه، مجرد عن المادة، لا يعبد الأوثان لأن فى ذلك تناقض واضح لا تسعه إلا عقول الذين يصدقون بالمحال. ولم يكتفوا بكل ذلك بل يزعمون أن إسكندر كان فاسقا وأنه ارتكب جريمة فسق فمات بها سكران، مع أن التاريخ الصحيح يقول: إن الرجل مرض بالحمى الشديدة ومات بها، ولكن الكذب لم يكن عيبا عند أعداء الإسلام.

الرأى عندى:

القرآن الكريم فى تنزله بحقيقة ذى القرنين إنما يبين حقيقة مقام وحقيقة دعوة لا حقيقة عبد بعينه أو مخلوق بذاته، فلئن ظهر ذو القرنين فى زمان ما، أو فى مكان ما.. فليس هو وحده المعنى فى القرآن الكريم، وإنما هو فى حكم الآيات الكريمة التى يجرى حكمها على كل ذى القرنين من لدن آدم إلى قيام الساعة فى علم الله تعالى.. لأن حقيقة ذى القرنين– مائتى عام أو أمتين– حقيقة إلهية كبيرة، وسر من أسرار خلافة الله فى الأرض، وفتح من فتح الله فى البشر، وأقرب ما صح فيه قول السلف الصالح: إنه ليس برسول ولا نبى، ثم قل فيه

بعد ذلك ما شئت.. لأنه حقيقة وراثة الرسل وورثتهم من الصديقين والشهداء والصالحين.

آسية امرأة فرعون:

٧- زعم المنصرون أن القرآن أخطأ فى قوله أن المرأة التى تبنت موسى امرأة فرعـــون، لأن التوراة قالت: إنها ابنة فرعون، وقالوا: إن موسى أعلم من محمد بالمرأة التى ربته، وهو الذى قد أخبر بأنها بنت فرعون لا امرأته.

وقد أقمت للقراء البراهين القاطعة على أن التوراة قد حرفها المفسدون وأضاعوا كل ما فيها من محاسن، أما القرآن فهو الحجة الدائمة الذى لم يستطع أحد أن يمسه بســـوء، وممـــا لاشك فيه أن اليهود الذين كانوا فى عهد سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ أعلم بـــالتوراة مـــن المنصرين، وقد أنزل القرآن فى عهدهم وتحداهم على أن يـــأتوا بمثلـــه، وأن يعارضـــوه أو ينقصوه بأية نقيصة إن كانوا صادقين، فعجزوا عجزا تاما وأذعنوا لعظمته الخالـــدة، فلـــو عثروا فيه على خطأ تاريخى أو علمى لانتصروا عليه نصرا مبينا، ولتقهقر الإسلام أمـــامهم جزما، فالتوراة الصحيحة مطابقة للقرآن من جميع الوجوه، ولابد أن تكون مشتملة على أن الذى تبنى موسى إنما امرأة فرعون لا ابنته، ولكن المحرفين أخطأوا فى وضع هذه الجملـــة كغيرها من الأخطاء التى لا يحصى عددها، ولو لم يكن الصحيح ما ذكره القـــرآن لثـــارت ثائرة علماء اليهود يومئذ وقالوا له: إنك يا محمد قد جئت بقرآن يشتمل على خطأ تاريخى، ولكنهم لم يفعلوا مع كونهم من أشد الناس عداء له، فدل ذلك على أنهم أيقنوا بأن القرآن هو الصحيح الذى يجب أن تخضع له أعناقهم.

ومع ذلك فلننظر فيما ذكرته التوراة لنرى أن كان معقولا أو الذى أخبر به القرآن هو المعقول.. إنها ذكرت فى الإصحاح الثانى من سفر الخروج هذه القصة، وملخصـــها أن أم موسى لما ولدته رأته جميلا فأخفته ثلاثة أشهر ثم لم تستطع أن تستمر على إخفائه خوفا مـــن فرعون، فوضعته فى سلال مصنوع من ورق البردى مطلى بالزفت، وألقته علـــى شـــاطىء

النهر، وكانت ابنة فرعون تستحم بالماء، فلما رأت السلال طلبته وفتحته فوجدت فيه موسى فأعجبها.

وكانت أخته واقفة من بعيد، فجاءت إلى ابنة فرعون وعرضت عليها أن تأتيها بمرضع فوافقتها فذهبت إلى أمها وأحضرتها، فسلمته لها ابنة فرعون وانصرفت، ولما فطم من الرضاع سلمته لابنة فرعون فتبنته.

أما القرآن الكريم فقد قص هذه القصة فى سورة القصص، ومعناها أن الله تعالى ألهم أم موسى فى المنام أو بواسطة ملك أن ترضع موسى، فإذا خافت عليه من أن يسمع أحد صوته وهو يبكى أو يراه فيخبر به فرعون، فإنها تضعه فى صندوق وتلقيه فى اليم، ووعدها الله تعالى بأنه سيرده إليها لترضعه وأنه سيكون من المرسلين، وأمرها أن تفعل ذلك بدون خوف أو حزن، ففعلت وألقته فى اليم، فألقاه الماء إلى ساحل النهر فالتقطه آل فرعون، وروى أنهم عالجوا فتح الصندوق فلم يستطيعوا فتحه بسهولة، فلفت ذلك نظر آسية امرأة فرعون، فعالجت فتحه بنفسها ففتح، وأشرق منه نور فأحبته، ولكن بطانة فرعون قالوا: إنه هو عدوك المطلوب فمرنا بقتله، فأبت عليهم ذلك آسية وقالت: لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا.

فرضى فرعون بذلك ظنا منه أن آسية إذا تبنته يكون له بمترلة الابن فلا يخاف شره بعد، ثم عرضت عليه المراضع فأباها ولما عرضت عليه أمه قبلها.. إلخ ما قصه الله من ذلك.

ومما لا شك فيه أن رواية القرآن الكريم هى الصحيحة المعقولة لوجوه:

أولا: أنه يكاد يكون محالا أن تجد ابنة فرعون غلاما مطروحا وسط الحشائش ثم تكتم أمره عن أبيها، فى الوقت الذى كان أبوها يطلب كل المواليد ليقتلها خوفا من شر يقضى على حياته وملكه من أحد المواليد.

ثانيا: أن أم موسى ألقته على ساحل اليم خوفا من أن يسمع صـوته أحـد، أو يـراه شخص من حاشية الملك فيقضى عليه، والقصة تفيد أنها ألقته وأرجعته إليها ابنـة فرعـون بدون علم فرعون، فما الذى يوجب اطمئنانها بعد ذلك، وليس من المعقول أن ترتكـز فى مثل هذه الحالة على ابنة فرعون وحدها.

ثالثا: إذا فرض وكان الذى فرضته التوراة صحيحا ولكنها لم تخبرنا عما إذا كان فرعون قد علم بذلك أو لا، فإذا كان قد علم فماذا كان موقف ابنته منه التى فعلت أمرا خطـيرا يهمه أمره بدون أن تخبره، وإذا كان لم يعلم أفلا تكون ابنته قد خانته أكبر خيانة، وأيضـا كيف يمكن كتمان الأمر عليه مع شدة الاحتياطات التى عملها للعثور على الأطفال؟!!.

كل ذلك يدل دلالة واضحة على أن رواية القرآن حق لا ريب فيها لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

بناء الصـرح:

٨- ومن دعاوى أعداء الإسلام الطويلة العريضة التى تدل على عدم إدراكهم للحقائق التاريخية أنهم يقولون: إن القرآن قد أخبر بأن فرعون طلب من هامان أن يبنى له صـرحا، مع أن الصرح لم يبن فى مصر بل فى بابل، وقد أخذ ذلك من سفر أستير فى التوراة.. إلخ ما قالوه.

إننى أؤكد لإخوانى فى الإنسانية أننى كلما قرأت نظرية من نظريات المنصرين أسـفت على ما وصلت إليه عقولهم من المنطق والبيان، وجزعت من جرأتهم وإليك البيان:

إنهم ينكرون وجود هامان فى زمن فرعون، كما ينكرون أن فرعون بنى صرحا فى مصر، وإنما بناه فى بابل كما فى سفر أستير.

أما الجواب عن الأول فهو أن نقول: إذا كنتم تستطيعون أن تبرهنوا لنا على أنه لم يوجد اسم هامان لا صفة ولا لقبا فى العالم سوى هامان صديق ملك الفرس فذاك، وإلا كان الاعتراض باطلاً، إذ مما لا شك فيه أن لفرعون بطانة ووزراء، فالوزير الذى كلفه فرعون ببناء الصرح اسمه هامان أو لقبه هامان، ولا يستطيع المنصرون أن يقولوا: إن هذا الاسم أو هذا اللقب اختص به صديق ملك الفرس، بل بالعكس وجود هذا الاسم فى الفرس دليل على أنه قديم منقول عن المصريين، لأنه لم يكن معروفا فى الفرس. ولكن المنصرين يعتقدون أن كل شيء لم تخبر به التوراة لا يكون صحيحا، مع أنهم يقررون باعترافهم أن التوراة حرفت وبدلت فى غير موضع منها، فكيف يكون المحرف مقدساً إلى هذا الحد، وأغرب من هذا أن المنصرين يقولون: إن هذا الصرح الذى بناه فرعون لم يكن بمصر بل ببابل كما صرح بذلك فى سفر أستير.

وهل تدرى أيها القارئ ما هو سفر أستير؟

هو ذلك السفر الذى لم يكن موجودا فى التوراة المعتمدة أولاً، ثم اعتمد ثانيا، ثم أخرج منها ثالثا، ثم اعتمده البروتستانت أخيرا بعد أن رفضوا أمثاله وأمثاله. فهذا هو الذى يجعلونه حجة على القرآن الكريم الذى ثبت أنه من عند الله بالبراهين القاطعة، وثبتت نسبته إلى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بالتواتر. ألا فليعلم أعداء الإسلام جميعا أن التوراة المحرفة إذا قالت كلمة وقال القرآن غيرها فإن العقل والمنطق يؤمن بما فى القرآن.

خصوصا أن القرآن نزل فى عهد أحبار اليهود وعلمائهم الأقدمين الذين هم أقرب إلى الحقائق التاريخية والأحكام التشريعية من المنصرين.

فلو جاء القرآن بأى غلط تاريخى لكان لهؤلاء الأعداء فرصة عظيمة فى الطعن عليه، ولكنه تحداهم ووبخهم وأباح لهم أن يسألوه عن صغائر الأمور وكبائرها، وأطلق لهم حرية الاعتراض والتفكير، ومع ذلك لم يستطع واحد منهم أن يقيم دليلا على خطأ القرآن فى أية

كلمة من كلماته، وإنى أدعوا المنصرين جميعا أن يأتوا بدليل أو شبه دليل على أن أحبار اليهود وعلماءهم الذين كانوا فى عهد سيدنا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ قد اعترضوا عليه بمثل هذه الافتراءات التى يرددونها اليوم.

ومجمل القول أن هامان كان وزيرا لفرعون ومستشاره الأمين عنده، وسواء كان اسمه هامان أو هامان لقب وظيفته، فالقرآن الكريم لم يتعرض لذلك، أما كون اسم هامان منحصر فى صديق ملك فارس فذلك من خيالات المنصرين التى تظهرهم فى مظهرهم الصحيح.

ومع ذلك فلنفرض جدلا أن اسم هامان لم يكن معروفا عند قدماء المصريين، ولكننا نسأل المنصرين هل هم ينكرون أن لفرعون بطانة ووزراء؟ وإذا كانوا لا ينكرون فكيف يمكنهم أن يعترضوا على من ترجم لقب وزير بهذه الكلمة فى لغة أو اصطلاح؟ على أن يسمى وزير العمارات مثلا بهامان.

أليس ذلك محتملا؟ إنه قريب الاحتمال..

وأما الجواب عن الثانى فإن المؤرخين العظام قالوا: إن ذلك الصرح الذى أمر فرعون ببنائه ليحارب إله موسى لم يوجد فى التوراة المحرفة، وقد بنى فعلا وصعد فرعون فوقه بحربة ليحارب بها الإله، ولكن الله بعث قوة دكت هذا الصرح، وقد وقع جانب منه على عسكر فرعون المخلصين، فأهلك كثيرا منهم، وهذا الصرح هو غير برج بابل طبعا.

وقد قال المفسرون: إن فرعون لم يكن أبلها إلى حد أنه يجهل عظمة الإله الخالق، ولكنه فعل ذلك لما رآه من سخافة قومه وضعف عقولهم واستعدادهم لتصديق المحال، كما أشار الله سبحانه إلى ذلك بقوله: ﴿فاستخف قومه فأطاعوه﴾، فظن فرعون أنه بعمله هذا يوقع فى أنفسهم هيبته ويصرفهم عن التأثر بمعجزات موسى عليه السلام.

وإننى اعتقد أن التوراة الصحيحة كانت مشتملة على ذكر هذا الصرح، وأنه كان معروفا عند أحبار اليهود وعلمائهم فى زمن النبى ﴿ﷺ وآله﴾، وقد ذكر فى القرآن الكريم مكررا فلو لم يكن معروفا لديهم لاستفسروا عنه من النبى ﴿ﷺ وآله﴾ على الأقل، إن لم ينتهزوا الفرصة للتشهير به والاعتراض عليه، ولو وقع ذلك لرد عليهم الله تعالى حتماً، لأن الله تعالى قد رد عليهم وعلى المشركين فى أقل من ذلك، فالنتيجة المنطقية المعقولة التى لابد منها أن ذلك الصرح كان معروفا عند علماء اليهود وأحبارهم من التوراة، ولكن المفسدين الذين حرفوا التوراة قد امتدت أيديهم إلى ما يدل على ذلك فحذفوه كما حذفوا غيره، وبدلوه فجزاهم الله أسوأ الجزاء.

عجل السامرى:

٩- قال أعداء الإسلام: إن ما جاء فى سورة طه من أن العجل الذى عبده بنو إسرائيل فى البرية وقت موسى قد عمله السامرى هو خطأ فادح، لأن مدينة السامرة المنسوب إليها هذا الرجل لم تكن بعد فى الوجود، وقد بنيت من بعد موسى بمئات السنين كما فى سفر الملوك الأول ٦:٢٤.

ولننظر فيما يقولون: إنهم زعموا أن القرآن الكريم أخطأ فى قوله أن العجل الذى عبده بنو إسرائيل وقت غياب موسى عنهم قد صنعه لهم السامرى، وذلك لأن السامرى منسوب إلى مدينة السامرة أو الشامرة، وهذه المدينة لم تبن إلا بعد موسى بمئات السنين.. إلخ.

ونقول لهؤلاء: إن ذلك ينفع حجة يصح النظر فيها، إذا أقام أحدكم الدليل على أنه لم يوجد فى بنى إسرائيل هذا الاسم قبل بناء هذه المدينة، وعند ذلك يصح لكم أن تقولوا أن هذا الاسم لا وجود له إلا بعد بناء مدينة السامرة، أما إذا كان هذا الاسم معروفا فى بنى إسرائيل قبل وجود السامرة فيكون هذا الاعتراض باطلاً كغيره من الاعتراضات على القرآن الكريم، لأنه يقال لكم بسهولة: إن هذا الاسم للصانع الذى صنع العجل وليس هو

منسوبا لمدينة السامرة كما تتوهمون، وهل يستطيعون أن يبرهنوا على أن هذا الاسم لم يكن موجودا قبل مدينة السامرة؟ كلا وألف كلا. بل أنا أقيم لهم الدليل القاطع على أنه كـــان موجودا فى نفس توراقم التى يستدل بها أعداء الإسلام، وهو ما جاء فى سفر الملوك الأول ٦:٢٤ وإليك نصه: (واشترى جبل السامرة من سامر بوزنتين من الفضة وبنى على الجبـــل ودعا اسم المدينة التى بناها سامر صاحب الجبل السامرة).

فيا أيها العقلاء تعالوا فاحكموا بيننا، هل مدينة السامرة نسبت لشخص كان مســـمى بهذا الاسم قبل وجودها كما هو صريح فى التوراة أو لا؟ وإذا كان معروفا فهـــل يصـــح لعاقل أن يناقض من يقول إن الذى صنع العجل اسمه السامرى بحجة أن هـــذا الاســـم لم يتحقق إلا بعد وجود السامرة؟ ألا إن ذلك ضرب من ضروب الهذيان.
قد يقال أن الذى ورد فى التوراة السامر أو الشامر ولكن الـــذى ذكـــر فى القـــرآن السامرى.

والجواب عن ذلك سهل لا يحتاج إلى عناء لأن الياء الموجودة فيه ليست ياء نسب بـــل هى من أصل الكلمة كالشافعى، فاللغة العربية حكته بإلحاق ياء فيه، والأسماء المنقولة مـــن لغة إلى غيرها لا تسلم من هذا التصرف، وذلك ظاهر لا شبهة فيه.

وقد فهم بعض الباحثين أن معنى ســـامر أو شامر فى اللغة العبرانية الحارس، فمعنى قوله تعالى: ﴿وأضلهم السامرى﴾ أضلهم الحارسى المنسوب للحراسة. ولكن يبعـــد هـــذا لأن الذى أسندت إليه حراسة القوم هو هارون، وقد أخبرت التوراة عنه بأنه هو الذى صنع لهم العجل، وأنه ارتد معهم ، فربما يتوهم هؤلاء أننا نؤيدهم فى هذا المحال، الذى لا يحل لمسلم أن يذكره.

وأيضا متى ثبت وجود اسم السامرى فى بنى إسرائيل بنص توراقم قبل وجود مدينـــة السامرة، وقد أخبرنا القرآن – الذى هو من عند الله جزما – بأن اسم الصانع الســـامرى

فما حاجتنا إلى هذا التأويل. أفلا يخجل المنصرون من استدلالهم بالتوراة ؟.. إنهم لا يخجلون.

قصة أهل الكهف:

١٠- قال أعداء الإسلام: إن قصة أهل الكهف خيال، وأنها لم تكن موجودة فى التوراة، ولكن صنعها أصحاب البدع من طوائف النصارى.. إلخ، ويظهر أن المنصرين نقموا على هذه القصة لأنها صرحت بتوحيد الإله الخالص، فقالت حكاية عن أهل الكهف ﴿لن ندعو من دونه إلها﴾ وهم يدعون المسيح إلها من دون الله، فاشتد غيظهم على هذه القصة، وقد عرفنا من كل أطوار المنصرين أن عداءهم للدين الإسلامى إنما هو بسبب كونه جاء بتوحيد الإله الخالص ونزه الله تعالى عن كل ما لا يليق به، وقال: إن عيسى بن مريم بشر كسائر المخلوقات، فلهذا ينقمون على قصة أهل الكهف التى جاءت بتوحيد الإله وتنزيهه، وهم يقولون: إنه ثالث ثلاثة، فيكفيهم أن يشككوا الناس فى معجزة ذكرها القرآن الكريم لذلك. ولكنهم ذكروا شيئا وغابت عنهم أشياء كثيرة. فإن قصة أهل الكهف أمرها هين مقبول وليس فيها محال عقلى كالمحالات التى يؤمن بها المنصرون فى التوراة والإنجيل، وذلك لأن الذى يؤمن بأن الله المجرد عن المواد كلها، الذى ليس كمثله شىء، مركب من ثلاثة جواهر مجردة كل واحد منها مساو لصاحبه ومتميز فى ذاته، ويصدق بأن الثلاثة واحد، لا يليق به أن ينكر قصة أهل الكهف. وكذلك من يؤمن بأن بشرا من عباد الله مركب من دم ولحم وعروق وأعصاب وعظم قد حل به الإله وهو فى رحم أمه، فأصبح ذلك الإنسان الذى يأكل ويشرب ويبول ويتغوط إلها كاملا، وبشرا كاملا لا يليق به أن ينكر قصة أهل الكهف.

وكذلك الذى يؤمن بالخيالات الذى ذكرتها أناجيلهم ساعة صلب المسيح وبعد قيامته من القبر، وكيف أنه ظهر لمريم المجدلية وقابل تلاميذه وركب الغمام وأخذ الغمام يرتفع شيئا فشيئا وهم يرونه بأبصارهم، لا يليق به أن ينكر قصة أهل الكهف. وكذلك الذى

يؤمن بما قاله بعض أناجيلهم من معجزات المسيح إذا دونت واحدة واحدة فإن الدفاتر التى كتبت فيها لا تسعها الدنيا، فإنه لا يليق به أن ينكر قصة أهل الكهف، ولكن لا عتب على هؤلاء القوم، وكيف يمكنك أن تعتب على قوم يؤمنون بأن الإله صارع يعقوب فصرعه يعقوب وغلبه، ولم يستطع الإله أن يفلت منه إلى طلوع الفجر، كيف يمكنك أن تناقش مثل هؤلاء القوم وعقولهم تسع كل هذه المحالات، ثم تضيق عن أن الله القدير الذى يحيى ويميت أمسك أرواح بضعة أشخاص وهم نائمون زمنا طويلا لينقذهم من الفتنة بالبيئة الفاسدة.

إن القرآن الكريم لم يذكر فى قصصه من خوارق العادات إلا قليلا، ومع ذلك فكل الذى ذكره إنما كان يعظ به قوما يعرفون التاريخ حق معرفته، فكان يضرب لهم الأمثال ويذكرهم بما يعلمونه من أحوال الأمم الذين من قبلهم لعلهم يتدبرون.

وغريب أن أهل الكتاب يؤمنون بما ورد عن عزرا (العزير)، مع أنه لا فرق بين حالته وحالة أهل الكهف.. ولكن ماذا تصنع فى قوم طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فلا يعقلون شيئا؟!.

طالوت وجالوت:

١١- وآخر اعتراض تاريخى لأعداء الإسلام هى قصة طالوت وجالوت وداود الواردة فى سورة البقرة فى ربع ﴿ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل﴾ إلخ، وليس لهؤلاء اعتراض على القصة إلا أنه قد ورد فيها الابتلاء بالشرب من النهر، وهذه وقعت لفرقة جدعون لا لطالوت.

ومحصل القصة أنه كان لبنى إسرائيل نبى وقد اختلف المؤرخون والمفسرون فى اسمه، ولكن الذى عليه الجمهور أنه صموئيل كما ذكرت التوراة، فكان صموئيل يقضى بينهم بالعدل ولكن عين ولديه قضاة فابتدءوا يظلمون، فطلبوا من ذلك النبى أن يأتيهم بملك كى

يقاتلوا معه أعداءهم الفلسطينيين الذين أذلوهم وأخرجوهم من ديارهم، فقال لهم صموئيل: قد يستجيب الله لكم فتنكصون على أعقابكم، فقالوا: كلا، فعين الله لهم طالوت ملكا عليهم واسمه فى التوراة شاول، فتذمروا ولكن رضوا به بعد ما قال لهم: إن الله هو الذى ولاه عليكم وأن علامة ملكه أن يأتيكم التابوت.. إلخ، وهذا التابوت هو الصندوق الذى وضع موسى فيه التوراة وبعض الألواح والآثار، وكان الفلسطينيون قد غلبوا بنى إسرائيل، وأخذوا منهم ذلكم الصندوق ووضعوه فى بيت الصنم، فاتفق أن سلط الله على أهل فلسطين فى ذلك الوقت الفئران فأفسدت عليهم حاصلاتهم، كما أصابهم بمرض البواسير وكانوا يجدون إلههم كل يوم ملقى فى خارج المعبد، فظنوا أن ذلك هو سبب وجود هذا الصندوق، فأعادوه إليهم وعند ذلك آمنوا بما قاله لهم نبيهم صموئيل وخضعوا لشاول، فجمع جيشا وذهب لمحاربة أهل فلسطين، وكان داود عليه السلام يومئذ لم يبلغ الرجال، إلا أنه ذهب مع الجيش لأنه كان من بين رجاله المحاربين ثلاثة من إخوته، وفى أثناء سير الجيش قال لهم طالوت أو شاول: إن الله مبتليكم بنهر فلا تشربوا منه، وكانوا عطاشا فلم ينفذوا أمره وشربوا إلا قليلا منهم، ومع ذلك فقد نصرهم الله، لأنه كان فى طليعة جيش الفلسطينيين رجل يقال له جالوت أو جليات كما تقول التوراة، وكان قويا معروفا بالبطش، فامتنع الناس عن مبارزته خوفا من بطشه، فطلب داود من شاول أو طالوت أن يسمح له فى مبارزته فأجابه– بعد أن وعده بعطاء حسن إذا انتصر عليه– فبرز له داود فقتله، وفر الجيش وهزم شر هزيمة.

هذا هو معنى ما ذكره الله تعالى فى قوله: ﴿ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل﴾ إلى قتل داود جالوت، وآتاه الله الملك والحكمة، وعلمه مما يشاء.

ولا ريب فى أن كل عاقل يعرف الرشد من الغى، ويفرق بين الخطأ والصواب، لا يسعه إلا أن يطرب من قصص القرآن الكريم، ويذعن بأنه من لدن حكيم خبير، لأنه عبر عن قصة صموئيل وشاول أو طالوت وجالوت أو جليات وداود مع بنى إسرائيل والفلسطينيين فى تلك العبارة الموجزة البليغة الخالية من الحشو ومن اللغو، بحيث لو قرأ الإنسان سفر

صموئيل من أوله إلى آخره فإنه لا يستطيع أن يظفر منه بأكثر من هذا المعنى بعد حذف المحرف والمكرر والخيالات.

هذا، وليعلم أن ما ذكره القرآن من قصص هو الصحيح الذى لا شك فيه، بدليل أنه وجد فى عهد أعدائه اليهود، وقد أذعن له علماؤهم وأحبارهم، ولم يستطع أحد منهم أن يورد عليه أى اعتراض، وكما قلت غير مرة أدعو أعداء الإسلام عموما أن يأتوا بدليل على أن علماء اليهود وأحبارهم – الذين هم أعلم بتوراتهم فى عهد النبى ﴿ﷺ وآله﴾ من هؤلاء – قد اعترضوا على القرآن بأنه قرر نظرية تاريخية غير صحيحة، أو اعترضوا عليه فى خبر من أخباره.

وإذا كان هؤلاء يقولون: إن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار وابن صوريا وغيرهم من أحبار اليهود وعلمائهم قد نقل عنهم سيدنا محمد رسول الله التوحيد. أفلا يخجلون بعد ذلك من قولهم: إن القرآن قد جاء بأخبار تاريخية عن بنى إسرائيل غير صحيحة؟ أليس من المعقول أن يصحح له أخباره هؤلاء العلماء على الأقل!! لا ريب أنهم قوم لا يكادون يفقهون حديثا!!.

(أنظر كتاب أدلة اليقين، للدكتور/ محمد الجزيرى، ط١، ١٩٩٦، دار الرشاد للطباعة والنشر).

الخاتمة

هذه كل مطاعنهم فى كتاب الله، فهل سمعتم إخوانى نظريات تجافى العقول مثل نظريات هؤلاء، إننى أقسم بالله ما رأيت فى حياتى كلها نظريات تشمئز منها النفوس وتتعارض مع بديهة العقل مثل هذه النظريات، وإننى أطلب من كل إنسان يقف على شئ يتجافى مع العقول الإنسانية أكثر من هذه النظريات، أن يدلنى عليه لأننى فى دهشة من أمر هؤلاء

القوم الذين يزعمون أهم مفكرون.

وبعد.. فقد قال أعداء الإسلام: إنهم يريدون أن يبحثوا أدلة نبوة سيدنا محمـــد ﴿ﷺ وآله﴾ بإخلاص حتى إذا ما ظهر لهم الحق يتبعوه، وقد استنفدوا جعبتهم فلم يبق فى كتبهم سهما إلا أرسلوه، وهأنذا قد أتيت على كل ما قالوه من شبهة، وأقمت الأدلة القاطعة التى لا يرتاب فيها عاقل، على أن شبههم كهشيم يذروه الرياح، أو هى كسراب بقيعة يحســبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، فهل يؤمن أتباعهم بهذه الدلائل القاطعة ؟!!.

وإلى هنا قد تم الكلام فى كل ما اعترض به هؤلاء على الدين الإسلامى الحنيف وعلــى الرسول الكريم ، وعلى القرآن العظيم، وأظن أن كل عاقل منصف ينظر فيمــا كتبنــاه لا يسعه إلا أن يجزم بأن هؤلاء القــوم قد خرجوا عن سنن المنطق الصحيح، وتجاوزوا حدود الأدب مع خير كتاب وخير دين، ويتضــح له صدق قول الله تعالى: ﴿ومن يبتــغ غــير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾ (آل عمران: ٨٥).

ويبقى السؤال: ماذا قالوا عن المسلمين؟!!.

الفصل الرابع:

ما يقال عن المسلمين

أولاً: يحرقون الكتب والمكتبات خلال فتوحاتهم

يدعى أرنست رينان فى كتاب الإسلام والعلم: (أن الإسلام حارب العلــم)، ودليــل ذلك: إحراق المسلمين لمكتبة الإسكندرية بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب، عندما فتحــوا مصر سنة ٦٤٢م بقيادة عمرو بن العاص، ويقول: (إن المسلمين كانت لهم رغبة عظيمة فى محو كل كتاب غير القرآن والسنة).

روى قصة إحراق مكتبة الإسكندرية غريغوريوس، أبو الفرج المعروف بابن العــبرى، كما رواها البغدادى وابن القفطى، اللذان عاشا فى القرن الثالث عشر الميلادى، دون ذكر السند، ولا يستبعد أن يكونا مع ابن العبرى، قد أخذوا عن مصدر ضائع معادٍ للمسلمين.

وأسهب بعض المؤرخين المحدثين فى تفنيد رواية الإحراق، لا سيما روايــة أبى الفــرج، وذكروا ما يدل على أن عَمْراً وعُمَر بريئان مما نسب إليهما، وهذه هى رواية أبى الفرج عن كيفية الحريق على يد عمرو بن العاص، قال:

(كان فى وقت الفتح رجل اكتسب شهرة عظيمة عند المسلمين يسمى يوحنا النحوى، كان قسيساً قبطياً من أهل الإسكندرية، وفى هذا الزمان اشتهر بــين الإســلاميين بــيحيى المعروف عندنا (بغرماطيقوس) أى النحوى، وكان إسكندريا يعتقــد اعتقــاد النصــارى اليعقوبية، ويشيد عقيدة (ساورى)، ثم رجع عما يعتقده النصارى فى التثليث، فاجتمع إليه الأساقفة بمصر وسألوه الرجوع عما هو عليه، فلم يرجع، فأسقطوه من مترلته، وعــاش إلى أن فتح عمرو بن العاص مدينة الإسكندرية، ودخل على عمرو وقد عرف موضــعه مــن

العلوم، فأكرمه عمرو وسمع من ألفاظه الفلسفية، التى لم تكن للعرب بها أنسة، ما هاله ففتن به.

وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع، صحيح الفكر، فلازمه وكان لا يفارقه، ثم قال له يحيى يوماً: إنك قد أحطت بحواصل الإسكندرية، وختمت على كل الأشياء الموجودة بها، فما لك به انتفاع فلا أعارضك فيه، وما لا انتفاع لك به فنحن أولى به، فقال له عمرو: وما الذى تحتاج إليه؟ قال: كتب الحكمة التى فى خزائن الملوكية، فقال له عمرو، لا يمكننى أن آمر إلا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وكتب إلى عمر وعرفه قول يحيى، فورد عليه كتاب عمر يقول فيه: وأما الكتب التى ذكرها، فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله، ففى كتاب الله عنه غنى، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله، فلا حاجة إليه فتقدم بإعدامها، فشرع عمرو بن العاص فى تفريقها على حمامات الإسكندرية وإحراقها فى مواقدها، فاستنفدت فى ستة أشهر)، فاسمع ما جرى واعجب!.

هذه الرواية أشبه بالخرافة، فقد ذكر فيها ابن العبرى أن كتب المكتبة كفت أربعة آلاف حمام، وهى عدد حمامات الإسكندرية كما ذكرها ابن العبرى، لمدة ستة أشهر، وهذا غير معقول، فالمخطوطات التى ادعى أنها أحرقت ٧٠٠ ألف مخطوط، وأحرقت فى ٤٠٠٠ حمام عام، فيكون نصيب كل حمام ١٧٥ مخطوطة.

وهذا يكفى لعدة أيام، لا لستة أشهر كما يدعى، لذلك قال البروفيسور ألفرد بتلر: (لا يمكن الشك بهذه المسألة أكثر من هذا) (أنظر تاريخ الإسلام: ٢٤١/١، عدد الهلال أغسطس ١٩٧٢).

ولو قصد عمرو تدمير المكتبة، لأحرقها فى الحال، ولم يتركها تحت رحمة أصحاب الحمامات، وإلا لتمكن يوحنا النحوى الذى بنى ابن العبرى روايته عليه من أخذ ما يلزم من هذه الكتب بثمن بخس، ولتسرب قسم كبير من الكتب، ليظهر فيما بعد، وهذا ما لم

يحدث.

ويذكر (بتلر): أن يوحنا هذا مات قبل الفتح الإسلامى لمصر بثلاثين أو أربعين سنة.

ولو كانت الرواية صحيحة، لذكرها (أوتيخا) المؤرخ المعاصر للفتح الإسلامى لمصـــر، والذى وصف فتح مصر بإسهاب.

إن هذه المكتبة أصابها الحريق مرتين:

- الأولى سنة ٤٨ ق.م على أثر إحراق أسطول يوليوس قيصر.
- الثانية فى عهد القيصر تيودوسيس، وذلك سنة ٣٩١م، فنسجت هذه الرواية علـــى منوال الحريقين السابقين.

زار (أورازيوس) الإسكندرية فى أوائل القرن الخامس الميلادى، فذكر أن رفوف المكتبة خالية من الكتب عند زيارته "ينعق فيها البوم" بعد أن أتلفت بنحو عشرين سنة، وقد أتلفها (تيوفيل) بطريق الإسكندرية، بعد أن نال الأمر الإمبراطورى بإتلافها.

وهكذا.. مع أن التعاليم الإسلامية تخالف هذه الرواية، لأنها تحترم الكتب الدينية لأهل الكتاب، فهى أيضاً مخالفة لعادات المسلمين التى عرفوا بها عند الفتح، ولو فرضنا أن هـــذه المكتبة بقيت إلى الفتح الإسلامى، لم يكن هناك ما يمنع من نقلها إلى القسطنطينية على أيدى الروم أثناء الهدنة التى عقدت مع المسلمين، وقد أجاز لهم عمرو فى هذا الصلح أن يحملـــوا كل ما يقدرون عليه، وكان لديهم من الوقت ما يمكنهم من نقل مكتبات لا مكتبة واحدة، فالحكاية محض افتراء.

الإسلام لا يعادى العلم:

الإسلام لم يكن فى يوم من الأيام عدواً للعلم، إنه الدين الذى بدأ دستوره الإلهى الخالد بكلمة ﴿اقرأ﴾، وثنى بقسم بـــ(نون)–التى هى الدواة– ﴿والقلم وما يسطرون﴾.

يقــول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم عليه السلام:

(فكان المسلم المتمسك بالدين يحيط بكل أنواع العلوم، ويعتقد أنه يجهل من كمال ربه وقدرته وحكمته بقدر ما يجهل من أى علم من العلوم، وكانوا يولون أهل العلم الولايات، فيكون الوالى إماما وقائد الجيش، وطبيبا وعالما بسير الأفلاك وتغيير الفصول، وقد نظر وال من الولاة مدَّ البحر، وكان يجهل المد والجزر، فقال: هذه تكفينا صيفتنا، ظنا أنه ماء عذب، فبلغ الخليفة فعزله لجهله بتأثير الكواكب على البحر.. لم يبلغ الإنسان مقام الشرف والمجد إلا بالإسلام، وقد ترك المسلمون العمل بوصايا الإسلام فذلوا لمن كانوا أتباعا لهم، وتــرك غيرهم دينهم فعزوا ورقوا فى الأرض لأخذهم بأعمال المسلمين الكونية. وإنى على يقين أن تلك الأمم قريبا يظهر لها الحق جليا فتسارع إلى الإسلام، وكيف لا؟ والإنسان مفطور على حب الحرية والمساواة، ومجبول أن يحكم على الأشياء بعقله، وكلما أظهــرت الصــناعات والفنون ما كنزه الله للخلق فى المادة كلما فكت الأغلال من عنق العقل، فحكم أن الــدين الإسلامى هو الدين الحق، وأن ما سواه لا يقبله العقل.

ومن حكم أن الدين الإسلامى لا يحث على تحصيل العلوم كذبته الحقائق، والواجــب على المسلمين فى هذا العصر بعد أن شهد أعداء الدين بأحقيته، وسارع فيه كثيرون مــن أمريكا وأوربا، أن يسارعوا إلى الحق والعمل به، ليكونوا أئمة لمن ستنكشف لهــم أنــوار الإسلام قريبا، بل وليكونوا متمتعين بالحياة الإسلامية الفاضلة، مسارعين إلى نيل الســعادة الباقية فى جوار الأخيار ممن عملوا بالإسلام ونشروا فضائله وآدابه وأصوله بــين الأمــم، والأمر سهل، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا) (وسائل نيــل المجــد الإســلامى، ص: ١٨١).

موقف النصرانية من العلم:

الغرب المتمسك بالنصرانية، هو الذى ظل بضعة عشر قرناً عدواً للعلم محارباً له، بعيداً

عن المدنية والعلوم والمعارف والصناعات النافعة إلى غاية يخجل العقل من تصورها، وما نفع أوربا ما لديها من الدين ورجاله فى رفعها مما كانت فيه من التأخر والهمجية، ولم تتقدم نحو المدنية إلا يوم اختلطت بالمسلمين، وعندما قامت قيامة الإكليروس عليها، وكفروا كل من يتعلم علوم الكنيسة واضطهدهم وقتلتهم وحرقتهم، إلى غير ذلك من الفظائع التى شوهت وجه الإنسانية.

متى كانت للنصرانية مدنية يفتخر بها، سوى تعاليم الكنيسة التى لا يجوز لأحد أن يتلقى سواها؟ وهى تعاليم تأمر بالنفرة من كل رقى وتقدم دنيوى، حتى أنها تنظر إلى الأغنياء نظرها إلى أعظم المجرمين المذنبين، فحرمت عليهم الدخول فى ملكوت السماوات، فزمام أمر الأمة كان بيد رؤسائها الروحيين، وبيدهم الحل والربط حتى أنهم صرحوا أن إرادة السماء تابعة لإرادتهم، فما رأوه حسناً وإن كان سيئاً فهو حسن عند الله بزعمهم، فأثروا بذلك على نفوس الناس، وملكوا إرادتهم وحريتهم، حتى أيقن أتباع الكنيسة أن لا عزم لهم ولا إرادة، فما يأمر به الكاهن فهو الحق، وإن كان خطأ صراحاً (الإسلام روح المدنية، ص:١٠٤).

من هنا أعرض المسيحيون الأولون عن شواغل هذا الكون، وصدوا عن سبيل النظر فيه إظهاراً للغنى بالإيمان والعبادة عن كل شئ سواهما، وحجروا على همم النفوس أن تنهض إلا إلى الدعوة إلى ذلك الإيمان، وتلك العبادة، ووسائل الدعوة هى الإيمان والعبادة كذلك، فإذا نزعت العقول إلى علم شئ من العالم، وضعوا أمام نظرها كتب العهد القديم، وحصروا العلم بين دفاتها استغناء بالوحى عن كل عمل للعقل سوى ما يفهمه من عبارات الوحى، ولا يسمح لكل ذى عقل أن يفهم ما يشاء، بل يتلقى فهمه من رؤساء الكنيسة خوفاً من الزيغ عن الإيمان السليم.

حصروا التعليم فى الأديار، ومنعت الكنيسة أن ينشر بين العامة إلا ما كان دعوة إلى الصلاح وتقرير الإيمان على وجه ظاهر، وبقى غير القسيسين فى جهالة حتى بأمور الدين

وحقائقه وأسراره، وعندما ظهرت النجمة ذات الذنب، التى تنسب إلى (هـالى) فى سـنة ١٦٨٢م فاضطربت لظهورها أوربا، ولجأوا إلى البابا واستجاروا به فأجارهم وطردها مـن الجو، فولت فى الفضاء مذعورة من لعنته، ولم تعد إلا بعد ست وسبعين سنة!!. وأثبت العلم بعد ذلك أنها لا تظهر إلا كل ست وسبعين سنة.

لم يكن يسمح لأحد أن يبدى رأياً يخالف صريح ما فى الكتاب، وعندما أظهر (بـلاج) رأيه فى أن الموت كان يوجد قبل آدم، أى: إن الحيوانات كان يدركها الموت قبل أن يخطئ آدم بالأكل من الشجرة، قام لذلك ضوضاء، وارتفعت جلبة، وانتهى الجدال والجـلاد إلى صدور أمر إمبراطورى بقتل كل شخص يعتقد بذلك!! يقول المؤرخ (بلاج): وهكذا عـد الاعتقاد بأن الموت كان يزور الأحياء قبل آدم جريمة على الملك.

أحرقت كتب البطالسة والمصريين بالإسكندرية على عهد جول قيصر، ثم إن تيوفيـل بطريق الإسكندرية انتحل أدنى الأسباب لإثارة ثورة فى المدينة لإتلاف ما بقـى فى مكتبـة البطالسة، بعض بالإحراق، وبعض بالتبديد، وقال (أورازيوس) المـؤرخ: إنـه رأى أدراج المكتبة خالية من الكتب بعد أن نال (تيوفيل) الأمر الامبراطورى بإتلافها بنحـو عشـرين سنة.

ثم جاء بعد (تيوفيل) ابن اخته (سيريل)، وكان خطيباً مفوهاً، له على الشعب سـلطان بفصاحته، وكان فى الإسكندرية بنت تسمى (هيباتى الرياضية)، تشتغل بالعلوم والفلسفة، وكان يجتمع إليها كثير من أهل النظر فى العلوم الرياضية، وكان لا يخلو مجلسها من البحث فى أمور أخر، خصوصاً فى هذه المسائل الثلاث: من أنا؟ وإلى أين أذهب؟ وماذا يمكـننى أن أعلم؟ فلم يحتمل ذلك القديس (سيريل)، مع أن البنت لم تكن نصرانية، بل كانت على دين آبائها المصريين، فأخذ يثير الشعب عليها حتى قعدوا وقبضوا عليها وهـى سـائرة إلى دار ندوتها وجردوها من ثيابها، وأخذوها إلى الكنيسة مكشوفة العورة وقتلوها هناك، ثم قطـع جسمها وجرد اللحم عن العظم، وما بقى منها ألقى فى النار (الإسلام روح المدنيـة، ص: ١٠٥، عن كتاب: (الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية).

وجاء فى مجلة (المقتبس) السورية: "قال (كوندى) فى تاريخه: إن مسيحيي إسبانية لما استولوا على قرطبة حرقوا كل ما طالت إليه أيديهم من مصنفات المسلمين، وعددها مليون وخمسون ألف مجلد، وجعلوها زينة وشعلة فى يوم واحد، ثم رجعوا على سبعين مكتبة فى الأندلس، وأنشأوا يتلفون كل ما عثروا عليه فى كل إقليم من مؤلفات العرب، وقال أحد مؤرخيهم (ربلس): إن ما أحرقه الإسبانيول من كتب الأندلسيين بلغ ألف ألف وخمسة آلاف مجلد، وذكر بعض المؤرخين أن أحد جثالقتهم (الكاردينال اكسيميس) أمر بإحراق ثمانين ألف مجلد فى ساحات غرناطة عقيب استيلائهم عليها، وأنهم قبضوا على ثلاث سفن قاصدة مراكش تقل ما عز على المسلمين أن يخلفوه وراءهم من أسفارهم، فألقوها فى قصر (الأسكوريال)، ثم لعبت فيها النيران".

وبعد كل ما سبق، أليس اتهامهم للإسلام وأهله، بعدائه للعلم، وتحريق الكتب فى مكتبة الإسكندرية، من قبيل (الإسقاط)؟

المسلمون يحافظون على تراث الآخرين:

إن أعمال الملوك من بنى أمية، ومن بنى العباس فى الحفاظ على الكتب الهندية والفارسية والرومية واليونانية والسريانية كثيرة جداً، بل وسعى بعض هؤلاء الملوك إلى جلب هذه الكتب من مدن أوربا وغيرها، وبذلوا الكثير من أجل الحصول عليها، وسعوا إلى ترجمتها إلى العربية والاستفادة منها فى مختلف الاختصاصات كالطب والفلك والرياضيات والنبات وغيرها، أما كتب الفلسفة اليونانية فقد درسوها ونقدوها، وأوجدوا فلسفة إسلامية تقف فى وجه الفلسفة اليونانية ذات الأصول الوثنية المادية.

وهذا الموقف السليم من كتب الشعوب ومكاتبهم أمر طبيعى فى الإسلام، اقتبسه المسلمون من سنة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، فعندما فتح المسلمون حصن الوطيح، وحصن السُّلالم فى غزوة خيبر، وجدوا صحائف متعددة من التوراة، فجاء اليهود يطلبونها، فأمر

رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بدفعها إليهم.

وهذا التسامح، والموقف الإنسانى، سبقه تسامح آخر عندما ترك صحائف اليهود ولم يتعرض لها بسوء، ولم ينظر لها نظرة غير طبيعية، مع شدة عداوة اليهود للمسلمين، فقد سمح لبنى النضير بعد غزوة أحد بحمل صحفهم عند جلائهم عن المدينة المنورة.

لقد انتشرت الكتب والمكتبات فى ظل حكم المسلمين وحضارتهم فى المشرق والمغرب، أى: من مناطق ما وراء النهر فى بخارى وسمرقند، مروراً بمدن الهند وفارس وبغداد ودمشق ومصر، حتى مدن المغرب والأندلس، وضاعت أصول كثير من الكتب اليونانية فى أوربا، وعرفت من ترجمتها العربية.

إن التعصب الذميم جعلهم يلصقون بالمسلمين ما وقعت فيه أوربا التى رعتها الكنيسة ورجالها خلال عصورها الوسطى المظلمة، وبدايات عصر النهضة، فقد أبادوا الكتب الإسلامية حقداً منهم على الإسلام والإسلام، مهما كان نوع تلك الكتب واختصاصها، يقول جوستاف لوبون: (وأما إحراق مكتبة الإسكندرية المزعوم، فمن الأعمال الهمجية التى تأباها عادات العرب المسلمين.. ولا شئ أسهل من أن نثبت بما لدينا من الأدلة الواضحة أن النصارى هم الذين أحرقوا كتب المشركين فى الإسكندرية قبل الفتح العربى الإسلامى) (حضارة العرب، ص٢١٣).

وكذلك (ريسلر) فى (الحضارة العربية، ص ١٠١)، اعتبر حريق الإسكندرية أسطورة.

فهل لمسنا (الإسقاط) بعد هذا كله؟.

ثانياً – الغنيمة هي هدفهم عند فتوحاتهم

تدعى معظم كتابات المستشرقين، أن الحالة الاقتصادية المتردية للعرب، وحبهم للغنائم،

كانت الدافع الرئيس لفتوحاتهم.

يقول الألمانى يوليوس فلهاوزن: (ولم تكن الحكومة الإسلامية يهمها سوى حمل الخراج إلى بيت المال على المقدار المفروض له، الذميون بقرة، الوالى يمسكها من قرونها حتى تسكن، وعامل الخراج يحلبها) (تاريخ الدولة العربية، ص٢٧).

ويقول توماس أرنولد: (إن العرب شعب نشيط فعال، دفعته يد الجوع والحاجة إلى ترك صحاريه القاحلة، واجتياح الأراضى الغنية المترفة) (التبشير الإسلامى، ص٤٠).

ويقول ستانلى لانبول: (إننا لا نستطيع أن ننكر أن ثروة الأكاسرة، والقياصرة، والأراضى الخصبة، والمدن العامرة، فى الممالك المجاورة كانت عاملا كبيرا فى تحمس المسلمين لنشر الإسلام) (العرب فى إسبانيا، ص ٤٣).

ويقول فيليب حتى: (إن الحاجة المادية هى التى دفعت معاشر البدو- وأكثر جيوش المسلمين منهم- إلى ما وراء تخوم البادية القفراء، إلى مواطن الخصب فى بلدان الشمال، ولئن كانت الآخرة، أو شوق البعض إلى بلوغ جنّة النعيم قد حبب لهم الوغى، فإن ابتغاء الكثيرين حياة الهناء والبذخ فى أحضان المدنية التى ازدهر بها الهلال الخصيب، كان الدافع الذى حبب لهم القتال) (تاريخ العرب، جـ١ ص١٩٥).

إنه إسقاط لا يعرفه الإسلام.:

لقد عاش العرب فى باديتهم المقفرة مئات السنين، وهم يعرفون الخيرات فى الشمال، فلماذا لم ينطلق أهل الحجاز إلى هذه المواقع الخصبة قبلا؟ وإذا قيل: إنهم كانوا يخشون الفرس والروم، ثم ضعف هؤلاء فخرجوا، فإن هذا مردود، فقد بقى العرب يتهيبون الأكاسرة والقياصرة حتى كتب الله لهم النصر بالقادسية واليرموك.

وقالت رسل المقوقس إليه عندما عادوا من عند عمرو بن العاص وجيشه، أثناء حصار حصن بابليون: رأينا قوما الموت أحب إليهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة،

ليس لأحد منهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة، جلوسهم على التراب، وأميرهم كواحد منهم، ما يعرف كبيرهم من صغيرهم، ولا السيد من العبد..

وفى اليرموك ١٣هـ، كم من مناد صاح قائلا: من يبايع على الموت، لا على الغنيمة؟!.

وفى معركة نهاوند ٦٤٢هـ، قال قائدها (النعمان بن مقرن المزنى) قبل بدئها: (اللهم أعزز دينك، وانصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد اليوم. اللهم إنى أسألك أن تقر عينى اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام، أمّنوا يرحمكم الله)، هذه البطولة، هل يسجلها قوم يبتغون مالا وغنيمة، أم تراهم كانوا يبتغون نشر عقيدة وثوابا وشهادة؟.

وأرسل رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ إلى الملوك والأمراء رسائل يدعوهم فيها إلى الإسلام، على أن تبقى لهم ممالكهم وما بين أيديهم، فأين المطمع المالى هنا؟.

وكان المسلمون يخيرون الشعوب بين ثلاث: الإسلام، أو الجزية، أو الحرب، فمن أسلم فليس للفاتحين عليه من سبيل (لهم ما لنا، وعليهم ما علينا). أو الجزية، وهى مبلغ بسيط، لا يقارن بما أخذه البيزنطيون من شعوبهم، مقابل الحماية، واستعمالهم للمرافق العامة فى الدولة، ويدفع المسلمون أضعافها فى الزكاة. وأخيراً، حرب لإزاحة العوائق التى تعيق إيصال العقيدة للشعوب.

ومات قائد من أعظم القواد فى تاريخ الإسلام، خالد بن الوليد ﵁، وهو لا يملك من حطام الدنيا غير فرسه وغلامه وحسامه فقط.. فأين الغنائم؟.

ولم يكن المسلمون الذين خرجوا للفتوحات أكثر من مائة ألف، لو ضاعفنا العدد، فكان يكفيهم سواد العراق وحده، أو فلسطين وحدها، أو الشام وحدها، أو دلتا مصر وحدها.. ويصبحون أهل رغد وثروة، ويمكثون لينعموا بما فتحوا، لكنهم انطلقوا إلى الصين، وإلى إسبانية وفرنسا.. فأين الطمع بالدنيا؟.

موقف النصرانية من الغنائم:

أما أوربة النصرانية، التى عانت فى أواخر القرن الخامس عشر من أزمة اقتصادية خانقة، راحت تفتش عن طريق يوصلها ببلاد جنوب شرقى آسية، حيث التوابل والخيرات، دون عبور البحر المتوسط والوطن العربي، وتفاقمت الأزمة أكثر بسبب نقص الذهب، لأن موارد المناجم فى أوربة، لم تعد تفى بالحاجة منه، ولذلك قيل: (عطش أوربة إلى الذهب، أكثر من جوعها إلى التوابل) (تاريخ العصور الحديثة).

وشاع فى أوربة أن الهند وجنوب شرقى آسية، بلدان غنية، موفورة الغنى، وأن الوصول إليها مباشرة يؤدى إلى الحصول على الذهب والتوابل معا.

لقد كان البحث عن (أسواق لتصريف المنتجات الأوربية المصنعة)، مع كسب مناجم المواد الأولية الرخيصة وامتلاكها لتشغيل المصانع الأوربية، وإعادة الجزء الأكبر من إنتاج هذه المصانع إلى هذه الأسواق وبيعها بأسعار مرتفعة بغية تحقيق الربح المادى (الفاحش والسريع) ، سببا للكشوف الجغرافية الأوربية والحركة الصليبية الجديدة (الاستعمار).

وهكذا أبحرت السفن الأوربية- البرتغالية أولا- ناشرة أشرعتها، تحمل إلى الشعوب الإفريقية والآسيوية والأمريكية جماعة من الرهبان يبشرون بالعهد الجديد، ويعودون منها بكنوزها من الذهب والعاج والتوابل، وأمعن البابا (مارتن الخامس) ١٤١٧- ١٤٣١م فى الكرم والسخاء، فأحل من الأوزار والخطايا أرواح من يلقون حتفهم فى تلك المغامرات، معطيا الاستعمار طابع الحروب الصليبية الصريح.

وعندما قرر عمانويل الأول، ملك البرتغال: (١٤٩٥- ١٥٢١) تسيير فاسكو دوجاما سنة ١٤٩٧م لاحتلال عدن ومضيق هرمز، قال فى حفل وداعه:
(هذه المغامرة النبيلة، والمنافع التى ترجى من ورائها مرضاة الله، فما هى إلا أن تفتح

الهند، حتى تبلغ رسالة سيدنا وإلهنا يسوع إلى أولئك الذين لا يعلمون عنه شيئا)، علـــى أن تبليغ الرسالة المسيحية– وإن كان الهدف الأول للملك عمانويل– إلا أن ذلك لم يمنعه من توصية قواده بضرورة البحث فى الوقت نفسه عن أحسن الوسائل وأصلحها للحصول على ثروة الشرق.

وما أن فـــرغ الملك من خطابه حتى تقدم أحد كبار رجال الحاشية، وهو يحمل لـــواء جماعة المسيح، فسلمه إلى فاسكو دوجاما، الذى تناوله ولفه حول ذراعه، ثم نطـــق بهـــذا القسم: (أنا فاسكو دوجاما المكلف من مليكى باكتشاف بحار الشرق، وبلاد الهند الشرقية، أقسم بـــرمز هذا الصليب الذى أضع يدى عليه، بأن أرفعه عاليا مطويـــا أو منشـــورا فى سبيل خدمة الله وخدمتكم أينما حللت، سواء فى بلاد المغـــرب، أو فى بـــلاد الشـــعوب الأخرى من أى جنس ولون، وأقسم أننى سأدافع عنه حتى الموت، لا تمنعنى عـــن ذلـــك الأخطار، مهما يكن مبلغها، وأينما كانت فى البحر أو البر، ومهما أصلى بنار الحـــروب، وإننى سأصدع بجميع الأوامر الصادرة إلـــى، أطيع التعليمات فى جميع الظروف) (فى طلب التوابل، سونياى. هاو، ترجمة محمد عزيز رفعت، مشروع ألف كتاب (٩٨)، مكتبة نهضـــة مصر ومطبعتها، ١٩٧٥، ص١٨٠).

وتسلم دوجاما من مليكه رسالة موجهة إلى (القس يوحنا) ملـــك الحبشـــة، وقضـــى وبحارته طوال الليل يصلون لله، ويضرعون إليه فى كنيسة بنيت للبحارة خاصـــة، ورتـــل رئيس القسس (قداس الاعتراف العام)، ثم نطق بالمغفرة وفقا للعهد الذى قطعه البابا علـــى نفسه، بأن يمنحها كل أولئك الذين هلكوا أو قتلوا فى (الفتوح)، أو فى الكشف عن البلاد النائية السحيقة، وأن يعدوا من الوجهة الروحية كما لو كانوا من بين رجـــال الحـــروب الصليبية، وأن يمنحوا مثل ما منحوا من الغفران (تسامح الإسلام وتعصب خصومه، محمـــد الغزالى، دار الكتب الحديثة، مصر، ط٣، سنة ١٩٨٣، ص١٧٠).

ومما قاله عمانويل الأول حرفيا: (إن الغرض من اكتشاف الطريق البحرى إلى الهند هو

نشر المسيحية، والحصول على ثروات الشرق) (فى طلب التوابل، ص٢٤٦).

وبعد عودة دوجاما بستة أشهر، من رحلته التى وصل بها إلى الهند، والتى اتسمت بالقسوة والوحشية والتعصب، أرسل الملك عمانويل أسطولا مكونا من ثلاث عشرة قطعة إلى الهند بقيادة بدرو ألفارز كابرال، عليها ألف وخمس مائة جندى،عدا البحارة، ومهرة العمال وسبعة عشرة قسيسا، وكان على كابرال أن يبدأ بالدعوة إلى المسيحية، فإن لم تأت الدعوة بالنتيجة المنشودة، (فليحتكم إلى السيف) (المصدر السابق).

وفى سنة ١٥٠٦م أرسل الملك عمانويل (ألفونسو ألبوكيرك) إلى الشرق، ولما استولى على ملقا فى جنوب شرقى آسية (لنهب خيراتها)، علم الملك عمانويل نبأ هذا الاستيلاء، فأرسل من فوره رسولا إلى البابا، ليفضى إليه بالنبأ السعيد، بأن ملقا أصبحت ملكا للبرتغال، وأقام البابا ليو العاشر(١٥١٣-١٥٢١م) بمناسبة (هذا الانتصار العظيم)- انتصار ملك مسيحى على (الكفار) والوثنيين- قداسا خاصا للشكر، وأمر بتسيير موكب رسمى اشترك فيه بنفسه (المصدر السابق).

هذا ما فعلته البرتغال- إحدى الدول الأوربية المسيحية- تحت كنف البابا ورعايته. وهو يماثل ما فعلته إسبانية وهولندا وإنجلترا وألمانية.. فى مستعمراتها.

فإسبانيا فرضت نظام الحصر المطلق فى التجارة مع مستعمراتها، خصوصا عندما بدأ استغلال مناجم الذهب فى جزر الأنتيل والمكسيك، ومناجم (بوتوزى) فى (بيرو) وهى أشبه ما تكون بجبل من الفضة، ومن هنا تدفقت الثروة على إسبانية، التى امتصت خيرات المستعمرات بشكل جنونى ووحشى عنيف، أدى إلى إبادة كاملة لحضارات ساحقة مثل: الأنكا، والمايا، والآزتيك، ورافق ذلك كله، تبشير بالمسيحية، فما حدث من سلب لخيرات الشعوب، وإبادة للسكان ، تحت رعاية الكنيسة وأمام ناظريها.

لقد كان الاستعمار البرتغالى والإسبانى مصحوبا بالإرهاق والشدة والقسوة والوحشية، لأن المستعمرين كانوا يطلبون ممن بقى حيا من السكان المستعمرين فوق طاقتهم الجسدية والمادية، حتى أضناهم العمل، وفتكت بهم الأمراض والأوبئة.

وهولندا تدفقت عليها الثروات، وجنت الأرباح الطائلة من مستعمراتها.
وهذا ما فعلته فرنسا وإنجلترا وإيطاليا وألمانيا، فى مستعمراتها:
- ابتزاز لخيرات الشعوب، وخصوصا المواد الأولية، مع إقامة صرح الصناعة فى أوربا وأمريكا بفضل خيرات المستعمرات ومنتجاتها.

الاستعمار البريطانى ينهب الهند

ومثال أخير (للغنيمة هى الهدف) عند المستعمرين الصليبيين:
بدأ الاحتلال الإنجليزى للهند سنة ١٨٠٥م، بأعمال شركة الهند الشرقية البريطانية التى كان هدفها جنى الأرباح، واكتساب الأموال، مع التبشير بالمسيحية، وفى سنة ١٨٥٨م أخمدت بريطانية ثورة، وألغت شركة الهند الشرقية، وجعلت الهند تابعة مباشرة للتاج البريطانى، ونودى بعد ذلك بالملكة فكتوريا إمبراطورة الهند.
قال غاندى: (إعلموا أن الإنجليز يبتغون نيل القناطير المقنطرة من مال بلادنا، والتلذذ بثمراتنا، والانتفاع بقوة رجالنا وأولادنا، كل ذلك فى سبيل جشعهم الإمبراطورى، وهمتهم الاستعمارية) (حاضر العالم الإسلامى، لوثروب ستودارد، ٤/٢٠١).

وقال الكاتب الهندى (براماثانات بوز): (إن الاستتراف يسوق الهند إلى درك الخراب سوقا) (المصدر السابق، ٤/٢٢٤).

ونتيجة لهذه السياسة البريطانية الاستعمارية، اجتاحت المجاعات المتعددة الهند، وهى فوق كل تصور بشرى من حيث الخسائر، لقد استأثر المستعمرون بالأرباح والمكاسب، واستتراف منابع الثروة الوطنية ببضاعاتهم وأدواتهم، وتركهم السواد الأعظم من الهنود

عالة عليهم، بحيث إذا احتبس المطر قليلا، أو هبت على الزروع لافحة سموم، فقل المحصول، وارتفعت أسعار الغذاء، لم يبق أمام هؤلاء الأهالى سوى الموت جوعا، أو بالأمراض التى سببها سوء الغذاء، لأن الذى يأخذونه بدل عملهم، لا يعود كافيا لشراء قوتهم الضرورى، ولا نجد إنجليزيا واحدا مسه الجوع، أو مات سغبا (تحرير لا استعمار، ص٨٥).

وفى الهند – مثل كل البقاع التى استعمرت فى هذا العالم– رافق التبشير الاستعمار منذ ساعاته الأولى.

لقد ألف المبشرون الرسائل والكتب فى الهجوم على الإسلام ونبيه وأهله، ووزعت فى الأمصار بين العوام، وشرعوا فى الوعظ فى الأسواق، ومجامع الناس.. عندها توجه بعض المسلمين إلى الشيخ (رحمة الله خليل الرحمن الهندى)– توفى ١٣٠٨هـ، ١٨٩١م– الذى اطلع على تقريراتهم وتحريراتهم، ووصلته رسائلهم، يطلبون منه التصدى للمبشرين وافتراءاتهم، فاستدعى الشيخ رحمة الله القسيس (فاندر)، مؤلف كتاب: (ميزان الحق)، الذى هاجم فيه الإسلام وأهله، لمناظرة فى مجلس عام، وفعلا جرت المناظرة فى رجب ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م، فظهرت الغلبة– بفضل الله– للشيخ رحمة الله، فأمرت الكنيسة التبشيرية بإنهاء المناظرة، وترك الموضوعات المقررة المتبقية، ونقلت (فاندر) إلى الأستانة فورا، وفى الأستانة راح (فاندر) يحدث الناس عن انتصاراته فى الهند، فى مناظرته مع الشيخ رحمة الله، وكيف فاز عليه وأفحمه، فاستدعى السلطان العثمانى الشيخ رحمة الله– وقد كان بمكة فى ضيافة الشيخ أحمد زينى دحلان– وعندما علم (فاندر) بوصول الشيخ رحمة الله إلى الأستانة، غادرها لساعته.

وكتب الشيخ رحمة الله كتابه القيم والرائع: (إظهار الحق)، والذى هو نص مناظرته مع قسس التبشير فى الهند، وخصوصا القس (فاندر).

الصليبية سرقة والإسلام رحمة

وبعد.. الاستعمار الأوربى ابتزاز لخيرات الشعوب، وخصوصا المواد الأولية، ونهب لثرواتها، واستغلال جشع لطاقاتها، مع نشر الجهل والفقر والمرض، مع تبشير سمج كاذب مدع..

والفتح الإسلامى خلص الشعوب من الضرائب الباهظة، حتى قال (دريبر): (إن المسلمين ما كانوا يتقاضون من مقهوريهم إلا شيئا ضئيلا من المال، لا يقارن بما كانت تتقاضاه منهم حكوماتهم الوطنية) (روح الدين الإسلامى، ص٣٩٢).

وقالت (لورافيشيا فاجليرى): (ادفعوا جزية يسيرة تسبغ عليكم حماية كاملة) (دفاع عن الإسلام، ص٥٢).

وقال (جوستاف لوبون) :(جزية زهيدة تقل عما كانت تدفعه إلى ساداتها السابقين من ضرائب) (حضارة العرب، ص١٣٤).

لقد عم الرفاه البلاد التى حررها المسلمون، مع نهضة علمية فى كل مجال، حتى قال المؤرخ الإسبانى (سانسيت أولبورنوت): (إن الفتح العربى الإسلامى لإسبانية جلب إليها كل خير)، فهل جلب الاستعمار الأوربى الخير للبلاد التى فتحت؟!.. إنه الإسقاط؟!!

ثالثاً: مجتمع طبقي

أخذ أعداء الإسلام آيتين من القرآن الكريم، وزعموا أن الإسلام يعترف بنظام الطبقات.

الأولى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ (النحل: ٧١).

الثانية: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِياً﴾

(الزخرف: ٣٢).

وقبل أن نوضح المعنى المراد من هاتين الآيتين الكريمتين، نقول: عرفت أوربا- العصور الوسطى- نظام الطبقات فى مجتمعها، لقد انقسم المجتمع الأوربى إلى الطبقات التالية:

١- طبقة النبلاء: أطلق السادة الإقطاعيون الإقليميون الذين استمدوا ألقابهم من الأرض التى امتلكوها، على أنفسهم اسم (نبلاء السيف)، وضمت هذه الطبقة شرائح متحاسدة، أعلاها شريحة ذرية الملك الذى يتربع على سدة الحكم وأولاد إخوته وأخواته، ويلى هؤلاء فى المنزلة، شريحة تضم الأمراء من أبناء الملوك السابقين، ثم يأتى بعد ذلك (الأدواق)، ثم الحاصلون على لقب (مركيز)، ثم لقب (كونت)، ثم لقب (فيكونت)، ولقب (بارون)، و(شيفالييه)، أى: نبيل من الدرجة الدنيا، وكانت ثمة امتيازات رسمية تميز هذه السلسلة من المراتب بعضها على بعض.

٢- رجال الدين: كانت طبقة رجال الدين (الإكليروس) الأعلى مرتبة، ويشكل أفرادها من الوجهة العملية فرعا من النبلاء، وكانت لهم (العشور)، أى عشر إنتاج كل مالك أرض وماشية، بالإضافة إلى الهبات والوصايا، ودخل العقارات الثابتة. لقد كانت الكنيسة فى المقام التالى بعد الملك وحاشيته مباشرة، وكانت الأقوى والأغنى، وعلى الرغم من ذلك لا تدفع أية ضريبة عن شئ من ممتلكاتها أو دخلها.

٣- العامة (سواد الشعب): وتضم هذه الطبقة الشرائح التالية:

الفلاحون: الذين خضعوا للرسوم الإقطاعية، والعشور الكنسية، وهم (أقنان الأرض)، لم يكونوا يستطيعون أن يهجروا أرضهم، أو يبيعوها، أو ينقلوها، أو يغيروا محال إقامتهم دون موافقة سيدهم.

(وكان على الفلاح بعد دفع الرسوم الإقطاعية وعشور الكنيسة، أن يجد مالا، أو يبيع شيئا من نتاجه، أو ممتلكاته، ليواجه الضرائب التى تفرضها الدولة، ودفع الفلاح وحده ضريبة الأراضى، وبالإضافة إلى ذلك دفع ضريبة الملح، و٥% من الدخل ضريبة الرأس عن كل فرد فى البيت، وبهذا كان يدفع فى الجملة ثلث دخله للمالك والكنيسة والدولة، وكان من سلطة جباة الضرائب أن يدخلوا أو يقتحموا كوخه ليفتشوا عن المدخرات

المخبأة، ويستولوا على الأثاث، تسديدا لمبلغ الضريبة المفروضة على الأسرة، وكما كان الفلاح ملزما بالعمل ودفع الرسوم لسيده، كان ملزما بأن يعمل للدولة دون أجر من ١٢ إلى ١٥ يوما فى السنة فى إقامة الجسور وبناء الطرق وإصلاحها (أعمال السخرة)، وكان يعاقب بالسجن إذا قاوم أو توانى) (قصة الحضارة، ول ديورانت، ٢٠/٣٦).

وكان (خدم المنازل) أدنى مكانة من الفلاحين فى السلم الاجتماعى، وكانوا فقراء إلى حد لم يهيئ إلا القليل منهم أن يتزوجوا.

وكانت (الطبقة العمالية) فى المدن أعلى قليلا من شريحة الفلاحين، وكانت تشكل الحرفيين فى الحوانيت والمصانع وحمالى البضائع ومتعهدى الخدمات وعمال البناء أو الترميم، وكان معظم الصناعة لا يزال منزليا أو محليا، يقوم فى أكواخ ريفية، أو فى الدور فى المدن الصغيرة، وكان التجار يقدمون المواد الخام، ويحملون الإنتاج، ويستولون على كل الربح تقريبا.

وكان عامل المياومة يبدأ عمله فى الرابعة صباحا، وينتهى منه فى الثامنة مساء.

وفيما بين الشريحتين (الفلاحون الدنيا، والعمال العليا، فى هذه الطبقة)، قامت الشريحة الوسطى، تضمر لها أولاهما البغض والكراهية، وتزدريها الثانية، وكانت تضم الأطباء، والأساتذة، ورجال الإدارة، وأصحاب المصانع والتجار، ورجال المال، وهذه الشريحة الوسطى شقت طريقها إلى الثروة والنفوذ والسلطة فى حذق ومهارة وصبر وجلد.

واغتاظ التجار الذين يوزعون المنتجات من فرض المكوس والرسوم بين المقاطعات، والتى تعوق حركة البضائع، ذلك أنه عند كل نهر أو قناة أو مفترق طرق، كان هناك وكيل عن النبيل، أو رجل الكنيسة مالك الأرض، ليتقاضى رسما على الترخيص بمرور البضائع.

طبقات متمايزة- كانت سببا فى قيام الثورة الفرنسية فى ١٤ يولية ١٧٨٩م- محددة المعالم، يختلف بعضها عن بعض، بحيث لا يخطئ الإنسان معرفتها بمجرد النظر، فرجال الدين

(الإكليروس) لهم ثيابهم التى تميزهم عن الطبقات الأخرى.

وكانت الطبقة العليا التى تمتلك المال، تملك السلطان، وبالتالى تملك وسائل التشريع، فتأتى تشريعاتها لحماية نفسها، ولإبقاء (العامة) خاضعة لسلطانها، محرومة من كثير من الحقوق، مرهقة بالضرائب..

هذا واقع أوربا- القرون الوسطى- تحت كنف الكنيسة، أما الإسلام:

لا طبقية فى الإسلام

فالشرف لا يورث، والثروة تتوزع بالوراثة بين جميع الأبناء، على رأس كل جيل، والتشريع- فى الإسلام- ليس ملكا لطبقة بعينها، لأن الشريعة سماوية، مترلة لسعادة الجميع، ولا محاباة فيها لأحد، ولا ظلم لأحد، وليس فى وسع أحد أن يصنع لنفسه قانونا يحمى به مصالحه على حساب شخص آخر.

ومعنى الآية المذكورة، (النحل: ٧١) يثبت الأمر الواقع فى أنحاء كرتنا الأرضية، وهو: إن الناس متفاوتون فى المراتب والأرزاق، والتفضيل بالرزق يسبقه السعى والكد منذ الطفولة، فرفعة الدرجات ليست خطأ أو مصادفة، كما توضح ذلك الآيات التالية:

(١) ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١).

(٢) ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٣٢).

(٣) ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الأحقاف: ١٩).

أما كلمة (سخريا) فى الآية ٣٢ (الزخرف)، فليس معناها الاستهزاء والدونية والاحتقار، وليس المقصود بالتسخير استعلاء طبقة على طبقة، أو استعلاء فرد على فرد، بل إن البشر مسخر بعضهم لبعض، ودولاب الحياة يدور بالجميع، ويسخر بعضهم لبعض فى كل وضع، وفى كل ظرف..

- فالعامل مسخر للمهندس، ومسخر لصاحب العمل.

– والمهندس مسخر للعامل ولصاحب العمل.
– وصاحب العمل مسخر للمهندس وللعامل على السواء.

فمعنى قوله تعالى: ﴿ليتخذ بعضهم بعضا سخريا﴾ أى: ليكون كل منهم مسخرا للآخر، ويخدم بعضهم بعضا، لينتظم أمر الحياة، قال الصاوى فى حاشيته (٤٨/٤): إن القصد من جعل الناس متفاوتين فى الرزق، لينتفع بعضهم ببعض، ولو كانوا سواء فى جميع الأحوال لم يخدم أحد أحدا، فيفضى إلى خراب العالم وفساد نظامه.

وقال أبو حيان: وقوله تعالى: ﴿سخريا﴾ بضم السين من التسخير بمعنى الاستخدام، لا من السخرية بمعنى الهزء، والحكمة هى أن يرتفق بعضهم ببعض، ويصلوا إلى منافعهم، ولو تولى كل واحد جميع أشغاله بنفسه ما أطاق ذلك (تفسير البحر المحيط، ١٣/٨).

وكل الخلق مسخرون للخلافة فى الأرض بهذا التفاوت فى المواهب والاستعدادات، والتفاوت فى الأعمال والأرزاق.

هذا ناموس الحياة، سنة ثابتة من سنن الحياة أن يكون الجميع مسخرين لبعض دون استعلاء واحتقار، وهذا ما عناه الإسلام فى (سخريا) لا أكثر ولا أقل، لقد آخى الإسلام بين حمزة سيد قريش وشريفها، مع زيد المولى، فأين الطبقات؟.

يقول عز وجل فى محكم التنزيل:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ..﴾ (الإسراء: ٧٠)، فالتكريم لكل إنسان لأنه إنسان، ثم كان مقياس التفاضل: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

ويقول ﴿ ﷺ وآله﴾– كما روى مسلم فى صحيحه–: (الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله).

فالمجتمع هو وحدة متماسكة، لا طبقات متمايزة فيه، يمثلهم فى تساويهم الاجتماعى

والإنسانى صفوفهم فى الصلاة، التى يقفون فيها دون أى تمييز أو تفاضل، ويمثلهم تساويهم فى الحج حتى فى اللباس، حيث لا يعرف الأمير من الأجير، أو الرئيس من المرؤوس، أو الغنى من الفقير، أو الضابط من الجندى العادى.

اضرب ابن الأكرمين

ويكفينا أن نذكر هنا من أحداث التاريخ، حادثة ابن عمرو بن العاص، والقبطى، قال أنس: كنا عند عمر بن الخطاب إذ جاء رجل من أهل مصر، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا مقام العائذ بك!.

قال عمر: ومالك؟.

قال: أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل، فأقبلت فرسى، فلما رآها الناس قام محمد بن عمرو فقال: فرسى ورب الكعبة.

فلما دنا منى عرفته، فقلت: فرسى ورب الكعبة، فقام إلىّ يضربنى بالسوط، ويقول: خذها وأنا ابن الأكرمين، وبلغ ذلك عمراً أباه فخشى أن آتيك، فحبسنى فى السجن، فانفلت منه، وهذا حين أتيتك.

فوالله ما زاد عمر على أن قال له: اجلس، ثم كتب إلى عمرو: إذا جاءك كتابى هذا فأقبل ، وأقبل معك بابنك محمد، وقال للمصرى: أقم حتى يأتيك.

فدعا عمرو ابنه: فقال: أأحدثت حدثا؟ أجنيت جناية؟.

قال: لا، قال عمرو: فما بال عمر يكتب فيك؟.

فقدم على عمر، قال أنس: فوالله إنا عند عمر، حتى إذا نحن بعمرو وقد أقبل فى إزار ورداء، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه، فإذا هو خلف أبيه، فقال: أين المصرى؟. قال: ها أنا ذا.

قال: دونك الدرة، فاضرب بها ابن الأكرمين، فضربه حتى أثخنه، ونحن نشتهى أن يضربه، فلم يترع حتى أحببنا أن يترع من كثرة ما ضربه، وعمر يقول: اضرب ابن الأكرمين، ثم قال: أَجِلْها على صلعة عمرو، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه.

قال: يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت، يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربنى.

قال عمر: أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذى تدعه، أيا عمرو! متى استعبدتم الناس وقد ولدهم أمهاتهم أحرارا؟.

فجعل يعتذر ويقول: إنى لم أشعر بهذا.

ثم التفت عمر إلى المصرى فقال: انصرف راشدا، فإن رابك ريب فاكتب لى (ابن الجوزى: ٨٦، مع زيادات من العقد الفريد لابن عبد ربه: ٥٩).

وهكذا.. رفض الإسلام متمثلا بعمر بن الخطاب رضي الله عنه فكرة ابن الأكرمين، وسوى بين ابن فاتح مصر، وأحد عامة الناس.. فأين الطبقات؟.

إنه الإسقاط أولا وأخيراً.

رابعاً: متعصبون

ومما أسقطه الغربيون– برعاية الكنيسة– على المسلمين، قولهم:

(١) (يتحتم على المسلم أن يعلن العداوة على غير المسلمين حيث وجدهم، لأن محاربة غير المسلمين واجب دينى) (تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ص: ٧٨).

(٢) (فى القرن السابع للميلاد برز فى الشرق عدو جديد، ذلك هو الإسلام الذى أسس على القوة، وقام على أشد أنواع التعصب، لقد وضع محمد السيف فى أيدى الذين اتبعوه، وتساهل فى أقدس قوانين الأخلاق، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب، ووعد الذين

يهلكون فى القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات (البحث عن الدين الحقيقى، المنسيور كولى، ص: ٢٢٠).

(٣) [إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة، وقالوا للناس: (أسلموا أو موتوا)، بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم وإحسانهم] (تاريخ فرنسا، هـ. غيومان، ف لوستير، ص: ٨٠-٨٢).

(٤) (إن الإسلام يبث فى المسلمين روح البغض للأغيار والشقاق وحب الانتقام..) (مصر الحديثة، كرومر، أنظر: الإسلام روح المدنية، ص: ١٣).

أنظر كيف يصل التعصب بأصحابه إلى قلب المفاهيم وعكس الحقائق؟.

* * *

ونركز على كلمة (تعصب) بكل ما تحمل من معان، لأنه يستحيل أن يكون من نعنيهم من أعداء الإسلام يجهلون أبسط الحقائق والمعارف عن الإسلام، وهؤلاء قبل غيرهم يعرفون ويعلمون علم اليقين أن كتاب المسلمين (القرآن الكريم) مصدر شريعتهم الأول، فرض بآيات صريحة يفهمها أبسط الناس، بما لا يقبل أى التباس على المسلمين أن يحسنوا معاملة غير المسلمين أحسن معاملة، وخصوصاً منهم (النصارى)، حيث ورد بحقهم:

(١) ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِنـدِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٩).

(٢) ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (البقرة: ٨٣).

(٣) ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥).

(٤) ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون: ٩٦)

(٥) ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت:

٤٦).

(٦) ﴿وَلاَ تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤).

(٧) ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الممتحنة: ٩،٨).

إن روح الصليبية المقيتة العمياء لا تزال تسيطر على عقول معظم أعداء الإسلام وتطمس قلوبهم، فينفثوا سموم أحقادهم هجمات واتهامات وإسقاطات.

يقول المبشر (رايد) حرفيا: (إننى أحاول أن أنقل المسلمين من محمد إلى المسيح، ومع ذلك يظن المسلم أن لى فى ذلك غاية خاصة، أنا لا أحب المسلم لذاته، ولا لأنه أخ لى فى الإنسانية، ولولا أنى أريد ربحه إلى صفوف النصارى لما كنت تعرضت له لأساعده) (التبشير والاستعمار، د. خالد ود. فروخ، ص١٩٢).

الإسلام يقبل الآخر:

فبينما يقبل المسلمون بينهم وجود أديان مغايرة لدينهم، ويرفضون إكراه أحد على ترك ملته: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، ويرضون أن يتألف المجتمع من المسلمين وغير المسلمين، ويشرعون نظما عادلة لتطبق عليهم وعلى من فى ذمتهم من النصارى أو اليهود، بينما يفعلون ذلك، نرى النصرانية تتبرم من الديانات الأخرى، وترسم سياستها الظاهرة والباطنة لإبادة خصومها أو تحقيرهم وحرمانهم، حتى ترغمهم على ترك دينهم، وتجبرهم على النصرانية جبرا (التعصب والتسامح، محمد الغزالى، ص٥٦).

وفى التوراة: (ويقف الأجانب ويرعون غنمكم ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم، أما أنتم فتدعون كهنة الرب تسمون خدام إلهنا، تأكلون ثروة الأمم وعلى

مجدهم تتأمرون) (أشعياء: ٦١/٦،٥).

الإسلام مد يده لمصافحة أتباع الأديان الأخرى لتحقيق التعاون على إقامة العدل، ونشر الأمن، وصيانة الدماء أن تسفك، وحماية الحرمات أن تنتهك.

والإسلام لم يقم على اضطهاد مخالفيه، أو مصادرة حقوقهم، أو تحويلهم بالإكراه عن عقائدهم، أو المساس الجائر لأموالهم وأعراضهم ودمائهم.

ولن ينسى التاريخ أن الإسلام ربط ضمير المؤمن بمثل أعلى، فالعدل قوام التعامل مع كل الناس، فلا تفاوت بسبب قرابة، أو مودة أو عداء.. ولا اعتداء على الأنفس أو الأموال أو الأعراض، لذلك: تحول البدو النصارى ببلاد الشام إلى الإسلام بالتسامح، وإن العرب النصارى الذين يعيشون فى وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح. وهذا ينطبق على الشمال الإفريقى والأندلس وفارس وما وراء النهر.

ويعيش فى البلاد الإسلامية على مر تاريخها نصارى ويهود، ويعيش مسلمون فى بلاد غير إسلامية، فكيف كانت معاملة هؤلاء؟ وكيف كانت معاملة أولئك؟ فإذا طفنا فى العالم الإسلامى، فهل نسمع شكاية نصرانى أو يهودى ضد المسلمين؟.

أما المسلمون الذين يعيشون تحت كنف حكومات غير إسلامية، فيا للهول، إن ضروب القسوة والوحشية، التى ارتكبت فى فلسطين من قبل الصليبيين، جعلت (غليوم الصورى) يقول: لو أراد كاتب أن يصف رذائلهم الوحشية، لخرج من طور المؤرخ ليدخل فى طور القادح الهاجى.

ولقد سفكت دماء المسلمين فى إسبانية، عندما أصدر الملكان الكاثوليكيان (فرديناند وإيزابيلا) أمرا خلاصته: لما كان الله قد اختارهما لتطهير مملكة غرناطة من الكفرة، فإنه يحظر

وجود المسلمين فيها، ويعاقب المخالفون بالموت، أو مصادرة الأموال.

وفى الفليبين، وتايلاند، وبورما، والحبشة، وغينيا، وزنجبار، وبلغاريا، وفرنسا، وإنجلترا، وأمريكا.. ما واقع المسلمين؟ إن المسلمين يلاقون من المجتمعات غير الإسلامية ألوانا من الاضطهاد، والمضايقة، وحماية ورعاية لكل هجمة أو افتراء على دينهم ونبيهم وتاريخهم..

ولن ينسى التاريخ لمحمد الفاتح (فاتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م) أنه حمى الكنيسة الإغريقية، وحرم اضطهاد النصارى تحريما قاطعا، وأعطى للبطريرك والأساقفة من الحصانات ونفوذ الكلمة ما يعد بحق صورة نابضة من صور تسامح الإسلام مع أهل الكتاب، وكذلك عومل الأساقفة نفس المعاملة الحسنة فى كل الولايات التى تخضع للدولة العثمانية.

(ومن أولى الخطوات التى اتخذها محمد الثانى (محمد الفاتح) بعد سقوط القسطنطينية، وإعادة إقرار النظام فيها، أن يضمن ولاء النصارى، بأن أعلن نفسه حامى الكنيسة الإغريقية، فحرم اضطهاد المسيحيين تحريما قاطعا، ومنح البطريق الجديد مرسوما يضمن له ولأتباعه ولمرؤوسيه من الأساقفة حق التمتع بالامتيازات القديمة، والموارد والهبات التى كانوا يتمتعون بها فى العهد السابق، وقد تسلم جناديوس، أول بطريق بعد الفتح العثمانى من يد السلطان نفسه عصا الأسقفية التى كانت رمز هذا المنصب، ومعها كيس يحتوى على ألف دوكة ذهبية) (الدعوة إلى الإسلام، السير توماس أرنولد، ص٧٠، ٧١).

وليس أدل على تسامح المسلمين مع النصارى من كلمات (ريتشارد ستبر) وهو تاجر إنجليزى كان فى آسيا الصغرى (تركية) سنة ١٨٧٥م، حيث قارن بين المسلمين الأتراك، وبين النصارى فى معاملة المسيحيين أنفسهم، فقال: (وعلى الرغم من أن الأتراك بوجه عام شعب من أشرس الشعوب بسيرهم فى أعمال الظلام.. سمحوا للمسيحيين جميعا، للإغريق منهم واللاتين أن يعيشوا محافظين على دينهم، وأن يصرفوا ضمائرهم كيف شاؤوا، بأن

منحوهم كنائسهم لأداء شعائرهم المقدسة فى القسطنطينية، وفى أماكن أخرى كثيرة جداً، على حين أستطيع أن أؤكد بحق، بدليل اثنى عشر عاما قضيتها فى إسبانية، أننا لا نرغم على مشاهدة حفلاهم البابوية فحسب، بل إننا فى خطر على حياتنا وسلعنا) (المصدر السابق، ص١٨٣).

هذا.. ولم تعرف المسيحية التسامح حتى بين أتباعها إن اختلف المذهب، ولن نتحدث مطولا عن الحروب التى نشبت فى أوربا إبان الإصلاح الدينى، ونكتفى بمثال واحد فقط:

مذبحة سان بارتلمى:

ملحمة (سان بارتلمى) مذبحة أمر بها سنة **١٥٧٢** شارل التاسع وكاترينا دوميديسيس، حينما قتلت كاترينا خمسة من زعماء البروتستانت فى باريس، ظنت أهم يأتمرون بها وبالملك، ولم يكد ينتشر الخبر فى باريس حتى شاع أنه شرع فى قتل الخوارج (البروتستانت)، فانقض أشراف الكاثوليك والحرس الملكى والنبالة والجمهور على البروتستانت، وقتلوا منهم ألفى نسمة، وقد قلد سكان الولايات الفرنسية بعامل العدوى أهل باريس، فسفكوا دماء ستة إلى ثمانية آلاف نسمة.

ولم تنل حادثة السان بارتلمى أيام وقوعها شيئا من الانتقاد فى أوروبا الكاثوليكية، وقد أوجبت حماسا يفوق الوصف، فكاد فيليب الثانى يصبح مجنونا لشدة فرحه يوم بلغه وقوعها، وانهالت التهانى على ملك فرنسا انهيالها عليه لو نال نصرا عظيما فى ساحة الوغى.

وما بدا السرور على أحد كما بدا على البابا غريغوار الثالث عشر، فقد أمر بضرب أوسمة خاصة تخليدا لذكراها، رسمت على هذه الأوسمة صورة غريغوار الثالث عشر، وبجانبه ملك يضرب بالسيف أعناق الخوارج، ثم هذه العبارة:
(قُتل الخوارج)، كما أمر بإيقاد نيران الفرح، وبضرب المدافع، وبتكليف الرسام

فازارى أن يصور على جدران الفاتيكان مناظرها.

ومما يؤسف له أن رجال التبشير من النصارى يتغافلون عن سماحة الإسلام وأهله، ويكرسون مليارات الدولارات، وكل أوقاقم، وكل نشاطهم لمحاربة الإسلام وتشويه سمعته، وسمعة رسوله الكريم، وهو الذى أمر المسلمين بحسن معاملة كل إنسان، احتراماً لإنسانيته، أما وقف ﴿ﷺ وآله﴾- كما أورد البخارى- لجنازة، احتراما وتلطفا، فقيل له: إنها جنازة رجل من أهل الكتاب، فقال ﴿ﷺ وآله﴾ معلما: (أو ليس إنسانا؟).

المنصفون من كتاب الغرب:

وعلى الرغم من ذلك، يقول المستشرق الفرنسى (كارادى فو): (ظل محمد زمنا طويلا معروفا فى الغرب معرفة سيئة، فلا تكاد توجد خرافة، ولا فظاظة إلا نسبوها إليه) (مناهج المستشرقين: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومكتب التربية العربى لدول الخليج، ١٩٨٥، ١/ ٢٢، عن كتاب المحمدية، ص: ٢٠ ط: باريس ١٨٩٧م).

وقال (ليون روش) فى كتابه: (ثلاثون عاما فى الإسلام): (اعتنقت دين الإسلام زمنا طويلا لأدخل عند الأمير عبد القادر (الجزائرى) دسيسة من قبل فرنسا، وقد نجحت فى الحيلة، فوثق بى الأمير وثوقا تاما، واتخذنى سكرتيرا، فوجدت هذا الدين الذى يعيبه الكثيرون أفضل دين عرفته، فهو دين إنسانى طبيعى أدبى، ولم أذكر شيئا من قوانيننا الوضعية إلا وجدته مشروعا فيه، بل إننى عدت إلى الشريعة التى يسميها جول سيمون الشريعة الطبيعية كأنها أخذت عن الشريعة الإسلامية أخذا، ثم بحثت عن تأثير هذا الدين فى نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالا وكرما، بل وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلم به الفلاسفة من نفوس الخير والرحمة والمعروف فى عالم لا يعرف الشر واللغو والكذب، فالمسلم بسيط لا يظن بأحد سوءا، ثم هو لا يستحل محرما فى طلب الرزق..).

هذه شهادة سياسى فرنسى أقام فى بلاد المسلمين ثلاثين سنة، تعلم فى أثنائها اللغة العربية وفنونها، وقرأ العلوم الإسلامية، وعاشر المسلمين فى الجزائر وتونس واسطنبول ومصر والحجاز، ولا شك أنه قد اختبر بهذه المدة الطويلة أحوال المسلمين من سائر الشرائح، فهو إذا كتب يكتب عن رؤية وحكمة ومعرفة، لا كما كتب بروكلمان والمنسيور كولى وكرومر.. من الأوهام والكذب والخلط، لأن روح التعصب كانت ترفرف عندما كتبوا ما كتبوا.

من عرف الحق عز عليه أن يراه مهضوما، فكيف بمن رأى الباطل يسقط افتراءاته على الحق ظلما وحقدا وتعصبا، والباطل على علم ويقين بأنه يفترى ويكذب، ويصم الآخرين بما فيه؟.

خامساً: يظلمون الأقليات غير المسلمة

يقول اللورد كرومر فى كتابه (مصر الحديثة): (إن الإسلام يبث روح التعصب فى أهله، ويجعلهم ينفرون ممن لا يدين معهم به، وإن القرآن يغرس فى عقول متبعيه بغض الأغيار، وحب الانتقام) (الإسلام روح المدنية، مصطفى الغلايينى، ص: ٩١).

وكلما ذكر الإسلام (شريعة للمجتمع)، قيل: وما مصير الأقليات؟!.

وللرد على هذه المقولة نقول: لقد عاشت الأقليات الدينية والعرقية فى المجتمع الإسلامى على امتداد عهوده، أفضل بكثير مما عاشت الأقليات فى المجتمعات الأخرى، وليس الأمر بغريب، لأن الإسلام– عقيدة ومنهجا– يأمر أتباعه بالتسامح، والصفح، والإحسان.. ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة:٨).

وأوصى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بهذه الأقليات الدينية– أى بأهـــل الذمـــة– خـــيراً، والباحث فى أحوال النصارى فى العهد الراشدى والأموى والعباسى، وفى أحوال اليهود فى الأندلس، وفى غيرها من أقاليم العالم الإسلامى، يجد أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا، بدليل، وصول كثير من أفراد هذه الأقليات إلى مراكز مرموقة فى الدولة الإسلامية، وإن وجـــد فى فترة تاريخية اضطهاد، فهو اضطهاد ناشئ عن فساد الحكم والحكام، وهو اضـــطهاد عـــم المجتمع مسلمه وغير مسلمه.

قال البطريق النسطورى (يشوع باف الثالث)، فى رسالة بعثها إلى المطران سمعان رئيس أساقفة فارس (إن العرب الذين منحهم الله سلطان الدنيا، يشاهدون ما أنتم عليـــه وهـــم بينكم كما تعلمون ذلك حق العلم، ومع ذلك فهم لا يحاربون العقيدة المسيحية، بل علـــى العكس، يعطفون على ديننا، ويكرمون قسسنا وقديسى الرب، ويجودون بالفضـــل علـــى الكنائس والأديار) (الدعوة إلى الإسلام، أرنولد، ص:١٠٢).

لقد كان للأقليات فى ظل (الحكم الإسلامى) من الحقوق المدنية ما يكفل لهـــا العـــيش الكريم، فمن واجبات الحاكم المسلم والدولة المسلمة، المحافظة على أعراض هذه الأقليـــات غير المسلمة وأموالها وحرياتها الشخصية، وكل ما تقوم به أو عليه الحياة الإنسانية الجديرة بالإنسان، (فالإسلام ينظر إلى غير المسلمين فى الدولة المسلمة، علـــى أنهـــم مواطنـــون لا أقليات، لهم من الحقوق، وعليهم من الواجبات ما تستوجبه المواطنـــة فى ظـــل النظـــام الإسلامى) (الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام، ص: ٧٧).

وأكثر من ذلك: (لقد وضع الإسلام حداً للاضطهاد الدينى بين المسيحيين فى إســـبانية، فكفل لهم حرية العقيدة، فصار المسيحى يفصح عن رأيه فى شؤون دينه، غير ملـــقٍ بـــالاً للكنيسة أو لرجال الدين الذين لم يستطيعوا فى ظل الحكم الإسلامى تطبيـــق مـــا كـــانوا يطبقونه قبل الفتح على مخالفيهم من أذى واضطهاد وسجن وتشريد وعقاب يصل إلى حد القتل، وكل الذى استطاعوا فعله هو المجادلة والحوار، وهو موقف الإســـلام فى المســـائل

الخلافية حيث لا مكان للانتقام، ولا سبيل إلى الأذى، ولكن جدال بالتى هى أحسن فى سياج من أدب المحاجة، ونطاق من سماحة القول، وكانت الدولة الإسلامية الأندلسية حين تحمى حرية الاعتقاد بين أصحاب المذاهب والآراء المسيحية المتخالفة، لا تنصر فريقا على فريق، وإنما تقف من هؤلاء وأولئك موقف الحياد الكامل) (مناهج المستشرقين: ٢/٣٠٢).

[لقد ظل نصارى الأندلس آمنين على شعائرهم وعقائدهم، طالما كانوا يعيشون فى ظل الحكم الإسلامى، فلما انحسر الحكم الإسلامى عن بعض البلاد، ووقعوا تحت حكم الملوك النصارى، عادت إليهم متاعبهم، ولقوا من الاضطهاد ما لقوا، ونشب صراع كبير اشترك فيه أنصار الشعائر المستعربية (يعنى النصارى الذين عاشوا تحت الحكم الإسلامى) وأنصار الشعائر الرومانية، وفى ذلك الصراع سالت دماء، وزهقت أرواح] (المرجع السابق، ص: ٣٠٣).

أما الحقيقة التى لا يستطيع أحد إنكارها، فهى ما عانته- وتعانيه- الأقليات الدينية، بل والمذهبية، فى معظم أنحاء العالم غير الإسلامى، وفى دول أوربا بصورة خاصة، ودراسة لأحوال اليهود فى معظم الدولة الأوربية، مع مقارنة سريعة لأحوالهم فى المجتمع الإسلامى، يتبين الفارق، وتتوضح صورة من الذى يبث بأتباعه روح التعصب، ويجعلهم ينفرون ممن لا يدين بدينهم، ومن الذى يغرس فى عقول متبعيه بغض الأغيار، وحب الانتقام؟!!.

لقد عاملت الدولة الإسلامية الأقليات فيها بروح من التسامح والإنسانية، أما معاملة الأقليات معاملة التعصب والقمع، والعنف والوحشية، فأمر تعرفه دول أوربا حق المعرفة فى وقتنا هذا، وفى غيره من الأوقات، فالأقليات المسلمة التى أجبرت فى كثير من دول آسيا وأفريقيا على ترك دينها، أو تضطهد حتى الموت، نسأل عنها بعثات التبشير النصرانية فى الشرق الأقصى، وفى إفريقيا.

محاكم التفتيش وصمة عار فى جبين النصرانية

(إسقاط)، لأن أوربا تعلم علم اليقين، ما فعلته الكنيسة- والبابا بالذات- من سحق الأقليات، مع إذاقة كثير من رجال العلم المبرزين من النصارى أنفسهم، أشد أنواع المظالم والعسف من أيدى إخوانهم فى الدين بسبب أن أولئك ينتمون إلى طائفة غير طائفتهم، ولقد وعى التاريخ أحداث (محاكم التفتيش) التى شُكلت بمرسوم فى (نوفمبر) سنة ١٤٧٨م، ومازال التاريخ يئن ألما ويغضى خجلا عند ذكر أعمال الكنيسة فى أوربا عموما، والأندلس خصوصا.. إنها همجية نافست فيها همجية القبائل المتوحشة، وطاولت بها ما يفعله الوثنيون الذين يجعلون من أنفسهم قربانا لآلهتهم.

ويروى (ول ديورانت) صورا مؤلمة مروعة لما اقترفته المسيحية فى إسبانية على يد رئيس الأساقفة الإسبانى (أكزيمينيس)، الذى أقنع إيزابيلا وفرديناند بأن ينقضا عهدهما مع المسلمين باعتبار أنهم كفرة، فأصدرا فى سنة ١٤٩٩م مرسوما يخير المسلمين: إما أن يدخلوا المسيحية، أو يغادروا إسبانية، ولم يكتف (أكزيمينيس) بذلك، بل قاد بنفسه حملة همجية لحرق التراث العربى الإسلامى، فذهب إلى غرناطة وطلبرة، وأغلق المساجد، ونصب المحارق العامة التى التهمت معظم الكتب والمخطوطات العربية تماما.

وفى ١٨ (فبراير) ١٥٠٢م صدر مرسوم ملكى يخير المسلمين فى إسبانيا، بين الدخول فى المسيحية ومغادرة البلاد، فاحتج المسلمون بأن أسلافهم سمحوا بالحرية الدينية لجميع العقائد والطوائف فى الأندلس، ولكن هذا الاحتجاج لم يلق استجابة تذكر، بل حرَّم الملكان (فرديناند وإيزابيلا) على الأطفال الذكور دون الرابعة عشرة، والإناث دون الثانية عشرة أن يغادروا إسبانيا مع آبائهم، مما يعنى إرغامهم على دخول النصرانية، كما سمحا للأمراء الإقطاعيين أن يسترقوا ما يشاؤون من المسلمين، وأن يجروهم مكبلين بالأغلال فى الشوارع والطرقات.

ولقد وصف الكاردينال (ريشيه) مرسوم ١٥٠٢م الآنف الذكر بأنه: (أكبر حدث

همجى فى التاريخ) (قصة الحضارة: ول ديورانت، ٦/٩٩).

وجرت أعمال التنصير بالفظاعة ذاتها فى كل المدن الإسبانية، دون الالتفات إلى صراخ المسلمين وشكاويهم وثوراتهم، وعلى الرغم من فظاعة ما حدث، فإن أعمال محاكم التفتيش تجاوزت كل حد، وستظل على مدار التاريخ وصمة عار على جبين المسيحية والمسيحيين، حيث أصدرت أحكاما بالحرق ضد سبع مئة مسلم فى إشبيلية، ومئة وثلاثة عشر آخرين فى (أبله)، وفى مدينة طليطلة مثل أمام المحكمة ألف ومئتا شخص، حكم عليهم بالإعدام فى جلسة واحدة، استغرق انعقادها بضع دقائق، وكان يطلب من المسلم إما التحول إلى النصرانية أو الموت حرقا (رسالة الجهاد، العدد ٧٥، ص٥٠، مارس ١٩٨٩م).

ولما قاوم المسلمون التنصير وأبوه، عُدوا ثواراً متصلين بالمغرب والقاهرة والقسطنطينية، وبدأ القتل فيهم، فثاروا فى غرناطة وريفها (كالبيازين والبشرات)، فمُزقوا بلا رأفة، وفى ٢٠ (يوليو) ١٥٠١م، أصدر الملكان الكاثوليكيان أمراً خلاصته:
(إنه لما كان الله قد اختارهما لتطهير مملكة غرناطة من الكفرة(!) فإنه يُحظَّر وجود المسلمين فيها، ويُعَاقَبُ المخالفون بالموت، أو مصادرة الأموال).

فهاجرت جموع المسلمين إلى المغرب ناجية بدينها، ومن بقى من المسلمين أخفى إسلامه، وأظهر تنصره، فبدأت محاكم التفتيش نشاطها الوحشى المروع، و(الإعدام حرقا) هو الحكم الغالب عند القسس الذين يشهدون مع الملكين الكاثوليكين حفلات الإحراق (محاكم التفتيش ص: ٩١ وما بعدها).

وفى إفريقيا، يذكر (كارل بيتر): (إذا استطاع المبشرون تنصير حاكم فى مقاطعة أو بلد ما، أصروا عليه أن ينشر المسيحية فى بلاده بالقوة، وأن يعاقب بالقتل كل من دان بالإسلام) (الهلال والصليب، خليل خالد أفندى، ص٧٢).

إنها سياسة الكنيسة أينما حلت، أو وصلت.

قال (موريس) فى كتابه (تاريخ الاستعمار: ٢١/١): إذا أبت الأمة المقهورة أن تنتفع بنظام الأمور الذى تمنحهم إياها حكوماقم المتمدينة، أصبح واجبا محتم الأداء على الدول المتمدينة أن تبيدهم إبادة (إنه يجب أن يباد الأهالى، أو أن ينقص من عددهم حتى يصبح حكمهم سهلا، وفى هذه العملية التى تخالف المدنية، يجب أن تريق أمة الدولة الحاكمة كثيرا من دمائها، وتنفق من غالى ذخائرها من أجل خاطر المدنية) (الهلال والصليب، ص: ١٧٧).

وهذا ما فعلته هولندا–مثلا– فى إندونيسيا، لا مع الأقليات المسلمة، بل مع الأغلبية المسلمة، من حرق القرى، وتدمير البلدان، وقتل المئين من النفوس البريئة فى كل حادثة، بعد أن أنزلت السكان المسلمين مترلة العبودية أينما وجدوا (الهلال والصليب، ص: ١٨١).

الأقليات.. سلعة تكال بمكيالين

إذا كان المسلمون ٩٠% والمسيحيون ١٠%– كما فى إندونيسيا مثلا– نودى بحماية الأقليات ورعايتهم، لينعموا فى بحبوحة من الأمن والسلام والرفاهية، وليتمتعوا بفرص الازدهار والتسلط على الأغلبية المسلمة.

أما إذا كان المسيحيون ٩٠% أو ٨٠%، والمسلمون ١٠% أو ٢٠% فلا حقوق للأقليات.

المسلمون فى إرترية أو نيجيريا ٨٠% من مجموع السكان، وإدارة أرضهم ٩٠% من أعضائها نصارى.

وفى الحبشة أكثر من ٥٠% من مجموع السكان مسلمون، لن نتحدث عن أحوالهم أيام هيلا سيلاسى، أو أيام هيلا مريام، فالفقر والبؤس والاستبعاد عن مراكز الحكم معروفة

عالميا.

أما فى جنوبى الفليبين فالأقليات المسلمة معرضة لحرب الإبادة من عصابات (الإيلاجا)– أى الجرذان– التى ترتدى زيا موحداً مرسوما عليه الصليب.

هذا نزر يسير عن معاملة الأقليات غير المسلمة، بينما حفظت مبادئ الإسلام لغير المسلم حقوقه، وعرفته بواجباته التى لا تختلف كثيرا عن واجبات المسلمين، وفى كل الظروف عومل غير المسلم (إنسانا) تُحترم إنسانيته:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

ويقول ﴿ ﷺ وآله﴾: (والخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله).

ومع هذا كله، يتهم الإسلام بظلم الأقليات، ويوصف النصارى بالتسامح والمحبة، فأى ظلم يصيب الإسلام وأهله حين (يسقط) الغربيون الصليبيون على المسلمين ما فيهم من أعمال وصفات؟.

الأقليات موجودة فى المجتمع الإسلامى منذ أيامه الأولى، ودليل تسامح الإسلام، وجودهم فى هذا المجتمع مع معابدهم، أحرارا فى عقائدهم وكتبهم..

ولنسأل التاريخ الأوربى كيف عومل الكاثوليك فى المجتمعات البروتستانتينية؟ وكيف عومل البروتستانت فى المجتمعات الكاثوليكية؟ ويذكرنا التاريخ مجيبا: إنها المذابح المتبادلة بينهما، ويا للعجب.. كيف يقلبون الحقائق، ويلصقون بغيرهم ما لصق بهم.

إن الإسلام هو دين الرحمة والمودة والمساواة وحسن المعاملة للبشر جميعا وخاصة أهل الكتاب منهم، بل ويأمر بالرحمة والشفقة على الحيوان، وكلنا يعرف قصة المرأة التى دخلت النار لأنها عذبت هرة حتى ماتت، وقصة الرجل الذى دخل الجنة لأنه سقى كلبا يأكل

الثرى من شدة العطش، فإذا كان هذا موقف الإسلام مع الحيوان فكيف يكون موقفه بالنسبة للإنسان أيا كانت عقيدته أو دينه؟.

سنة الله فى خلقه:

جعل الله تبارك وتعالى الناس أمما مختلفة، وبالتى فهى تتصارع وتتدافع وتختلف فى الرأى والمعتقد لحكمة أرادها الحق تبارك وتعالى حيث يقول: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (المائدة: ٤٨)، بل إن القرآن ذهب إلى أن اختلاف الناس فى الرأى والمعتقد أمر حتمى، بل وإن من أسباب خلقهم أن يمارسوا ذلك الاختلاف فقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ* إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (المائدة: ١١٨، ١١٩)، ولذلك أكد القرآن على حرية العقيدة لأنها إرادة الله فى خلقه فقال تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩). ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٩٩). ﴿وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ (السجدة: ١٣). ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ* وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ﴾ (الأنعام: ١٠٦، ١٠٧). ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ* لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ (الغاشية: ٢١، ٢٢)، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ* لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ* وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ* وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ *وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون: ١-٦).

تفضيل الإنسان:

كرم الله عز وجل الإنسان لكونه إنسانا وليس من أجل عقيدة فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٠).

وقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤)، بل إن الله تعالى كرم الإنسان وأسجد له ملائكته فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر: ٢٨، ٢٩).

وكرم الله الإنسان بأن سخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السموات وما فى الأَرْضِ﴾ (الحج: ٦٥)، ورفع الله شأن الإنسان بأن جعله خليفة عنه فى عمارة الأرض فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠)، وجعل الإنسان خزانة لعلومه وأسراره فقال تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾(البقرة: ٣١). وجعل الإنسان حاملا للأمانة ففاز بالتقريب والرفعة فى الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ﴾ (الأحزاب: ٧٢)، إن الآيات التى تمجد الإنسان وتعلى مرتبته فوق المخلوقات تتناول الإنسان لذاته لا لاعتقاده من حيث هو تكوين بشرى وقبل أن يصبح مسلما أو نصرانيا أو يهوديا أو بوذيا وقبل أن يصبح أبيض أو أسود أو أصفر.

إذن فهناك طبيعة خاصة يفترضها الإسلام للإنسان، ومن هذه الطبيعة- التى تحددت معالمها فى القرآن الكريم- يستمد الإنسان حقوقه فلا يصح أن يضطهد أو يظلم أو تسلب حريته، أو يفرق بينه وبين أخيه على أساس العرق أو اللون أو أى اعتبار آخر.

الإسلام يؤكد على حقوق الإنسان

١- القرآن الكريم:

وردت فى القرآن الكريم كلمة الناس دلالة على الجنس البشرى ٢٤٠ مرة مما يؤكد على الأخوة الإنسانية، ووردت كلمة الإنسان نحو ٦٥ مرة، وجاءت كلمة البشر فى ٣٦

آية، وكثرة التكرار لترسيخ معنى الإنسانية فى ذهن المسلم، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾ (المائدة: ٣٢). وذلك تصوير لبشاعة هذه الجريمة إذ أنها ليست عدوانا على الفرد فقط أو على المجتمع- كما تنص التشريعات الوضعية- ولكنها شئ أكبر وأفدح، إنها عند الله سبحانه وتعالى عدوان على الناس جميعا وعلى الجنس البشرى بأسره دون تفرقة بين لون وجنس وملة.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾ (النساء: ١). والمعنى المستفاد من هذه الآية أن الخالق واحد والنفس الإنسانية واحدة، ومن هذه النفس خلق الله زوجها، ومن هذه الأسرة جاء الناس رجالا كثيرا ونساء، ثم يأمرهم الله بأن يتقوا أمرين: الله والأرحام، والأرحام هنا دلالة على الصلة الإنسانية التى تربط الناس جميعا بعضهم ببعض، مهما تناءت الديار وتعاقبت العصور واختلفت الألسنة والألوان.

بل إن القرآن يؤكد على حقيقة وحدة النفس البشرية فى بداية الخلق وفى البعث يوم القيامة أيضا فيقول:
﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (لقمان: ٢٨).

٢- السنة الشريفة:

جاء فى سنن أبي داود فى كتاب الجنائز ص ٦٤ عن جابر قال: (كنا مع النبى ﴿ﷺ وآله﴾ إذ مرت بنا جنازة فقام لها، فلما ذهبنا لنحمل إذا هى جنازة يهودى، فقلنا يا رسول الله: إنما هى جنازة يهودى، فقال: إن الموت فزع، فإذا رأيتم جنازة فقوموا)، وفى سنن أبى داود: كان فى دعائه ﴿ﷺ وآله﴾ فى صلاة آخر الليل: (اللهم إنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت وأن العباد كلهم أخوة).

وكذلك جاء فى خطبة الوداع: (يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، وكلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

التزام المسلمين بآية ﴿لا إكراه فى الدين﴾

١- جاءت امرأة نصرانية عجوز إلى سيدنا عمر فى حاجة لها، فقال لها: أسلمى تسلمى، إن الله بعث محمداً بالحق، فقالت: أنا عجوز كبيرة والموت إلى أقرب، فقضى لها حاجتها، ولكنه خاف أن يكون فى طلبه لها إكراه على الدخول فى الإسلام فاستغفر الله مما فعل وقال: اللهم إنى أرشدت ولم أكره.

٢- ثار جدل كبير بين فقهاء المسلمين حول الزوج المسلم فى مناقشة زوجته الكتابية فى مسألة إسلامها، وقد رأى الإمام الشافعى أن لا يحق للرجل أن يفاتح زوجته فى هذا الأمر، ولا يعرض عليها الإسلام لأن فيه تعرضا لهم، وقد ضمنا بعقد الذمة ألا نتعرض لهم.

وفى هذا الرأى نرى رقة وعظمة مشاعر الإسلام، فعندما يتسع بيت الرجل المسلم لزوجة غير مسلمة، ليعيشا معا فى ألفة ومحبة تحت سقف واحد، ويبيح الإسلام هذا الزواج ويباركه، ألا يدهشنا أن يضيق البعض بوطن أو كون يضم غير المسلمين؟.

بل إن بعض الفقهاء يرى أنه لا يجوز للزوج أن يمنع زوجته الكتابية من أداء عباداتها وشعائرها، بل إن بعض المذاهب ترى أنه ينبغى له أن يصحبها حيث تؤدى العبادات فى كنيستها أو بيعتها إذا رغبت فى ذلك.

٣- من يقرأ تاريخ الأربعة عشر قرنا الماضية يخرج بحقيقة هامة وهى أنه ما حكم المسلمون بلدا إلا وأبقوا على ما فيه من ديانات وملل، وذلك لاعتزاز الإسلام بالإنسان

كمخلوق مهما كان اعتقاده ولونه وجنسه.

فعندما كان سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ فى بيت المقدس وجاء وقت الصلاة وهو جالس فى صحن كنيسة القيامة خرج وصلى خارج الكنيسة على الدرجة التى على باها بمفرده، وقال للبطريرك: (لو صليت داخل الكنيسة لأخذها المسلمون من بعدى وقالوا: هنا صلى عمر) ثم كتب كتابا يوصى به المسلمين ألا يصلى أحد منهم على الدرجة إلا واحدا واحداً غير مجتمعين للصلاة فيها ولا مؤذنين عليها، وذلك احتراما لمشاعر وعقيدة النصارى.

والإنسان يقف منبهرا أمام عظمة وشموخ عمر بن الخطاب وهو يحتضر على فراش الموت، بعدما طعنه واحد من أهل الذمة– وهو أبو لؤلؤة المجوسى – إذ يقول: أوصى الخليفة من بعدى بذمة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وألا يكلفهم فوق طاقاهم، ما هذه السماحة يا عمر.. وكيف امتلأ قلبك بكل هذا العدل، حتى توصى خيراً بأهل الذمة رغم أن قاتلك واحد منهم!!.

٤– أباح الإسلام الحرب للدفاع عن أماكن العبادة لغير المسلمين حيث قال تعالى: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً﴾ (الحج: ٤٠)، فالحرب تباح للدفاع عن سائر أماكن العبادة لمنع هدمها وتخريبها ذلك لأنها حرب فى سبيل الله، ودفاع عن حرية العقيدة، وعن أماكن يعبد فيها الله ويذكر فيها اسمه.

العدل الإسلامى:

– يأمر الإسلام بإجارة المشرك وجعله فى حماية المسلم وإعذاره لجهله بأحكام الله، فإن قبل أمراً فحسن وإن أبى يرد إلى مأمنه فقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ

فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ (التوبة: ٦). فهذا شأن المشرك بالله فما بالكم بأهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين يؤمنون بالله؟!.

– ويأمر الإسلام بحسن معاملة الأسير حتى وإن كان كافرا: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ (الإنسان: ٨). إلى هذا الحد بلغ أدب الحرب فى الإسلام، إذ جعل الأسير من المستحقين للبر ومتساويا مع أيتام المسلمين وفقرائهم.

ومن الإحسان إلى الأسير أن يعامل معاملة طيبة فلا يقتل، ولا يفرق فى الأسر بين والد وولده ولا بين أخ وأخيه.

– بل ويأمر الإسلام بالإحسان إلى غير المسلمين طالما أنهم لم يقاتلونا فى الدين ولم يخرجونا من ديارنا أو يساعدوا عدوا على إخراجنا من ديارنا فقال تعالى: ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوَهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الممتحنة: ٨،٩).

الروايات التى سجلها التايخ عن عدل الحكام والقضاة المسلمين، وعدم إقامتهم أية تفرقة بين المسلمين وغيرهم عديدة ولا يمكن حصرها نذكر منها:

– من وصية الخليفة الأول أبو بكر الصديق ﷺ: لا تقتلن أحداً من أهل ذمة الله فيطلبك الله بذمته، فيكبك على وجهك فى النار.

– قصة الصبى القبطى الذى شكا إلى عمر بن الخطاب ﷺ من اعتداء ابن عمرو بن العاص عليه بالضرب، فأصر عمر على أن يقتص الصبى القبطى من ابن عمرو، ثم وجه تعنيفه إلى عمرو بن العاص بعبارة خالدة ترددها الأجيال بفخر واعتزاز، وهى: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً).

– أرسلت امرأة قبطية تدعى فرتونة شكوى إلى عمر بن الخطاب ﷺ بأن عماله فى مصر هدموا منزلها من أجل بناء مسجد، وعندما استفسر الخليفة من عمرو بن العاص عن خبرها،

قال له: أردنا أن نوسع مسجدا، وأعطيناها تعويضا عن مسكنها، ورد عمر: ولكن المرأة لم تقبل؟ فرد عمرو: نعم، فغضب عمر وقال: كيف تقيمون مسجدا على حساب حق الآخرين؟ وأمر بإعادة الأرض وبناء بيت المرأة من بيت مال الدولة.

- كتب الإمام على بن أبى طالب عليه السلام إلى مالك الأشتر، حين ولاه مصر بعد مقتل محمد بن أبى بكر: (.. وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم فإنهم صنفان: إما أخ لك فى الدين، أو نظير لك فى الخلق).

حقوق أهل الكتاب:

١- حرمة الدم والمال والعرض: الغالب فى الفقه الإسلامى أن دم الذمى كدم المسلم وديته كدية المسلم، فقد روى الترمذى عن النبى ﴿ﷺ وآله﴾ أنه قال: (ألا من قتل نفسا معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر (أى أنقص) بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد مسيرة سبعين خريفا) وحكى أن رجلا من المسلمين قتل رجلا من أهل الكتاب فرفع الأمر إلى النبى ﴿ﷺ وآله﴾ فقال: (أنا أحق من وفى بذمته ثم أمر به فقتل).

هذا الفعل من النبى ﴿ﷺ وآله﴾ نسوقه إلى أعداء الإسلام الذين يتهمون الإسلام بظلم الأقليات.

٢- مباشرة التصرفات التى تسمح بها شرائع أهل الكتاب: قال فقهاء الحنفية: الخمر والخنزير لا يعتبران عند المسلمين مالا منقولا، ومن أتلف لمسلم خمرا أو خنزيرا لا غرامة عليه ولا تأديب بل هو مثاب مأجور، أما الخمر والخنزير إذا ملكهما غير المسلم فهما مالا عنده فمن أتلفهما على الذمى غرم قيمتهما.

٣- الحق فى العمل والتجارة والضمان الاجتماعى: ضمن الإسلام لغير المسلمين الحق فى العمل والتجارة وممارسة جميع أنواع النشاط الاقتصادى، ولهم أيضا مزاولة ما يختارون

من المهن الحـــرة شأنهم فى ذلك شأن المسلمين.

وفى عقد الذمة الذى كتبه خالد بن الوليد لأهل الحيرة بالعراق وكانوا من النصـــارى: (جعلت لهم أيما شيخ ضعيف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعيالــه) وكـــان ذلك فى عهد أبى بكر الصديق رضي الله عنه ويحضره عدد كبير من الصحابة ولم ينكره عليه أحـــد، ومثل هذا يعد إجماعا.

النهى عن ظلم أهل الذمة:

يعترف الإسلام بأنبياء اليهود وبالمسيح عليه السلام، وبذلك حد الإسلام من كافة الفـــوارق بينه وبين تلك الديانات قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُــلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٥). ولـــو أن أهل الكتاب وخاصة النصارى عادوا إلى تعاليم دينهم لعاشوا فى سلام وأمن مع الإســـلام ولوجدوا فيه دين الكمال، وإذا رجعنا إلى هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة نجد أن قريشا بعثت باثنين من أكبر رجالها دهاء وحيلة وهما عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعـــة إلى النجاشى طالبين عودة المسلمين إلى ديارهم، ولكن النجاشى رفض حتى يسمع أولا ما يقوله هذا الدين، وبعث فى طلب المسلمين فتلا عليه سيدنا جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه ما جـــاء فى سورة مريم عن المسيح.

فقال النجاشى: إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، وأخذ عـــودا وخط به على الأرض وقال: ليس بين دينكم وديننا أكثر من هذا الخـــط، ثم طلـــب مـــن مبعوثى المشركين أن ينصرفا، وأبقى المسلمين الذين وجدوا منه أمنا وسلاما، ومن إخوانهم النصارى دعة ورفقا حتى عادوا إلى بلدهم المدينة.

ونسوق هذا المثل إلى متعصبى النصارى من الصرب وأهل الفليبين وبورما وروسيا وأمريكا وبريطانيا وغيرهم الذين يقتلون ويبيدون الأقليات المسلمة فى هذه البلاد والبلاد الأخرى.

ولقد صدقت فراسة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ حين أمر المسلمين بالهجرة إلى الحبشة وعلل ذلك أن فيها ملكا لا يظلم عنده أحد.

وللنصارى بالذات منزلة عند المسلمين تفوق منزلة غيرهم من أهل الكتاب بينتها الآية الكريمة: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ* وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة: ٨٢، ٨٣).

وعن العلاقات الاجتماعية التى كانت تربط الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ بغير المسلمين نجد أنه كان يحضر ولائم أهل الكتاب ويغشى مجالسهم ويواسيهم فى مصائبهم ويعاملهم بكل أنواع المعاملات، ولم يتردد ﴿ﷺ وآله﴾ فى أن يزور غلاما يهوديا مريضا فى بيته، وأكرم وفادة نصارى نجران حتى أنزلهم فى مسجده، وأذن لهم بالصلاة إلى جوار المسلمين، وهو الذى زارعهم وساقاهم، وصدق الله حيث يقول: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧)﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ (الأعراف: ١٥٨). ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

سادساً: يعبد المسلمون ثالوثاً !!

كل شئ خطر فى البال، إلا نسبة عبادة (الثالوث) إلى الإسلام.

جاء فى ملحمة رولان، والتى تمثل فرسان شارلمان وهم يحطمون أصـــنام المســـلمين، أن المسلمين يعبدون ثالوثاً مؤلفا من: ترفاجانت، ومحمد، وأبولـــون (الغـــزو الفكـــرى، ص: ١٣٠).

وملحمة رولان كتبت فى القرن الحادى عشر الميلادى من قبـــل الشـــاعر النورمـــانى (تيرولد) عن حدث وقع فى القرن الثامن الميلادى، طغت عليها صفة الأسطورة، وتمجيـــد شارلمان دون سند من الواقع، ومن أخطائها التاريخية، قولها: إن شارلمان مكث فى إســـبانية سبع سنوات لإخضاعها، وقولها: دانت لشارلمان جميع إسبانية المسلمة ما عدا سرقسطة، مع أن شارلمان عندما غزا إسبانية لم يستطع احتلال سرقسطة، فارتد شمالا فى يولية ٧٧٨م، وفى ممر من الممرات الجبلية قرب (بنبلونة) يسمى ممر رونسفال **Roncevalles** أو (بـــاب الشيزرى) هاجم المسلمون والبشكنس جيش شارلمان بتدبير من صقر قـــريش، وأبـــادوا نصف جيش شارلمان، فعاد يجر أذيال الخيبة، (مواقف حاسمة فى تاريخ الإســـلام، ص: ٧٧، المسلمون فى أوربا، ص: ١٣٤).

واستدل بعض القسس فى دلهى- كما يذكر رحمة الله خليل الرحمن الهندى، فى كتابـــه (إظهار الحق) مكتبة الثقافة الدينية، القـــاهرة، ط١، ســـنة ١٩٨٦، ٤٩/١- فى إثبـــات التثليث فى الإسلام، بقوله تعالى: ﴿بســـم الله الـــرحمن الـــرحيم﴾، فيـــه ثلاثـــة أسمـــاء (الله..الرحمن..الرحيم)، فيدل على التثليث. ونقول: إن أسماء الله الحسنى تسعة وتســـعون، فهل يعنى ذلك تعدد الآلهة فى الإسلام؟!.

وسمع بعض الظرفاء فى مدينة (دلهى) قول المبشر فى إثبات التثليث بقوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم فقال له: إنك قصرت، عليك أن تستدل بالقرآن على التسبيع ووجود آلهة بمبدأ سورة المؤمن (غافر) وهو هكذا ﴿حم * تَنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ العَلِيمِ* غَـــافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ (غافر: ١-٣).

بل عليك أن تقول إنه يثبت وجود سبعة عشر إلها من القرآن، بثلاث آيات آخر سورة

الحشر، التى ذكر فيها سبعة عشر اسما من الذات والصفات متوالية.. (إظهار الحق: ١/٨٨ و ٨٩).

يقول المستشرق ميور فى كتابه مناهج المستشرقين ١/٢٢: (إن إله الإسلام جبار مترفع، بينما إله المسيحية عطوف متواضع، ظهر فى صورة إنسان هو الابن الإله، فعقيدة التثليث المسيحية قربت الإنسان من الإله، وعقيدة التوحيد الإسلامية باعدت بينهما، وجعلت الإنسان خائفا متشائما).

ويضيف ميور ١/ ٦٤: (إن أساس العقيدة العربية كان الوثنية العميقة الجذور).

الإسلام يرفض التثليث:

أولاً: ما حرص الإسلام على شئ فى صلب عقيدة المسلم حرصه على التوحيد الخالص: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾ (النساء: ٤٨)، ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾ (النساء: ١١٦).

وجعل التوحيد المصفى فى سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١-٤).

أما التثليث فى الإسلام، فقد جاء فى القرآن الكريم فى معرض التنديد به، ونبذه، ورفضه.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ انتَهُوا خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً﴾ (النساء: ١٧١).

والمخلوقات كلها منه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ﴾

(الجاثية: ١٣).

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ* أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ* مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (المائدة: ٧٣-٧٥).

فالمسيح وأمه كانا يأكلان الطعام كسائر البشر، وهذا يثبت الحاجة إلى الطعام والشراب، والإله متره عن الاحتياج، وفيها إشارة إلى ما يلزم عن تناول الطعام والشراب من مخرجات.

والتثليث دخيل على المسيحية التى أنزلها الله على المسيح عليه السلام:
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة: ٣٠).

التثليث عند الوثنيين:

لقد عرفت العقائد الوثنية القديمة جميعها التثليث، (لا تخلو كافة الأبحاث الدينية المأخوذة عن مصادر شرقية، من ذكر أحد أنواع التثليث، أو التولد الثلاثى (أى: الأب والابن وروح القدس)، وقد فصلنا ذلك فى الباب الثانى من هذا الكتاب.

تطابق النصرانية مع الوثنية:

تحير القديس جيروم (٣٤٧- ٤٢٠) كما تحير الآباء السابقون، من التطابق الحاصل بين التثليث فى الديانات الوثنية القديمة، وبين التثليث فى المسيحية: (فإن الذين يشهدون فى

السماء هم ثلاثة: الآب، والكلمة، وروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد)، (رسالة يوحنا الأولى: ٥/٧)، إلا أن لوذعيتهم، ونباهتهم عزت ذلك إلى تدبير الشيطان الذى فعل ذلك قبل ظهور عيسى، ليجعل دينهم هزوا وسخرية.

صدق الله العظيم ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة: ٣٠).

ومع التثليث، عرف الوثنيون الصلب والفداء أيضا، وقد فصلنا ذلك فى الباب الثانى أيضاً، وكنا لا نود الخوض فى تفنيد قضية التثليث، لكن أعداء الإسلام قد فرضوا علينا الحديث، ولم يعلمنا الإسلام أن نهرب أو نجبن طالما أن معنا الحجة والبيان والمنطق.

التثليث عند بعض النصارى

أسس الاعتقاد عند النصارى(١):

يعتمد النصارى فى عقائدهم على ثلاثة قوانين وضعتها لهم مجتمعاتهم، أحدها قانون الإيمان الرسولى، وثانيها القانون النيقوى، وثالثها القانون الإثناسيوسى.. وليس فى أناجيلهم الأربعة شئ يدل على ألوهية المسيح أو الثالوث أو التجسد، نعم ورد فى بعض الرسائل الملحقة بالأناجيل ما قد يؤيد اعتقاد الثالوث فقد قال يوحنا فى الباب الخامس العدد (٧) من الرسالة الأولى: [فإن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة: الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد، والذين يشهدون فى الأرض هم ثلاثة: الروح والماء والدم، والثلاثة هم فى الواحد].

---

(١) راجع كتاب (أدلة اليقين) د. محمد شوقى الجزيرى، ط. دار الرشاد – القاهرة ١٩٩٦م، ص١٢٥ – ١٤٤.

ولكن هذه العبارة إما أن تكون محرفة لأنها تناقض ما ورد فى الأناجيل الأصلية من أن الإله واحد، وإما أن تؤول، وعلى كل حال فهم لا يعولون فى إثبات عقائدهم إلا على القوانين التى وضعتها لهم مجتمعاتهم.

وذلك لأن المجتمعات هى التى أثبتت كتبهم المقدسة فهى الأصل الذى يرجعون إليه، وسواء كان هذا من الخروج على النظم الإلهية التى تحتم ألا ينسب إلى الله شئ إلا بطريق الوحى أو لا، فتلك مسألة أخرى، ولنبدأ الآن الكلام فى شرح عقيدة الثالوث.

الثالوث عند النصارى:

يوضح القانون الإثناسيوسى عند النصارى (عدد ٣-٦) وهو كما يلى:

٣) الإيمان الجامع هو أن نعبد إلهاً واحداً فى ثالوث وثالوثاً فى وحدانية.

٤) لا تخلط الأقانيم ولا تفصل الجوهر.

٥) فإن للأب أقنوماً على حدة، وللابن إقنوماً آخر، وللروح القدس إقنوماً آخر.

٦) ولكن لاهوت الأب والابن والروح القدس كله واحد، والمجد متساو والجلال أبدى معاً.

وقد فسر النصارى هذا القانون أنهم يعبدون إلهاً واحداً بالنسبة لجوهره فى ثالوث بالنسبة لأقانيمه، وثالوثاً من الأقانيم فى وحدانية الجوهر، ولا تخلط الأقانيم لأن كلاً منهم قائم بذاته ولا يفصل الجوهر لأنه كله واحد(٢).

ولكنهم لم يوضحوا الموضوع على الوجه الأكمل، وإننا سنوضحه لك إيضاحاً تاماً، وذلك من آراء شراحهم المعول عليها عندهم، وإليك البيان.

يقولون: إن الله- تعالى عما يقولون علواً كبيراً- مركب من ثلاثة أقانيم، كل أقنوم متميز عن الآخر بوجوده الخاص وهو ذات لا صفة، وهو مع ذلك لا يقال له جوهر بل

(٢) أنظر كتاب (البراهين العقلية فى صحة الديانة المسيحية) ص١٣٠.

الجوهر اسم لمجموع الثلاثة[٣].

وإذا قلت لهم: إذا كان الأقنوم ذاتاً لا صفة فلماذا لا يطلق عليه جوهر، أجابوا بأنهم لا يعرفون حقيقة الأقنوم، فلا يمكنهم أن يعبروا عنه بعبارة ما، وإذا قلت لهم: إن عدم معرفة الأقنوم تستلزم حتماً عدم معرفة الإله المركب من الثلاثة، فلا يصح أن يطلقوا عليه جوهراً، قالوا: إن ذلك فوق العقل، فلا يناقشون فيه، ويعبر بعضهم عن الأقنوم بأنه الأصل الموجود فى كل واحد من الثلاثة بطريق التساوى، وعلى كل حال فهم مجمعون على أن كل أقنوم متميز عن صاحبه بوجوده الخاص، وأن كل واحد من الأقانيم الثلاثة له أوصاف تميزه عن الآخر، فأحدها يقال له الأقنوم الأول وهو أقنوم الأب ويعتبرونه أصل الأقانيم، يليه الأقنوم الثانى هو أقنوم الابن ويقولون: إن الأقنوم الثانى صدر عن الأقنوم الأول، وكيفية صدوره عن الأقنوم الأول أن للأول وهو أقنوم الأب عقلاً وتفكيراً، ففكر الأب فى لاهوته (ذاته الإلهية) ، وعقلها، فتولد من ذلك التفكير أقنوم الابن، وذلك الأقنوم مماثل لأقنوم الأب تماماً وطبيعتهما واحدة، كالصورة التى تنطبع فى المرآة فتكون مماثلة لأصلها من جميع الوجوه، فالأقنوم الثانى هو كالأقنوم الأول من جميع الوجوه، إلا أن له وجوداً خاصاً به، ويسميه بعضهم صورة عقل الأقنوم الأول، لأنه تولد عن تفكيره فكان صورة لعقله كما بيّنا لك، ويسمونه أيضاً كلمة الأقنوم الأول، لأنه تولد عنه بالكلام، ويسمونه أيضاً ابناً، لأن الابن يصدر عن الأب وفيه بعض الشبه أما هذا فإنه مثل الأب من جميع الوجوه، فهو أحق بتسميته ابناً من الأبناء الشرعيين.

أما الأقنوم الثالث فقد صدر عن الأب والابن معاً بفعل الإرادة والمحبة لا بفعل العقل[٤]، فالإله الممتزج من الأب والابن وهما الأقنوم الأول والثانى أحب ذاته، فتولد من هيجان الحب أقنوم ثالث، ويعبر عن ذلك بعضهم بالانبثاق، فيقول: انبثق من هيجان الإرادة ذلك الأقنوم الثالث، وهو مساو فى طبيعته للآخرين ويسمونه الروح القدس.

فالإله مكون من ثلاثة أقانيم كل واحد منها كصاحبه من جميع الوجوه، ومع ذلك فكل

---

٣) البراهين العقلية، ص١٣١.

٤) هذه العقيدة مطابقة تماماً لعقيدة التثليث عند قدماء المصريين، كما بيّنا ذلك فى الفصل الثانى من هذا الكتاب.

واحد منها متميز عـــن الآخر، فالكل واحد لأنه مركب من ثلاث طبائع متجانسة متحدة، وكل واحد منها هو الكل، فيقال لأقنوم الأب أنه إله، ولما كان مساوياً فى طبيعته لأقنـــوم الابن كان أقنوم الابن موجوداً فيه، ومثل ذلك يقال فى باقيها، وإنما اختص روح القـــدس بهذا الاسم مع أنهم يقولون: إن الأب روح، والابن روح، لأنهم يعتبرون للأقـــانيم ثلاثـــة مراتب، مرتبة الأب وهى العليا، يليها مرتبة الابن، ويليها مرتبة روح القدس، فسموا الأول أباً، وسموا الثانى ابناً، ولم يبق إلا الثالث فلم يبق له اسم يناسب مرتبته فسموه بالاسم العام، ويمثلون لذلك بآدم وقابيل وحواء، فإن آدم أب، وقابيل ابن، وليس من المناسب أن تكون حواء بنت آدم فسموها حواء.

ورغم أنهم يطلقون على هذه الأقانيم الثلاثة (أقانيم) بمعنى حقائق وجودية لكل واحـــد منها وجود خاص تمتاز به عن الأخرى، فإنهم يسمون أقنـــوم الأب بـــالوجود الواجـــب، ويسمون أقنوم الابن بالعلم والعقل، ويسمون أقنوم روح القدس بالإرادة والمحبـــة، فـــالله مركب من ثلاثة أمور متميزة وهو مع ذلك واحد.. ثم يقولون: إن أقنوم الابن قد اتحد مع دم مريم فتجسد وظهر فى جسد المسيح، فالمسيح من حيث كونه أقنوماً روحياً إله كامـــل، ومن حيث كونه جسداً بشرياً إنسان كامل، ويطلقون على الأول (لاهوتاً) وعلـــى الثـــانى (ناسوتاً).

هذا هو الذى يقولونه فى الإله؛ ذكرناه لك بالإيضاح التـــام، ولا نظـــن أن عقـــلاً فى الوجود يرضيه هذا القول أو يعبد إلهاً بهذا المعنى، ومن العجيب أن يجيب النصارى علـــى هذا التناقض أن التثليث ليس خطأ بل هو سر عجيب، ويجب انتظـــار أســـرار كـــثيرة فى الكتب المقدسة (خصوصاً) ما يتعلق بجوهر الله، إذ لو خلـــت حقيقـــة الله مـــن الأســـرار لأدركتها العقول البشرية كما تدرك سائر الأشياء المحدودة وهذا محال[٥].

وهذا يتناقض تناقضاً صريحاً مع ما تقدم لهم، لأنهم حكموا بأن الله مركب من أقـــانيم، وحكموا بأنه يشبه خلقه من حيث كونه روحاً، ومثلوا لتركيبه بتركيب الإنسان، ولكنهم مع ذلك يقولون: إنه سر ينبغى ألا تجول فيه العقول.

---

٥) ميزان الحق تأليف القس فندر، ص٢٠٤.

ومن المفارقة أنهم يقولون: إن رفض المسلمين لعقيدة الثالوث رفض لوجود الإله، لأنهم يعتقدون أن الإله يجب أن يكون مركباً من ثلاثة، أحد الثلاثة لاهوت المسيح وهو أقنوم الابن الذى سبقت الإشارة إليه، ورفض لاهوت المسيح مصيبة عندهم.

فظنوا أن المسلمين يقعون فى تلك المصيبة التى هى نكران أقنوم المسيح ولاهوته، ونسوا أن المسلمين يؤمنون برفض لاهوت المسيح إيماناً جازماً طبعاً، ويشهدون أنه عبد الله ورسوله وأنه بشر كسائر المخلوقات لم يتميز عن غيره إلا بالرسالة التى ميز الله بها بعض عباده الذين اصطفاهم لرسالته، هذه هى عقيدة المسلمين فى المسيح.

أقوال المبشرين فى عقيدة الثالوث ودفاعهم عنها:

وتتلخص عبارات المبشرين فى هذا الموضوع فى أمور ثلاثة أحدها:

إن الله– تعالى عما يقولون– مركب من ثلاثة أقانيم متميزة كل واحد منها مغاير لصاحبه ولكنه مساو له فى معنى الألوهية، ومع ذلك فهو إله واحد، وكل واحد له خاصة لا يشترك معه فيها أقنوم آخر، وهذه الأقانيم الثلاثة وحدة متماسكة غير قابلة للانفصال أزلاً، ولو فرض– وهذا الفرض مستحيل– أنه لو انفصل أحد الأقانيم لا يكون إلها، بالرغم من كونه مساوياً لصاحبيه من جميع الوجوه، فذاتهم واحدة ومجدهم واحد، وصفاتهم واحدة، ومشيئتهم واحدة، وهكذا فى كل الصفات الإلهية.

٢) قرروا أن هذه النظرية فوق العقل فلا يمكن إدراكها، على أنهم يمثلونها بأمثلة يقولون: إنها أمثلة تقريبية، ومن ذلك حكمة يحيى بن معاذ التى ذكروها وهى: (من عرف نفسه عرف ربه).

فكما أن الإنسان مركب من ثلاثة أشياء: جسم ونفس وروح، فكذلك الإله مركب من ثلاثة أقانيم كما بيّنا آنفاً.

٣) ومع ذلك.. فإنهم يقولون: إن لهذا نظيراً عند المسلمين، وهو أنهم يقولون: إن ذات الله لا تعرف ولا تحيط بها العقول، على أنهم احتجوا أيضاً بأن المسلمين يقولون بتعدد صفات الإله، فالتعدد عندهم لا ينافى وحدته، وكذلك تعدد الأقانيم لا يبطل وحدة

الجوهر.

الرد على أقوال المبشرين فى الثالوث:

هذه هى المسائل الثلاث التى قررها المبشرون فاستمع لردها واحدة واحدة:

١) أما المسألة الأولى: فقد قلنا لك آنفاً إن القول بتركيب ذات الإله من ثلاثة أقانيم على الكيفية التى وردت فى العقيدة النصرانية لا يرضى بها أحد من خلق الله، لأن وقوعها مستحيل، ولا يمكن لعاقل أن يقول: إن معتقدها موحد ومتره لإلهه، ومن المدهش أن عقيدة كهذه تتملك نفوس عدد عظيم من الناس تحت تأثير أنها فوق العقل، وما دام قد أتى بها كتاب مقدس فينبغى الإذعان لها، حتى ولو كانت بديهة العقل تقتضى بطلانها، مع أن الشرائع السماوية ما جاءت إلا بما ينطبق على العقول السليمة، فهى تبرهن جميعها للناس على وجود إله واحد وتقيم لهم الأدلة على تتريهه، ومحال أن يأتى رسول يدعو الناس إلى إله واحد ثم يقول لهم: إن هذا الواحد مركب من ثلاثة حقائق متماثلة متميزة متحدة، ومع ذلك هو واحد، لو جاء رسول للناس بهذه النظرية وقال لهم: إن التناقض الظاهر لكم فوق عقولكم، لما آمن به أحد، وفضلوا عبادة الأوثان التى لا تعقيد فيها، أو عبادة آلهة متعددة، على هذه العقيدة المعقدة التى تصادم الحس وتخالف بديهة العقل.

والغريب أنهم يقولون: إن الثلاثة حقائق وجودية قائمة بنفسها لا صفات، وإنها متميزة ومعدودة، غاية ما هناك إنها متماثلة، فهل رأيت أو سمعت أن المثلين يمكن اتحادهما بحيث يصير أحدهما عين الآخر، مثلاً زيد وعمرو توأمان مشتركان فى الإنسانية والوجود وجميع الصفات ما عدا الوجود الخاص الذى يميز أحدهما عن الآخر، فهل يقبل العقل أن زيداً وعمراً قد اتحدا وصار أحدهما الآخر؟، كلا.. إن ذلك محال بالبداهة، فإذا وجد من الناس من ينكر البديهى قيل له: إنهما لا يمكن اتحادهما إلا بعد زوال شخصية زيد وعمرو، فإذا زالت شخصيتهما لابد أن تحل بعد زوالها شخصية أخرى، وحينئذ فلا يكون الاتحاد بين زيد وعمرو، أما إذا بقيت شخصية كل منهما ولم تزل فلا يكونان متحدين، وإذا انعدمت

شخصية أحدهما ولم تنعدم الأخرى لا يتأتى الاتحاد إذ لا اتحاد بين الموجود والمعدوم.

ولنفرض سريرين مركبين من مادة مساوية للأخرى من جميع الوجوه، ولكن لكل منهما وجود خاص يميزه عن الآخر بحيث يشار إلى كل منهما على حدة، ثم ألصق أحد السريرين بالآخر مع بقاء شخصية كل سرير على حالها، فهل ذلك الإلصاق يغير شخصيتهما أو يظل كل واحد منها باق على وجوده الخاص؟.. لا شك فى بقاء السريرين على حالهما، فإذا أريد إعدام شخصيتهما لابد من إزالة تركيبهما أولاً، وعمل سرير آخر من مجموع خشبهما وعند ذلك تحدث هيئة أخرى يتكون منها سرير جديد غير السريرين الذين انعدمت شخصيتهما، ذلك هو الذى اتفق عليه العقلاء فى كل زمان ومكان.

نعم قالوا: يصح أن يطلق الاتحاد على انتقال شئ من حالة إلى حالة أخرى، كانتقال المسمار والخيط من حالتهما بالتركيب والجمع بينهما إلى حالة الحصير، فإن أراد أن الإله مركب من ثلاثة أجزاء كل جزء لا يوجد فيه الكل، كالحصير المركبة من الأجزاء الثلاثة، يكون ذلك القول ممكن الوقوع فى الخارج، وإن كانت ذات الإله- تعالى وتقدس- منزهة عن التركيب من أجزاء، لأن الكل لا يتحقق بدون أجزائه طبعاً، فإن الحصير لا توجد إلا إذا وجد أولاً المسمار والخيط، حينئذ يكون الكل محتاجاً إلى أجزائه، فالإله المركب محتاج إلى أجزائه التى يتركب منها، مع أن الإله يكون غنياً عن كل ما سواه، فلو احتاج فى وجوده إلى شئ ما، لكان حادثاً لا يصلح أن يفيد العالم الموجود، فكيف يمكنه أن يعطى العالم الوجود، وهو مثلهم محتاج، ولا يصح أن يقال: إن أجزاء الشئ عينه، فاحتياجه إليها احتياج لنفسه، لأنه لو صح ذلك أصبح إطلاق اسم الحصير على الخيط والمسمار قبل تركيبهما، وذلك باطل بالبداهة، وأيضاً لو كان الإله مركباً من أجزاء لكان كل جزء من أجزائه مقدماً عليه فى الوجود والضرورة، لأن الجزء مقدم على الكل عند جميع العقلاء، ولو كان الجزء مقدماً لكانت مرتبته فى الألوهية مقدمة، فكان هو أحق بأن يكون إلهاً من الكل، فالتركيب فى ذات الإله محال قطعاً على أى حال، ولكن التركيب من أجزاء كل جزء منها غير الكل ممكن الوقوع فى الخارج، فى غير ذات الإله، أما التركيب بمعنى الاتحاد الحقيقى وهو أن يجتمع ثلاثة جواهر متميزة لكل واحد منها وجود خاص يمتاز به عن

صاحبه، بحيث يكون أحدهما أول وثان وثالث، وكل واحد منها يصدق عليه الكل لتماثلهم فى الحقيقة، فذلك مستحيل الوقوع بالنسبة للإله وللمخلوقات، ومن يمكنه أن يتصور أن زيداً أو عمراً قد اتحدا مع بقاء شخصية كل منهما فإنه يمكنه أن يتصور اتحاد الأقانيم الثلاثة مع بقاء شخصية كل واحد منهم.

ومع هذا كله فلنسلم جدلاً بأنه يمكن أن يقع فى الوجود اتحاد ثلاثة جواهر متماثلة اتحاداً حقيقياً، بحيث يصير أحدهم عين الآخر، ولكنا نسأل المبشرين ما هو غرضهم من اتحاد الأقانيم فى الأزل فى الذات والصفات؟ فإن كان يريدون به أنهم متساوون فى الرتبة أيضاً فإن ظاهر نصوص الإنجيل تنافيه.

أما أولاً: فلأنهم نقلوا عن الكتاب المقدس أن لقب الأقنوم الأول الأب والخالق، والثانى ابن الله والفادى، والثالث المقدس والمعزى، وذلك ظاهر فى أن الأب له مرتبة أعلى من مرتبة الابن، وهو ما يعطيه ظاهر قول المسيح أيضاً: (أبى أعظم منى)، والتأويل الذى يذكره المبشرون لهذه الجملة من أنه يريد أنه أعظم منه من حيث ناسوته غير ظاهر، لأن المراد بالناسوت هو الجسم البشرى بقطع النظر عما يتعلق به من المعانى الروحية، وتفضيل الإله على الجسم ليس من مقاصد العقلاء، فضلاً عن الأنبياء، فضلاً عن الآلهة، لأنه لا يخفى على أحد أن الإله أفضل من الأجسام، فما هى الفائدة من إخبار المسيح بذلك، وهل من المناسب أن يقول المرء: إن الله أفضل من أجسام عباده، فلابد أن يكون الغرض تفضيل أقنوم الأب على أقنوم الابن.

وأما الثانى: فلأنهم إذا قالوا: إنه لا تفاضل بين أقنوم الأب والابن فلا يكون لتسمية الأقنوم الأول أباً، والثانى ابناً معنى، لأن مرتبتهما واحدة، فلماذا جعل الأول أباً، وكذلك لا يكون لتسمية الابن كلمة الأب معنى، وأيضاً فلا يكون لتسمية صورة عقل الأب معنى، وذلك على أساس شرح عقيدة الثالوث عندهم، فذلك دليل على أن مرتبة الأب أعلى من مرتبة الابن، وذلك يستدعى أن يكون الأقنوم الثانى أثراً للأقنوم الأول، فيكون ممكناً،

والذى يطلع على كتبهم يرى أنهم يجمعون على أن الأب ينبوع الابن، وأن الابن صادر عن تفكير الأب فى ذاته فيكون أثراً له حتماً، فكيف يكون مركباً منه، مع أن البداهة تجزم أن المركب من الممكن ممكن.

وإذا سلمنا أنهم متساوون فى كل شئ أزلاً، فليس أحدهما أثراً للآخر، ولكنا نقول لهم: إذا وجد ثلاثة حقائق قائمة بنفسها مجردة عن المادة أزلاً، كل واحد منهم تقتضى ذاته الوجود، فلا معنى لهذا إلا وجود ثلاثة آلهة كاملة لأن الذى ذاته تقتضى الوجود يكون إلهاً كاملاً من جميع الوجوه، ومتى وجد آلهة ثلاثة تقتضى الوجود كان من طبيعة كل منهم التفرد بالسلطان المطلق، لأن ضعف السلطان نقص، وذلك يفضى إلى التنازع حتماً فيختل نظام العالم ويتنازع الآلهة، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء: ٢٢).

وليس من المنطق أن يقال: إن الآلهة الثلاثة قد اتحدوا وصاروا إلهاً واحداً، بل لا يجب أن يقال: إن الثلاثة لهم مشيئة واحدة وقدرة واحدة وسلطان واحد، لأن المفروض على زعمهم أن لكل أقنوم خاصة تميزه عن صاحبه، وأن كل واحد منهم أزلى، إذ من البديهى الذى لا يرتاب فيه أحد أن الإله يجب أن يكون كاملاً من جميع الوجوه، فيجب أن يكون أقنوم من الأقانيم متصفاً بصفات كاملة، فينبغى أن تكون مشيئة كل واحد منهما كاملة، وقدرته كاملة، وسلطانه كامل، ومتى ثبت أن هذه الصفات يجب أن تكون كاملة فإنه يستحيل اتحادها، كما يستحيل اتحاد الذوات، وذلك لأن معنى الاتحاد فناء إحدى الصفات فى الأخرى بحيث تصير أحدهما عين الأخرى، وبديهى أن التى تفنى فى غيرها لا تكون كاملة، فإذا فرضنا أن قدرة كل أقنوم منهم كاملة، ولكن فنيت اثنتان وهما قدرة الابن وقدرة روح القدس فى قدرة الأب، فلا نشك فى أن يكون الفانى ناقصاً، ويلزم من ذلك أن يكون نفس الأقنوم ناقصاً أيضاً، فإن المتصف بالناقص ناقص حتماً، ويلزم من ذلك أن يكون مجموع الإله ناقصاً، لأن المركب من الناقص ناقص، وذلك بديهى، فقولهم: إن لهم مشيئة واحدة وقدرة واحدة إلخ.. لا معنى له.

لعلك تقول: إنهم يريدون من اتحادهم فى الصفات أنهم يعملون بالاتفاق، فكل منهم له قدرة كاملة مثــلاً، ولكنهم يوجهونها معاً إلى الأثر الذى يريدون إيجاده، أو يتفقون على أن قدرة أحدهم تعمل وحدها.

والجواب: أن هذا واضح الفساد.

أما الأول: فلأن القدرتين إذا تعلقتا معاً بإيجاد شخص مثلاً، والمفروض أن إحداهما كافية فيه كان إيجاده بإحداهما فقط، أما الأخرى فتكون ملغاة لا عمل لها، ألا تــرى أنــك إذا وضعت قدراً فيه ماء على نار حامية حتى وصل الماء إلى نهاية درجة الغليان، ثم سلطت عليه ناراً حامية أخرى مثلها، فإنها لا تزيد فى غليانه شيئاً لأنه قد وصل إلى نهايته، فكذلك القدرة التامة إذا تعلقت بشئ كان أثراً لها وحدها فتكون الثانية ملغاة لا عمل لها.

فإن قلت: إنها أحدثت فيه أثراً مماثلاً لأثر القدرة الأخرى بأن أوجدته الأولى ثم أوجدته الثانية كان الخلل أشد ظهوراً، فإنه لا معنى لإيجاد الموجود، وإذا قلت: إن القدرتين تعاونتا على إيجاده، كان معنى ذلك أن كلاً منهما لا يكفى فى إيجاده، فتكون القــدرتان فى هــذه الحالة ناقصتين، ويكون المتصف بهما إلهين ناقصين أو أقنومين ناقصين.

وأما الثانى: فلأنه إذا عملت قدرة أحدهما وتعطلت قدرة الثانى كــان المعطــل ناقصــاً بالبداهة والمفروض أنه كامل، فالنتيجة الطبيعية لذلك أنه يستحيل اتحاد صــفات الأقــانيم كما يستحيل اتحاد ذواتهم، وبذلك يتضح جلياً أن القول بوجود ثلاثة أقانيم مجــردة عــن المادة، متميزة عن بعضها، متحدة فى الذات والصفات، وأن مجموع الثلاثة إله واحد هــو قول هراء.

لعلك تقول: إن بطلان عقيدة الثالوث لا تخفى على أحد من خلق الله، ولهذا قد نقــل المؤرخون أنها لم يوجد لها أثر فى الأمم الماضية من لدن آدم إلى موسى ﷺ، اللهم إلا عنــد بعض فلاسفة الوثنية، والنصارى أنفسهم يشعرون بذلك التناقض ولكنهم يعتذرون عنه بأنه فوق العقل وخارج عن دائرة البحث والتفكير، وإذا كان كذلك فلسنا فى حاجة إلى كــل هذه الأدلة.

والجواب: إننا وإن كنا نوافق حقاً على أن هذه العقيدة واضحة البطلان، وإننا على رأى الشهرستانى صاحب الملل والنحل، والذى يقول: لولا أننا نرى بأعيننا أناساً يقررون هذه العقيدة ويدينون بها، ما صدقنا أن العقول البشرية تقبل عقيدة كهذه، ولكنا أردنا أن نتماشى مع المبشرين وخصوصاً أنهم لهم يقفوا عند حد أن هذه العقيدة غير معقولة حقاً، ويعتذروا بأنه ليس كل غير معقول يجب رفضه، بل حاولوا أن يبرهنوا عليها وأن يمثلوا بما يقربها من العقول ويجعلها جارية على سنن المنطق، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنهم قد فهموا خطأ فيما يقوله المسلمون من أن ذات الإله لا يمكن إدراكها، فأردنا أن نفهمهم أن المسلمين لا يقبلون إلا ما كان منطبقاً على العقل، وذلك أنموذج من أدلة المسلمين على توحيد الإله سبحانه.

أمثلة المبشرين على صحة نظرية الثالوث والرد عليها:

وإذ قد عرفت الرد على نظرية المبشرين بوجود ثلاثة أقانيم مجردة كل واحد منها متصف بصفات الكمال ثم اتحدوا فى الذات والصفات وصاروا إلهاً واحداً، وعرفت أن ذلك مستحيل بداهة، فاستمع للرد على ما مثلوا به فى إمكان ذلك وعدم استحالته.

زعموا أن الإنسان مخلوق على مثال الله، وهو مركب من ثلاثة أشياء متميزة إلا أنه واحد، فزيد مثلاً مركب من جسم وروح ونفس، فإذا أراد أن يتكلم عن جسمه فإنه يصح له أن يقول: أنا.. بمعنى أنه هو متحد معه، وإذا أراد أن يتكلم عن روحه فإنه كذلك يقول: أنا.. بمعنى أنه هو روحه ومتحد معها، وإذا أراد أن يتكلم عن نفسه فإنه يقول كذلك، ومع ذلك فإن نفسه ممتازة عن جسمه وممتازة عن روحه– ويلاحظ أنهم لم يقولوا: إنها مميزة بالفعل، بل قالوا: يكاد يتميز أحدها عن الآخر– فيصح حينئذ أن يكون كل واحد من الثلاثة هو زيد فالنفس زيد، والجسم زيد، والروح زيد.. مع كون الثلاثة ممتازة فلم يكن فيها إلا شخص واحد وهو زيد، فحينئذ يمكن أن يكون الثلاثة واحداً والواحد ثلاثة، هكذا

يقرر المبشرون.. ويقرروا مع هذا أنه إذا انفصل كل واحد عن الآخر كانا موجودين فيه نظير الإله المركب من الأقانيم تماماً، ولكن هل مثل هذا القول يصدر عن تفكير صحيح؟.. وهل يؤمن المبشرون حقاً بصحة هذا الكلام؟.. فلننظر.

لا ريب فى أن الإنسان مركب من أجزاء مادية محسة، ومتصف بصفات مشاهدة أيضاً، وإلى جانب هذا يتعلق به أمور معنوية، فأما الأمور المادية فهى الخلايا المركب منها الجسم الإنسانى المكونة من العناصر المختلفة كالفسفور والأكسجين والأيدروجين والأزوت.. والخلية هى عبارة عن كتلة صغيرة ذات شكل معين ويمكن تمثيلها باللبنة (الطوبة).. ويتركب كل عضو من أعضاء ثانوية تسمى بالأنسجة، وتنقسم إلى أنسجة مختلفة نسيج عظمى، ونسيج غضروفى، ونسيج عضلى، ونسيج طلائى وهو الجلد الذى يغطى هذه الأنسجة كالحائط المبنية من الطوب أولاً ثم تغطى بالجص والبياض كما هو مبين فى موضعه.

فإذا شئت أن تقتصر قلت: إن الجسم الإنسانى هو ذلك المحس المشاهد المركب من اللحم والدم والعظم والعروق والأعصاب والأعضاء الباطنة والظاهرة التى يمدها المخ بواسطة النخاع الشوكى ويعمل القلب فى توزيع الدم.

هذه هى الأجزاء المادية التى يتركب منها جسم الإنسان، وأما غير ذلك من الأمور المعنوية فلم يقل أحد من العقلاء: إنها جزء من أجزاء جسم الإنسان، أو أنها هى عين جسم الإنسان، وإنما الذى يقال إن هناك أموراً معنوية قائمة بالإنسان كالروح المجردة عن المادة عند من يقول بها من المفكرين فإنما يقولون: إنها متعلقة بالإنسان تعلقاً معنوياً كتعلق العاشق بمعشوقه، ولم يقل أحد منهم: إنها جزء من أجزاء الجسم أو أنها متحدة مع الجسم، ثم إنها إذا انفصلت عن الجسم الإنسانى لا يكون موجوداً فيها ولا تكون موجودة فيه حتماً لأنها مجردة عن المادة وهو مادى، فكيف يعقل أن تكون هى عينه ومتحدة به، وكيف يتحد مع المادى المجرد؟.. ألا ترى معى أن كبوة المبشرين فى تمثيلهم أشد من كبوقم فى تقرير قاعدة الثالوث.

على أن هناك أمر آخر خفى على المبشرين فقد ضربوا لنا المثل وهم غافلون لاهــون لم يتفطنوا إلى ما عساه أن يسألوا عنه، وإلا فماذا يكون حالهم إذا قال لهم قائــل: لــيس فى الوجود إلا أن الإنسان مركب من مادة وغير مادة، فأما المادة فهى الجسم وأما غير المــادة فهى الروح، وما هى النفس الثالثة التى تكاد تتميز عن هذين الأمرين، هل هى مادة أخرى أو هى مجردة عن المادة فى شكل آخر أم ماذا هى؟.. وبديهى أنهم لا يستطيعون أن يجيبــوا عن هذا مطلقاً، لأن الإنسان حقاً إما هو مادى صرف على رأى من يقول: لــيس هنــاك سوى الجسم الإنسانى، وإما هو مادة وروح مجردة على رأى من يقول بذلك من فلاســفة اليونان وبعض فلاسفة المسلمين، وهذا حصر عقلى، أما أن هناك شيئاً آخر غــير الجســم وغير الروح يسمى بالنفس فلا، لأنه لابد أن يكون داخلاً فى هذين الأمرين، فالنفس إما أن يكون مدلولها مجرداً عن المادة وهى الروح، وإما أن يكون مدلولها مادياً وهو جــزء مــن الجسم فإنها تطلق على الدم وتطلق على مجموع الشهوة والغضب، فما تخيلوه من أن هناك شيئاً آخر غير الجسم وغير الروح خطأ ظاهر يدل على أنهم لا قدم لهم فى الفلســفة الــتى يجب على من يكتب فى هذا المقام أن يكون له قدم راسخ فيها، لأن الذى يزعم أنه وصــل إلى أن الإله أقانيم ثلاثة مجتمعة، وزعم أن هذه الأقانيم أرواح وأنها قد اتحدت لا يصح لــه أن يجهل الإنسان المشاهد.

النفس عند الإمام أبى العزائم عليه السلام:

يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم عليه السلام فى كتابه (معارج المقربين): ينتج من هذه المقدمات أن النفس ليست جسماً، وتقرر أنها ليست عرضاً، لأن العرض لا يحمل عرضاً، ولأن العرض فى نفسه محمول أبداً موجود فى غيره، لا قوام له بذاته، وجوهر النفس قابل أبداً حامل ما هو أتم وأكمل من حمل الأجسام للأعراض.

لهذا يظهر أن النفس ليست جسماً ولا جزءاً من جسم، ولا عرضــاً، هــذا والطــول والعرض والعمق من المعانى التى صار الجسم بها جسماً، تحصل فى قوة النفس الوهمية من غير أن تصير به طويلة عريضة عميقة وتزداد فيها تلك المعانى أبداً بلا نهاية، فلا تغيرهــا عــن

حقيقتها ولا تتغير إذا تصورت كيفيات الجسم من الألوان والطعوم والروائح، ولا يمنع بعضها قبول بعض من أضدادها كما يمنع فى الجسم، وكذلك حالها فى المعقولات، فإنها تقوى بقبول بعض المعقولات على قبول غيرها أبداً بلا نهاية، وتلك الخواص فى غاية البعد عن الأجسام، والجسم لا يعرف العلوم إلا من الحواس، فيشتاق إليها بالملامسة كالشهوات البدنية ومحبة الانتقام، فإن الجسم يشتاق إلى تلك الأشياء، ويزداد بها قوة ويستفيد منها كمالاً، ويفرح بها لأنها تتمم وجوده وتمده.

وأما النفس فإنها كلما تباعدت عن الشهوات البدنية وخلت بذاتها، ازدادت قوة وكمالاً، وتجملت بالعلوم الحقة، والآراء الصحيحة، بذلك يثبت أن طباعها وجوهرها تباين طباع الجسم والبدن، وأنها أكرم جوهر، هذا مع شوقها إلى معرفة حقائق الأمور الكونية، ولهفها لفهم المعانى الإلهية وإيثارها لها، ولا يمنع من ذلك أنها أخذت كثيراً من مبادئ العلوم عن الحواس، لأن لها من نفسها علوماً أخرى، وأفعالاً لا تأخذها عن الحواس أبداً، وذلك ثابت بديهى خصوصاً فى علوم النظر، وما تكاشف به من أسرار الملكوت والفقه فى دين الله تعالى، وهى التى تحكم على الحس بالصدق أو الكذب فكثيراً ما يشهد الحس الأمور على غير حقيقتها وهى ترده إلى الحق، كما ترى العين الشمس صغيرة، ويرى العامود الموضوع فى الماء معوجاً، ويرى الراكب فى السفينة أنه ساكن، ويرى الأشجار حوله تمشى، كل تلك العلوم من نفسها، وقد يخطئ فيما يراه من بعد أو قرب، وكل الحواس تخطئ وتردها النفس، فقد تذوق حاسة الذوق الحلو مراً عند انحراف المزاج، وكل تلك المعلومات ليست من الحس، بل هى من ذات النفس.

من هذا حكموا أن النفس ليست جسماً، ولا جزء منه، ولا عرضاً، والمراد بالنفس إذا أطلقت النفس الملكية التى تسمى بالناطقة، وإذا أردت أن أعرِّفها فإنما تعرف بما يقرب حقيقتها لا حقيقتها، فأقول: هى جوهرة سماوية روحانية نورانية من أمر ربنا سبحانه وتعالى، ومما قلته فيها:

نفسى هى الكنز فيها سرُّ معناه بغير كيف وفيها نور مجلاه

جهلى بها الحجب عن علمى بمبدعها وعلمها كشف حجبى فهم معناه
نفسى مثال تراءى لى به وضحت آياته وبه أعطيت جدواه
نفسى له صورة تنبى مشاهدها إذا تحقق أن المبدع الله
جهلى بها اللبس والتشكيك أجمعه وعلمها الكشف عن غيب وأخفاه
جهلى بها التيه بل والبعد عن نسب بها يلوح جمال الوجه أجلاه
لو أنها أشرقت نفساً لعالمها فكت طلاسمه ورقى لعلياه
يا نفس ما أنت؟ نور أنت أم عرض؟ أم كوكب مشرق بضياء مبناه
وهل بك الجسم قد قامت معالمه؟ أو قمت فيه فهذا السرُّ أهواه
حيرت أفكار أهل العقل لم يصلوا إلى يقين وفيك ضلَّ أهداه
العقل يعقل محسوساً ونسبته لا يدركن رتبتى والمنعم الله
سرى خفى عن الألباب يحجبها عنه نظائره فيه وأشباه
من أمر ربى ومن يطلبه يعرفه فيعرف الله رب العرش مولاه
ونفخةٌ منه تجلى للمراد له فتشهد الوجه بالتنزيه عيناه
من كان يعرفنى بالفضل يعرفه أنا المثال له أفقٌ لمرآه

* * *

ولعلك تقول: إن المبشرين لم يصرحوا بالروح المجردة عن المادة وإنما يريدون أن يقولوا: إن الإنسان مركب من حقيقة طبيعية وهى الحيوانية والناطقية ويطلق على هذه الحقيقة روحاً، ومركب من جسم هو ظاهر، ومركب من شخصية وهى وجوده الخاص ويسميها نفساً، فالإنسان مركب من هذه الثلاثة وهى وإن كانت متميزة إلا أنها موجودة فى شخص واحد فهى ثلاثة فى واحد، وكل واحد منها، متحقق فيه الآخران، فالجسم متحقق فيه الحيوانية، والناطقية متحقق فيها الجسم، والوجود الخاص متحقق فيه كل منهما: وبذلك يسلم تمثيله من هذه المشاكل.

والجواب: إن المبشرين لا يريدون ذلك لأنهم صرحوا بأن الإنسان على مثال الإله باعتبار عقله وروحه، وهم لا يقولون: إن روح الإله مادة، فالروح عندهم هى مجردة عن

المادة كالإله، على أن الحيوانية والناطقية لم يطلق عليهما أحد اسم روح، وعلى فرض أنهم يريدون ذلك فإنه لا يكون لهم فيه دليلا مطلقــاً لا حقيقــى ولا تقــريبى، لأن الحيوانيــة والناطقية أمور اعتبارية والشخصية صفة، لأنها عبارة عن الوجود الخــاص فلــيس هنــاك جواهر متماثلة تكاد تتميز عن بعضها، وإنما هو الجسم المكون من الخلايا وما يتعلــق مــن الصفات الخاصة أو المشتركة.

ومع ذلك فلنسلم جدلاً أن الإنسان مركب من جسم وروح ونفس وكل واحد مــن الثلاثة يكاد يتميز عن صاحبه، ولكن كيف يمكننا أن نحكم بأن هذه الثلاثة شئ واحد مــن غير أن نلاحظ أن الجسم مركب من هذه الثلاثة، وأن التركيب حدثت منه هيئة هى الــتى نحكم عليها بأنها واحدة بقطع النظر عن الأجزاء، وهل يصح أن يحكم الإنسان بأن الجسم شئ واحد مع ملاحظة العروق والأعصاب وغيرها من أجزاء الجسم، لا ريب فى أننــا إذا نظرنا إلى هذه الأجزاء لا يسعنا إلا أن نحكم بتعدد الجسم، وذلك بديهى لا نزاع فيه.. فإذا قيل: إن هذه الأشياء جزئيات لا أجزاء، فالنفس والروح والجسم ثلاثة أشخاص متميــزة كما هو صريح كلامهم كزيد وعمرو وبكر، قلنا: إن اتحاد هذه الثلاثة بحيث يصير أحدها عين الآخر محال، وهل إذا انفصلت الروح عن الجسم يصح أن يقال: أن الجسم باق فيهــا وأنها عينه؟.. إن ذلك واضح البطلان.

وتعالوا نروِّح أرواحنا مع حقيقة الإنسان الظاهرة والباطنة بما قاله الإمام المجــدد أبــو العزائم عليه السلام:

هيكلى عــالم كبيـــــــر ونفســـــى	صــورة الحــق فى صــفائى وأنســـى
وفؤادى مــا بــين عنصــر جسمـــى	ومعــانى ســرى كميــزاب قدســى
بــرزخ حاجـــز يلطِّــف حالـــى	وبســرى درى كشــفى وشمســى
وأرى القلـــب عــرش ســر التجلــى	والسويدا قد طهــرت مــن رجـــس
هيكلى مظهــر صغــير ولكـــن	فيه ســـر لا يشهـــدن للــرأس
فيه كــل الوجــود يطـــوى وتجلــى	لى المجالى فيــه بـــلا قيــد حســى
ضاق كل الوجــــود علـــواً وســفلاً	ووسعت العلــى وسعـــة أنســى

عالـم القلب كـل عـالم عاليـن — وعالم الـروح فـى حظـائر قـدسى
كل ما فىّ مـن معـان وحكـم — غيب غيب عن كـل ملـك وحـدس
كل مـا فى الوجـود سخـر فضـلاً — لمعـان ظهـرت بصـورة نفسـى
قلـبى البيـت عامـر بالجـلالـى — ظاهرى العـرش وهـو لـوح وكرسـى
لوح محفوظـه وكرسـى جـلال — بل وعـرش الرحمـوت فى فهـم درسـى
هيكلى عالـم وعلـم ونـور — وشفاء مـن غيـر كـد وبـأس
صـورته يـد العلـى تعـالـى — صورة جملـت بحسـن وميـس
آه! لوفـك رمـز تلـك المبانـى — عن معانيـه لـم أجـاور رمسـى
يا شموساً بهيكلـى مشـرقـات — أبفضـل أشـرقت أم ذا بحـبس
أنت نـور وهيكلـى مـن مبـان — لست من شكله ولسـت بجنسـى
أنا فـى حـيرة مشـوق معنـى — كيـف أرأى حمـأ يضـئ بقدسـى
ذاك غيب لو يكشفن سـر معنـاه — لـلاح الخفـا لعقـل ونفـس

هذا نقض ما قرروه فى عقيدة الثالوث، وما ضربوه من مثال، وبقى نقـض قـولهم: إن ذلك وإن كان فى ظاهره متناقض ولكن فى الحقيقة هو ليس بخطأ، لأن ذلك فوق العقـل، وله نظير عند المسلمين.

هذا الذى يقولوه جهل واضح بالكتب الكلامية التى ألفها علماء المسلمين ولـو أنهـم كلفوا أنفسهم مؤونة سؤال أهل الذكر، لعرفوا أن الدين الإسلامى أساسه النظر والبرهان العقلى الصحيح، وأن علماء الكلام لم يتركوا شيئاً من الشبه التى قد تـرد علـى الأدلـة العقلية إلا أوردوها من تلقاء أنفسهم، وأجابوا عنها بما لا سبيل إلى نقضه على أى حال.

عقيدة المسلمين فى الإله:

والقاعدة العامة عند المسلمين هى: أن كل شئ يمكن للعقول السليمة إدراكه على وجه

صحيح فإنه يجب تطبيق قضايا الدين وأحكامه عليه، وأهم لا يكتفون فى عقائدهم إلا بالأدلة العقلية والنظر الصحيح، فإذا قرر كتاب الله الكريم عقيدة من العقائد فى ظاهره شئ من الشبه ببعض خلقه، فإنه يجب عدم الأخذ بظاهرها وتتريه الله تعالى تتريهاً تاماً عن مماثلته للحوادث، وذلك القدر متفق عليه عند علماء المسلمين.

أما ما لا يمكن للعقول البشرية السليمة جميعها أن تدركه فذلك هو الذى يقول الدين الإسلامى عنه أنه اشتغال بما يضيع الوقت ويضلل العقل بدون جدوى، وذلك كالبحث عن حقائق الأشياء وماهيتها سواء كانت مادية أم مجردة، لأن الإنسان لا يمكنه إلا أن يعرف أجزاء المركبات بتحليلها إلى أجزائها كتحليل الهواء ومعرفة أجزائه، فإذا انتهى إلى جزء لا يمكنه تحليله فإن العقل يقف عنده ولا يعرف حقيقته، وذلك القدر تشترك فيه كل عقول البشر السليمة، وإذا كان العقل الإنسانى يعجز عن إدراك حقيقة المادى، فكذلك يعجز عن إدراك حقيقة المجرد عن المادة، فلا يمكنه أن يدرك حقيقة ذات الإله سبحانه وماهيته على ما هى عليه من باب أولى.. أما ما وراء ذلك فإهم مكلفون بإدراكه، فعليهم أن ينظروا ويفكروا فى الأدلة التى تثبت وجود خالقهم، وعليهم أن يدركوا أن ذلك الخالق واجب الوجود بمعنى أن وجوده من ذاته فلم يحتج إلى غيره، وأنه واحد من جميع الوجوه فليست ذاته مركبة من أجزاء لا مادية ولا مجردة، وقد تقدم الدليل القاطع على بطلان تركيب ذاته، وكما أنه يستحيل أن تتركب ذاته من أجزاء، فكذلك يستحيل أن يكون معه إله آخر، لأن الإله واجب الوجود يجب أن يكون تام القدرة والسلطان، فلو وجد إلهان لكان ذلك نقصاً طبيعياً فيهما سواء اتفقا أم اختلفا، لأهما إن اتفقا فإن قدرة أحدهما وسلطانه ينقصان بقدر ما أثرت فيه القدرة الأخرى، وذلك نقص فى الإله.. وإن اختلفا فقهر أحدهما صاحبه، لم يكونا إلهين بل يكونا كرجلين يتناضلان فغلب أحدهما صاحبه وكذلك إن عجزا عن قهر بعضهما فإن العجز نقص فى الإله فيستحيل عقلاً أن يوجد إلهان.

وكذلك عليهم أن يتزهوا الله سبحانه عن كل ما لا يليق به، فيجب عليهم أن يؤمنوا

بأنه تعالى ليس كمثله شئ، فهو مخالف لخلقه فليس بمادة من المواد وليس له جسم ولا يحل فى غيره من المواد، لأن المواد محدودة، فإذا حل فيها كحلول الماء فى الكوز أو حلول المـــاء فى العود الأخضر كان محدوداً، ولا يتحد مع غيره بأن يصير أحد المثلين عين الآخـــر، لأن المسلمين يؤمنون قبل كل شئ بأن الله الواحد من جميع الوجوه هو خالق الموجودات جميعاً، وكل من عداه فمستمد منه الوجود، فكيف يعقل أن يتحد القديم الأزلى بغيره ممن خلق بأن يصير هو، لا شك فى أن ذلك يترتب عليه أن يكون القديم حادثاً وذلك بديهى البطلان.

وكذلك عليهم أن يؤمنوا بأنه تعالى متصف بكل صفات الكمال، ومتره عن كل صفات النقص، فهو تام القدرة والإرادة، فلا يعجزه شئ فى الأرض ولا فى الســماء، ولا يكرهــه أحد على فعل شئ من الأشياء، لأن ذلك نقص ينافى عظمة الإله تعالى، وكذلك تام العلم، فـــلا يعـــزب عـــن علمـــه مثقـــال ذرة فى الأرض ولا فى الســـماء: ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤).

وقد ظن المبشرون أن قول المسلمين بتعدد صفات الله تعالى مع كونهم يوحدون الله تعالى حجة على قولهم: أن التثليث لا ينافى الوحدة، فيقولون: إنه حيث إن العقيدتين معلنتان فى كلام الله لا يمكن أن يكون بينهما تناقض، لأن التوحيد لا ينفى كل نوع من أنواع التعدد، مثال ذلك من المعلوم أن متعدد الصفات يقال: رحيم.. حكيم.. قادر.. عادل.. إلخ. حتى وصفه المسلمون بأنه مجمع الصفات الحسنة، جامع صفات الكمال، لكن تعدد الصفات لا يبطل وحدة الذات، ومثل ذلك تعدد الأقانيم لا يبطل وحدة الجوهر الإلهى.

وكان يكفى أن نسوق قولهم هذا للدلالة على سقوط هذه النظرية ســقوطاً بيّنــاً، لأن البداهة تقضى بالفرق بين تعدد ذوات حقيقة تتحد على بعضها اتحاداً حقيقياً مــع بقــاء شخصيتها، وبين تعدد صفات تتعلق بذات واحدة.. ولكنا نؤكد لهم كل التأكيد أن تعـــدد الجواهر المتميزة عن بعضها بخاصة من الخواص يستلزم عدم اتحادها حتماً– لما قدمناه مـــن الأدلة– فلم يبق لهم مفر عن القول بوجود آلهة ثلاثة إذا كانوا يريدون أن يجروا على سنن

العقل والمنطق، لأنه هو الذى يمكن أن يقع، ثم جاء بالدليل على بطلانه، أما اتحاد الذوات فلا يمكن وقوعه فى الوجود أصلاً، فهو باطل من أول الأمر.. فمن قال: إن هذه العقيدة تنافى التوحيد فإنه قال حقاً، يؤيده البرهان بلا خفاء، أما تعدد الصفات فإنه لا ينافى وحدة الذات، فإن الإنسان الواحد مثلاً يتصف بالكرم والشجاعة والعلم والقدرة، ومع ذلك هو لم يتغير، لأن هذه الصفات أمور معنوية قائمة به وتابعة له، وقد يكون متصفاً بصفات مشاهدة كالبياض والسواد ونحوهما، وهى وإن كانت غيره حتماً بحيث إذا لاحظها العقل وحدها يمكن الحكم عليها، ولكنها تابعة له فى الإشارة الحسية، فإذا أشير إلى الإنسان كانت الإشارة إلى صفاته المحسة تبعاً، على أن المسلمين يقولون: إن ذات الإله واحدة من جميع الجهات وأن صفاته هى عين ذاته، وإنما وصف الإله سبحانه فى كتابه الكريم بالصفات المتعددة من القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام ليرشد العقول البشرية إلى الآثار المترتبة على تلك الصفات، فخلق السموات والأرض وما فيها من عجائب هو أثر لذاته وحدها، وإن كان المعروف لهم أن المقدور أثر للقدرة، وكذلك المعلومات سواء كانت قريبة أو بعيدة، صغيرة أو كبيرة، دقيقة أو جليلة، فهى منكشفة لذاته بدون شئ آخر، ولكن لما كان المعلوم أثراً لصفة العلم، وصف الله نفسه بالعلم، وهكذا.. وبالجملة فكل ما تحسبه العقول البشرية السليمة كمالاً لله تعالى، فيجب أن يوصف به الله تعالى، باعتبار الآثار المترتبة عليه بقطع النظر عن كون هذه الآثار مترتبة على أمر زائد على الذات أو مترتبة على نفس الذات.

فقول المبشرين أن تعدد الصفات عند المسلمين كتعدد الأقانيم الثلاثة ليس بصحيح على أى حال، لأننا إذا جرينا على رأى من يقول: إن ذات الله تعالى واحدة من جميع الوجوه، وهى وحدها كافية فى ترتيب آثار الصفات عليها فالأمر ظاهر، وإذا جرينا على رأى من يقول: إن هناك صفات حقيقة زائدة على ذاته تعالى، لا هى متصلة بذاته ولا منفصلة، فإنه لا يلزم من تعدد الصفات تعدد الذات قطعاً.

ومن هذا يتضح لك أن المسلمين قد أطلقوا للعقل العنان فى التكلم فى صفات الله

سبحانه وتعالى، وأنهم لم يذروا شيئاً من الكلام فى ذات الله وصفاته إلا وقد عرضوه على محك النظر، وبحثوا فيه من جميع جهاته، فما أمكن للعقل أن يصل إليه نتيجة مسلمة فهو ما يجب اعتقاده، وما عجزت عنه العقول البشرية ولم تجد للخوض فيه مجالاً وقفوا عنده، وكلهم مجمعون على تنزيه الإله سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق به، فإن تنزيه الإله لا يرتاب فيه العقل ولا يخفى عليه شئ منه، بل هو ضرورى عند كل عاقل يعبد إلهاً كاملاً إذ لا يليق بالعاقل أن يتخذ إلهاً معبوداً ناقصاً فى أية جهة من جهاته، لأن المعبود الناقص سواء كان إنساناً أو حجراً أو شمساً أو قمراً أو حيواناً أو غير ذلك ليس أحق بالعبادة من الإنسان الذى يعبده فى الواقع، ونفس الأمر فعار عليه أن يتخذ إلهاً مثله أو دونه، ومن يفعل ذلك فقد برهن على جهة نقص ظاهر فيه، وضعف شديد مستولٍ على نفسه.

ولما كان تنزيه الإله هو الأصل الذى ترجع إليه مباحث المسلمين فى ذات الله وصفاته، كانت كل أدلتهم على ما ذهبوا إليه ترمى إلى هذه الغاية، فإذا وصل الدليل بواحد إلى ما فيه شائبة عدم تنزيه الإله عما لا يليق بعظمته وجلاله، أجمع الكل على نبذ ما دل الدليل عليه من عدم التنزيه.

ومن الغريب أنهم يقولون: إن عقل الإنسان القاصر المحدود لا يستطيع إدراك الخالق الأزلى الذى لا يتميز، أو إدراك ذاته العالية التى لا تحدها بداءة ولا نهاية، وأنه لا جدال فى أن الإنسان يستطيع أن يعرف بعض الأمور عن الله من غير طريق الوحى، وذلك من معاينة أحوال الخلق ومشاهدة أحوال ذاته، فهم يعرفون أن الله موجود، وأنه متعالٍ عن جميع خليقة يديه مما على الأرض أو فى السماء، وأن حكمته تعالى غير مدركة، وأن المرء لا يستطيع أن يعرف الله بدون وحى كما يعرف الصديق صديقه، والولد أمه، ولكن قد يعلم أن الله حكيم وأن رحمته فوق كل أعماله.

وهذا الكلام الذى يقولون صحيح فى ذاته، لأن عقل الإنسان لا يستطيع أن يدرك حقيقة ذات الله التى لا يمكن للعقول البشرية أن تدركها، ولكن يستطيع أن يدرك أن الله

موجود أزلى، متره عن التركيب من أجزاء مادية، أو مجردة، ومتره عن الاتحاد بغيره بحيث يصير أحدهما عين الآخر، ومتره عن الحلول فى غيره، كل ذلك داخل فى دائرة المعقول الذى لا يعجز العاقل عن إدراكه، فواجب عليه أن يؤمن به حقاً، وأن يصدقه تصديقاً جازماً لا شك فيه ولا ريب، وإلا كان عابداً لإله ناقص، فهو مستو مع من يعبد الوثن، ومن يعبد البشرية والبقر، فلو كان هؤلاء المبشرين ممن يتبعون سنن المنطق فى أقوالهم لكانت مقدمتهم هذه أحسن زاجر لهم عن القول بالأقانيم واتحادهم، فإن العقول البشرية السليمة تذعن بأن ذلك نقص فى ذات الإله، لأنه يستلزم التركيب فى ذاته تعالى، كما يستلزم تعدد الآلهة قطعاً، مهما يتستروا بستار وحدة اللاهوت بعد اتحادهم، فإن ذلك الستار شفاف لا يحجب العقل عن الإيمان بأن الشخصيات المتعددة المتميزة عن بعضها بخاصة الوجود، لا يمكن أن تكون واحدة مهما اختلط بعضها ببعض.

أدلة المبشرين على إثبات عقيدة الثالوث ونقضها :

نصوص الإنجيل والتوراة:

الإنجيل هو الدليل الأول الذى عليه المعول عندهم فهم يقولون: إن الدليل على صحة التثليث هو الكتاب المقدس وكفى به دليلاً لأنه صادر من الله، وهو يعرف نفسه أكثر مما نعرفه، وغاية ما نقصده من سرد الأمثلة أن ندفع الشبه التى يتعرض بها على هذا الموضوع، ونبرهن على أنها صادرة عن سوء فهم، وأن ليس من الصواب رفض كتاب الله لاشتماله على مسائل تفوق عقولنا ونستبد بآرائنا الخصوصية.

ويقولون: إن كل مطلع جيد بالكتاب المقدس يعلم أن عقيدة الثالوث مأخوذة منه بدلالة آيات كثيرة فى غاية الصراحة، وهى التى منها صاغ النصارى نصها– مع اختلاف قليل فى اللفظ– ولكنهم لم يذكروا لنا من هذه الآيات شيئاً حتى نعرف مقدار ذلك الاختلاف، فهل حقيقة ورد فى الإنجيل – سواء كان محرفاً أو صحيحاً– نص يدل على عقيدة الثالوث على الوجه الذى بيّناه لك وأقره المبشرون؟.

الواقع أنك ستعرف قريباً أن الأناجيل لا شئ فيها، ومع ذلك فقد ذكروا نصين: الأول نقلوه من التوراة وهو: [اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد] وهذه العبارة مــذكورة فى الإصحاح السادس من سفر التثنية آية ٤، وبعد هذه الجملة ما نصه: [فتحب الرب إلهــك من كل قلبك ومن نفسك ومن كل قوتك ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك].

أما النص الثانى فقد نقلوه من إنجيل متى وهو: [عمدوهم باســم الأب والابــن وروح القدس] وهو فى الإصحاح الثامن والعشرين، وبعد هذه الجملة التى نقلوها من إنجيل متى ما نصه: [وعلموهم جميع ما أوصيتكم به].

هذان النصان هما اللذان استدل المبشرون بهما على الوحدة والثالوث، فالتوراة نصــت على أن الله واحد، والإنجيل نص على أنه أب وابن وروح قدس، فتكون ثلاثــة.. وهــذا تناقض لابد من دفعه، لذلك يجب القول بأن الثلاثة فى الأزل اتحدوا اتحاداً حقيقياً وصاروا واحداً، فلا تناقض، وهل من الضرورى العمل بآية التوراة ما دام الإنجيل يخالفها؟ فلماذا لم يأخذ بآية الإنجيل ويقطع النظر عن آية التوراة كما قطع النظر عن كــل مــا فيهــا مــن أحكام؟!.

والجواب: أن العمل بها عندهم ضرورى، لأن الإنجيل أخذ بها بنصــها، ولهــذا قــال المبشرون: إن المسيح قد أخذ بهذه الآية كما فى إنجيل مرقص ونصه: [فجاء واحــد مــن الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله أية وصية هي أول كــل شــئ* فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد] (مــرقس، إصحاح ١٢، آيات ٢٨، ٢٩).

ولا ريب فى أن كل قارئ منصف للتوراة والإنجيل فى هذا الموضــوع لا يســعه إلا أن

يدهش من الذين يأخذون منهما عقيدة الثالوث، فإن التوراة قد نصت صريحاً على الوحدة المطلقة وكذلك إنجيل مرقس، فإنه عمل بآية التوراة من جميع الوجوه وجعلها أول الوصايا، فلم يبق إلا ما ورد فى إنجيل متى وهو: [عمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس] على أنه قال بعد هذه الكلمة: [وعلموهم جميع ما أوصيكم به] ومن أول وصاياه التوحيد.

أليس من الواجب فى مثل هذه الحالة أن نفهم هذه الآية فهما يتناسب مع التوحيد الذى صرح به فى التوراة والإنجيل تصريحاً قاطعاً؟، نعم الواجب هو ذلك عند كل عاقل مفكر يعرف عظمة الألوهية ويقدر تتريه خالقه حق قدره.

ولكن من الأسف الشديد أن جمهور النصارى سواء كانوا كاثوليك أو بروتستانت أو غيرهم يعتقدون أن ذات الإله مركبة من الأقانيم الثلاثة على الوجه الذى بيناه.

معنى الجملة الواردة فى إنجيل متى :

على أن الجملة الواردة فى إنجيل متى لا تفيد مطلقاً معنى الثالوث ولا تفيد أن الابن حقيقة مماثلة لحقيقة الله ولا روح القدس كذلك، بل المعنى المتبادر منها أنه يقول لهم: عمدوهم باسم الله وباسم رسوله وباسم روح القدس الذى يحمل الوحى إلى الرسول، وهذا المعنى حسن لا مانع منه وليس فى العبارة ما ينافيه، بل هو المتبادر لأن الذى يجعل التوحيد المطلق من أول وصاياه لا يصح أن يقول للناس: إن الإله ثلاثة أقانيم متميزة متحدة، لأن ذلك تناقض ظاهر لا يصلحه ذلك التأويل الفاسد الذى لا يقره عقل ولا نقل.

أما التعبير عن الرسول بالابن فإنه مألوف فى التوراة والإنجيل، وهو كناية عن القرب من الله تعالى، فالرسول ابن الله؛ بمعنى أنه مقرب منه ومحبب لديه، ومن ذلك إطلاق خليل الرحمن على سيدنا إبراهيم، على أن التوراة والإنجيل قد توسعت فى هذا فأطلقت ابن الله على غير المسيح أيضاً فى غير موضع، ففى الإصحاح الخامس من إنجيل متى: [طوبى لصانعي

السلام لأنهم أبناء الله يدعون]، وفى الإصحاح الثامن من إنجيل يوحنا ما نصه: [أنتم تعملون أعمال أبيكم فقالوا له إننا لم نولد من زنا لنا أب واحد وهو الله]، وغير ذلك من العبارات الدالة على أن إطلاق ابن الله على الناس أمر شائع فى أناجيلهم، وقد أطلق ابن الله فى التوراة أيضاً على الناس فقد ورد فى الإصحاح الثالث والستين من كتاب أشعيا ما نصه: [فإنك أنت أبونا وإن لم يعرفنا إبراهيم وإن لم يدرينا إسرائيل أنت يا رب أبونا ولينا منذ الأبد اسمك] الآية ١٦.. فالابن بمعنى الحبيب أو المقرب شائع مستعمل فى التوراة والإنجيل فى الآيات التى ذكرناها لك وفى غيرها، وقد حكى الله عنهم فى القرآن الكريم فى قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ (المائدة: ١٨)، وبديهى أنهم لا يريدون من إطلاق البنوة على غير المسيح، ذلك الذى يريدونه من بنوة المسيح بل لابد أن تكون أبوة الله المذكورة فى مثل هذه الآيات لا معنى لها سوى رحمته بهؤلاء الناس ورأفته بهم، فلماذا اختصوا المسيح بتلك البنوة التى هدموا بها التوحيد من أساسه وهم لا يشعرون؟، ما هو السبب الذى جعلهم يتشبثون بتلك العقيدة المعقدة التى لا أساس لها فى دين الله، ولا فى كتاب من الكتب المنزلة؟.

وقد أجاب المبشرون عن ذلك السؤال بشبه أوهن من بيت العنكبوت، وظنوا أنها أدلة قاطعة فقالوا: [إن المسيحيين فهموا عقيدة الثالوث وهى: أن لذات الله القدوسة ثلاثة أقانيم فى جوهر واحد الأب والابن والروح والقدس].. من مؤلفات النصارى الأولين الذين بقيت كتابتهم إلى عصرنا الحاضر مما يدل على أنهم فهموا الكتاب من هذه الحيثية كما فهمها المبشرون.

ويدل هذا القول دلالة واضحة على أن عقيدة الثالوث لم تصرح بها أناجيلهم، وإنما هم مقلدون أسلافهم فى فهمها، وإن شئت قلت: إنهم مقلدون القانون الإثناسيوسى وكفى بذلك التصريح دليلاً على ضعف هذه العقيدة، وعدم ارتكازها على دليل صحيح، فإن العقائد لا تثبت إلا بالبراهين القاطعة التى تذعن لها العقول، ويجب أن يكون طالب العقيدة حراً فى تكفيره لا يقيد بآراء الغير حتى يطمئن إلى صدق ما يعتقده ويذعن له إذعانا

صحيحاً، أما أنه يقلد غيره فى فهم عقيدة من العقائد التى ينبنى عليها أساس الدين فذاك لا يقال له مؤمن حقاً، نعم يصح له أن يقلد ما يثبت عنده أنه من عند الله بـــدون بحـــث، إذا كان صريحاً فى المطلوب، ولم يكن فيه نقص فى ذات الله تعالى وإلا وجب تأويله كما ذكـــر لك آنفاً.

فالمسألة ليست مسألة كتاب مقدس، وإنما مسألة جماعة يقررون ما يشاءون، من أجـــل ذلك خرج على عقيدة الثالوث هذه كثير من مفكريهم فقالوا: إن لفظة الثالوث لا توجـــد فى الكتاب المقدس، وأنه لا يمكن أن يؤتى بآية من العهد القديم تصرح بتعـــاليم الثـــالوث، ولكن قد اقتبس المؤلفون النصارى القدماء آيات كثيرة تشير إلى وجود صورة جماعيـــة فى اللاهوت ولكن لم تكن هذه الآيات كبرهان قاطع على الثالوث، لأنها قابلة لتفاسير مختلفة، ولكن يؤتى بها كرموز إلى الوحى الواضح الذى يعتقدون أنه مذكور فى العهد الجديد.

وفى قولهم هذا نصاً صريحاً على أنه لم يوجد لفظة ثالوث فى الكتاب المقدس عندهم، ولا يمكن أن يؤتى بآية من العهد القديم تصرح بتعاليم الثالوث، وأن الآيـــات الـــتى اقتبســـها المؤلفون النصارى لا تصلح دليلاً.. على أنهم أرادوا ستر قولهم هذا فقالوا: إنهم يأتون بهـــا كرموز إلى الوحى الواضح الصريح– وليت شعرى إذا كان الـــوحى واضـــحاً وصـــريحاً، فكيف لا يكون فيه دليل على المطلب.

على أنهم يقولون: إن الجدال هذا ابتدأ فى اللاهوت فى العصر الرسولى، وقد نشأ علـــى الأكثر عن تعليم الفلاسفة الهيلاتيين وأول من استعمل الثالوث ترتليانوس.

وواضح من هذا أنه لم تكن تلك العقيدة موجودة فى عهد المسيح، ولا أثر لها فى الوحى الإلهى مطلقاً، وغريب أن يسلموا بأن المسيح لم يقل لهم: إنه إله أو ابن إله، ولم يبين لهم هذه العقيدة، ثم يجيبوا عن هذا بأن تعاليم المسيح لم ينشرها كلها حال حياته، بل أخبر تلاميـــذه بأنه سيكملها لهم بعد وفاته، لأن هذا إن صح فى الأمور الفرعية فإنه لا يصح أن يكون فى

أول الوصايا، فإن معنى كون التوحيد من أول الوصايا أن ما جاءهم به المسيح هو معنى توحيد الإله، وإذا كان كذلك فمن الواجب المحتم أن يبين لهم حقيقة التوحيد، ونظن ذلك ظاهر لا ريب فيه.

ومن أجل ذلك فإن كثيراً من النصارى خرجوا على هذه العقيدة فالأبيونيون كانوا يعتقدون أن المسيح إنسان محض. والسابليون كانوا يعتقدون أن الأب والروح القدس إنما هى صور مختلفة، أعلن الله بها نفسه للناس. والأريوسبون كانوا يعتقدون أن الابن ليس أزلياً كالأب، بل هو مخلوق منه قبل العالم، ولذلك هو دون الأب خاضع له. والمكدونيون أنكروا كون الروح القدس أقنوماً، على أنهم يقولون: إن هذه الآراء اعتبرتها الكنيسة إلحادية.

وأما تعاليم الكنيسة فقد قرره المجمع النيقاوى سنة ٣٢٥ للميلاد، ومجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ وقد حكما بأن الابن والروح القدس مساوياً للأب فى وحدة اللاهوت، وأن الابن قد ولد من الأزل من الأب، وأن الروح القدس منبثق من الأب، وجاء مجمع طليطلة المنعقدة سنة ٥٨٩ حكم بأن الروح القدس منبثق من الابن أيضاً على خلاف فى ذلك.

ومن ذلك يتضح أن المسألة ليست مسألة كتاب مقدس أنزله الله على رسوله، وإنما هى مسألة جماعة يقررون ما يشاءون ويحكمون بما يريدون، وهل مسائل الوحى الذى من عند الله تعالى تفصل فى أمرها المجتمعات كما تفصل فى الأمور السياسية، إن ذلك لمن أوضح الأدلة على أن هذه العقيدة هى من وضع البشر بلا نزاع، على أننا لاحظنا فى بيان عقيدة الثالوث الذى ذكرناه لك فيما مضى رأى مجتمعاتهم وما عليه العمل فى كنائسهم، ومن أجل ذلك قدمنا لك الشرح كاملاً لتعرف الأدلة عليه كاملة، وها أنت ذا قد عرفت أن الدليل الأول وهو الذى عليه المعول فاسد من أساسه لا حجة لهم فيه ولا فائدة لهم، لأن الكتاب المقدس عندهم لا يستطيعون أن يأتوا منه بدليل أو شبه دليل على ما يزعمون، ولقد صدق البوصيرى حيث قال:

خبرونا أهل الكتابين من أين أتاكم تثليثكم والبداء
ما أتى بالعقيدتين كتاب واعتقاد لا نص فيه ادعاء
والدعاوى إن لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

هل كون (باسم) ذكرت بصيغة المفرد فى عبارة: [عمدوهم باسم الأب].. إلخ.. دليل على التوحيد؟.

يقول المبشرون: إن جملة إنجيل متى، وهى عمدوهم باسم الأب.. إلخ، تدل على حقيقة التوحيد كما تدل على تثليث الأقانيم لأنه قال باسم بصيغة المفرد لا الجمع، مع أنه ذكر الأقانيم الثلاثة كلا على حدته، ومن هذه العبارة نفهم أنه لا يمكن أن يكون الابن والروح القدس مخلوقين بدليل أنهما مقرونين باسم الأب كشئ واحد بخلاف عدم ملاءمة الاسم نفسه لما يكون مخلوقاً، فإن كلمة ابن الله والروح القدس لا يصلح أن يسمى بهما الشئ المخلوق، فهم يريدون أن يقولوا: إن هذه العبارة تدل على الثالوث ولوجوه من وجهين:

الوجه الأول: أنه قال باسم الأب والابن والروح القدس، فقد قرن الثلاثة ببعضهم وسلط الاسم على الأب فقط، وهذا يدل على التماثل التام والتساوى فى الجوهر والقدم وكل شئ، فالابن وروح القدس كالأب فى القدم، ولا يصح أن يكونا مخلوقين، ولو كان الابن وروح القدس مخلوقين لقال بأسماء الأب والابن وروح القدس لأن تعدد الأسماء يفيد تغاير المسميات.

الوجه الثانى: أن اسم ابن الله وروح القدس لا يصح إطلاقهما على المخلوقات أو لايلائمان المخلوقات، فلا يصح أن يقال: زيداً بن الله ولا روح القدس، وإنما يقال ذلك للقديم فقط، فهل يستطيع مفكر أن ينقض هذا البيان العجيب الذى جاء به المبشرون لابد أن يكون الجواب سلباً لأن نقض المنقوض بطبيعته محال.

ونحن نقول لهم: إن اللغة التى يتكلمون بها الآن لا تدل على شئ مما يقولون مطلقاً، لأن العطف بالواو يقتضى أن المعطوف مشارك للمعطوف عليه فى الحكم فقط لفظاً ومعنى، فإذا قلت جاء محمد وعلى وموسى، كان معنى ذلك أن علياً وموسى اشتركا مع محمد فى المجئ حقيقة، فكل منهما جاء، ومعلوم أن العطف يقتضى المغايرة أيضاً فلابد أن يكون علىٌّ غير موسى، فلنطبق هذه القاعدة على ما هنا لنعلم أن الابن وروح القدس يشتركان مع الأب فى طلب التعميد باسمهما، وأن روح القدس والابن غير الأب، ولا فرق فى الاشتراك بين أن يذكر الاسم مفرداً أو جمعاً مضافاً إلى أحدهم فقط، أو إلى كل واحد منهم، ولا دلالة فى العطف على الاشتراك فى الماهية أو اتحاد المعطوف عليه وصيرورهما شيئاً واحداً، من ذا الذى يفهم من قول أستعين باسم الله والملك والأمير، بأن الملك والأمير متحدان مع الله فى ذاته ومساويان له فى جوهره وأن الثلاثة شئ واحد، أظن أن الذى يفهم ذلك من هذه العبارة يدل على أنه لا يتكلم إلا مع نفسه، وأنه لا يخاطب أحداً من العقلاء، وربما أساء به الظن بعض سامعيه، فأخذ به إلى طبيب يعالج له قواه العقلية، على أننا إذا قطعنا النظر عن كل ما تقتضيه اللغة وقلنا: إن اقتران المعطوفات يقتضى التماثل التام، فإنه لا يمكننا أن نقول: إن العطف لا يقتضى المغايرة فلابد أن يكون المعطوف عليه فإذا قلنا: جاء زيد وعمر وبكر، فلابد أن يكون كل واحد منهم مغايراً لصاحبه، مهما قلنا بتماثلهم، وإذا كان كذلك فمن أين تأتى الدلالة على اتحاد الأب والابن وروح القدس ببعضهم.

وأما الوجه الثانى، فقد عرفت الرد عليه آنفاً وهو أن التوراة والإنجيل قد سميا المخلوق ابن الله، وذلك المخلوق غير رسول الله، فالرسول أولى بهذه التسمية، وإذا ثبت أن الابن يطلق على المخلوق بدون حرج، فإطلاق روح القدس على المخلوق أقل حرجاً منه بلا ريب، لأن مرتبة الابن لا خلاف فيها عندهم بخلاف روح القدس فإن فيها اختلافاً كبيراً، لأن المجمع النيقاوى قرر أنه منبثق من الأب فقط، ومجمع طليطلة قرر أنه منبثق من الأب والابن معاً، ومع ذلك اختلفت الكنائس فبعضهم يقول: يجب العمل بما قرره المجمع النيقاوى، وبعضهم يوجب العمل أيضاً بما قرره مجمع طليطلة كما ذكره البستانى فى دائرة المعارف، وذلك الخلاف وحده يوجب الشك فيه على الأقل فتكون مرتبته أضعف من

مرتبة الابن، على أنهم قرروا أن الإنسان مماثل لله من جهة عقله وروحه ومن يقرر هـــذا لا يستنكف أن يطلق روح القدس على الإنسان، وبذلك تعلم أنه لا دليل من الإنجيل علـــى الثالوث مطلقاً، وإنما هو أوضاع الفلسفة الإلحادية التى تحاول أن تدخل على العقول أنه لا تناقض بين الوحدة والتعدد، كما أنها تحاول أن تزخرف للعقول نظرية اتحاد المجرد بالمـــادى لترجع بكثير من ضعاف التفكير إلى العقائد الوثنية من حيث لا يشعرون.

وإذا قارنا ما يقوله النصارى من اتحاد المسيح بدم مريم، بما قالــه الهنــود الوثنيـــون فى كرشنا وبوذا، فقد نجدهما متطابقتان، فالهنود يقولون: إن كرشنا هو المخلـــص والفـــادى والمعزى وابن الله والأقنوم الثانى من الثالوث المقدس (الأب والابن وروح القدس)، وولـــد من العذراء ديفاكى التى اختارها الله والدة لابنه بسبب طهارتها وعفتـــها.. إلخ، وبمقارنـــة الذى يقوله الوثنيون وبين النص الذى ذكر فى الإنجيل نجد أنهما متطابقان حرفـــاً بحـــرف، ومثل ذلك بوذا، فإنهم قالوا: إنه تجسد بواسطة روح القدس على العذراء مايا وأنـــه ابـــن الله.. إلخ.

الرد على أن الله ذكر فى القرآن بصفة الجماعة:

ونرجوا القارئ الكريم أن يعذرنا فى نقل قولهم هذا فإننا فى حالة اضطرار لأن نشـــرح للناس كل أدلتهم حتى لا تقوم لهم حجة بأننا تركنا شيئاً.

يقول المبشرون: ومما لا يصح إغفاله أن القرآن يتفق مع الكتاب المقدس فى إسناد الفعل وضمير المتكلم فى صيغة الجمع إلى الله، وأن أمثلة ذلك أقل بكثير فى التوراة عما هـــى فى القرآن، ومما ورد فى التوراة هذه المواضـــع (تكـــوين: ١: ٢٦، ٣: ٢٢، ١١: ٧)، وفى القرآن ما ورد فى سورة العلق وهى عند المسلمين أول ما نزل من الوحى على سيدنا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾، فقد ورد فى عدد (٨) لفظ الرب اسماً للجلالة، وعدد ١٣ لفظ الله، وكـــلاً من اللفظين فى صيغة المفرد، ولكن فى عدد ١٨، ورد ضمير الجلالة بصيغة الجمع حيـــث يقول: ﴿سندع الزبانية﴾.

ويقولون: حيث إن الكتاب المقدس والقرآن يتفقان على هذا الأسلوب من التعبير عن ذات الجلالة بضمير الجمع، وأنهم أوردوا ذلك إشعاراً بأنهم لم يخطئوا إذا اعتبرنا عقيدة التثليث موافقة لإسناد ضمير الجلالة بصيغة الجمع إلى الله فى القرآن.

وهم بقولهم هذا جاهلين جهلاً تاماً بأبسط قواعد اللغة العربية، وتحملهم الجرأة والتعصب لعقيدتهم إلى الحكم على بلاغة القرآن وفصاحته.

أما الذى يريدونه من قولهم هذا فهو أن التوراة والإنجيل والقرآن تارة يعبر فيها عن: ذات الله تعالى بالاسم المفرد كلفظ الله، ولفظ رب، وتارة يعبر عنها بضمير الجماعة، ولكن التعبير بلفظ الجماعة فى التوراة أقل من التعبير به فى القرآن، وهم يشيرون إلى ما ورد بنون العظمة فى التوراة بالمواضع التى رمز لها بهذه الرموز، ولنبينها بنصها وكلها فى سفر التكوين.

ففى الإصحاح الأول عدد ٢٦ ما نصه: [قال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا]، فقد أعاد ضمير الجماعة، وهو (نا) على الله، وفى الإصحاح الثالث عدد ٢٢، [وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر]، أراد آدم، فقد قال: منا، وهو ضمير الجماعة، وفى الإصحاح الحادى عشر عدد ٧: [هلم نترل ونبلبل هناك لسانهم]، فقال: نترل ونبلبل بنون الجماعة.

أما فى القرآن فالأمر ظاهر وقد استدلوا بسورة اقرأ فإن الله سبحانه عبّر عن نفسه فيها بالمفرد تارة فقد قال: ﴿اقرأ باسم ربك﴾، وعبر بنون الجماعة: ﴿فليدع ناديه سندع الزبانية﴾.

وحيث إن القرآن والتوراة والإنجيل اتفقت فى التعبير عن ذات الإله مرة باللفظ المفرد

ومرة بنون الجماعة فليس لذلك معنى عند المبشرين، إلا بأنه يدل على أن الإلــه ثلاثــة فى واحد، أى نعم، يا له من دليل تضرب من أجله أكباد الإبل، وإن شئت قل: يا للعار، فإنه لا يصلح لمن يريد أن يثبت عقيدة دينه بالبراهين القطعية التى تذعن لهــا عقــول النــاس، وتطمئن لها قلوبهم بمثل ذلك الخيال الذى لا حقيقة له إلا فى مخيلة صاحبه، ومع ذلك فلنسر معهم حيث يريدون، ونؤكد لهم أن ضمير المتكلم، منه ما هو موضوع للمفــرد الــذى لا يريد أن يعظم نفسه كقمت وقعدت ونحو ذلك، ومنه ما هو موضوع للمفرد المعظم نفسه كنحن وقمنا وقعدنا إذا كان المتكلم واحداً، ومثل هذا يستعمل فى المتكلم الذى معه غيره فاللغة العربية قد وضعت ضمير المتكلم للمعظم نفسه، ومن ذا الذى أحق باستعمال ضمير العظمة من الخالق سبحانه وتعالى فــإذا قال الله تعالى: خلقنا السموات، أو سندع الزبانية، فإن ذلك نون العظمة من غير نزاع وهو معنى لغوى لا يحتاج أحد فى فهمه إلى كبير عناء، ومع ذلك فلنفرض أن ذلك الضمير للجماعة بخصوصها فإنما يدل على جماعــة متعــددة متباينة كما إذا قال شخص: قمنا أو قعدنا وكان معه غيره فإنه لا يفهم منــه لغــة إلا أن المتكلم معه زيد وعمرو وهما غيره، فمن أين يأتى هذا الاتحاد وذلك التركيب المخزى، فإذا قال الإله: نحن وكان معه مثله كانوا ثلاثة آلهة غير متحدين وإذا قال: أنا، كــان المــتكلم واحداً منهم.

وهل الأوضاع اللغوية يمكن أن يؤخذ منها أن الثلاثة صاروا واحداً فتارة يعود الضمير عليها باعتبار كونها ثلاثة، وتارة يعود عليها باعتبار كونها واحداً كلا وعجيــب أن هــذا البرهان أخذ به كثير من المفسرين، وأعجب من هذا أن يقول المبشرون: إن تعليل المسلمين بالتعظيم سخيف لا يشفى غليل الباحث، فليعذرونى إذا قلت لهم: إن أسخف قول سمعتــه ذلك القول الذى يستدل به صاحبه على أن معنى نون العظمة هو الثالوث، ومــا كنــت أتصور أن مخلوقاً ينحدر به التفكير إلى هذا الحد.

(إسقاط) لم يخطر فى بال:

المسلمون يعبدون ثالوثا، أحد أقانيمه (محمد). عبد النصارى ثالوثا أحد أقانيمه (يسوع)، فأسقطوا ما فيهم- والعقل يأبى التثليث، ويرفض غير التوحيد- على المسلمين، يقول الله سبحانه وتعالى فى محكم التتريل، مخاطبا نبيه سيدنا محمداً ﴿ﷺ وآله﴾:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ (الكهف: ١١٠).

وحين انتقال النبى ﴿ﷺ وآله﴾، نزل نبأ انتقاله على الصحابة كالصاعقة، ولم يكد بعضهم يصدق بهذا النبأ، قال أبو بكر الصديق ﷺ عندها مخاطباً المسلمين:

(من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت)، هذه عقيدة المسلم، لا ما يدعون فى (إسقاطهم).

كلمة حق:

ولم يخل الغرب من صاحب كلمة حق، يقولها ولو أغضب الكنيسة، يقول (كلود إيتان سافارى) فى مقدمة ترجمته للقرآن الكريم:

(أسس محمد ديانة عالمية تقوم على عقيدة بسيطة لا تتضمن إلا ما يقره العقل من إيمان بالإله الواحد الذى يكافئ على الفضيلة، ويعاقب على الرذيلة، فالغربى المتنور وإن لم يعترف بنبوته، لا يستطيع إلا أن يعتبره أعظم الرجال الذين ظهروا فى التاريخ).

الخـــاتمة

ما هو الدين الذى نختاره؟

السعادة التامة.. هى الغاية التى تسعى إليها البشرية قبل كل شئ.. وهى لن تجـدها.. كما يثبت البرهان والواقع إلا فى ظل الدين الذى يضع برامجه الحياتية خالق البشرية العـالم بأدوائها وعلاجها.

وهناك الكثير مما يسمى ب- (الدين) من النظم والعقائد، فما هو الدين الواقعى الـذى يجب أن نختاره ونفضله على الباقى؟!.

نحن نرى أن الدين الصحيح هو مجموعة القوانين والنظم العامة الشاملة الكفيلة بتـأمين متطلبات السعادة البشرية والقائمة على أساس من علم تام بالاحتياجات البشرية وعلاجها، وهذا لا يتوفر إلا فى الله خالق الكون، فالدين الصحيح إذن:

عقيدة واقعية تقوم على أساسها قوانين شؤون الحياة الإنسانية كلها.

وخلافا لما كان سائدا فى الغالب بين الناس فى العصور والقرون الماضية مـن الاتبـاع الأعمى والتقليد المطلق لأى دين لديهم، والتعصب البغيض لـه دون أن يلتفتـوا إلى أى نقاش.. خلافا لذلك، فإن البشرية المتمدة اليوم تتطلب الدين وتسعى إليه حينمـا يكـون مشتمـلا على مختلف النظم التى تعالج شؤون الإنسانية كلها من مادية، ومعنويـة، كـى تستطيع فى ظله أن تحل مشاكل حياتها.. لا الدين الذى يتشكل من مجموعة مراسم خاويـة جافة لا فائدة فيها.

والذى نلاحظه اليوم– ومع الأسف– فى الشرائع ما عدا الإسلام– وهى كلها نماذج محرفة من الشرائع السماوية القديمة أو المذاهب الأخلاقية التى انتشرت قبل آلاف من السنين– ما نلاحظ فيها أنها ليست فاقدة لتخطيط كامل وشامل فحسب، بل هى أيضا لا تدعى لنفسها ذلك:

إن تعاليم زردشت، بوذا، كنفوشيوس، اليهودية والمسيحية مع أنها قد حملت وأعطيت لبعض الناس على أنها أديان، فإنها– إن كانت مما يعتنى به– لا تتعدى سلسلة من النصائح والمواعظ التى لا تحل أية عقدة اجتماعية، أو اقتصادية أو سياسية، ولا تعالج أية مشكلة من مشاكل العالم المتزايدة.

ونحن إذ نعيش فى مثل هذا العصر وبين مثل هذه المشكلات المتنامية يوما بعد يوم، وإذ نشاهد الرقى العلمى والتجريبي للبشرية من جهة وخرافات الأديان والمذاهب المعروفة فى العالم من جهة أخرى، لا نرى من اللائق بنا أن ننتخب دينا معينا هكذا وعلى أساس من التعصب والتقليد الأعمى وبدون أية دقة وبحث، أو أى اعتناء بالحاجات الروحية والمادية؟.

أنا أعلم يقيناً أنه اختيار صعب، لأن العقل والتفكير لن يجيز لنا هذا المسلك، بل إنه بمقتضى حكم العقل والمنطق يجب علينا أن نكون بصدد البحث عن دين يتكفل تأمين النظم التى تسد احتياجات الإنسان فى كل الجوانب، وتستهدف السعادة الإنسانية على أن يكون ذلك الدين قادرا على تحقيق ذلك.

ونحن لم نعهد وجود مثل هذا الشمول فى غير الإسلام، ولهذا فإننا نختار الإسلام لا غير.

لماذا نختار الإسلام؟

إننا نسلم.. لأننا وجدنا فى الإسلام– لا غير– صفات ومزايا الدين الحق الصحيح التى

يفرضها عقلنا ويصدق بها كل إنسان منصف.

إننا نسلم.. لأن القوانين الإسلامية تحوى برنامجا كاملا لتأمين أساس (سعادة الإنسانية)، ولهذا السبب فهى تحوى أحكاما شاملة وواقعية وبرامج منظمة دقيقة فى مختلف الشؤون الحياتية والاجتماعية، الأخوة، المساواة والفردية والداخلية (من قبيل التعليمات الطبية والوقائية وآداب السفر، وقوانين المرور، وحتى الاستحمام).

إننا نسلم.. لأن الإسلام دين منطقى يتعامل مع العقل والفكر لا العواطف فقط، ولأنه جاء بأمور يقبلها الجميع على اختلاف مستوياتهم الفكرية وطاقاتهم العقلية، لأنها وفق فطرتهم، ولأنه لا يعتذر ويتوسل أمام العلم والعلماء الذين يطلبون الدليل منه بأن تعاليمه أمور (سرية) و(رمزية) وأمثال ذلك من أعذار واهية، فلا يفر من المنطق والاستدلال، بل يؤكد على أنه الأسلوب الأمثل للوعى والاعتقاد والإيمان الكامل...

أننا نؤمن ب- (الله) الذى يعرفه لنا الإسلام.

ذلك لأن الصورة التى يقدمها لنا الإسلام عن (الله) خالق الكون لم تكن- كما كانت المسيحية وسائر الشرائع المنسوخة- تحت رحمة ذوق أى أسقف أو قسيس ومستوى تفكيره.

فالمسألة الإلهية أصولا فى الإسلام- وخلافا للمسيحية- لم تكن يوما مخالفة للاستدلال والعقل، بل بنيت محضا على أساس من التفكير والدليل والبرهان.

نعم.. إننا نسلم.. لأننا نرى الإسلام دينا مطابقاً للفطرة والبنية الطبيعية للإنسان، ونرى قوانينه بنيت على هذا الأساس الواقعى الفطرى، ولذا كان دينا جامعا كاملا واضحا سهلا، ولا يمنع من التقدم بل يحث عليه فى جميع المجالات المناسبة.

ليس فى الإسلام ركود أو جمود، إنه الدين الإيجابى الحركى لا الدين الضعيف أو الميت.

وأهم مسألة مادية فيه هى العمل والإبداع اللذان يحث عليهما بمختلف الأساليب والمناسبات، ويعتبر الدنيا بدونهما (دنيا لا معنى لها).

إننا نسلم.. لأن الإسلام عدو الخرافات، ولأنه لا يسعى أبدا لكى يحمل الناس مثل تلك العقائد التى تسعى المسيحية اليوم لتحميلها على الناس مثل خرافة (عبادة الثلاثة)، أو المراسم الخاوية الخالية من أى مدلول مثل (التعميد) و(العشاء الربانى) و(صكوك الغفران) كل ذلك باسم الدين.

إننا نسلم.. لأن الإسلام خلافا للمسيحية وبعض المذاهب الأخرى لا يحارب العلم والمسلمات فى عالم الطبيعة، ولأنه يذكر العلم بكل خير، ولا يجيز مطلقا أن يقف المكتشفون والمخترعون أمام منصة الحكم لأجل أن يجيبوا على قمة الفهم الصحيح للطبيعة وقوانينها واكتشافاتهم العلمية فيها، ومن ثم يصدر الحكم عليهم بالقتل أو الإحراق أو الشنق، وما تقدمت أوربا وأمريكا إلا بعد الأخذ من علوم المسلمين، والتحرر من سلطان الكنيسة.

إننا نسلم.. لأننا لا نجد للإنسان كرامة وشخصية محترمة إلا فى الإسلام.. ومن هنا فإن الإسلام هو الدين الوحيد الذى منح الناس الحرية فى العقيدة إذ قال: ﴿لا إكراه فى الدين﴾ (البقرة: ٢٥٦).

فلم يجبر أحدا على اعتناق الإسلام، ولم يشكل محاكم تفتيش العقائد (الانكيزيسيون).

والانكيزيسيون: أو محاكم تفتيش العقائد، هى مجالس منشأة من قبل البابوات والقساوسة فى القرون الوسطى فى كل أنحاء أوربا، وكانت سجونها ملأى بمخالفى المسيحية، وأولئك الذين اتهموا بالضلال والإلحاد حيث كانوا يعذبون عذابا أليما ثم يحرقون.. إننا نرجو أن تطالعوا تاريخ القرون الوسطى لتكونوا على علم بجنايات الآباء الروحيين، لتعلموا بماهية الجنايات الوحشية التى ارتكبوها باسم الدين والدفاع عنه.

إن الإسلام ليجيز- على العكس- أن يعيش الآخرون فى ظل حكومته الإسـلامية فى أمان ورفاه ويضع لهم حقوقهم الاجتماعية.

إننا نسلم.. لأننا نرى الإسلام.. (الحافظ الأصيل لحقوق الإنسان) إذ نجد فى أى جانب من جوانبه دفاعا عن حقوق الإنسان وجهادا ضد الظلم وهضم الحقوق، وسعيا لإحقـاق حقوق المجتمعات فى العالم.. ولهذا الأمر فإنه الدين الوحيد الذى جعـل السياسـة بـالمعنى الواقعى للكلمة جزءا منه ليكون تدبير الأمور الاجتماعية للمجتمع قائمـا علـى أسـس وقواعد إنسانية وبشكل صحيح تحت نظره.. لا أن يكون قائما على أساس مـن الخـداع وبأيد فاسدة مجرمة.

إننا نتبع الإسلام.. لأن القوانين الحقوقية فى الإسلام بالأدلة القاطعة المتوفرة وشـهادة الحقوقيين العالميين، تتفوق على القوانين الحقوقية المتطورة فى العالم والمجتمعات المختلفة.

إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى توجه وبذل عنايته الخاصة للمسـائل الاقتصـادية الدقيقة (كالتوزيع المتناسب للثروة، والحث على العمل والإنتاج، والصراع ضد البطالـة، وتأمين الضمان الاجتماعى وغير ذلك) والمسائل السياسية ومسائل السلام والأمن العـالمى والأخلاق، والعلم، ومسائل الفرد والعائلة والمجتمع، ومسائل التربية الروحيـة والبدنيـة والنمو الفكرى وغير ذلك مبينا لها أسلم الطرق وأصحها وأكثرها قابلية للتنفيذ.

إننا نستقبل الكتاب السماوى العظيم (القرآن الكريم) لأنه لا تحريف فيه ولا تنـاقض كما هو الحال فى سائر الكتب السماوية، وكلما يثبت لنا كون الكتاب المقـدس لليهـود والمسيحيين وغيرهم جعليا، ويتوضح ذلك أكثر فأكثر على أثر تحقيقات العلماء، فإن يقيننا يقوى أكثر بأن القرآن الكريم كتاب سماوى بلا شك.

لماذا أسلمت شعوب العالم؟

إن الإنسان الواعى فى هذا العصر لو نظر إلى الإسلام نظرة منصفة محققة بعيدة عن التعصب والسطحية فإنه سيتقبله، ويضطر لأن يقف أمامه موقف التحسين والإجلال.

إن شعوب العالم قد تقبلت الإسلام لأنها وجدت فيه الإشباع الكافى لكل احتياجاتها الفطرية.. وإلا فما تبرير ما نشاهده اليوم من تقدم الإسلام وانتشاره المحير للعقول فى آسيا وأفريقيا وأوربا وأمريكا، مع كل هذه الحريات الممنوحة للمبشرين والمجالات المفتوحة لعملهم فى الأقطار الإسلامية، ومع أن الإسلام اليوم لا يملك جهازا إعلاميا صحيحا فى الواقع، وبالتالى مع كل تلك الآثار المحسوسة للضعف والانكسار فى مجال التدين فى السنين الأخيرة.

لقد أصبح من غير المعقول أن يقال اليوم بأن سيف الفاتحين هو الذى يمهد السبيل لانتشار الإسلام، بل إننا نشاهد على العكس من ذلك تماما فى تلك المناطق التى حكمها الإسلام فى زمان معين ثم استولت على الحكم حكومات من أديان أخرى، وجهزت كل ما لديها من قوى وإمكانات دعائية وتبشيرية هائلة لإرجاع المسلمين عن عقيدتهم الإسلامية نشاهد أنها فشلت تماما فى تلك المساعى الرامية لفصل الإسلام عن حياتهم، بل زادتهم تمسكا، فما أعظم تلك الطاقة الإعجازية التى تكمن فى هذا الدين؟!. وما أروع تلك الإمكانات الذاتية للإقناع وجذب الناس، والتى امتزجت مع روح هذا الدين حتى دفعت الأناس الواعين والأحرار فكريا لأن يستقبلوا هذا الدين بمثل هذا الشوق والحرارة الفائقة.

وعلى هذا فإن أولئك القائلين: (بأن الإسلام قد انتشر بالسيف) ليس لهم مبرر لذلك القول إلا العداوة والحقد.. وأن الوقائع التاريخية الماضية والحوادث الجارية فى عصرنا الحاضر كلها تكذب هذا الادعاء الأثيم.

وإذا كان البابا (يوحنا بول الثانى) فى منشوره يبين أن هناك ميلا سلبيا فى الكنيسة، وهى تلاقى مصاعب داخلية وخارجية فى الاندفاع التبشيرى نحو غد المسيحيين، بينما يشهد العالم تزايدا فى الإقبال على الإسلام، وانحسارا فى المناطق المسيحية فى الشرق الأدنى وإفريقية، وجسورا للإسلام تتزايد فى جنوبى أوربا، فالإسلام هو الدين الوحيد الذى يتحدى انتشار المسيحية، أو التأثير على المسلمين، فراح البابا يطلب من الولايات المتحدة الأمريكية تعزيز الدعم المالى لمضاعفة جهود التبشير، كان من الأجدر أن يبحث عن سبب كون الإسلام الأول بين العقائد فى العالم انتشاراً، وبدعوة عفوية، دون جهود مركزة تذكر، ليعلم يقينا، أن العقل اليوم– ونحن فى بداية القرن الحادى والعشرين– أصبح الحكم فى اعتناق العقيدة، كما أصبح تحكيم العقل أساسا فى مناقشة طروحات الشرائع المختلفة.

الإسلام هو دين العصر

لقد قال الإمام أبو العزائم عليه السلام فى كتابه (وسائل نيل المجد الإسلامى) فى العشرينيات من القرن الماضى:

(لم يبلغ الإنسان مقام الشرف والمجد إلا بالإسلام، وقد ترك المسلمون العمل بوصايا الإسلام فذلوا لمن كانوا أتباعا لهم، وترك غيرهم دينهم فعزوا فى الأرض لأخذهم بأعمال المسلمين الكونية. وإنى على يقين أن تلك الأمم قريبا يظهر لها الحق جليا فتسارع إلى الإسلام، وكيف لا؟ والإنسان مفطور على حب الحرية والمساواة، ومجبول أن يحكم على الأشياء بعقله، وكلما أظهرت الصناعات والفنون ما كنزه الله للخلق فى المادة كلما فكت الأغلال من عنق العقل، فحكم أن الدين الإسلامى هو الدين الحق، وإن ما سواه لا يقبله العقل.

ومن حكم أن الدين الإسلامى لا يحث على تحصيل العلوم كذبته الحقائق، والواجب على المسلمين فى هذا العصر بعد أن شهد أعداء الدين بأحقيته، وسارع فيه كثيرون من

أمريكا وأوروبا، أن يسارعوا إلى الحق والعمل به، ليكونوا أئمة لمن ستنكشف لهـــم أنـــوار الإسلام قريبا، بل وليكونوا متمتعين بالحياة الإسلامية الفاضلة، مسارعين إلى نيل الســـعادة الباقية فى جوار الأخيار ممن عملوا بالإسلام ونشروا فضائله وآدابه وأصوله بـــين الأمـــم، والأمر سهل، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا).

وعلى هذا الترتيب، نعلم أن الإسلام دين فطرى كامل جـــاء لتـــأمين الاحتياجـــات الإنسانية المادية والروحية فى كل العصور، فهو خلافا للشرائع السابقة دين خالد.

لكل هذه الأمور ولغيرها فإننا نسلم، ونطلب إلى كل إخواننا فى الإنسانية إن لم يكونوا مسلمين أن يقوموا بإجراء تحقيق دقيق حول (حقيقة الإسلام) لتتوضح لهم معالم طريق الحق والصواب.. وعندها يختارون الدين الصحيح، وهو أصعب اختيار فى حياة الإنسان علـــى الإطلاق.

وختاما فإننا ندعو الله العلى القدير أن يهدى الجميع إلى الصراط المستقيم.

الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم.

مسجده وضريحه ومكتبته العلمية بالقاهرة

ومشيخة الطريقة العزمية

السيدة زينب : تقاطع شارع مجلس الشعب مع تقاطع شارع بورسعيد

تليفون المكتبة/

002 022 3901030

تطلب مؤلفات الإمام المجدد

السيد محمد ماضى أبو العزائم ﷺ

من مكتبة دار الكتاب الصوفى

تليفون **3901030 022 002**

١١٤ش مجلس الشعب

فى جانب تفسير القرآن :

١- هذا السفر الجليل " أسرار القرآن ".

٢ تفسير سورة القدر.

فى جانب العقيدة :

١- كتاب عقيدة النجاة .

٢- كتاب الإسلام دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها.

فى جانب العلوم الفقهية:

١- كتاب أصول الوصول لمعية الرسول ﴿ﷺ وآله﴾.

٢- صيام أهل المدينة المنورة.

٣- هداية السالك إلى علم المناسك .

فى جانب السيرة النبوية والرد على المستشرقين:

١- سيرة النبى ﴿ﷺ وآله﴾

٢- وسائل إظهار الحق .

فى جانب ما يجب أن يعرفه المسلم :

١- النشأة الثانية.

٢- الوسيلة وما إختلف فيه من السنة والبدعة.

٣- الشفاء من مرض التفرقة.

٤- الجفر.

٥- تحذير الدين من بيع أراضى فلسطين.

٦- النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين.

٧- الرد على نظرية دارون.

فى جانب الأخوة الإسلامية :

١- الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله ﴿ﷺ **وآله**﴾.

٢- الإسلام وطن والمسلمون جميعا أهله.

فى جانب المناسبات الدينية :

١- السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج

٢- بشائر الأخيار فى مولد المختار

٣- مشارق البيان فى فضائل شعبان

٤- لبيك اللهم لبيك.

فى جانب المسرحيات الدينية :

١- محكمة الصلح الكبرى.

٢- العالم والتاجر والفلاح.

٣- المقتصد والمسرف والفاسد.

٤- السياسى والحكيم والغشيم.

٥- الصالح واللص والسكرى.

فى جانب الصلوات والأدعية :

١- نيل الخيرات بملازمة الصلوات.

٢- الفتوحات الربانية والمنح النبوية فى الصلاة على خير البرية.

٣- الأدعية والاستغاثات الكبرى.

فى جانب التصوف :

١- شراب الأرواح من فضل الفتاح.

٢- تذكرة المرشدين والمسترشدين.

٣- معارج المقربين.

٤- الطهور المدار على قلوب الأبرار.

٥- من جوامع الكلم.

٦- الطريق إلى الله تعالى.

٧- الفرقة الناجية.

٨- دستور السالكين طريق رب العالمين.

٩- دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك.

١٠- مصطلحات الصوفية

١١- آداب أل العزائم

١٢- دروس تزكية النفوس

١٣- موارد أهل الصفا

١٤- قبس من المضنون

١٥- الصوفية والتصوف

فى جانب المواجيد:

١- مواجيد شهر محرم، صفر، ربيع أول، ربيع آخر، جماد أول، جماد آخـــر، رجب، شعبان، رمضان.

٢- المواجيد العزمية فى مواجهة الروضة الحسينية.

٣- ديوان ضياء القلوب من فضل علام الغيوب.